

السُّلُوكُ لمعرفة دول الملوك

تأليف
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر
العبّدي المقرّبي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق
محمد عبد القادر عطا

الجزء الخامس

سنة ٧٧٨ هـ - ٨٠١ هـ

منشورات
محرر كافي بيهن
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohitory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ثمان وسبعين وسبعمائة

فى أول المحرم: وقف صوفية خانكة سعيد السعداء إلى السلطان وشكوا من شيخهم جلال الدين جارا الله، فرسم بعزله، وعين لمشيختها علاء الدين السرانى، وكان بالحجاز.

وفيه طلب قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة دوا دار الأمير آقتمر الحنبلى نائب السلطان، وأنكر عليه، ونهره فى مجلس حكمه، ووضع من أستاذه بسبب ما يجرى من أحكامه بين الناس، فإنه بلغه عنه أنه ضرب رب دين بحضرة مديونه، فترقق له وتلطف به فى المداراة حتى خلص من مجلسه، وقد ملئ قلبه منه خوفا.

وفيه أخرج الوزير المالكى إلى الكرك منفيا، وخرجت النجب^(١) فى أول صفر إلى مكة إحضار صاحب كريم الدين شاكر بن غنام، وكان قد جاور بها.

وفى ثامن عشرينه: خلع على الشريف بكتمر، واستقر فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن الأمير على خان، وخلع على الأمير بكتمر السيفى، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن حسين بن الكورانى، وأنعم على الأمير أروس النظامى، بإمرة فى حلب.

وفى يوم الخميس ثامن عشر ربيع الأول: أعيد الأمير حسين بن الكورانى إلى ولاية القاهرة بعد وفاة الأمير بكتمر.

وفى أوائل هذا الشهر: انقطع مقطع من الخليج قريبا من قناطر الأوز؛ سببه أن شهاب الدين بن أحمد بن قايماز - أستاذار ابن آقبا أص الأستاذار - عمّر بركة بجوار الخليج من شرقه؛ ليجتمع فيها السمك، وفتح لها من جانب الخليج كوة يدخل منها الماء، فقوى الماء واتسع الخرق حتى فاض الماء وأغرق ما فى تلك الجهة من الدور فى يوم الجمعة تاسعه، فخربت عدة حارات كان فيها ما ينيف على ألف دار، وصارت ساحة، وتعب الأمير حسين بن الكورانى تعباً كبيراً حتى سد المقطع خشية أن تغرق الحسينية بأسرها، وأنفق فيها زيادة على ثلاثة آلاف درهم فى ثمن أخشاب ونحوها، واستمرت تلك الديار خراباً إلى يومنا، وعمل موضع بعضها بساتين، وموضع بعضها برك ماء.

وفى يوم الجمعة ثانى عشره: قدم صاحب كريم الدين شاكر بن غنام من الحجاز.

(١) النجب، ومفرده نجيب من الإبل ويقال ناقة نجيب ونجبية. انظر القاموس المحيط.

وفى أخريات هذا الشهر: استجد السلطان عدة خاصكية من ممالكه، وأسكنهم فى بيت الأمير أنوك بجوار باب الدار من القلعة، وقدم عليهم الطواشى شرف الدين مختص الأشرفى، وأمره أن يوقفهم بين يديه، ولا يدع أحدا منهم يجلس، فصاروا مضافيه^(١)، منهم الأمير بشتاك عبد الكريم الخاصكى.

وفى مستهل شهر جمادى الأولى: رسم بإبطال ضمان المغانى، والأفراح بجميع أعمال مصر من أسوان إلى العريش، وكان قد أعاده وزراء السوء لكثرة ما يتحصل منه، فإن العرس ما كان يتهيأ حتى يغرم أهله للضامنة خمسمائة درهم فما فوقها، بحسب حال أهل العرس، ولا تقدر امرأة وإن جلت تنتقش إلا بإطلاق من الضامنة، ولا يضرب بدف فى عرس أو ختان أو نحو ذلك إلا بإطلاق، وعلى كل إطلاق فريضة مال مقررة فى الديوان، وكان على كل مغنية قطيعة تحملها إلى الضامنة، فإن باتت فى غير بيتها قامت بمال للضامنة، وتدور فى كل ليلة على بيوت المغانى جماعة من جهة الضامنة لمعرفة من باتت منهن خارج بيتها، وكان على البغايا ضرائب مقررة؛ وأما فى بلاد الصعيد والوجه البحرى فإنه يفرد حارات للمغانى والبغايا تقوم كل واحدة منهن بمال مقرر، فيكون هناك من التجاهر بالزنا وشرب الخمر ما يشنع ذكره، حتى لو مر غريب بتلك المواضع من غير أن يقصد الزنا لألزم بأن يأتى بغيا من تلك البغايا، ويكره على ذلك، أو يفندى بمال يدفعه إليها، حتى تقوم به مما عليها من الضريبة.

وأبطل السلطان أيضاً ما أعاده الوزراء من ضمان القرايط بأعمال مصر كلها، فكأن كل أحد من الناس - ولو جل - لا يقدر أن يشتري دارا حتى يؤخذ منه عن كل ألف درهم من ثمنها عشرون درهما، فإذا أدى ما عليه من ذلك طبع له على رق طبع أحمر شبه دائرة، وعلم حولها مباشر هذا الديوان علاماتهم، فيشهد بعد ذلك العدول فى هذا الرق بقضية التتابع، ومتى لم يكن هذا فى الرق لا يقدر العدول، وإن جلوا عن كتابة المبايعه، خوفا من أن يُنكل النكال بهم العظيم.

وفى هذا الشهر: كان تحويل مغل سنة سبع وتسعين لديوان السنين.

وفيه كان الوفاء فى خامس عشر مسرى، وبلغت زيادة النيل ثمانية أصابع من عشرين ذراعا، وثبت حتى خيف فوات الزرع، ثم هبط.

وعزم الأمير ناصر الدين محمد بن آقبا آص على إعادة ضمان المغانى، فغضب من ذلك قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وامتنع من الحكم، وحضور دار

(١) المضاف: الملقق بالقوم والمقصود أنهم صاروا مرتبطين به.

العدل، فاستدعاه السلطان وسأله عن امتناعه من الحكم، فقال: «بلغنى أن ضمان المغانى أعيد وهذا يوجب الفسق». فحلف له السلطان أنه ما أمر بإعادته، ولا عنده منه علم، وبعث إلى ابن آقبا آص يعلمه بذلك، فاعتذر بعذر غير طائل، فرسم بإبطاله، وكتب بذلك تواقيع قرئت على الناس وسيرت إلى النواحي، فبطل ذلك ولم يعد، والله الحمد، وتكرر السلطان على ابن آقبا آص، وكان ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيه خرج البريد بطلب الأمير آقتمر عبد الغنى نايب صفد، فلما قدم أنعم عليه بتقدمة ألف، وأنعم على الأمير حاجى بن الأمير أيدغمش بإمرة بحلب، وأخرج إليها.

وفى أول جمادى الآخرة: خلع على الأمير ملكتمر من بركة، واستقر فى نيابة الكرك، عوضا عن تمرباى الدمرداشى، ونقل تمرباى إلى نيابة صفد، عوضا عن آقتمر عبد الغنى، فدخل صفد فى يوم الإثنين خامسه.

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن آقبا آص الاستادار، وأحيط بموجوده بمصر والشام، وأمر بنفيه وولده إلى طرسوس، فلم يزل الأمراء بالسلطان حتى رسم أن يستقر بالقدس بطالا فصار إليها من يومه، ولحق به ابنه من الغد، هذا مع شدة تمكنه من السلطان، وكثرة اختصاصه به، حتى أنه كان يقول لولده فى الملأ إذا دعاه «سيدى محمد».

وفيه خلع على الوزير المالكى، بعدما أحضر، وأعيد إلى الوزارة مرة ثالثة، وقبض على ناظر الدولة أمين الدين أمين، وعوق بقاعة الصاحب من القلعة أياما، ثم أفرج عنه. وفيه أخرج الأمير ناصر الدين محمد بن أيك ألافافا أمير آخور منفيا إلى الشام، وأنعم بإقطاعه على الأمير قرايغا.

وفى هذا الشهر: بدت الأمراض بالحميات فى الناس، واستمرت إلى آخر شعبان، فمات خلق كثير.

وفى يوم الإثنين ثالث شهر رجب: خلع على السيد الشريف شرف الدين على بن السيد فخر الدين، واستقر فى نقابة الأشراف بعد وفاة أبيه، بسؤال عدة من الأشراف ولايته.

وفى يوم الخميس سادسه: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر، ولم يعهد دورانه فيما سلف قبل النصف من رجب، وكان الناس فى شغل عنه بكثرة الأمراض، وفيه رسم السلطان بتجهيزه للسفر إلى الحجاز، فبينما هم فى عمل أهبة السفر إذ مرض السلطان مرضا شديدا حتى أرجف بموته غير مرة ونكس عدة نكسات، اتهم فيها أطباؤه

بموافقتهم بعض الأمراء على هلاكه، فقام بعلاجه شيخنا زكى الدين أبو البركات محمد الفقيه المالكي، وشيخنا جلال الدين جار الله، وهو أبو عبد الله محمد ابن الشيخ قطب الدين أبي عبد الله محمد بن شرف الدين أبي البقاء محمود النيسابوري الحنفى، حتى تم برؤه.

وفى أثناء ذلك ألزم بعض أمراء الدولة قاضى القضاة شرف الدين بن منصور الحنفى أن يحكم له باستبدال بعض الدور الموقوفة بملك أحسن منه، على مقتضى مذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى، وكان الاستبدال بالأوقاف حينئذ غير معمول به فى مصر والشام، يتركه قضاة الحنفية تنزهها وتخرجها، لما فيه من الخلاف، فامتنع ابن منصور من الاستبدال للأمير، فلما ألح عليه فى ذلك عزل نفسه فى يوم الأحد تاسعه، فتحدث لجار الله بعض من يعنى به مع السلطان فى ولاية القضاء، وهو إذ ذاك مقيم عند السلطان ليعالج مرضه، فأجاب إلى ولايته، وخلع عليه فى يوم الثلاثاء خامس عشرينه، واستقر عوضا عن شرف الدين بن منصور.

وفى يوم الجمعة تاسع عشرينه: عوفى السلطان من مرضه وعبر الحمام، وصلى بجامع القلعة على العادة، فدقت البشائر ثلاثة أيام، ونودى بزينة القاهرة ومصر، فزينة زينة عظيمة، ونثر على السلطان لما خرج إلى الجمعة ذهب كثير، فانتكس بعد يومين.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشر شعبان: أخرج السلطان إخوته وبنى أعمامه ذرية قلاوون بأجمعهم، ومعهم حرمهم إلى مدينة الكرك، وكان الوقت شتاء باردا، فتألم الناس لذلك، وسار بهم الأمير سوؤن الشيخونى، هذا والسلطان مريض وحركة السفر مستمرة.

وفى سادس عشرينه: أنعم على كل من الأمير يليغا المنجكى والأمير مُغلطاي البدرى بإمرة طبلخانة، وعلى كل من قُطلوُبغا البزلارى وطُشْتُمُر الحمدي اللفاف وأُطنبغا العلائى بإمرة عشرة.

وفى سابع عشرينه: خلع على الطواشى ظهير الدين مختار الحسامى، واستقر منهم المماليك، عوضا عن مختار شاذروان بعد موته، وأنعم على الأمير فخر الدين إياس الصرغتمشى بإمرة طبلخانة، واستقر أستاذاراً ثانياً.

وفى يوم الخميس حادى عشر شهر رمضان: عزل الأمير أقمتر الحنبلى من نيابة السلطنة، واستقر أميراً كبيراً يجلس بالإيوان وقت الخدمة، وخلع على الأمير أقمتر عبد الغنى، واستقر حاجب الحجاب، وأبطلت النيابة، وخلع على الأمير بلوط الصرغتمشى

أمير مشوى، واستقر شاد الشرايخانة، وأنعم على الأمير علم دار بتقدمة ألف، وقد قدم من دمشق باستدعاء.

وفي ليلة الإثنين خامس عشرة: سقطت نار احترق بها حاصل مدرسة السلطان التى يعمرها تحت القلعة، فتلّف بها ما شاء الله من آلات العمارة، وتفاعل الناس بذلك على السلطان، وكان كذلك وقتل كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى، ثم تعطلت سنين، إلى أن حربها كلها الناصر فرج بن برقوق، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفي هذا الشهر: ارتفع الوباء، وعوفى السلطان وركب إلى السرحة بالجيزة^(١) وعاد إلى قلعة الجبل، وفيه كثر الاهتمام بحركة السلطان إلى الحج، وخرجت الإقامات من الشعر والدقيق والبشماط لتوضع فى المنازل بطريق مكة.

وفي رابع شوال: خلع على الأمير مُغلطاي الجمالى، واستقر فى [...] ^(٢) عوضاً عن جرحى البالى بعد موته، وخلع على الشريف عاصم، واستقر فى حسبة مصر والوجه القبلى بعد وفاة شمس الدين محمد بن أبى رقية.

وندب الأمير أقمير الحنبلى أن يخرج إلى بلاد الصعيد، ومعه عدة من الأمراء والأجناد، ويقيم به لحفظه مدة غيبة السلطان بالحجاز، وندب إلى الثغور - مثل الإسكندرية ودمياط ورشيد والبرلس^(٣) - جماعة من الأمراء والأجناد يكونوا مركزين بها لدفع العدو من الفرنج، وندب عدة أمراء للمبيت كل ليلة فى أماكن عينت لهم من خارج القاهرة ومصر، ورتب الأمير أيدمر الشمسى للإقامة بقلعة الجبل لحفظها، وجعل نائب الغيبة بالقاهرة الأمير أقمير عبد الغنى، ورسم له ولجميع الأمراء المقيمين أن حضروا فى أيام المواعيد الخدمة عند باب الستارة^(٤) من القلعة، ويقبلوا أيدى ولدى السلطان، ويقفوا ساعة لطيفة، ثم يقوم أمير على ابن السلطان من مجلسه ويقول للأمراء بيده «بسم الله» فينصرفوا بعد أن يُسقوا مشروباً.

ولما قوى العزم على السفر أشار على السلطان جماعة من أهل الصلاح بألا يسافر، فلم يقبل وصمم على السفر ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، وخرجت أطلاب الأمراء فى يوم السبت ثانى عشره بتحمل عظيم إلى الغاية، وأناخوا ببركة الحجاج، وخرج من الغد يوم الأحد ثالث عشره طلب السلطان، وفيه من الحرير والذهب ما لا يقدر على وصفه،

(١) الجيزة: سبق ترجمتها. معجم البلدان ٢/٢٠٠، والروض المعطار ١٨٣، وصبح الأعشى

٣/٣٩٢، وخطط المقرئى ١/٢٠٥.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) البرلس. انظر معجم البلدان ج ٢.

(٤) باب الستارة أحد أبواب القلعة. (انظر ج ٣/٣٧١).

وتفنن الغلمان فى حسن تربيته وتأنقوا فيه، وأبدوا من صنائعهم العجائب والغرائب، فجروا أولا عشرين قطارا من الرواحل بقمماش من ذهب أكوارها وعرقياتها وحطمها^(١) ومياثرها حرير مزركش غطس، وخمسة عشر قطارا من الرواحل بعبى حرير، وقطار رواحل قماشها أسود خليفتى، وقطار رواحل قماشها أبيض برسم الإحرام ومائة فرس عليها من السروج والكنافيش والعبى ما يجلب قيمته، وكجاوتين^(٢) وتسع محفات أغشية، الكجاوتين مع خمس محفات حرير كله زركش غطس، وأربع محفات دونها، وستة وأربعين جملا محابر بغشية الحرير، وخزانة المال على عشرين جملا، وقطارين تحمل البقل والثمار والتعناع والسلق والكزبرة، المزروع ذلك فى محابر.

ومن أحمال المطايخ والمشارب وأنواع المأكلى الملوكية ما لا يدخل تحت حصر، منها ثلاثون ألف علبة حلوى زنة ما فى كل علبة خمسة أرطال، فيكون ذلك مائة ألف وخمسين ألف رطل، وجميعها قد عملت من السكر النقى، وطبخت بمائة مثقال من المسك، سوى الصندل والعود، وعمل الأمراء من الحلوى مثل ذلك وأما الأجناد والأعيان فلم ينحصر ما عملوه من هذا الصنف، فانظر عظمة بلد يعمل فيه للسلطان وأمرؤه فى شهر واحد ثلاثمائة ألف رطل وستين ألف رطل من السكر، سوى من دونهم ولعله نظير ذلك، ولم يعز مع هذا وجود السكر، بل ولا غلا سعره، فقد أدركنا وعلمنا صحته، وحمل معه عدة من أرباب الملاهى والمخايلين^(٣)، فأنكر الناس ذلك من أجل أنه غير لائق بالحج. وكان لمشاهدة هذا الطلب يوما مشهودا، ومنظرا بديعا، يتعذر حكايته ووصفه، زادت فيه سعادة الدولة.

وفى يوم الإثنين رابع عشرة: خلع على الشيخ ضياء الدين عبيد الله القرمى، واستقر فى مشيخة المدرسة الأشرفية، ولقب بشيخ الشيوخ، وأبطل هذا اللقب من متولى مشيخة خانكاة سرياقوس، فسكنها، ودرس بها قبل أن تكمل عمارتها. وفيه أمر بسد باب القلعة مما يلى القرافة، فسد، وأوصى السلطان ممالك ولديه

(١) الحطم: والحطمية: دروع تنسب إلى رجل كان يعملها، وكان لعلى، رضى الله عنه، درع يقال لها الحطمية، وفى حديث زواج فاطمة، رضى الله عنها: أنه قال لعلى أين درعك الحطمية؟ هى التى تحطم السيوف أى تكسرها، وقيل: هى العريضة الثقيلة، وقيل: هى منسوبة إلى بطن من عبد القيس يقال لهم حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع، قال: ولهذا أشبه الأقوال. فربما قصد بها العريضة أو الدروع أو الكسوة. انظر لسان العرب ٩١٧.

(٢) الكجاوى: هودج النساء. انظر النجوم ٧٠/١.

(٣) المخايلون: هم أرباب الخيال أى خيال الظل وكانت من الألعاب الشائعة فى ذلك الوقت.

انظر سعيد عاشور: المجتمع المصرى فى عهد سلاطين المماليك سنة ١٠٥ - ١٠٦.

بهما، وبحفظ القلعة، وعهد إليهم أنه إن أصابه الموت فولده أمير على هو السلطان من بعده.

وركب من قلعة الجبل وسار إلى سرياقوس^(١)، فبات بقصوره منها ليلة الثلاثاء، ونزل إلى بركة الحاج، فأقام بها إلى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه، ورحل منها بكرة النهار ومعه من أمراء الألف أرغون شاه الأشرفى، وبهادر الجمالى أمير آخور، وصرغتمش الأشرفى، وبيغا السابقى، وصرأى تمر الحمدي، وطشتمر العلأى الدوادر، ومبارك الطازى، وقطلو أقتمر العلأى الطويل، وبشتاك عبد الكريم الأشرفى، ومن أمراء الطبلخانة جمال الدين عبد الله بن بكتمر الحاجب، وأيدمر الخطأى، وبورى الأحمدي، وبلوط الصرغتمشى، وأروس الحمودى، وبلغا الحمدي، وبلغا الناصرى، وأرغون العزى الأفرم، وطغأى تمر الأشرفى، وبلغا المنجكى، وكزل الأرغونى، وقطلوبغا الشعبانى، وأمير حاج بن كغلطأى، وعلى بن الأمير منجك ومحمد بن الأمير تنكر بغا، وتمر باى الحسنى، وأسندمر العثمانى، وقربغا الأحمدي، وإينال اليوسفى، وأحمد ابن الأمير يلغا الخاصكى، وموسى بن دندار بن قرمان، ويدى بن قرطقا بن سيسون، وبكتمر العلمى، ومغلطأى البدرى، ومن أمراء العشرات سنقر الجمالى، وأحمد بن محمد بن لاجين، وأبغابوز الشيخونى، وأسنبغا التلكى، ومحمد بن بكتمر الشمسى، ومحمد بن قطلوبغا الحمدي، وجويان الطيدمرى، وألطنبغا عبد الملك، وقطلوبغا البزلارى، وطوغان العمرى، وتلكتمر العيسوى، ومحمد بن سنقر الحمدي، وخضر بن عمر بن أحمد ابن الأمير بكتمر الساقى، ومنجك الأشرفى، ومعه قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة الشافعى، وقاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفى، وقاضى القضاة بدر الدين عبد الوهاب الأحنأى المالكى، وسراج الدين عمر البلقينى قاضى العسكر، وتوجه أيضاً الخليفة المتوكل على الله، وكاتب السر بدر الدين محمد ابن فضل الله، وناظر الجيش تقى الدين عبد الرحمن، وتأخر قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلى بالقاهرة.

فلم يزل السلطان سائرا بمن معه حتى نزل من عقبة أيلة، وأناخ على البحر فى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه، ونزل بقية الحاج من الغد يوم الأربعاء آخره.

فلما كان يوم السبت ثالث ذى القعدة: انتدب لإثارة الفتنة بالقاهرة أئبىك البدرى، وأسندمر الصرغتمشى، وقُرطأى، وطشتمر اللفاف، ومشوا حين تأخر بالقلعة

(١) سرياقوس فى نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

من الممالك السلطانية، وفي ممالك الأسياد ولدى السلطان، وفي ممالك الأمراء المسافرين صحبة السلطان، وفي جماعة من الممالك البطالة وواعدوهم جميعا على القيام معهم، ووعدوهم بأن ينفقوا فيهم خمسمائة دينار، عنها عشرة آلاف درهم، لكل واحد منهم، فمالوا إليهم وتحالفوا جميعا على الاتفاق، وركبوا بألة الحرب.

ونزل الممالك السلطانية الذين بالطباق من قلعة الجبل، وصعد الذين كانوا أسفل القلعة إليها، وصار الجميع بباب الستارة، وفي داخله الطواشى سابق الدين مثقال زمام الدور، والأمير جلبان لالا الأسياد، والأمير أقبغا جركس اللالا، فأغلقوا باب الستارة، وأخذ القوم يطرقون عليهم الباب، ويطلبون أمير على ابن السلطان، ويقولون: «قد مات السلطان ونحن نريد نسلطن ابنه أمير على». فقيل لهم: «من كبيركم حتى نسلم إليه ابن السلطان»، فتأمروا فيما بينهم ساعة وجمعهم يكثر، ثم كسروا شبك الزمام المطل على تلك الجهة وصعدوا منه فنهبوا ما فى بيت الزمام، ونزلوا إلى رحبة باب الستارة وقبضوا على الطواشى مثقال الزمام، وعلى الأمير جلبان، ودخلوا من باب الستارة بأجمعهم، وأخرجوا أمير على، وأجلسوه بباب الستارة، وأحضروا الأمير أيذمر الشمسى، وألزموه بتقبيل الأرض، فقبلها، وأركبوا أمير على إلى الإيوان المعروف بدار العدل، وأجلسوه على تحت الملك، ولقبوه بالملك العادل.

فتأخر ناظر الخاص شمس الدين أبو الفرج المقسى فى داره عن الطلوع إلى القلعة، خوفا من الممالك، فإن رعوس النوب وأكابر الممالك طلبوا منه أن يصرف لهم وبقية الممالك رواتبهم من الدراهم واللحم ونحو ذلك، فمطلبهم بالصرف وهم يلحون فى الطلب، فنهزمهم، وقال: «ما لكم عندى شىء حتى يجيء أستاذكم خذوا منه».

وطلع ناظر الدولة أمين الدين أمين، ومعه مقدم الدولة الحاج سيف، وبقية مباشرة الدولة، فقبض الممالك عليهم ظنا منهم أنه المقسى، وأغلقوا باب القلعة، ووكلوا بناظر الدولة ومن معه عدة من الممالك، ثم نزلوا من القلعة ووقفوا على خيولهم تحتها، وبعثوا طائفة منهم لإحضار المقسى، فلم يظفروا به، فاستدعوا الأمير أقتمر عبد الغنى والأمير أيذمر الشمسى، والأمير علم دار، وبقية الأمراء، فأتوهم تحت القلعة، وأبوا من طلوعها، فأنزل الممالك أمير على من القلعة إلى الإصطبل، وطلعوا بالأمراء إليه، فقبلوا له الأرض، وحلفوا على العادة، إلا الأمير طشتمر الصالحى، والأمير بلاط الكبير السيفى، والأمير خطط رأس نوبة، فإنهم لم يوافقوا الممالك على ما فعلوه، فقبضوا عليهم وطلبوا الأمير سيف الدين الطنبغا أبو قورة، أمير سلاح - وكان قد تأخر عن السفر لمرض به - والأمير طاز، فاعتذرا عن الحضور بالضعف، وأرسلا مماليكهما،

وكان قبل ذلك قد بلغ كل من الأمير سودن أمير آخور وأمير على بن قشتمر الحاجب، وأبو بكر بن طاز وأيدمر الشمسي، وأقتمر عبد الغنى، وعلمدار وطشتمر الصالحى، وبقية الأمراء، أن ممالك السلطان وممالك الأسياد يريدون إثارة الفتنة والركوب للحرب، فتغافلوا عنهم خوفاً على أنفسهم، فلما وقع ما وقع وأتاهم الأمراء، ورسموا عليهم، وأخذوا منهم ممالكهم، وصار دبير القوم أيبك ويشاركه الأمير طشتمر اللفاف، وأسندمر الصرغتمشى، وقرطازى، فأمرُوا أن ينادى فى الناس بالأمان، فنودى فى القاهرة ومصر بين يدى والى القاهرة «الأمان والاطمئنان، افتحو دكاكينكم وبيعوا واشتروا، وترحموا على الملك الأشرف، والدعاء لولده الملك العادل على، ونائبه الأمير أقتمر الحنبلى»، فكثرت القالة بين الناس، واستمرت الكوسات تدق بالقلعة حريباً، وطبلخانة الأمراء أيضاً تدق، والقوم وقوف تحت القلعة طول اليوم السبت، وليلة الأحد، وأمير على بالإصطبل.

فلما أصبح نهار الأحد رابعه، غيروا لقب أمير على وجعلوه الملك المنصور، وأخذوا خطوط جميع العلماء والأمراء أنهم رضوا به سلطاناً، ونادوا بالقاهرة وأعمالها ثانياً بالأمان والاطمئنان والدعاء للملك المنصور، وخرج البريد لإحضار الأمير أقتمر الحنبلى من بلاد الصعيد، وتقسموا الأمريات، فأخذ طشتمر اللفاف مقدمة أرغون شاه رأس نوبة، وأخذ قرطازى مقدمة صرغتمش، وأخذ أيبك مقدمة بييغا السابقى، وأخذ أسندمر الصرغتمشى مقدمة، وأخذ بلاط الصغير مقدمة، حتى عموا من أرادوا منهم بالأمريات.

واستقر الأمير شهاب الدين قرطازى أتابك العساكر، ونصبوا لهم خليفة من بنى عم الخليفة المتوكل، وأقاموا عز الدين حمزة بن علاء الدين على بن محيى الدين يحيى بن فضل الله فى وظيفة كتابة السر، حتى يحضر أخوه بدر الدين، وأحضروا ناظر الخاص شمس الدين المقسى حتى فتح لهم خزانة الخاص من القلعة، وأخرج منها تشاريف الأمراء، وخلعهم، وفرقها فيهم، ورتب أحوال المملكة ومد السماط على العادة، وأعطى الرواتب، هذا وهم بالسلاح على الخيول تحت القلعة يترقبون ما يرد من الأخبار فإنهم كانوا قد وعدوا أصحابهم على أن يثيروا الفتنة مع السلطان أيضاً.

فاتفق أن السلطان لما أصبح فى يوم الأربعاء بمنزلة العقبة تجمع الممالك وطلبوا عليق دوابهم، فوعدهم السلطان بصرفه فى منزلة الأزم^(١)، فسألوه أن ينفق فيهم مالا لينفقوه فى غلمانهم، فقال: «ما عندى إلا البشماط والشعير»، فرادوه مراراً حتى نهرهم

(١) الأزم محطة من محطات الحجاج فى الطريق بين القاهرة ومكة المشرفة، بها قلعة حربية. انظر

وتوعدهم، فمضوا إلى الأمير الكبير أرغون شاه رأس نوبة وشكوا ما لقيهم من السلطان، فوعدهم أن يتحدث لهم مع السلطان؛ فانصرفوا من عنده إلى الأمير طشتمر الدوادار، وتنمروا عليه، وقالوا له «إن لم ينفق فينا قتلناه». فقام إلى السلطان وسأله في النفقة على الممالك، فامتنع، فما زال يرادده حتى غضب منه وسبه، وقال له «تحكم على في مصر وهنا أيضًا»، وهدده، فقام وقد أحرق الممالك بخامه ينتظرونه، فأخبرهم بما كان، وأكثرهم حينئذ شباب وممالك يَلْبِغا، فهاجت حفاظهم، وتحركت أحقادهم، وتواعدوا على قتل السلطان وخاصكيته، ولبسوا السلاح، وأتوا إلى الأمير طشتمر وتوعدوه بالقتل إن لم يوافقهم، فألبس ممالكه السلاح، وركب معهم هو والأمير مبارك الطازي، والأمير صراي تمر الحمدي، والأمير قطلو أقتمر الطويل العلاي، وقصدوا السلطان، وكان في خامة يتحدث مع خاصكيته، وإذا بضجة، فبعث من يكشف له الخير، فقبل قد ركب الممالك، فأمر من عنده بلبس السلاح، فمات كلامه حتى هجموا على الخام، وقطعوا الأتخاب^(١)، فأمر بالشموع فأطفئت، وخرج السلطان بمن معه هاربا، وهم الأمير أرغون شاه، والأمير صرغتمش، والأمير يبيغا السابقي، والأمير بشتاك الخاصكي، والأمير أرغون العزى، والأمير يلبغا الناصري، والأمير أَلْبُغا فرفور، والأمير طَشْبِغا رأس نوبة، وذلك في ليلة الخميس، وقد أعد الأمير قازان أمير آخور للسلطان ما يركبه هو ومن معه من مراكب الخاص، فركبوا وطلبوا جهة القاهرة، وليس مع كل واحد منهم سوى مملوك واحد، حتى قطعوا العقبة، فإذا بمقدم الهجانة محمد بن عيسى ومعه نحو اثني عشر هجينا، فنزل السلطان عن فرسه، وركب منها وأركب من معه بقيتها، وساروا حتى أتوا قبة النصر خارج القاهرة، في يوم الأحد ثاني يوم قيام الممالك بالقلعة، فسمعوا دق الكوسات حريبا، فراهبهم ذلك، وبعثوا لكشف الخير، وتوجه السلطان ومعه الأمير يلبغا الناصري نحو الجبل، ودخل بقية الأمراء قبة النصر، وناموا، فبينما الممالك راكبين تحت القلعة، إذ قبض بعد الظهر على رجل متنكر اسمه قازان ممن قدم مع السلطان، فأتى به إلى أكابرهم فعرفهم خير وقعة العقبة، ودلهم على موضع السلطان، فتوجه الأمير أَسْدَمُ الصرغتمشي، وطولوا الصرغتمشي في جماعة إلى قبة النصر، فذبحوا الأمير أرغون شاه، والأمير صرغتمش، والأمير يبيغا السابقي، والأمير بشتاك، والأمير أرغون العزى الأفرم، وأتوا برؤوسهم إلى تحت القلعة وهم يقولون «صلوا على محمد»، ثم دفعوا الرؤوس إلى أهلها، فذهبوا إلى جثث الأمراء الخمسة وواروها معها.

وقد اضطرب الناس بالقاهرة، وأغلقت ما فتح من الحوانيت، وكثر تخلقهم للحديث

(١) الطنب وجمعه أُنْتَاب، جبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد. (انظر القاموس المحيط).

فى أمر السلطان والقائمين بالدولة، ونودى بالقاهرة ومصر على السلطان، وتوعد من أخفاه، فاضطرب الناس، وباتوا ليلة الإثنين على تخوف وقلق شديد، فلما طلع نهار الإثنين، قبض على محمد بن عيسى، وسئل عن السلطان، فذكر أن آخر علمه به أنه فارق الأمراء، ومضى هو ويلبغا الناصرى.

وأما السلطان فإنه لما أخذ نحو الجبل ومعه الناصرى قعد لحاجة، وإذا بالخليل قد أتت إلى قبة النصر فى طلبه، فاخفى هو والناصرى حتى جئهما الليل، فخرج به الناصرى، وسار إلى بيت أستاذاره، فأواهما وحدثهما بقيام الممالك، وما كان منهم وذبح الأمراء، فاشتد خوف السلطان، وخرج من ليلته بمفرده من بيت أستاذار الناصرى، وقصد بيت أمنة امرأة المشتولى بحارة المحمودية^(١) من القاهرة، وبات عندها بقية ليلة الإثنين، وأصبح كذلك إلى آخر النهار، فمضت امرأة وأعلمت القائمين بالدولة بمكانه، فركب الأمير قرطاي فى عدة وافرة، وأتوا بيت أمنة، وقبضوا عليها وأرهبوها، فأشارت إلى بادهنج^(٢) البيت، فوجدوا السلطان قد لبس ثياب النساء، واختفى فيه، فأخذوه وألبسوه سلاحا، وستروا وجهه، وخرجوا به من باب سعادة أحد أبواب القاهرة، حتى صعدوا به قلعة الجبل، فتسلمه الأمير أئيبك، وعاقبه حتى دلهم على ذخائره، وجمعوا بينه وبين ناظر الخاص شمس الدين المقسى، حتى تحاققا على الذخائر وأعادوه إلى داره، ثم استدعوا بالقاضى صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى - أحد خلفاء الحكم - فى يوم الثلاثاء سادسه، وأرادوه أن يثبت وصية الملك الأشرف، فقال: «لا بد من إثبات وفاته»، فدخل إليه مملوك منهم اسمه جركس السيفى - من ممالك ألبان - وخنقه، ثم أدخلوا إليه بجماعة حتى عاينوه ميتا، وعادوا إلى القاضى فشهدوا عنده بموته، وأنه أوصى الأمير عز الدين أئيبك، ثم أنعم على جركس هذا بإمرة عشرة، واستقر شاد العمائر، جزاء له بما فعله من خنق السلطان، ثم أخذت جثة الأشرف، ووضعت فى قفة وخيط عليها بلاس شعر أسود، وألقيت فى بئر آخر نهار الثلاثاء المذكور، فلما مضت له أيام، ظهر نتنه، فأخرجه جيران تلك البئر، فعرفوه ودفنوه بالكيमान التى بجانب مشهد السيدة نفيسة، فأتى بعض خدام السلطان ليلا، وأخرجه من قبره وحمله إلى تربة أمه خوند بركة من التبانة، وغسله وكفنه وصلى عليه، ودفنه بالقبة التى بها.

ومولده فى سنة أربع وخمسين، ومدة سلطنته أربع عشرة سنة وشهرين وخمسة عشر

(١) حارة المحمودية عرفت بطائفة من طوائف عسكر الدولة الفاطمية كان يقال لها الطائفة المحمودية.

(٢) بادهنج وجمعه بادهنجات وهو المنفذ الذى يوجد وسط المبنى للتهوية.

يوماً، وعمره أربع وعشرون سنة، وكان لنا يحب أهل الخير، ويقف عند ما يحسن له من فعل الخير، إلا أنه كان يحب جمع المال وتفرقه، جدد فى أيام دولته الأقبية الحرير بالطرز الزركش فى كل سنة على الأمراء، مع ركوبهم الخيل وقت لبس الأقبية المذكورة بالسروج الذهب، والكنابيش الزركشى، فكان يعم بذلك أمراء الألوف والطلبخانة والعشرات والممالك الخاصة، على قدر رتبهم، ولم يتقدمه ملك لفعل ذلك، وكانت أيامه فى هدوء وسكون، وأبطل مسكين شنيعين كان يتحصل منهما مال عظيم، فبطلاً من بعده، ولم يكن فيه أذى ولا تجبر، بل يرفع يديه ويسأل الله تعالى أن يخرب ديار من يريد بالناس سوءاً، بالجملة فكان إلى التشبه بالنساء أميل منه إلى التشبه بالرجال، وترك من الأولاد سبعة ذكور، أمير على، وأمير حاجي، وكلاهما تسلمن، وقاسما، ومحمداً، وإسماعيل، وأبا بكر، وأحمد، وسبع بنات.

* * *

السلطان الملك المنصور على بن السلطان الملك الأشرف

شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون

الصالحى الألفى

أقيم فى السلطنة - كما تقدم - يوم السبت، ثالث ذى القعدة، وأبوه حى، فلما قتل أبوه - كما مر ذكره - فى ليلة الثلاثاء، قدم فى يوم الأربعاء سابعه الأمير أقتمر الحنبلى من بلاد الصعيد بمن كان معه، فتلقاته الأمراء، وأجلوا قدره، وقالوا له: «أنت نائب السلطان، والمتحدث عنه، وكلنا من تحت أمرك»، فوافقهم، ووقف بطلبه مع أطلابهم تحت القلعة.

وأما الذين بالعقبة، فإن السلطان لما انهزم قام الأمير طشتمر الدوادار بالأمر، وعزم على العود بالناس جميعهم إلى القاهرة، وإبطال الحج، فثارت العامة ورجمته، ووقع النهب فى السوق، فمضى قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، ومعه قاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفى من العقبة إلى جهة القدس، وتوجه معهما طائفة كبيرة من الحجاج.

ووضع الأمير بهادر - أمير آخور - بعض الزاد والعلف بخان العقبة، وانتهبت الممالك من الأتقال ما قدرت عليه، ورحل الأمراء والممالك ومعهم المحمل، ومن بقى من الحجاج عائدين إلى القاهرة، ورموا من الزاد والشعير وأنواع المأكول ومن الأتقال ما لا يقدر قدره، فلما وصلوا إلى المنزلة المعروفة بآبار العلالى، أعيد المحمل مع الأمير بهادر

إلى مكة، وسار معه قليل من الناس، ومضى الأمراء نحو القاهرة، ولا علم لهم بالسلطان، حتى نزلوا نخل^(١)، فبلغهم أن عدة من الناس مرت بهم، بعضهم على رواحل^(٢) وبعضهم على خيل، تريد ناحية القاهرة، فعلموا أنه السلطان، فخاف المماليك عاقبة أمرهم، وأن يتفق لهم ما اتفق على الأجلاب بعد واقعة الأمير أسندمر، فمالوا على خزائن السلطان المحمولة في الطلب ونهبوها، وتقاسموا ما بقى فيها، وتوجه عدة منهم إلى جهة الشام، وبقيت طائفة صحبة الأمير طَشْتَمُر الدوادار، ومعه الخليفة، وكتاب السر، وناظر الجيش، وقاضى القضاة بدر الدين الإخناى، والحريم السلطانى، وعدة كبيرة من الحجاج، وقد أرادوا الخليفة أن يقوم بالأمر من غير سلطان، ويستبد بالمملكة، ويكونوا عوناً له على من خالفه، فلم يوافقهم على ذلك، وهم يلحون فى سؤاله، حتى نزلوا عجرود^(٣) بلغهم ما وقع من قيام المماليك، وسلطنة أمير على ابن السلطان، وظفرهم بالأمراء والسلطان، وقتلهم، فساروا وقد أمنوا من السلطان، وكانوا على تخوف شديد منه أن يظفر بهم ويقتلهم، حتى نزلوا بركة الحجاج، بعث الأمراء القائمون بالدولة طائفة من المماليك الأجلاب؛ لحرب الأمير طَشْتَمُر، وعليهم الأمير أحمد بن هُمَز، فلقبهم الأمير قُطُلُوا أقتمر العلای الطويل - وكان طليعة الأمير طَشْتَمُر - فكسرههم، وركب أقفيتهم إلى قرب قلعة الجبل، فتكاثروا عليه وأمسكوه، وذلك يوم الثلاثاء سادسه، فبعث الأمير طَشْتَمُر بالأمير قطلوبغا الشعبانى فى تقرير أمره، فلما كان الغد يوم الأربعاء سابعه، ركب عدة من الأجلاب لمحاربة طَشْتَمُر، وافترقوا فرقتين، ومضوا، فمالت فرقة على الخزائن والأثقال، فنهبوا ما هناك، وامتدت أيديهم إلى حريم السلطان، وإلى الحجاج، فتجاوزوا الحد فى النهب، وفعلوا ما لا يفعل مثله فى أهل الإسلام، فكان شيئاً قبيحاً إلى الغاية، ذهب فيه من الأموال ما لا يحصىه إلا الله، وكانت هذه السفرة سبباً لزوال سعادة الدولة، وذهاب دولة آل قلاوون إلى آخر الدهر.

وأما الفرقة الأخرى فإنها قتلت الأمير طَشْتَمُر ومن معه قتالاً عظيماً، فكسرههم، ومروا فى الهزيمة - وهو فى طلبهم - إلى تحت القلعة، فوصل عصر يوم الخميس ثامنه، فاجتمع القوم على قتاله من نصف وقت العصر، حتى غابت الشمس، فانكسر منهم

(١) نخل: موضع فى طريق الشام من ناحية مصر. انظر معجم البلدان، والروض المعطار ٥٧٦، ومعجم ما استعجم ١٣٠٣/٤.

(٢) الرحل مركب للبعير والناقة (لسان العرب).

(٣) محطة من محطات طريق الحاج المصرى على بعد عشرين كيلو متراً فى الشمال الغربى لمدينة

السويس. انظر محمد رمزى ٣٢١/١.

ومضى نحو كيما ن مصر فى نفر يسير؁ فأدر كه بعض الأمراء ممن يثق به؁ ومازال به حتى قرر معه أن يستقر فى نياة الشام؁ وحلف له القائمون بالدولة؁ فاطمان لذلك؁ ونزل بداره؁ فقبضوا عليه وحبسوه بقلعة الجبل؁ وقبضوا على الأمير سراى تمر؁ وبعثوه إلى الشام؁ وقبضوا على الأمير بلوط الصرغتمشى أمير مشوى؁ وعلى جماعة كبيرة؁ وباتوا آمنين؁ وقد نزعوا السلاح عنهم.

وفى يوم الخميس هذا: قدم الخليفة وأصعد إلى القلعة؁ واستدعى قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلى؁ ونواب القضاة والأمراء القائمون بالدولة؁ إلى باب الستارة من القلعة؁ وأخرجوا السلطان الملك المنصور على؁ فبايعه الخليفة؁ وقبل له البيعة الأمير أقتمر الحنبلى؁ ثم أفيضت عليه الخلعة الخليفة؁ وهى فرجية حرير بنفسجى بطرازين ذهب؁ وديراها من رأس كميها وعاتقيها وذيلها تركية ذهب؁ وتحتانية حرير أزرق خطاى؁ وألبس عمامة عربية من حرير أسود على قبع حرير أسود؁ وأرخى لها عذبة حرير مزرکش؁ وركب من باب الستارة بأبهة السلطنة إلى إيوان دار العدل؁ وجلس على تحت الملك؁ وسرير السلطنة؁ ومد السماط بالإيوان؁ فأكل من حضر على العادة؁ ثم قام السلطان عن التخت إلى القصر؁ وخلع على الأمير طشتمر اللفاف الحمذى أحد أمراء العشرات؁ واستقر أمير مائة مقدم ألف؁ وأنعم عليه بإقطاع آتابك العساكر؁ وبجميع ما خلفه الأمير أرغون شاه من مال وغللال وخيول وجمال وممالك وغير ذلك؁ وخلع على الأمير قُرطاي الطازى أحد الممالك المفاردة؁ واستقر رأس نوبة كبير على مقدمة صرغتمش وإقطاعه؁ وأنعم عليه بما خلفه من صامت وناطق؁ وعين وغلة. ورسم له وللفاف أن يجلسا بالإيوان فى الميمنة.

وخلع على اسندمر الذباح الصرغتمشى - أحد الممالك المفاردة -؁ واستقر أمير سلاح مقدم ألف؁ ورسم له أن أن يجلس بالميسرة من الإيوان؁ وخلع على قطلوبغا البدرى؁ واستقر أمير مجلس. وعلى الأمير طشتمر الدوادار واستقر نائب الشام؁ وسافر من يومه؁ وخلع على الأمير فخر الدين إياس الصرغتمشى؁ واستقر دواداراً بإمرة طبلخاناه؁ وأنعم على دمرادش اليوسفى أحد الممالك بتقدمة ألف؁ واستقر رأس نوبة ثانياً؁ وأنعم على بلاط الصغير السيفى؁ أحد الممالك المفاردة؁ بتقدمة ألف؁ وأنعم على أَلطُنْغا النظامى بتقدمة ألف؁ وعلى يَلْغَا النظامى بتقدمة ألف؁ وكلاهما من جملة الممالك المفاردة؁ وأنعم على الأمير أَيْنَبْكَ بتقدمة؁ واستقر أمير أخور؁ وأنعم على كل من يققجا الكمالى؁ وقطلوبغا البشيرى؁ وطغاي تمر الناصرى؁ وصربغا الناصرى؁ وطولوا الصرغتمشى؁ وألجُغا السيفى؁ وقطلوبك النظامى؁ وأحمد بن هُمَز التركمانى؁

وقطلوخجا أخى أئنيك، وتُمرْبغا البدرى، وألطنبغا المعلم، وتلكتمر عبد الله المنصورى، وأسنبغا الصارمى، وأطلْمِش الطازى، وأربغا السيفى، وإبراهيم بن قطلو أقمتر العلاى، وعلى بن أقمتر عبد الغنى، وأسنبغا النظامى، ومأمور القَلْمَطَاوى، وأطلْمِش الأرغونى، ومقبل الرومى، بإمرة طبلخاناة.

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرة، وهم: محمد بن قُرطاي الطازى، وخضر بن أَلْطُنْبغا السلطانى، وتُكا الشمسى، ومحمد بن شعبان ابن الأمير يلبغا العمرى، وأسنبغا المحمودى، وطُجج المحمدى، وتلكتمر المنجكى، وأقبغا السيفى، وجركس السيفى، وطُقْتُمُش السيفى، وطوغان العمرى، وبكلمش الإبراهيمى، ويلبغا العلاى، ويوسف بن شادى البريدى، وخضر الرسولى، وأسندمر الشرفى، ومغلطاي الشرفى، وخليل بن أسندمر العلاى، ورمضان بن صرْعَتْمُش وأخيه حسن صرْعَتْمُش، وقطلوبغا حاجى أمير علم، ومنكلى الشمسى، وألبغا السيفى، وألطنبغا شادى، وسودون العثمانى، فاتفق من ارتفاع الأسافل ما فيه عبرة لمن اعتبر، وأصبح المماليك الأجلاب الذين كانوا بالأمس أقل مذكور، ثم تبعوا بالقتل والنفى وأنواع العذاب، ملوكا تجبى إليهم ثمرات كل شىء، ويتحكمون فى ممالك الأرض، بما تهوى أنفسهم، ومن حينئذ تغيرت أحوال البلاد بتغير أهلها.

وفيه أيضا قدم حريم الأشرف من بركة الحجاج، فصعد بهم إلى القلعة من باب السر، بعد ما نهبت خزانة السلطان بالريدانية خارج القاهرة.

وفيه سار على البريد الأمير قطلوبغا جركس إلى دمشق ليقبض على الأمير بيدمر ويحبسه بقلعة صفد.

وفى يوم السبت عاشره: استقر الأمير طشتمر نائب الشام بالمسير من ظاهر القاهرة إلى محل ولايته.

وفيه أفرج عن الأمراء المعتقلين بقلعة الجبل، وهم أقمتر عبد الغنى، وعلم دار المحمدى، وأيدمر الشمس، وسودون جركس وطبيغا الصفوى، ومغلطاي البدرى، وصربغا السيفى، وطُشْتَمُش الصالحى، وبلاط الكبير، وحطط السيفى، وإياس الماردىنى، وبلوط الصرغتمشى، ويلبغا المنجكى، وقرابغا والد جرْكُتْمُش، وحاجى خطاي والد غريب، فى جماعة آخرين. ثم قبض عليهم جميعا من الغد - خلا أقمتر عبد الغنى، وسودون جركس - وقيدوا وحملوا من ليلتهم إلى الإسكندرية، فسجنوا بها.

وفيه استولى الأمراء القائمون بالدولة على ما كان الملك الأشرف وضعه من المال فى مودع الحكم بالقاهرة، وحمل على ثمانية وعشرين جملا.

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: قرئ بالإيوان تقليد السلطان، وعلم عليه الخليفة،

وشهد عليه فيه القضاة على العادة. ثم خلع على الخليفة وأنعم عليه بألف دينار رسم المبايع، وخلع على القضاة وأرباب المناصب، واستدعى الوزير تاج الدين النشو الملكى، وخلع عليه، واستقر فى الوزارة، وخلع على صاحب كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، واستقر فى نظر الدولة، عوضا عن أمين الدين مين، وخلع على الأمير طيئدر البالى، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن أئتمر عبد الغنى، وخلع على الأمير على ابن قشتمر واستقر حاجبا ثانيا، عوضا عن الأمير علم دار.

وفيه طلب الممالك من الأمراء. وعدوهم به من النفقة فيهم، وهى مبلغ خمسمائة دينار لكل واحد، فرسموا لهم بمائة دينار لكل مملوك، فأبوا وتجمعوا فى يوم الثلاثاء ثالث عشره، وقبضوا على الأمير طشتمر اللفاف، وهموا بضرب عنقه، فقام الأمير قُرطاي، وضمن لهم أن ينفق فيهم ما عدوا به، وما زال يتلطف بهم حتى أطلقوا اللفاف، وأخذ الأمراء فى الاهتمام بنفقة الممالك، وطلبوا أمين الحكم، وأرادوا منه أن يقرضهم من مال الأيتام مائتى ألف دينار ذهباً، وإلا نهبوا المودع، وكان فيه حيثئذ أموال عظيمة جدا، ورسموا جماعة حتى أخذوا ما شاءوا، فذهبت على الأيتام إلى اليوم، وقبضوا على شمس الدين المقسى ناظر الخاص، وعلى سعد الدين نصر الله ابن البقرى، وتاج الدين موسى بن كاتب السعدى، وولده سعد الدين.

وفى يوم الأحد ثامن عشره: حمل المقسى وتاج الدين موسى وأمين الدين مين، وعلاء الدين على بن السائس، والمعلم شهاب الدين أحمد بن الطولونى، إلى قاعة صاحب بالقلعة، وألزموا بأموال جزيلة، وقبض على جماعة من مباشرى الدولة، وألزم كل واحد منهم بنفقة عدة من الممالك، وسلموا كل من ألزم بنفقة جماعة لهم حتى ينفق فيهم، فلم يبق أحد من مباشرى الدولة والخاص حتى وزع عليه عدة ممالك، بحسب حاله، وقبض على محتسب القاهرة شمس الدين محمد الدميرى^(١)، وحمل على قفص حمال إلى القلعة لمرض به، وألزم بالنفقة على عشرة ممالك. ونهب بيت أخيه، وقبض على جماعة من التجار.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: طلع الأمير أسندمر الصرغتمشى، والأمير دمرداش اليوسفى إلى الدور السلطانية من قلعة الجبل، وفرقا جوارى الملك الأشرف على الأمراء. وفيه قبض على الطواشى مختص الأشرفى، والطواشى جوهر السكندرى والطواشى

(١) شمس الدين محمد الدميرى: محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى، أبو البقاء، كمال الدين، باحث، أديب من فقهاء الشافعية - أصل دميرة (بمصر) ولد ونشأ وتوفى بالقاهرة. كان يتكسب بالخياطة ثم أقبل على العلم وأفتى ودرس وكانت له فى الأزهر حلقة خاصة، وإمام مدة بمكة والمدينة. من كتبه «حياة الحيوان». انظر: الضوء اللامع ١٠/ ٥٦ - ٥٨ والأعلام ١١٨/ ٧، ١١٩.

سنبُل رأس نوبة، وأدخلوا قاعة الصاحب على مال ألزموا به، وألزم أيضا الطواشى سابق الدين مثقال الجمالى بحمل ثلاثمائة ألف درهم، ثم تقرر حملة مائة ألف درهم.

وفيه قدم الأمير صلاح الدين خليل بن عرام من ثغر الإسكندرية^(١) باستدعاء، فقبض عليه، وصودر على ألف ألف درهم، ثم خلع عليه، واستقر على عادته نائب الإسكندرية.

وفيه خلع على الأمير أقمُتر الحنبلى، واستقر نائب السلطان، وأذن له أن يخرج الإقطاعات للأمراء والأجناد ونواب الممالك، وأن ينفرد وحده بالتحدث فى المملكة، بعد ما تقرر ذلك مع الأمراء والممالك ورضوا به.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: قبض على جماعة من خدام السلطان، منهم الطواشى دينار اللالا، والطواشى شاهين دست، والطواشى سُنبل اللفاف، وأدخلوا قاعة الصاحب على حمل مال.

وفيه خلع على جمال الدين محمود القيصرى العجمى، خطيب مدرسة أُلحاي واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن شمس الدين محمد الدميرى فسخر العامة منه واستهزؤوا به، لعهدهم به أمس - وهو من فقراء العجم، يجلس تجاه باب المارستان بالقاهرة، ويبيع التمر - فلم يجد له بيتا ينزل فيه، حتى نزل فى بيت تاج الدين أحمد بن على بن الظريف، إلى أن وجد دارا سكنها.

وفى يوم السبت رابع عشرينه: أفرج عن الصاحب شمس الدين المقسى ناظر الخاص، بعد ما حمل مالا عظيما، وخلع عليه، واستقر فى نظر الخاص ووكالة الخاص، على عادته.

وفى يوم الإثنين سادس عشرينه: قدم قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة وقاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفى، ومن رافقهما من الحجاج، بعد ما زاروا بيت المقدس، وعافاهم الله مما ابتلى به وقدم من العقبة^(٢) من النهب والخوف الشديد والشنعة القبيحة، فعد هذا من سعادة قاضى القضاة برهان الدين.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه: خلع على علم الدين سليمان بن خالد بن نعيم

(١) الإسكندرية: مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن فيلبش فنسبت إليه، وهى على ساحل الملح. انظر: معجم البلدان ١/ ١٨٢: ١٨٩، والاستبصار ٩١ وما بعدها.

(٢) العقبة: منزل فى طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة وهو ماء لبنى عكرمة من بكر بن وائل. انظر: معجم البلدان ٤/ ١٣٤.

البساطى - أحد نواب الحكم - واستقر قاضى القضاة المالكية، عوضاً عن بدر الدين عبد الوهاب الأخنأى، بواسطة برهان الدين إبراهيم بن اللبان له، الأمير قرطاي. وكان إبراهيم هذا أبوه لبانا، يبيع اللبن خارج القاهرة، فنشأ فى صغره مع الفقهاء المالكية، وتفقّه على مذهب مالك، وخدم الأتراك، ومنهم قرطاي، فلما صار قرطاي من الأمراء فى هذه النوبة، جعل إبراهيم شاهد ديوانه، ومن جملة موقعى الدّست، فهرع الناس لبابه فى طلب شفاعاته لهم، وتحدث للبساطى فى ولاية القضاء مع مخدمه الأمير قرطاي وكان الوقت قابلاً، فولاه وظيفة القضاء، فاستتاب عنه فى الحكم ابن اللبان، وقَدّم جماعة من المالكية كانوا فى الأعين محتقرين وعند الناس غير وجيهين، ولا معتبرين فناسب الحال فى الدولة.

وفى هذا الشهر: استقر فى سلطنة ماردین الملك الظاهر مجد الدين عيسى بن المظفر فخر الدين داود بن الصالح صالح بن منصور غازى بن المظفر قرا أرسلان بن أرتق أرسلان بن إيلغازى بن ألبى بن تمر تاش بن إيلغازى بن أرتق الأرتقى، بعد موت أبيه، وكتب إلى السلطان يعلمه بذلك، فأجيب بتعزيته وتهنأته.

وولى الأمير أرغون الأسعردى نيابة طرابلس^(١) عوضاً عن منكللى بغا البلدى الأحمدى. واستقر برهان الدين أبو سالم إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى قاضى المالكية بحلب فى قضاء المالكية بدمشق، عوضاً عن زين الدين أبى بكر المازونى. واستقر جلال الدين أبو المعالى محمد بن قاضى القضاة نجم الدين محمد بن فخر الدين عثمان الزرعى، فى قضاء القضاة الشافعية بحلب^(٢) بعد وفاة ابن عمه فخر الدين عثمان الزرعى، واستقر محب الدين أبو المعالى محمد بن الشيخ كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن الشحنة فى قضاء الحنفية بحلب، عوضاً عن

(١) طرابلس: بفتح أوله وبعد الألف باء يقال: أطرابلس. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٥، ٢٦، وفى الروض المعطار طرابلس: مدينة بالشام عظيمة، وهى معقل من معاقل الشام، والبحر محدد بها من ثلاثة أوجه. وطرابلس (إفريقية): أيضاً من مدن إفريقية، وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر يضرب سورها، وهو من حجر جليل من بناء الأول. وبينها وبين سرت عشر مراحل، وفيها رباطات كثيرة يأوى إليها الصالحون. انظر الروض المعطار ٣٩٠، ٣٩١.

(٢) حلب: مدينة بالشام، بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلاً، وسميت بحلب رجل من العمالة، وهى مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض، ونهر قويق يجرى على بابها، وفى جانبها قلعة منيعة بها مقام أميرها، ولها سبعة أبواب منها: باب الجنان، وباب أربعين، وباب أنطاكية، وباب قنسرين، وباب اليهود، وباب الفردائس، والباب الشرقى. انظر: تقويم البلدان ١/ ٢٩٩، والروض المعطار ١٩٦، ١٩٧، وصبح الأعشى ٤/ ١١٦.

الجمال إبراهيم بن العديم، ثم عزل بعد قليل، وأعيد ابن العديم، واستقر ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن تقي الدين عمر بن نجم الدين محمد بن عمر بن أبي الطيب في كتابة السر بحلب، عوضاً عن شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر الحنفى. وولى الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس^(١) مملكة اليمن^(٢) بعد وفاة أبيه.

وفيه كانت النفقة في الممالك، وعدتهم ثلاثة آلاف، لكل واحد خمسمائة دينار، عنها عشرة آلاف درهم فضة، حساباً عن كل دينار عشرون درهماً، ومبلغ ذلك ألف ألف وخمسمائة ألف دينار، صودر فيها عامة كتاب الدولة، وأعيان الطواشية، وطرح فيها عدة بضائع من أصناف الخاص على التجار، وألزموا بحمل أثمانها، فنالهم بسبب ذلك عناء شديد، ولم يسمع بمثل هذه النفقة في الدولة التركية.

وفي يوم الخميس رابع عشر ذى الحجة: خلع على تقي الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد ناظر الجيش واستقر في الجيش بعد وفاة أبيه.

وفي آخره: توجه قاضى القضاة شرف الدين محمد بن منصور الحنفى من القاهرة، عائداً إلى مدينة دمشق، وهو متضعف منذ رغب عن منصب القضاء.

وفي هذه السنة: ابتدأ الوباء من ذى القعدة، فمات جماعة كثيرة بالطاعون، وخرجت السنة والوباء شديد.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

السيد الشريفة نقيب الأشراف بحلب، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن على ابن محمد بن على بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن إبراهيم المدوح الحسينى الحلبي، وقد أناف على سبعين سنة.

وقال العلامة حسن بن زين الدين طاهر بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب

(١) الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس (الأشرف الرسولى) (٧٦١ - ٨٠٣ هـ = ١٣٦٠ - ١٤٠٠ م). إسماعيل (الأشرف) بن العباس الأفضل بن المجاهد على ابن المؤيد داود من أبناء على بن رسول، من ذرية حبله بن الأيهم. ولى بعد وفاة أبيه ٧٧٨ هـ وعاش محمود السيرة واستقام له الملك إلى أن توفى بتعز. انظر: الضوء اللامع ٢/ ٢٩٩ والأعلام ١/ ٣١٦، ٣١٧.

(٢) اليمن: بفتح أوله وثانيه، موضع قريب من مكة، فأما اليمن البلد المعروف الذى كان لسباً فسمى يمناً لأنه عن يمن الكعبة، كما سمي شاماً عن شمال الكعبة، والحجاز حجازاً لأنه حاجز بينهما، وقيل سمي اليمن ليمنه والشام لشومه، وقيل: سمي اليمن يمناً بيمين بن قحطان. انظر: معجم البلدان ٥/ ٤٤٧، ٤٤٨، والروض المعطار ٦١٩، ومعجم ما استعجم ٤/ ١٤١٠.

مضى إلى الله جميل الثنا لما قضى العمر مدى حده
فلا حرمنا منه أجرا وقد كان لنا الأسوة في حده
وفيه يقول العلامة والد طاهر المذكور:

جرت أعين الشهباء بعد شهابها سليل الكرام السيد الشامخ الذرا
فقل لبنيه الطاهرين تثبتوا لكم أسوة في جدكم سيد الورا

وتوفى المحدث شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن قاسم العرياني، الفقيه الشافعي، شيخ خانكاه الأمير طيغا الطويل، في يوم الإثنين ثاني عشر جمادى الآخرة، ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير لاجين، أحد الطبلخاناه في يوم السبت ثامن شهر رجب.

ومات الأمير أستبغا العزى، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير أستبغا عبد الغنى، أحد العشرات.

ومات الأمير أطنبغا الإبراهيمي، أحد العشرات.

ومات الأمير إياس المرديني، أحد العشرات.

ومات الأمير جرّكتمر الخاصكي، أحد أمراء الألفوف، يوم الأربعاء تاسع عشر رجب.

ومات الأمير صلاح الدين خليل بن الأمير قوصون، أحد أمراء الألفوف، في يوم الثلاثاء خامس عشرين رجب.

ومات الأمير طاز العثماني، أحد أمراء الألفوف، في يوم الخميس رابع عشر ذي الحجة.

ومات الأمير طيئمر البالسي، أحد أمراء الألفوف.

ومات الأمير طغيئمر العثماني، أحد أمراء الطبلخاناه.

(١) العلامة (حسن بن زين الدين ظاهر بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الخلبي (٧١٠ -

٧٧٩هـ = ١٣١٠ - ١٣٧٧م). الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الخلبي: مؤرخ من الكتاب المترسلين، ولد في دمشق ونشأ في حلب ثم رحل إلى مصر والحجاز وعاد وتنقل في بلاد الشام واستقر في حلب له «نسيم الصبا - ط» صغير، و«درة الأسلاك في دولة الأتراك - ط» أرخ به أخبارهم من سنة ٦٤٨ - ٧٧٨هـ. انظر: الدرر الكامنة: ٢٩٢ و كشف الظنون ١/ ٧٣٧ والأعلام ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩.

ومات الأمير جرجى البالسى، أمير جندار.

ومات الأمير شاهين أمير علم، أحد العشرات.

وتوفى جمال الدين أبو محمد عبد الله بن كمال الدين أبى المعالى محمد بن عماد الدين أبى الفدا إسماعيل بن تاج الدين أبى العباس محمد بن شرف الدين بن أبى الفضل أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير الحلبى الأصل، المصرى المنشأ والوفاء، فى يوم الخميس ثانى عشرين جمادى الآخرة بالقاهرة، عن أربع وسبعين سنة، وولى كتابة السر بدمشق وكتب الإنشاء بقلعة الجبل، ثم تنزه عن ذلك، وانقطع إلى ربه حتى مات، وكان فاضلا له عدة مصنفات.

وتوفى ناظر الجيش بحلب ودمشق، تاج الدين عبد الله بن مشكور، فى جمادى الآخرة بدمشق، وكان مشكور السيرة، وله مروءة.

وتوفى مسند الشام زين الدين عمر بن الحسن بن مزيد بن أمية، المراغى الأصل، الحلبى الدمشقى، فى يوم الإثنين ثامن ربيع الآخر بدمشق، ومولده فى رجب سنة ثمانين وستمائة، تفرد بأشياء رواها عنه الناس.

وتوفى قاضى القضاة الشافعية بحلب، فخر الدين عثمان بن صدر الدين أحمد بن أحمد بن عثمان الزرعى الشافعى، فى سادس شعبان بحلب.

وتوفى خطيب حلب، علاء الدين على بن محمد بن هاشم بن عبد الواحد بن عشاير، الحلبى الشافعى، عن ستين سنة بحلب.

ومات بدمشق خواجه علاء الدين على بن ذى النون الأسعردى، صاحب الخان خارج دمشق، وأحد أعيان التجار، فى ذى القعدة.

وتوفى الشيخ تقى الدين إسماعيل بن على بن الحسن بن سعيد بن صالح القرقشندى المصرى الشافعى، مفتى القدس، ومدرس الصلاحية بها، فى سادس جمادى الآخرة، ومولده سنة اثنتين وسبعمائة. كان يستحضر كتاب الروضة فى الفقه، وحدث عن وزيره.

وتوفى فقيه دمشق عماد الدين إسماعيل بن خليفة بن عبد العال بن خليفة الحسبانى الشافعى، فى ذى القعدة.

وتوفى الأديب البارع جمال الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن يعقوب بن أبى سعيد المصرى بحلب عن نحو خمسين سنة، وهو كاتب أديب منشئ ومن شعره:

بعدت ولم تقنع بذلك وإنما بخلت على الإخوان بالكتب والرسل
وإنا لنحري في ودادك جهـدنا وإن كتتمشى في الوداد على رسل^(١)
ومات الأمير قبلاى نائب حمص^(٢) وحاجب دمشق، في شهر ربيع الآخر بمحمص.

وتوفى القاضى محب الدين أبو عبد الله محمد^(٣) بن يوسف بن أحمد بن عبد الدايم
التيـمى الحلبي، ناظر الجيش، في يوم الثلاثاء ثانى عشر ذى الحجة. أخذ القراءات السبع
عن التقي الصايغ، وسمع الحديث على نصر المنبجي، وعلى الحجار ووزيره، والشريف
أخى عطوف، وجماعة، وبرع في الفقه والنحو والتفسير، وصنف كتباً عديدة ودرس
عدة سنين، وكتب الخط المنسوب، وفاق في معرفة الحساب، وباشر ديوان الأمير
جنكلي بن البابا، ثم ديوان الأمير منكلى بغا الفخرى، ثم ديوان قجاء أمير شكار،
وولى نظر البيوت، ثم ولى نظر الجيش، بعد ابن خصيب، فبلغ فيه من نفوذ الكلمة،
وشهرة الذكر، وارتفاع القدر، مبلغاً عظيماً في عدة دول.

وتوفى محتسب مصر، شمس الدين محمد، المعروف بابن أبى رقية الشافعى.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن سِرْتَقْطَاى، أحد العشرات.

وتوفى الأمير شرف الدين موسى بن الأمير قُبلاى أحد الطبلخاناة.

وتوفى قاضى القضاة الحنابلة بحلب، شرف الدين موسى بن فياض بن عبد العزيز
ابن فياض المقدسى الصالحى، وهو أول من ولى قضاء حلب من الحنابلة. باشر وظيفة
القضاء بها نيافاً وعشرين سنة، حتى مات فى ذى القعدة، وقد أناف على تسعين سنة.

ومات الأمير الطواشى ظهير الدين مختار الدمزورى، مقدم المماليك.

(١) الرسل: الذى فيه لين واسترخاء، يقال: شعر رسل: مسترسل، وبغير رسل: سهل السير،
وسير رسل انظر المعجم الوسيط (رسل).

(٢) حمص: مدينة بالشام من أوسع مدنها، ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز فى هند لأنه اسم
أعجمى، سميت برجل من العمالق يسمى حمص، ويقال رجال من عاملة، هو أول من نزلها، ولها نهر
عظيم يشرب منه أهلها. ومنها إلى حلب خمس مراحل، وبين حمص وسلمية ستة فراسخ، وبحمص
مات خالد بن الوليد رضى الله عنه سنة إحدى وعشرين، وقيل بل مات فى المدينة وصلى عليه عمر
رضى الله عنه. انظر معجم البلدان (ج ٣)، والروض المعطار ١٩٨، ١٩٩.

(٣) محب الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدايم التيمى الحلبي (٦٩٧ -
٧٧٨ هـ = ١٢٩٨ - ١٣٧٧ م). محمد بن يوسف بن أحمد، محمد الدين الحلبي ثم المصرى المعروف
بناظر الجيش : عالم بالعربية، من تلاميذ أبى حيان. أصله من حلب، ومولده ووفاته بالقاهرة وألف
«تمهيد القواعد - ح» فى الرباط. و«شرح التلخيص» فى المعادن والبيان. انظر: الدرر الكامنة ٤:
٢٩٠ وإعلام النبلاء ٥: ٦١ والأعلام ٧/ ١٥٣.

وتوفى الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم التونسي النحوى المالكى، فى ليلة الجمعة رابع عشر شعبان بالقاهرة.

ومات الأمير قُطْلُوبُغا المنصورى، حاجب الحجاب، فى يوم الأربعاء سادس عشرين رجب.

وتوفى الأمير أرغون شاه الجمالى الخاصكى، رأس نوبة، مذبحا هو والأمير صَرْغَتْمُش، والأمير بِيْبغا السابقى، والأمير بشناك، والأمير أرغون المعزى الأقرم، فى يوم الأحد رابع ذى القعدة.

وتوفى محتسب القاهرة بهاء الدين محمد بن محمد بن محمد بن المفسر، فى يوم الجمعة آخر جمادى الآخرة.

وتوفى السيد الشريف نقيب الأشراف وموقع الدست فخر الدين أحمد بن على الحسين بن حسن بن محمد بن حسين بن حسن بن زيد، فى يوم السبت أول شهر رجب.

وتوفى ناصر الدين محمد المقسى، أستاذار الأمير صَرْغَتْمُش، فى يوم الإثنين سابع عشر رجب، وله مسجد بالمُقَس خارج القاهرة.

وتوفى الفقير المعتقد على السدَّار صاحب الزاوية بحارة الروم^(١) من القاهرة، فى يوم الخميس سابع عشرين رجب.

وتوفى شمس الدين محمد بن براق الدمشقى، أحد موقعى الدست فى آخر شهر رجب.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير الكبير طاز، يوم السبت ثامن عشرين شعبان.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن قمارى، فى يوم الخميس حادى عشر رمضان.
وتوفى الأمير بَكْتُمُ السيفى، والى القاهرة، فى يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول.
ومات الطواشى شرف الدين مختص، المعروف بشاذروان، مقدم الممالك، فى يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان.

ومات صدر الدين بن البارنبارى، أحد موقعى الإنشاء، فى يوم الثلاثاء ثالث شعبان.

(١) حارة الروم: جاء فى كتاب المواعظ للمقرئى (٨/٢) وقال ابن عبد الظاهر: واختطت الروم حارتين، حارة الروم الآن وحارة الروم الجوانية فلما ثقل ذلك عليهم قالوا: الجوانية لاغير. والوراقين إلى هذا الوقت يكتبون حارة الروم السفلى وحارة الروم العليا المعروفة اليوم بالجوانية.

وتوفى بدر الدين حسن المليكشى المالكى، فى تاسع ذى الحجة.

وتوفى خطيب المدينة النبوية شهاب الدين أحمد بن سليمان الصقيلى الشافعى بالقاهرة، فى يوم الإثنين ثامن ربيع الآخر، وهو من ناحية صقيل بالجيزة.

وتوفى قاضى المالكية بدمشق، زين الدين أبو بكر بن على بن عبد الملك المازونى، فى شوال.

وتوفى الأمير يونس العمرى. أحد الطبلخاناه.

وتوفى الأمير يعقوب شاه أحد الألوف، فى يوم الإثنين سابع عشر شهر رجب.

وتوفى مؤدب الأطفال شمس الدين محمد بن عمر الخزرجى.

وتوفى الفقير المعتقد على العقيدى، بائع العقيد^(١) بالقاهرة، فى يوم الثلاثاء رابع رجب، وحُكيت له كرامات.

وتوفى التاجر زكى الدين أبو بكر بن الحمامية فى رابع رجب، وترك مالا جزيلا.

وتوفى الفقير المعتقد جمال الدين الأصفهانى بسطح الجامع الأزهر، فى ثالث عشر ذى الحجة.

وتوفى المسند جمال الدين يوسف بن عبد الله بن حاتم بن محمد بن يوسف بن الحبال البعلبكى، ومولده فى صفر سنة ثمانين وستماية، حدث عن جماعة.

ومات سلطان بنى مرين، صاحب فاس وبلاد المغرب، السلطان أبو العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن فى جمادى الآخرة، وملك بعده السلطان الواصل محمد ابن أبى الفضل بن أبى الحسن.

* * *

(١) العقيد: غسل يعقد بالنار وطعام يعقد بالعسل. (القاموس المحيط).

سنة تسع وسبعين وسبعمائة

أهلت والأمراض فى الناس فاشية، فتزايد الوباء فى هذا الشهر، ومات جماعة من الناس بالطاعون.

وفى خامس المحرم: خلع على الأمير شهاب الدين قُرطاي، واستقر أتابك العساكر. وخلع على الأمير زين الدين مبارك الطازى، واستقر رأس نوبة كبيراً، وخلع على الأمير سودن جركس، واستقر أستاذار، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير قرأبغا الأناقى، أحد العشرات، واستقر فى ولاية مصر، وأفرج عن الأمير قُطلو أقتمر الطويل العللى، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وقبض على الأمير طولوا الصرغتمشى بقطيا^(١) وقد عاد من الشام، لما كان من ظلمه وعسفه.

وفى تاسعه: وصل أولاد قلاوون من الكرك^(٢) وهم الملك المنصور محمد بن حاجى ابن محمد بن قلاوون، وأولاد الناصر حسن^(٣) وهم أحمد وقاسم وعلى واسكندر وموسى وإسماعيل ويوسف ويحيى وشعبان ومحمد، وأولاد حسن بن محمد بن قلاوون، وهم أنوك وأحمد وإبراهيم وجان بك ومحمد بن الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وقاسم بن أمير على بن يوسف، فأدخلوا بحرمهم وأولادهم إلى قلعة الجبل ليلاً، وأنزلوا بدورهم منها.

وفى عاشره: قدم الأمير ناصر الدين محمد آقبا آص، فأمر أن يقيم بداره.

وفى تاسع عشره: خلع على الأمير الكبير قُرطاي، واستقر فى نظر المارستان. ونزل إليه بتشريفه، فنظر فى أحوال المرضى وغيرهم على العادة، ثم عاد إلى منزله.

(١) قطيا: تكتب أيضاً قطية وهى قرية فى الطريق بين مصر والشام قرب الفرما، بها جامع ومارستان ووالى طبلخاناه مقيم لأخذ العشر من التجار. انظر: معجم البلدان، القاموس الجغرافى.

(٢) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمائة قرية. انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٥٣، والروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ٤٩٣.

(٣) الناصر حسن: حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية. مصر والشام وبويع. بمصر صغيراً بعد مقتل أخيه حاجى المظفر سنة ٧٤٨هـ. وكان اسمه قمارى فلما ولى السلطنة سمي (حنا). انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٢٢٤ - ٢٧٨، ٢٧٩ والأعلام ٢/ ٢١٦.

وفيه قبض على الأمير يلبغا النظامي - أحد الأمراء الألف - وعلى أستاذ النظامي، أحد أمراء طبلخاناه.

وفي عشرينه: خلع على الأمير سودن الشيخوني، وعلى الأمير بلوط الصرغتمشي، واستقرا حاجيين، يحكمان بين الناس.

وفي رابع عشرينه: عزل الأمير منكلي بغا البلدي من نيابة طرابلس، والأمير تمرباي من نيابة صفد^(١).

وفيه قدم محمد الحاج صحبة الأمير بهادر الجمالي، وقدم الخير بأن أهل البحيرة^(٢) قد عصوا، وفي آخره خلع على الأمير عز الدين أئنبك البدرى، واستقر ناظر المارستان، عوضا عن الأمير الكبير قرطاي.

وفي خامس صفر: قدم الريد بسيف منكلي بغا البلدي من طرابلس^(٣) وأنه سجن بالكرك.

وفي تاسعه: قدم الأمير يلبغا الناصري من الشام باستدعاء، بعد ما نفى إليها، فأنعى عليه بإمرة طبلخاناه.

وفي عاشره: أخذ قاع النيل، وكان خمس أذرع وأربع وعشرين إصبعا، وكان فى العام الماضى خمس أذرع وست عشرة إصبعا.

وفيه ورد الريد بأن تمر باى الدمرداشى لم يسمع لعزله عن نيابة صفد، وخرج عن الطاعة.

وفيه استقر الأمير أرغون الأسعدى فى نيابة طرابلس، عوضا عن منكلي بغا البلدي. واستقر الأمير تراز الطازى فى نيابة حماة، واتفق أن الأمير قرطاي تزوج بابنة الأمير أئنبك، وشرع فى عمل المهم للعرس، فأخذ أئنبك فى العمل عليه، واستمال جماعة من أصحابه، منهم برقوق العثماني، أحد المماليك الأجلاب اليلبغاوية، وبركة، ووعدهم بإمرات طبلخاناه، فمالوا إليه، ووعدوه على الفتك به، فلما كان يوم الأحد عشرينه، حمل الأمير أئنبك تقديما برسم عرس الأمير قرطاي، وجَهَّزها إليه، ما بين خراف ودجاج

(١) صفد: مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى جبال لبنان. انظر: معجم البلدان ٤١٢ / ٣.

(٢) البحيرة: كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر: معجم البلدان ٣٥١ / ٢.

(٣) طرابلس سبق ترجمتها، انظر معجم البلدان ٢٥ / ٤، ٢٦. انظر الروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، ونزهة المشتاق ١١٧.

وأوز وسكر، ومن جعلتها عدة جرار خمر قد عمل فيه بنج، فقدمت إليه فقبلها، وخلع على محضرها، وجلس للشرب مع أصحابه من الخمر الذى بعث به إليه أَيْبَك، فاختلط، وصار كالحجر الملقى لا يحس ولا يدري، فبعث أصحابه الذين استمالهم أَيْبَك إليه يعلموه بما صار إليه، وأنهم قد احترزوا على أنفسهم حتى لم يصبهم شىء مما أصابه، فركب فى الحال بألة الحرب، وأنزل بالسلطان من قصره إلى الاصطبل، وأمر بدق الكوسات فدقت حربيا، حتى اجتمع الأمراء والمماليك للقتال مع السلطان على العادة، فلم يزل الأمير أَيْبَك راكبا تحت القلعة من عصر يوم الأحد، حتى أصبح نهار يوم الإثنين. هذا وقُرطاي ومن معه من الأمراء الألوف والطلبخانة وغيرهم فى غيبة من السكر لا يعون ولا يفيقون، وهم الأمير أسندمر الصرغتمشى، والأمير سودن جركس، والأمير قُطلوبغا البدرى، والأمير قُطلوبغا جركس أمير سلاح، والأمير مبارك الطازى، فى آخرين فلما أصبحوا أفاق قُرطاي إفاقة ما، وبعث يسأل الأمير أَيْبَك أن يُنعم عليه بناية حلب، فأرسل إليه التشريف ليلبسه ويخرج من وقته، وكان أَيْبَك قد أحاط فى الليل باصطبلات الأمراء الذين عند قُرطاي وخواص ممالكه أيضا، وأخذ خيولهم بأجمعها، وكان ممالك قرطاي قد أعياهم أمره، وعجزوا عن إيقاظه، وأتوه فى الليل برئيس الأطباء، فعالجه ومن معه من الأمراء، فلم ينجع فيهم الدواء، فلما جاء التشريف بناية حلب مع عدة من أصحاب أَيْبَك، أخذوا قُرطاي وأخرجوه من باب سرداره، ومروا به، وهو لا يعى حتى أوصلوه إلى سرياقوس^(١) وعبر الأمير أَيْبَك إلى بيت قُرطاي - بعد إخراجه منه - وقبض على الأمراء وعلى عامة أصحاب قُرطاي، وحبسهم مقيدين، وبعث بعدة منهم إلى ثغر الإسكندرية، فسجنوا بها، ونودى فى القاهرة «الأمان والاطمئنان، والبيع والشراء، والدعاء للسلطان الملك المنصور». ففتحت الأسواق.

وفى ثانى عشرينه: أخرج الأمير أتمُر الحنبلى نائب السلطان إلى الشام منفيا.

وفيه خلع على بدر الدين عبد الوهاب الأختاى، وأعيد إلى قضاء القضاة المالكية. عوضا عن علم الدين سليمان البساطى.

وفيه نودى بالقاهرة ومصر «من كانت له ظلامة، فعليه بياب الأمير أَيْبَك».

وفى آخره: أشيع بأن الأمراء تركب للحرب، فرسم للأمير حسين بن الكورانى والى القاهرة بقتل جماعة لإرهاب العامة، فأخرج عدة من خزانة شمائل قد وجب عليهم القتل، ونحرمهم، ونودى عليهم «وهذا جزاء من يكثر فضوله. ويتكلم فيما لا يعنيه». ثم وسطهم تحت القلعة.

(١) سرياقوس: بلدة من أعمال القليوبية بمصر.

وفى ثالث عشرينه: سمر ثلاثة ممالك صبيان، من أجل أنهم نهبوا من خيول الأمير أقتمر الحنبلى، وطيف بهم القاهرة وتحت القلعة.

وفيه أخرج الأمير بيقجا الكمالى منفيا.

وفى يوم الخميس رابع عشرينه: خلع على الأمير أينبك، واستقر أتابك العساكر، عوضا عن قرطاي، وخلع على الأمير أقتمر عبد الغنى، واستقر نائب السلطان، عوضا عن أقتمر الحنبلى، وخلع على الأمير بهادر الجمالى، المعروف بالمشرف، واستقر أستاذارا، عوضا عن سودون جركس، وخلع على الأمير بلاط السيفى، واستقر أمير سلاح. وخلع على الأمير ألتنبغا السلطانى، واستقر أمير مجلس، وخلع على الأمير دمرداش اليوسفى، واستقر رأس نوبة كبير، وخلع على الأمير أطلمش الأرغونى، واستقر دوادارا، عوضا عن فخر الدين إياس الصرغتمشى، وخلع على قطلوخجا السيفى، وأنعم عليه بتقدمة، وخلع على الأمير يلغا الناصرى، وأنعم عليه بتقدمة ألف، واستقر رأس نوبة ثانيا، وخلع على الطواشى مقبل الدوادارى، واستقر زام الدار، عوضا عن مثقال الجمالى، وخلع على الأمير أربوز السيفى، واستقر مهمندار بإمرة عشرة.

وفيه أنعم على برقوق العثمانى بإمرة طبلخاناه، وعلى بركة بإمرة طبلخاناه وكان من جملة الممالك، صاروا من إقطاع الحلقة إلى إمرة طبلخاناه من غير أن يكونا من أمراء العشرات.

وفيه خلع على عبد العال، شاهد مطبخ الأمير أينبك، واستقر فى توقيع الدست، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن اللبان، شاهد قرطاي.

وفيه سكن الأمير الكبير أينبك بالاصطبل السلطانى، ولم تجر عادة من تقدموا بذلك.

وفيه أنعم على ولديه أحمد وأبى بكر بتقدمتى ألف، وسكنا فى بيت قرطاي تجاه باب السلسلة.

واستقر الأمير علاء الدين على بن قشتمر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن صلاح الدين خليل بن عرام، واستدعى ابن عرام إلى القاهرة.

وفى أول شهر ربيع الأول: خلع على الأمير بهادر الجمالى، واستقر فى نظر المارستان.

وفى يوم الأحد رابعه: استدعى الأمير الكبير أينبك، الخليفة المتوكل على الله

محمد^(١) إلى حضرته، وأراد أن يجعل في السلطنة الأمير أحمد بن الأمير يلبغا العمري، فاعتذر بأنه ابن أمير وليس من بيت الملك، فقال له أينبك: «إنما هو ابن السلطان حسن، حملت به أمه، فلما قتل السلطان أخذها الأمير يلبغا فولدته على فراشه». فلم يوافقها على ذلك، فسبه الأمير أينبك، وقال له: «ما أنت فاره إلا في اللعب بالحمام، والاشتغال بالجوارى المغنيات، والضرب بالعود»، ونهره، وأمر به فأخرج منفيًا إلى قوص^(٢)، فنزل برباط الآثار خارج مدينة مصر، ليجهز حاله للسفر، وبات الناس في قلق، وعلى تخوف من ركوب الأمراء للحرب، وفي يوم الإثنين خامسه استدعى الأمير الكبير أينبك بزكريا بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الحاكم^(٣) وخلع عليه، واستقر به خليفة، عوضا عن المتوكل على الله، ولقبه المستعصم بالله، وفي عصر هذا اليوم بعث الأمير أينبك بالأمير بلوط الحاجب إلى الخليفة المتوكل حتى عاد من رباط الآثار إلى داره، فلزمها.

وفيه خلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، واستقر حاجب الحجاب. وخلع على الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتمر، واستقر حاجبا ثانيا.

وفي ثامن: أخرج بالأمير أرغون العثماني منفيًا إلى الشام.

وفيه أنزل الأمير الكبير أينبك بمائتي مملوك، أسكن مائة بمدرسة حسن، ومائة بمدرسة الأشراف.

وفي يوم السبت سابع عشره: ورد الخبر بأن الأمير طشتمر نائب الشام، والأمير أشقتمر نائب حلب، والأمير تمرباي نائب صفد، والأمير منكلي بغا البلدى - وقد خرج من سجن الكرك، وأنعم عليه بإقطاع جنتم أخى طاز وتقدمته - والأمير أرغون

(١) المتوكل على الله محمد (المتوكل على الله، بن أبى بكر (المعتضد بالله) بن سليمان (المستكفى) بن أحمد العباسي، أبو عبد الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويغ بعد وفاة أبيه (سنة ٧٦٣هـ) بعهد منه، بالقاهرة وطالت مدته، وخلع في صفر ٧٧٩ وأعيد في ربيع الأول من السنة نفسها. استمر إلى أن توفى بالقاهرة. مدة خلافته ٤٥ عاما. انظر بدائع الزهور ١/ ٣٥٠ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٢، ٣٨٣ والضوء اللامع ٧/ ١٦٨ والأعلام ٦/ ٥٦.

(٢) قوص: هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر بينها وبين القسطنطين اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/ ٤١٣.

(٣) المعتصم بالله زكريا بن إبراهيم بن الحاكم بأمر الله أحمد بن محمد العباسي، أبو يحيى المعتصم بالله: من خلفاء العباسيين بمصر، نصب خليفة في القاهرة بعد خلع المتوكل على الله (محمد بن أبى بكر) سنة ٧٧٩هـ، فأقام عشرين يوما وعزل، ثم أعيد وبويغ بالخلافة سنة ٧٨٧هـ فاستمر إلى أن خلع سنة ٧٩١هـ، ولزم داره إلى أن مات. انظر: تاريخ الخميس ٢/ ٣٨٣ والأعلام ٣/ ٤٥.

الأسعدى، والأمير قرطاي، قد خرجوا عن الطاعة، وصاروا في جمع كبير من الممالك والعربان والتزكمان، وقالوا: «لا ترضى بتحكم أئنيك». [وأنهم جميعا في طاعة الأمير طشتمر، وقد عزموا على المسير إلى مصر، وأخذها من أئنيك]. وقد منعوا البريد بأن يرد إلى مصر.

وفي يوم الإثنين تاسع عشره: قدم الأمير أقتمر الحنبلي، والأمير قرطاي إلى دمشق، فتلقاهما الأمير طشتمر، وبالف في إكرامهما، وفيه جمع الأمير أئنيك الأمراء والقضاة، وحلف الأمراء لنفسه وللسلطان، وأمرهم بأن يتجهزوا إلى الشام، وأمر بالجاليش السلطاني، فعلق على الطبلخاناه من قلعة الجبل.

وفيه - وهو سابع عشرين تموز وثالث مسرى -: وقع مطر كبير جدا، سال منه جبل المقطم، وكان مع ذلك رعد قوى وبرق متواتر، وتساقطت في الليل نجوم عديدة. وفي يوم الثلاثاء عشرينه: خلع على الخليفة المتوكل على الله، واستقر خليفة على عادته.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه: خلع على شمس الدين محمد الدميري^(١) وأعيد إلى حسبة القاهرة، عوضا عن جمال الدين محمود العجمي.

وفيه خرج الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، ليقف على رأس الرمل بطريق الشام؛ ليرد من عسائه يتسحب من الممالك إلى الشام.

وفي يوم الإثنين سادس عشرينه: خرج الجاليش سائرا إلى الشام، وهم خمسة أمراء مقدمي ألوف: قُطْلُوخْجَا، والأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الكبير أئنيك، والأمير يلغا الناصري، والأمير دمرداش اليوسفي، والأمير بلاط الصغير، والأمير ثمر باي الحسنی، وأربعة أمراء طبلخاناه، وهم: بوري الأحمدی، وأقبغا أص الشيخوني، وبرقوق العثماني، وبركة، ومائة من الممالك السلطانية، ومائة من ممالك الأمير أئنيك.

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه: خرج طُلب السلطان، وطلب الأمير الكبير أئنيك، وسائر أطلاب الأمراء وغيرهم.

وفي يوم السبت أول شهر ربيع الآخر: ركب السلطان والأمير قُطْلُوأَقْتَمَر الطويل، والأمير مبارك الطازي، والأمير أَلْطُنْبغا السلطاني، والأمير إينال، في بقية الأمراء والممالك، وسار من قلعة الجبل حتى نزل بمخيمه على ناحية العكرشا، شمالي سرياقوس. وفيه نودي أن النيل أربعة وعشرين إصبعا من أول النهار، ثم نودي عند العصر

بزيادة اثنتى عشرة إصبعاً، لتتمة ست عشرة ذراعاً، وزيادة إصبع من سبع عشرة ذراعاً، وذلك هو اليوم الخامس عشر من شهر مسرى، فسر الناس الوفاء وخروج أيّنبك من البلد، وكان أيّنبك قد ثقل على الناس وتطيروا له بذلك، فقالوا: «خرج فى يوم الكسر»، فوقعت عليه الطيرة.

وفى يوم الأحد ثانیه: فتح الخليج على العادة، فنودى بزيادة خمس أصابع.

فلما كان بعد عصر هذا اليوم رجع الأمير أيّنبك بالسلطان إلى القلعة ومعه الأمير قُطلو أقمتر الطويل، والأمير الطنبغا السلطاني، وقد اضطربت القاهرة، وذلك أن أمراء الشام وردت مكاتبتهم إلى أمراء مصر، تتضمن توبيخهم على تقديمهم أيّنبك وتمكيته من الانفراد بالتدبير، وقرروا معهم إشاعة غامرة نواب الشام، وخروجهم عن الطاعة وعمل الحيلة فى إزعاج أيّنبك حتى يخرج لمحاربتهم بالشام، ليحصل التمكن من القبض عليه، فدبروا على أيّنبك، حتى خرج بالسلطان، وسار جاليش العسكر حتى نزل بالصالحية^(١) فبلغ الأمير قُطلو خُجّا، أخو أيّنبك وهو مقدم الجاليش، أن الذين معه من الأمراء والمماليك قد اتفقوا على أن يكبسوه، فجمع مماليكه ومماليك الأمير أحمد بن أيّنبك، وبادر ليأخذهم قبل أن يأخذوه، وركب إليهم وهم متهيئون له، فقاتلوه وكسروه كسرة قبيحة، لم ينج منها إلا بنفسه وثلاثة معه، وأقبل إلى أخيه أيّنبك فلم يثبت، ورجع من فوره بالسلطان، وكان رأس هذه الحركة وعمر ك سلسلتها الأمير برقوق^(٢) العثماني.

وفى غده - يوم الإثنين ثالثه -: أنزل الأمير أيّنبك بالسلطان من قصره إلى الأصيل، ودقت الكوسات حربياً، ليجتمع العسكر على العادة، وكان قد اتفق الأمير قُطلو أقمتر الطويل - هو والأمير الطنبغا السلطاني، وجماعة كبيرة - على مخالفة أيّنبك، وتوجهها نصف الليل إلى قبة النصر، خارج القاهرة، ووقفوا هناك للحرب، فبعث إليهم الأمير أيّنبك بأخيه الأمير قُطلو خُجّا، ومعه نحو مائتى فارس، فلقيه القوم وقاتلوه، وأخذوه أسيراً. فبعث إليهم من الأمراء أقمتر عبد الغنى، وبهادر الجمالى،

(١) الصالحية: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع فى لحف جبل قصيون من غوطة دمشق. انظر: معجم البلدان ٣ / ٣٩٠.

(٢) الظاهر برقوق: برقوق بن أنص - أو أنس - العثماني، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك على مصر من الشراكسة. جلبه أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوباً إليه، ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة وعاد إلى مصر وانتزع السلطنة سنة ٧٨٤ وتلقب بالملك الصالح. توفى بالقاهرة، مدة حكمه أتابكا وسلطاناً قرابة ٢١ عاماً. انظر: ديوان الإسلام وابن إياس ١ / ٢٥٨، ٢٩٠ والضوء اللامع ٣ / ١٠ والأعلام ٢ / ٤٨.

ومبارك الطازى، فعندما ساروا عنه لم يثبت، وفر إلى جهة كيمن مصر، فقبه الأمير أيدمر الخطاى فى جماعة، فلم يقفوا له على خير، ثم رأوا فرسه وقباه وآلة حربته، فعادوا بذلك، وقد بلغ قُطلو أقتمر الطويل فرار أَيْنَبِك، فعاد بمن معه، وضرب رنكة على بيت أحمد بن أَيْنَبِك بالرميلة^(١) ليستولى عليه بما فيه، وسكن حيث كان سكن أَيْنَبِك من الاصطبل السلطانى، وظن أنه قد أمن، وقلع عنه السلاح، وأقام ينتظر قدم من خرج من الأمراء والمماليك فى الجاليش، ليقوى بهم.

فلما كان بكرة الغد - يوم الثلاثاء رابعه - قدم أمراء الجاليش بمن معهم، وهم الأمير دمرداش اليوسفى، والأمير بلاط الصغير، والأمير يلغا الناصرى، وثلاثتهم مقدموا ألوف، والأمير برقوق العثمانى، والأمير بركة، وهما طبلخاناه، وطلعوا إلى الاصطبل، ودار بينهم وبين الأمير قُطلو أقتمر الطويل كلام آل إلى اختلافهم وتنازعهم، فقبضوا عليه وعلى الأمير أَلطنبغا السلطانى، والأمير مبارك الطازى، وقيدوهم ثلاثتهم، وبعثوا بهم عشية النهار إلى سجن الإسكندرية، مع الأمير جمال الدين عبد الله بن بَكْمُر الحاجب فسجنوا به، وصار التحدث من الأمراء فى الدولة للأمير يلغا الناصرى، وأخرج البريد من وقته وساعته لإحضار الأمير طشتمر نائب الشام.

وفى يوم الخميس سادسه: وقفت العامة تطلب عزل الديميرى، وإعادة العجمى إلى الحسبة، فأجيبوا إلى ذلك، وخلع على جمال الدين محمود العجمى وأعيد إلى الحسبة، عوضا عن شمس الدين محمد الديميرى.

وفيه أنعم على كل من الأمير برقوق العثمانى والأمير بركة بتقدمة ألف واستقر الأمير يلغا الناصرى أمير أخور، وسكن باصطبل، كما سكن أَيْنَبِك، وقُطلو أقتمر الطويل.

وفى يوم الأحد تاسعه: جاء الأمير أَيْنَبِك بمفرده إلى بيت الأمير بلاط الصغير. فطلع به إلى الأمير يلغا الناصرى، وقد سكن أيضا بالاصطبل، فقيدته، وقبض معه على أمير اسمه نعناع، وبعث بهما مقيدين إلى الإسكندرية فسجنا بها أيضا.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره: قدم البريد إلى دمشق بطلب الأمير قَشْتَمُر وهو بقبة يلغا - خارج المدينة - وقد برز ومعه العساكر ونواب الشام، يريد المسير إلى مصر ومحاربة أَيْنَبِك، ونزع يده من التصرف. فلما قرأ كتاب السلطان بما كان من القبض على أَيْنَبِك، وسجنه بالإسكندرية، والمرسوم له بأن يحضر إلى مصر لينحدر، الأمير الكبير

(١) الرميطة: منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد ضربه نحو مكة ومنها إلى الأبرقين. انظر: معجم البلدان ٣/ ٧٣.

الأتابك، ويحضر صحبته الأمير تمر باى ليستقر رأس نوبة كبير، وأن يستقر الأمير أقتمر الحنبلى فى نيابة الشام، والأمير أشقتمر فى نيابة حلب، والأمير منكلى بغا الأحمدى فى نيابة حماة^(١) والأمير أقبغا الدوادار نائب غزة فى نيابة صفد فسر بذلك وتفرقت تلك العساكر، وتوجه الأمير طشتمر إلى مصر، واستقر الأمير أقتمر الحنبلى فى نيابة الشام، عوضا عن الأمير طشتمر.

وفى يوم الأحد سادس عشرة: بلغ الأمراء القائمين بأمر الدولة، وهم: يلبغا الناصرى، وبرقوق، وبركة، أن جماعة من الأمراء قد عزموا على الفتك بهم، فركب الأمراء الثلاثة فى عدة من اليلغاوية، وقبضوا على الأمير دمرداش اليوسفى، وعلى الأمير تمر باى الحسنى، وعلى الأمير أقبغا آص الشيخونى، وعلى الأمير قطلوبغا الشعبانى، وعلى الأمير دمرداش التمان تمرى المعلم، وعلى الأمير أسندثر العثمانى، وعلى الأمير بيمان العللى، وعلى الأمير أسنبغا التلكى، وقيدوهم، وبعثوا بهم إلى الإسكندرية، فسجنوا بها وهؤلاء ممن وثب من الممالك فى هذه الفتنة، وعمل أميرا.

وفيه قبض على الطواشى مختار الحسامى مقدم الممالك، وسجن بالبرج من القلعة.

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه: خلع على مختار، وأعيد إلى مقدمة الممالك.

وفيه ركب الأمير برقوق العثمانى - وقت القايلة - فى جماعة من أصحابه، وصعد إلى الاصطبل، وأنزل الأمير يلبغا الناصرى منه، ونزعه من وظيفته، وسكن فى موضعه من الاصطبل السلطانى، واستقر عوضه أمير أخور، واستقر بأخيه الأمير بركة الجوبانى أمير مجلس، وأسكنه فى بيت الأمير قوصون، تجاه باب السلسلة من الرميعة، واقتسما الحكم فى الدولة بينهما.

وكانت الفتن التى تقدم ذكرها، وثورات الممالك، وتغير دولهم، إنما هى توطئة لبرقوق، وتمهيد له حتى ملك البلاد، وقام بدولة الجراكسة، كما ستره إن شاء الله تعالى، فإنه من يومه هذا استقر قراره بالاصطبل ورسخت قدمه فى الدولة، وثبت أوتاده بها، وما زالت الأقدار تسعده، والأيام تساعده، حتى استبد بالمملكة، وانفرد بتدبير السلطة، وصعد من الاصطبل، فسكن القصر حتى نقل منه إلى القير عزيزا منيعا، على القدر رفيعا، فسبحان من يدبر الأمر كله، لا إله إلا هو.

(١) حماة: من كور حص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى. وسمى العاصى لأن ظاهر انحداره من أسفل إلى علو وبجراه من الجنوب إلى الشمال وهو يجتاز على قبلى حص وبعقربة منها. انظر: معجم البلدان ٢ / ٣٠٠، ٣٠١، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ١٤٠/٤.

وفي يوم الإثنين رابع عشرينه: خلع على الأمير جمال الدين مُغلطاي الشرفى واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن حسين بن على الكورانى، وقبض على حسين واعتقل.

وفي يوم الإثنين أول جمادى الأولى: قدم الأمير طَشْتُمَر العلاى من دمشق، فركب السلطان والأمراء إلى لقائه، فلما رأى السلطان بالريدانية، خارج القاهرة، نزل عن فرسه وقبل الأرض وبكى، فنزل إليه الأمراء وسلموا عليه وأركبوه، وساروا به إلى القلعة، فخلع عليه، واستقر أتابك العساكر، وخلع على الأمير ثمر باى الدمرداشى - وقد قدم أيضا - واستقر رأس نوبة كبيرا، وأنعم على الأمير تغرى برمش بتقدمة ألف، فكان يوما مشهودا.

وفي يوم الأربعاء ثلثه: نودى بالقاهرة ومصر: «من ظلم فعليه بيباب الأمير طَشْتُمَر الأتابك».

وفيه خلع على الأمير برقوق، واستقر أمير أخور، وخلع على الأمير بركة، واستقر أمير مجلس.

وفيه أنعم على الأمير أطلمش الأرغونى بتقدمة ألف، واستقر دوادار، وعلى يلغا المنجكى، واستقر شاد الشراب خاناه. وعلى الأمير بلاط، واستقر أمير سلاح، ورسم أن يجلس بالإيوان فى وقت الخدمة.

وفي يوم الإثنين خامس عشره: أفرج عن الأمير سودن جركس، والأمير قطلوبغا جركس، والأمير قطلوبغا البدرى، والأمير أَلْطِنِغا السلطانى، والأمير طَغَيْتُمَر الناصرى، والأمير أَلْجِنِغا السيفى، وألير إياس الصرغتمشى والأمير قطلوبغا البشرى، والأمير أسنبغا، ورسم إحضارهم من الإسكندرية.

وفي عشرينه: خلع على برهان الدين إبراهيم الأبناسى - من أعيان الفقهاء الشافعية - واستقر فى مشيخة خانكاه سعيد السعداء، بعد وفاة علاء الدين أحمد بن محمد السراى. ونزل معه شمس الدين أبو الفرج المقسى ناظر الخاص إلى الخانكاه.

وفيه حمل إلى الأمير أقتمر الحنبلى تشرىف نيابة دمشق وتقليده بها.

وفي خامس عشرينه: قدم الأمير قطلو أقتمر العلاى أمير جاندار، أخو الأمير أقتمر الحنبلى، والأمير علاء الدين على بن تشتمر نائب الإسكندرية، فأنعم على كل منهما بإمرة مائة مقدمة ألف.

وفيه أعيد الأمير صلاح الدين خليل بن عرام إلى نيابة الإسكندرية.

وفي سادس عشرينه: استقر الطواشى دينار الناصرى لالا السلطان، وأخرج الطواشى مقل الكلفتى منفيا، وخلع على الأمير قمرباى الدمرداشى، واستقر ناظر المارستان.

وفي سلخه: خلع على الأمير تغرى برمش، واستقر حاجب الحجاب، وعزل الأمير أقمتر عبد الغنى من نيابة السلطنة، وخلع على الأمير على بن قشتمر، واستقر حاجبا لها. وفي ليلة الرابع من شهر رجب: تردى الأمير قطلو أقمتر الطويل، من مكان بسجنه من الإسكندرية، فمات، وقيل إنه كان سكرانا، ومنه تفرعت الفتن التى نرد ذكرها، ودفن من الغد ولم يصل عليه أحد.

وفي يوم الأحد خامسه: قدم الأمير أيتمش البجاسى إلى ثغر الإسكندرية، بالإفراج عن جميع الأمراء المعتقلين، ما عدا أربعة: الأمير أينبك، والأمير قطلو خجا، والأمير أسندمر الصرغتمشى، والأمير جركس الإلجاوى، وأفرج عنهم، وتوجه بهم إلى القاهرة، فلما وصلوا قريبا منها رسم بتفرقهم فى البلاد الشامية، فساروا إلى حيث أمروا، وأحضر إلى قلعة الجبل منهم بأحمد بن هُمز وأسنبغا التلكى.

وفي يوم الإثنين ثالث عشره: خلع على علم الدين سليمان البساطى، وأعيد إلى قضاء القضاة المالكية، عوضا عن بدر الدين عبد الوهاب الأحنأى، وكتب باستقرار الأمير بيدمر الخوارزمى فى نيابة الشام، عوضا عن الأمير أقمتر الحنبلى بعد وفاته. واستقر الأمير زين الدين مبارك شاه العلاى المشطوب فى نيابة غزة^(١).

وفي يوم الإثنين سابع عشرينه: خلع على صاحب كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، واستقر فى الوزارة، عوضا عن التاج النشو الملكى، وسجن الملكى بقاعة صاحب من القلعة، وفيه خلع على الأمير قطلو أقمتر أمير جندار أخى الحنبلى، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ابن عرام، ورسم بإحضار ابن عرام وزوجته - الست سمراء - ليصادرا.

وفيه جُهِزت خلعة نيابة طرابلس إلى الأمير بلاط السيفى، وقد خرج إلى ناحية العكرشا، ورسم له أن يتوجه من موضعه إلى طرابلس، ثم انتقض ذلك، واستعيدت الخلعة واستقر على حاله.

(١) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهى من نواحي فلسطين غرب عسقلان. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٠٢، ٢٠٣، وفى الروض المعطار غزة موضع بديار حزام من مشارف الشام على ساحل البحر. انظر الروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٣/ ٩٩٧.

وفي ثاني شعبان: ارجعت إمريه طيغا الجمالى، وكان قد جُرد لكبس الغربان بناحية أطفيح^(١) فكبسه العرب وجرحوه، وعاد مريضا من جراحته.

وفي هذه الأيام: عزل قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة نفسه من وظيفة قضاء القضاة، وخرج إلى تربة كوكاى، بنية العود إلى القدس، بعد أن انجمع عن أهل الدولة، وترك حضور الخدمة السلطانية بالإيوان فى يومى الإثنين والخميس مع الأمراء مدة أيام، تورعا واحتياط لدينه، لما دهم الناس من تغير الأحوال، وحدث ما لم يعهد، وتهاون القائمون بالدولة بالأمور الدينية؛ فعين الأمير الأتابك طشتمر العلای لقضاء القضاة سراج الدين عمر البلقينى^(٢) قاضى العسكر، فلم توافقه بعض الأمراء، فتحدث لبدر الدين محمد بن أبى البقاء فى ولايته بمال قام به، فشق ذلك على البلقينى وترك قضاء العسكر لولده؛ فلما كان يوم الإثنين ثامن عشره، خلع على بدر الدين محمد ابن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء، واستقر فى قضاء القضاة، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وخلع على بدر الدين محمد بن سراج الدين عمر البلقينى، واستقر فى قضاء العسكر برغبة أبيه له عن ذلك.

واستقر الشيخ سراج الدين عمر البلقينى فى تدريس المدرسة الناصرية بجوار قبة الشافعى - رحمه الله - من القرافة، واستقر الشيخ ضياء الدين عبيد الله القرمى - شيخ الخانكاه الركنية ببيرس - فى تدريس الفقه وتدريس الحديث بالمدرسة المنصورية، عوضا عن ابن أبى البقاء، واستقر جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى فى توقيع الدست، عوضا عن أخيه بدر الدين، واستقر صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى^(٣) - أحد نواب القضاة الشافعية - فى إفتاء دار العدل، عوضا عن أبى البقاء، وخلع على الجميع، ونزلوا بين يدى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء، فكان يوما مشهودا.

(١) أطفيح: بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقه. انظر: معجم البلدان ٢١٨ / ١.

(٢) البلقينى: عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة وتعلم بالقاهرة من كتبه «التدريب» فى فقه الشافعية. انظر: لحظ الألفاظ والضوء اللامع ٨٥ / ٦ وشذرات الذهب ٥١ / ٧ وحسن المحاضرة ١٨٣ / ١ والتاج ١٤٣ / ٩ والأعلام ٥ / ٤٦.

(٣) محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، ضياء الدين السلمى المناوى: قاض من علماء الشافعية. مصرى، من أهل منية القائد بجزيرة القاهرة ولى قضاء الغربية عدة سنين وناب فى الحكم بالقاهرة وتوفى بها. من كتب «الواضح البينة». انظر طبقات الأسنوى ٤٦٦ / ٢ والدرر ٢٨٥ / ٣ ودار الكتب ٥٤٦ / ١ والأعلام ٥ / ٢٩٨.

وفيه أخرج الأمير ببيغا الطويل العلای - أحد أمراء الطبلخاناه - منفيا إلى الشام.
وفيه استقر الأمير منكلی بغا البلدی فی نیابة طرابلس، عوضا عن أرغون الأسعردی،
واستقر الأسعردی فی نیابة حماة، عوضا عن منكلی بغا البلدی، واستقر أقبغا الجوهري
- حاجب طرابلس - فی نیابة غزة، عوضا عن مبارك شاه المشطوب - واستقر مبارك
شاه حاجبا بطرابلس.

وفی ثامن عشرینہ: ارجعت طبلخاناه طینال الماردینی، وعوض عنها بإمرة عشرة،
ورسم أن يكون طرخانا.

وفی يوم الإثنين ثانى شوال: أمر الأمير برقوق بتسمیر مملوك من ممالیک السلطان
السلاح دارية، اسمه تکا، فسمر وطيف به، وهو ینادی علیه: «هذا جزاء من یرمى الفتن
بین الملوك، ویتکلم فيما لا ینعیه» من أجل أنه وشىء به إلى الأمير طشتمر الأتابک بأن
الأمیر برقوق قد عزم أن یركب علیه، فبعث ینتبه على ذلك، فأنکر، وحلف، وطلب
منه الناقل هذا عنه، فبعث به إليه، ففعل به ما ذکر.

وفی يوم السبت رابع عشره: صار قاضی القضاة برهان الدین إبراهیم بن جماعة
على الیرید إلى القدس.

وفی يوم الإثنين سادس عشره: خلع على الأمير صلاح الدین خليل بن عرام،
فاستقر فی الوزارة، عوضا عن ابن الرويهب، وخلع على التاج عبد الوهاب النشو
الملکی، واستقر بعد الوزارة فی نظر الدولة، عوضا عن سعد الدین بن الریشة، واستقر
ابن الریشة فی نظر الأسواق ودار الضیافة، وألزم ابن الرويهب بحمل مائة ألف درهم.
وصادر الوزير ابن عرام مباشرة الجهات جمیعهم، فهرب أكثرهم.

وكان الأمير بلاط أمير سلاح قد عدی النیل إلى الجیزة^(١) ونزل عند مرابط خيله
على الربیع، لیتنزه هناك، فبعث إليه الأمراء بخلعة لنیابة طرابلس، وعوقت عنه المعادی فی
يوم الإثنين ثالث عشرینه وبعث من الغد إليه الأمير برقوق أمير أخور یخیره فی نیابات
البلاط، فامتنع من ذلك، وعزم على الحرب، وأقبل إلى ساحل النیل لیعدیه، فوجد
المعادی قد انحازت عنه إلى جهة بر مصر فسقط فی یده، وأذعن للطاعة، فأخرج إلى
القدس بطالا، وأنعم علیه بضیعة تغل فی السنة نحو مائتی ألف درهم؛ فلما صار فی أثناء
الطریق، كتب بأن بتوجه إلى الكرك، ویقیم بها بطالا، ولم یجر فی ذلك فتنة، إلا أن
الأمیر برقوق ألبس ممالیکه آلة الحرب، حتى سار بلاط، ثم قبض على إخوته وحاشيته
وأکابر ممالیکه، وسجنوا، ومنع الأمراء من استخدام ممالیکه عندهم.

(١) الجیزة: بلیدة فی غربی فسطاط مصر قبلتها ولها کورة کبيرة واسعة وهی من أفضل قرى

مصر. انظر: معجم البلدان ٢ / ٢٠٠.

وفي يوم الخميس ثالث ذى القعدة: خلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر أمير سلاح، عوضا عن بلاط، وخلع على الأمير إينال اليوسفى، واستقر رأس نوبة ثانيا، عوضا عن يلبغا الناصرى، وكثر الرخاء فى هذا الشهر، حتى أبيع الخبز البائت كل أربعة وعشرين رطلا بدرهم، حسابا عن كل رطل - وهو رغيف - بفلس، والجن الجاموسى الطرى كل عشرة أرتال بثلاثة دراهم ونصف درهم، والبيض كل أربعين بيضة بدرهم.

وفي ثامن عشرينه: خلع على الوزير صاحب تاج الدين عبد الوهاب النشو الملكى ناظر الدولة، واستقر فى نظر الجيش، عوضا عن تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد.

وفي ذى الحجة: توحش ما بين الأمير الكبير طشتمر الأتابك، وبين الأمير برقوق أمير أخور، وأخذ الأمير برقوق فى التعنت عليه حتى يخالفه، فيجعل ذلك سببا لإثارة الفتنة، وصار يرسل إليه بأن ينفى فلانا من ممالكه عنه، فيمثل إشارته وينفى ذلك المملوك قصدا لإخماد الفتنة، حتى بعث إليه هو والأمير بركة بأن يقبض على مملوكه رأس نوبته كمشبغا، ويخرجه منفيا، فلم يجد بدا من ذلك، وأمر به فقبض عليه. وجلس بعد صلاة العشاء من ليلة عرفة على عادته مع خواصه يتحدث، وإذا بمماليكه قد دخلوا عليه لابسين السلاح، وعنفوه على موافقة برقوق على مسك ممالكه، وأظهروا الغضب لذلك، وأرادوه أن يركب للحرب، فقام إلى حريمه وأغلق عليه بابه، فخرجوا عنه يدا واحدة، وركبوا خيولهم، ووقفوا تحت القلعة، فأمر برقوق بالكوسات فدقت، وركب هو والأمير بركة، ووقعت الحرب بينهم طول تلك الليلة إلى الصباح، فقتل جماعة، وجرح كمشبغا رأس نوبة طشتمر، مات منها بعد ذلك. وانكسرت بقية الطشتمرية، فخرج الأمير طشتمر من داره فى يوم الخميس تاسع ذى الحجة - صبيحة الوقعة - وفى عنقه منديل، ومضى إلى الأمير برقوق، وهو قد تزوج بابنته، فقبض عليه وعلى الأمير أطلمش الدوادار، والأمير بزلار، وأرغون - دوادار طشتمر - وألبغا رأس نوبته، وعلى أمير حاج بن مغلطاي، وبعثهم جميعا مقيدى إلى الإسكندرية، فسجنوا بها، وتتبع حواشى طشتمر، فقبض على طواشيه تقطاي - وكان قد قاتل تلك الليلة قتالا شديداً - وقبض عدة من ممالكه أيضا، نفاهم إلى قوص^(١).

وفي يوم الإثنين ثالث عشره: خلع على الأمير سيف الدين برقوق العثمانى أمير أخور، واستقر أميرا كبيرا أتابك العساكر، عوضا عن أبى زوجته، الأمير طشتمر

(١) قوص: هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قسبة صعيد مصر، بينها وبين القسوطا اثنا عشر يوما. انظر: معجم البلدان ٤/ ٤١٣.

العلاى، وخلع على صديقه الأمير أَيْتُمُش البجاسى، واستقر عوضه أمير أخور بإمرة مائة مقدمة ألف، واستمر سكنى الأمير برقوق حيث كان من الاصطبل، وصار يطلع إلى الأشرفية من قلعة الجبل فى يومى الإثنين والخميس، وتقاسم الأمر هو والأمير بركة، فصارا فحلى الشول، إليهما ترجع أمور الدولة بأسرها، إلا أن الولايات والعزل إذا انتظمت عند الأمير بركة فى بيته كان أمضاها بين يدى الأمير الكبير برقوق بالاصطبل، فإذا أراد أحد ولاية شىء من الأمور تحدث مع حاشية الأمير بركة حتى يتقرر له ما يريد، ثم بيعت بذلك الرجل إلى أخيه الأمير الكبير برقوق، ويعلم بما أراد فيرضيه أيضا، ثم يستقر فيما يقرر فيه من الوظائف، إما فى الخدمة السلطانية أو فى مجلس الأمير الكبير برقوق، فكان هذا حال الناس جميعا فيما يريدونه من الدولة، وفى الظاهر صاحب الأمر الأمير برقوق، غير أن الولايات كلها من القضاء والحسبة وولاية الحرب فى الأعمال والكشف، وسائر الوظائف، لا سبيل أن يناها أحد إلا بمال، يقوم به أو يلتزم بأدائه، ويكتب به خطه، فتطاول كل نذل رذل وسفلة إلى ما سنح بخاطره عن الأعمال الجليلة والرتب العلية، فدهى الناس من ذلك بدهاية دهياء، أوجبت خراب مصر والشام، كما ستره فيما يمر بك على طول السنين فى أوقاته، إن شاء الله تعالى.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره: أرسل الأمير الكبير برقوق يستدعى الأمير يلبغا الناصرى، ليأخذ رأيه فى شىء عن له^(١) فظن أن الأمر على هذا، وركب إليه غير مستعد، فى قليل من مماليكه، فلما صار إليه عزم عليه أن يتخفف من ثيابه؛ ويظل نهاره عنده ليفاوضه فى مهماته، فقام ليخلع عنه ثياب ركوبه فى بعض مخادع الدار، فأحيط به وقبض عليه، وقيد وحمل من وقته إلى الإسكندرية، فسجن بها، وقبض معه على كجلى، أحد أمراء الطبلخاناه أيضا.

وفى عشرينه: خلع على الأمير إينال اليوسفى، واستقر أمير سلاح، عوضا عن يلبغا الناصرى، واستقر محمد بن طاجار فى ولاية دمياط، واستقر علم الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين محمد القفصى المصرى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن البرهان إبراهيم الصنهاجى، واستقر كمال الدين عمر بن الفخر عثمان بن هبة الله المعرى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضا عن جلال الدين محمد بن محمد الزرعى^(٢).

(١) عَنْ لَهُ: ظهر أمامه واعترض. ويقال: عَنْ لى الأمر، أو عَنْ بفكرى الأمر: عرض. انظر:

المعجم الوحيز ٤٣٨.

(٢) الزرعى: محمد بن محمد بن شرف الزرعى الشافعى، شرف الدين: فاضل. كان قاض

«عجلون» وتوفى بدمشق. له «المنتقى من كتاب كشف الحالى فى وصف الخال». انظر: شذور

الذهب ٢٦٤ / ٦ والأعلام ٤١ / ٦.

وفيهما ولى محب الدين أبو المعالي محمد بن محمد بن الشحنة^(١) قضاء الحنفية بحلب، عوضاً عن الجمال إبراهيم بن العديم، وعزل بعد أشهر قلائل بابن العديم.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعينى^(٢) الفرناطى النحوى بحلب، عن سبعين سنة، وكان حسن الأخلاق عالماً بالنحو والتصريف والبديع، له مشاركة فى علم الحديث وغيره، ويد طولى فى الأدب، وله عدة مصنفات فى النحو والبديع والعروض، منها شرح ألفية ابن معطى، وله شعر، أقام بحلب ثلاثين سنة، وحج مراراً.

ومات الأمير أحمد بن الأمير قوصون، فى ثمانى عشر ذى الحجة.

ومات الأمير أقتمر الصحبى - المعروف بالحنبللى، لكثرة مبالغته فى الطهارة بالماء، وتشدده فى ذلك - وهو على نيابة دمشق، فى ليلة الحادى عشر من رجب.

ومات الأمير الطنبغا أبو قورة، أمير سلاح.

وتوفى صلاح الدين صالح بن أحمد بن عمر بن السفاح الحلبى، وهو عائد من الحج، بمدينة بصرى، عن سبع وستين سنة.

ومات الأمير طشتمر اللفاف، أحد رعوس الفتن، فى يوم الثلاثاء ثالث المحرم بالطاعون.

وتوفى بدر الدين حسن بن عمر بن حسن بن عمر بن حبيب الحلبى^(٣) المؤرخ بحلب، عن سبعين سنة.

(١) ابن الشحنة محمد بن محمد، أبو الوليد، محب الدين، ابن الشحنة الحلبى: فقيه حنفى له اشتغال بالأدب والتاريخ. من علماء حلب. ولى قضاءها مرات واستقضى بدمشق والقاهرة. له كتب منها «روض المناظر». انظر: أعلام النبلاء ٥ / ١٦١ والضوء اللامع ٣ / ١٠ والكتبخانه ٤١ / ٢ والأعلام ٦ / ٤٤.

(٢) ابن مالك الرعينى: أحمد بن يوسف بن مالك الرعينى الفرناطى ثم البيرى، أبو جعفر الأندلس كته «رسالة» و«بديعة». انظر: الدرر الكامنة ١ / ٣٤٠ وبغية الوعاة ١٤ / ١٧٦ ودار الكتب ٥ / ٢٠٠ والأعلام ١ / ٢٧٤.

(٣) ابن حبيب الحلبى الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الحلبى: مؤرخ، من الكتاب المترسلين. ولد فى دمشق، ونصب أبوه محتسباً فى حلب فانتقل معه، فنشأ فيها، ونسب إليها. ثم رحل إلى مصر والحجاز، ثم استقر فى حلب له «نسيم الصبا» و«درة الأسلاك» فى دولة الأتراك. انظر: الدرر الكامنة ٢ / ٢٩ وآداب اللغة ٣ / ١٧٣ وأعلام النبلاء ٥ / ٦٦ وكشف الظنون ١ / ٧٣٧ والأعلام ٢ / ٢٠٨، ٢٠٩.

ومات الأمير قرطاي، أحد مثيري الفتن، ثم أتابك العساكر، مخنوقا بطرابلس، فى شهر رمضان، وحملت رأسه إلى القاهرة.

وتوفى والدى، علاء الدين على بن محبى الدين عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقرئ الشافعى، فى يوم الأحد خامس عشرين شهر رمضان عن خمسين سنة. وقد باشر التوقيع السلطانى وعدة وظائف، وكان الأغلب عليه صناعة كتابة الإنشاء والحساب، مع دين متين، وعقل راجح رصين، والله تعالى أعلم.

* * *

سنة ثمانين وسبعمائة

أهلت بيوم الخميس: وفيه خلع على الأمير أقتمر العثماني، واستقر دوا دارا بتقدمة ألف، عوضا عن أطلمش الأرغوني.

وفي يوم الإثنين خامسه: استقر الأمير مبارك شاه الطازي في نيابة غزة، عوضا عن أقبغا الجوهري، واستقر أقبغا الجوهري في نيابة صفد، عوضا عن صراي تُمَر المحمدي، وقبض على صراي تُمَر وسجن بالكرك.

وفي عاشره: مات الأمير أئنيك، مثير الفتن، بسجن الإسكندرية، وصودرت زوجته وأخذ منها مال عظيم، فكان هذا مما استشنع فعله، فإنه لم تجر العادة بالتعرض للحرم.

وفي يوم الإثنين ثاني عشره: خلع على كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرازق بن إبراهيم بن مكانس، واستقر في نظر الدولة، عوضا عن تاج الدين نشو الملكي، وأفرد الملكي بنظر الجيش.

وفي يوم الإثنين تاسع عشره: خلع على تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد، وأعيد إلى نظر الجيش، عوضا عن الملكي. وقبض على الملكي وسجن بقاعة صاحب من القلعة، حتى مائة ألف درهم فضة، ثم أفرج عنه.

وفي ليلة الأحد خامس عشرينه: وقع حريق عظيم خارج باب زويلة، احترق منه دكاكين الفاكهانيين والنقلين، والبرادعيين، والرابع المعروف بالدهيشة تجاه باب زويلة، وامتدت النار إلى سور القاهرة، فركب الأمير بركة الجوباني، والأمير أيتمش البحاسي، والأمير دمرداش الأحمدى، والأمير تغرى برمش حاجب الحجاب، وطفوه بأنفسهم ومماليكهم، فكان أمرا مهولا، أقامت النار فيه يومين، وخربت أماكن جلييلة كبيرة، كانت من أبهج المواضع وأحسنها. وتحدث الناس أن هذا مبدأ خراب القاهرة، وكثر ذلك على الألسنة، فكان كذلك، ثم إن الناس أخذوا في عمارة ما احترق حتى عادوه كما كان، وقال في هذا الحريق القاضي زين الدين طاهر.

أزال معاني الحسن المصون	بياب زويلة وافى حريق
وصير كل عال مُقْلّ دون	ودمر كل عال من ذراه
يقينا كالعيون من العيون	وعيرة عيرة الرائيين أجدى
لحى الأرض من بعد المنون	وما برح الخلائق فى ابتهاال

إلى أن قال فى لطف خفى وفضل عناية يانار كونسى
وفى آخره: أفرج عن الأمير يلبغا الناصرى، وأنعم عليه بإمرة مائة مقدمة ألف
بدمشق، عوضا عن الأمير جتتمر أخصى طاز، وقبض على جتتمر وسجن بقلعة
المرقب^(١).

وفى يوم الخميس سادس صفر: خلع على كريم الدين عبد الكريم بن مكانس
ناظر الدولة، واستقر فى الوزارة، عوضا عن صلاح الدين خليل بن عرام، وركب
بنجييين^(٢) أحدهما قدامه والآخر وراءه، كما كانت عادة الوزراء.

وفى يوم الإثنين عاشره: خلع على فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن
إبراهيم بن مكانس^(٣) واستقر فى نظر الدولة مكان أخيه صاحب كريم الدين. وخلع
على تاج الدين فضل الله بن الرملى، واستقر فى وزارة دمشق، وتوجه إليها. وكان من
شياطين كتاب مصر المسالمة.

وفيه قبض على الوزير الملكى، وسجن بقاعة الصاحب، وألزم بمال كبير.
وفى هذه الأيام: وقع حريق فى خارج باب النصر؛ وحريق تجاه اليانسية^(٤) خارج
باب زويلة. وركب الأمير الطنبغا المعلم البريد إلى حلب، ليقبض على الأمير أشقتتمر
النائب.

وفى عشرينه: خلع عن الركن والى الفيوم^(٥) واستقر فى ولاية الفيوم والبهنسى،
وعلى محمد بن طاجار، واستقر فى ولاية المنوفية^(٦).

وفى ثامن عشرينه: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع واثنين وعشرين إصبعا.

(١) قلعة المرقب: قلعة حصينة على ساحل بحر الشام. انظر: معجم البلدان.

(٢) بنجييين: النجيب من الإبل والجمع النجب والنجائب، ويقال: نجائب الإبل خيارها، ونجائب
الأشياء لبابها وخالصها انظر المعجم الوسيط (نحب).

(٣) ابن مكانس: عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم، أبو الفرج، فخر الدين، المعروف بابن
مكانس: وزير، شاعر، مصرى، حنفى المذهب. أصله من القبط. ولد بالقاهرة، وولى نظارة الدولة
بمصر، ثم تولى فى آخر عمره وزارة دمشق، وعزله السلطان الظاهر برفوق واستدعاه منها. فتوفى
قريب وصوله إلى القاهرة ودفن بها. انظر: الدرر الكامنة ٢/ ٣٣٠ وابن الفرات ٩/ ٣٢٣ وآداب اللغة
٣/ ١٢٤ والكتبخانة ٤/ ٣١٣ والأعلام ٣/ ٣١٠.

(٤) اليانسية: حارة اليانسية، هى منسوبة لخادم خص من خدام العزيز بالله يقال له أبو الحسن
يانس الصقللى، وهى تقع خارج باب زويلة. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ١٦.

(٥) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظر كبير فيه قرى كثيرة، وقيل أنها سميت الفيوم لأن
خراجها ألف دينار كل يوم. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٨٦، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦،
وخطط المقرئى ١/ ٢٤٥، وابن الوردى ٢٣.

(٦) المنوفية: من قرى مصر القديمة، لها ذكر فى فتوح مصر. انظر: معجم البلدان ٥/ ٢١٦.

وفى هذا الشهر: رخصت الأسعار، حتى أبيع لحم الضأن السليخ، كل عشرة أرتال بسبعة دراهم ونصف درهم، وكل عشرة أرتال إليه ستة دراهم.

وفى أول شهر ربيع الأول: رُسم للأمير تَلَكْتُمُر من بركة أن يجلس فى الخدمة السلطانية بالإيوان، فيمن يجلس من الأمراء الكبار.

وفى سادسه: قبض على الحاج سيف مقدم الدولة، وخلع على الحاج محمد بن يوسف، واستقر مقدم الدولة، وسلم له سيف، ثم نقل دار الوالى، فعُوقب حتى التزم بحمل مائة ألف دينار، حمل منها خمسمائة ألف درهم عنها خمسة وعشرون ألف دينار، وأخذ جميع ماله من مراكب بحرية ودواليب، وقيمتها أكثر منذ لك، ثم أفرج عنه فى سابع عشره، فكان هذا مما لم يعهد قبل ذلك، أعنى تسليم من يصادر لوالى القاهرة، وإنما كان يتسلم المصادر شاد الدواوين أو مقدم الدولة بمرسوم الوزير، ولا يتعدى حكم الوالى العامة وأهل الجرائم منهم، وأما الأجناد والكتاب وأعيان التجار فلا تمتد يده إلى الحكم فيهم، ويرجع أمرهم إلى نائب السلطان؛ فإن لم يكن فحاجب الحجاب، لأن كل أحد له رتبة محفوظة لا يتعدها، فانخرق السياج، وأخذ كل أحد يتعدى طوره، ويجهل قدره.

وفى هذه الأيام: نُقل الأمير مَنكلى بُغا البلدى من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب، عوضا عن أَشَقْتُمُر. واستقر الأمير يلبغا الناصرى عوضه فى نيابة طرابلس.

وفىها أشيع أن الممالك الأجنبية، وهم نحو ثمانمائة مملوك، اتفقوا مع جماعة على إثارة الفتنة، فقبض على عدة من الأمراء وممالك السلطان، ورسم للجميع بالقبض على من فى خدمتهم من ممالك ألبانى اليوسفى، فقبضوهم وبالفوا فى إهانتهم، بأن وضعت الزناجير فى أعناقهم، وعملت يدى كل اثنين منهم فى خشبة، وسجنوا بخزانة شمائل - سجن أهل الجرائم - فلم يعهد قبل ذلك أن الترك رجال الدولة أهينوا هذه الإهانة، ثم أشيع أن جماعة من ممالك الأمراء عزموا على الفتك بأستاذيهم، فقبض على كثير منهم. وفى ثامنه: قبض على الطنبغا شادى - من أمراء العشرات - وعدة من ممالك ألبانى.

وفى تاسعه: قبض على قطلوبغا حاجى أمير علم، والطنبغا العلالى، وأسنُغا التلكى، وتلك الأحمدى، والطنبغا عبد الملك، وغريب الأشرفى، وأسنُدُر الأشرفى، وجويان الطيدُمُرى، وأقسُنُقُر الأشرفى، وأقبغا القَطْلَقْتُمُرى، وتمان تمر الموسوى، وجتُمُر المحمدى، وسودن العثمانى، وبدى قُرُطقا بن سوسون، وبك يونس، وبجمان العلالى، وأقبغا ينسون، وحملوا مقيدى إلى الإسكندرية.

وفي عاشره: قبض على الأمير تَمْر باى الدمرداشى رأس نوبه، بجيلة، وهى أن الأمير بركة بعث إليه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ذهب، فركبه، وأتاه متشكرا لصنيعه فأخذه وطلع إلى الأمير الكبير برقوق ليصلح بينهما وكانا قد تنافرا، وكان تَمْر باى بثياب جلوسه، ليس معه كثير أحد من مماليكه، فلما استقر بهم المجلس، قبض عليه، وقيد وأخرج فى الليل إلى نغر الإسكندرية فسجن بها، وأنعم على الأمير ألطنبغا الجوبانى بإقطاع تَمْر باى.

وفيه خلع على جمال الدين محمود العجمى، وأضيف غليه حسبة مصر، عوضا عن الشريف عاصم، فرغب عنها لصديقه سراج الدين عمر بن منصور بن سليمان القرمى، فخلع عليه وباشرها.

وفي عشرينه: نزل الأمير أَشَقْتَمُر نائب حلب على بلبيس^(١) وكان لما قدم عليه ألطنبغا المعلم، ليقبض عليه ويبعث به إلى القدس بطالا، قدم عليه مرسوم بأن يحضر إلى الأبواب السلطانية، فسار من حلب ومعه مقدمة جليلة، فبينما هو على بلبيس، أتاه من قبض عليه وقيده وحمله إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفي يوم الأحد حادى عشرينه: سُمر اثنا عشر من الأتراك، وطيف بهم القاهرة، ثم وسط منهم ستة، وهم الأمير أقبغا البجمقدار خازن دار الأمير ألبغاى، والأمير قَراكَسَك، وأسنيغا، من ممالك ألبغاى، وبَكْتَمُر الفقيه، وأسندُمُر الذى حمل رأس الأمير أرغون شاه، لما قُتل بقبة النصر.

وفيه أفرج عن غريب الأشرفى، أحد أمراء العشرات.

وفي أول شهر ربيع الآخر: أهيئ السيد الشريف على نقيب الأشراف، من الأميرين بركة وبرقوق إهانة بالغة، لمنعه عنهم كتاب وقف ناحية بلقس على الأشراف ليتسلمه الشريف مرتضى صدر الدين مرتضى، وقد استقر فى نظر وقف الأشراف عوضا عنه، ومنع من التحدث فى نقابة الأشراف.

وفي يوم الخميس سابع عشره: خلع على الشريف عاصم واستقر نقيب الأشراف. وخلع على الأمير بزلار، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن الأمير قطلو أَقْتَمُر، وأنعم عليه بتقدمة تلتكمير بن بركة، واستقر قطلو أَقْتَمُر أمير جاندار على تقدمته. وخلع على علاء الدين على العمرى، واستقر كاشفا بالوجه البحرى.

(١) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر: معجم البلدان

وفيه كان وفاء النيل، وهو عاشر مسرى.

وفيه عين الشيخ راج الدين عمر بن الملقن^(١) أحد نواب الحكم بقضاء القضاة الشافعية، عوضا عن بدر الدين محمد بن أبى البقاء، ليلبس فى يوم الإثنين.

فلما كان يوم الإثنين حادى عشرينه: طلع إلى القلعة فلم يتهيا له لبس، وذلك أن الأمير الكبير برقوق كان قد عينه لذلك بغير مال، فسعى عليه يقوم به إذا استقر فى قضاء القضاة كما قد جرت به العادة فى هذا الزمان، فبعث بها الأمير بركة إلى الأمير برقوق، فلما بلغت الورقة غضب وأمر بجمع القضاة والفقهاء، فتجمعوا بين يديه بالحراقة من الاصطبل فى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه، وطلبه، وأخرج الورقة التى بعثها إليه الأمير بركة، تتضمن التزامه بأربعة آلاف دينار يقوم بها إذا استقر قاضى القضاة الشافعية. فأنكر أن يكون خطه، فزاد حنق الأمير برقوق، وأمر به، فسلم إلى الحاج محمد بن يوسف مقدم الدولة ليستلخص منه الأربعة آلاف دينار، وانفض المجلس، ففرق به ابن يوسف من أجل أنه كان قد اتهم بأنه وقع فى واقع يقتضى إراقة دمه عند الملكية. فحكم ابن الملقن بحقن دمه، فرعى له ذلك، ودافع عند شاد الدواوين، وخوفه من التعرض له بمكره، إلى أن طلع الشيخ سراج الدين عمر البلقينى فى يوم الخميس رابع عشرينه إلى الأمير برقوق، هو والشيخ المعتقد أبو عبد الله محمد الركراكى المغربى، فى عدة من الفقهاء، وسأله فى الإفراج عن ابن الملقن، فوعده بإرساله إليه، فحلف البلقينى ثلاثة أيمان فى ثلاث مرات أنه ما ينصرف إلا به، فأجابته إلى ذلك، وأمر بتسليمه إليه، فمضى به، والله الحمد.

وفى أخريات هذا الشهر: أفرج عن الأمير طشتمر الأتابك من سجنه بالإسكندرية، ورسم بإقامته بغير دمياط، وأقطع بلدا بالقرب منه.

وفى سابع عشرينه: خلع على الأمير منكلى الطرخانى، واستقر نائب الكرك، عوضا عن تمرباى الطازى.

وفيه خلع على همام الدين أمير غالب بن القوام أمير كاتب الأنقانى الأتترارى الحنفى

(١) ابن الملقن: عمر بن على بن أحمد الأنصارى الشافعى، سراج الدين، أبو حفص بن النحوى، المعروف بابن الملقن: من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. أصله من وادى أش (بالأندلس) ومولده ووفاته فى القاهرة. له نحو ثلاثمائة مصنف منها وإكمال تهذيب الكمال فى ألقام الرجال. انظر: ذيل طبقات الحفاظ ١٩٧ و ٣٦٩ والضوء اللامع ٦/ ١٠٠ والخطط التوفيقية ٤/ ١٠٥ والكتبخانة ٥/ ٨٩ والأعلام ٤/ ٥٧.

محتسب دمشق، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية بها، عوضا عن نجم الدين أبى العباس أحمد بن أبى العز. مال التزم به وسافر إليها.

وفى تاسع عشرينه: خلع على الأمير بركة، واستقر فى نظر المارستان، واستقر رأس نوبة كبير، عوضا عن ثمر باى. وخلع على قرا دمرداش الأحمدي، واستقر أمير مجلس. وخلع على الأمير الطنبغا الجوباني، واستقر رأس نوبة ثانيا. وخلع على محتسب القاهرة جمال الدين محمود العجمي، واستقر فى نظر المارستان، نيابة عن الأمير بركة، عوضا عن بدر الدين محمد بن عثمان الأنفهمسى.

وفيه ورد البريد من طرابلس بقدوم الفرنج إليها فى عشرة مراكب، ونزولهم إلى البر، فحاربهم الأمير يلبغا الناصرى نائب طرابلس، وقتل منهم عدة، وفر باقيهم إلى مراكبهم وساروا.

وفى جمادى الأولى: ركب السلطان ثلاثة سبوت متوالية إلى الميدان برسم الملعب بالكرة، على ما جرت به العادة. ولم يتفق فى السنة الماضية الركوب إلى الميدان لما كان من الاشتغال بالحروب والفتن، وأنعم الأميران بركة وبرقوق فى الميدان على أكابر ممالكهما بأقبية بطرز زركش.

وفيه قدم زامل بن موسى بن مهنا.

وفيه قبض على سلام بن التركية من البحيرة، وقيد وحمل إلى القاهرة.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: قدم البريد بأن خليل بن دلغادر أمير التركمان قتل الأمير مبارك الطازى نائب الأبلستين^(١) وذلك أنه ركب فى عسكر من حلب لقتال ابن دلغادر فهزمه وأخذ ما معه، ثم ركب قفاه فى جماعة، فمال عليه ابن دلغادر وقتله، فوقع فى قبضته، فقدمه وضرب عنقه.

وفيه قبض على صاحب شمس الدين أبى الفرج عبد الله المقسى ناظر الخاص، وعلى كثير من أزماته وحبس فى بيت الأمير بركة بمرافعة الوزير كريم الدين بن مكائنس إياه، وأحبط بموجوده، ونقل من الغد ما فى داره، فوجد له شىء كثير من المال والثياب والقماش، من جملة نحو الألفى بدن فرو سنجاب.

وفيه أفرج عن الأمير ثمر باى الدمرداشى وأخرج إلى القدس، وأفرج عن الأمراء الذين سجنوا قبله أيضا.

(١) الأبلستين: هى مدينة مشهورة ببلاد الروم. انظر: معجم البلدان ١ / ٧٥.

وفي يوم الأحد سابع عشره: أعيد المقدم سيف إلى مقدمة الدولة، وقبض على محمد بن يوسف وسلم إليه، فعاقبه حتى مات تحت العقوبة.

وفي يوم الإثنين ثامن عشره: خلع على الوزير صاحب كريم الدين عبد الكريم ابن مكناس، واستقر في نظر الخاص، عوضاً عن المقسى، مضافاً لما معه من نظر ديوانى الأميرين برقوق وبركة. ثم خلع على سعد الدين سعد الله بن البقرى، واستقر في نظر ديوان الأمير الكبير برقوق، وخلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، واستقر أستاذار الأمير بركة، فكان هذا أيضاً من الأمور التى لم تعهد أن أميراً من أمراء الألوفا يكون أستاذار أمير.

وفيه ظهر فى السماء كوكب من كواكب الذوابة، له وجه وذنب.

وفي ثمانى عشرينه: خرج البريد بالقبض على الأمير بيدمر نائب الشام، وإحضاره.

وفيه استقر الأمير بركة ناظر الأوقاف جميعها، واستتاب فى التحدث عنه جمال الدين محمود المحتسب، فلم يبق وقف حكى ولا أهلى، إلا وطلب مباشرته، وتحد فيه استضعافاً لجانب قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء.

وفي ثالث جمادى الآخرة: خلع على الأمير موسى بن قرمان، واستقر إلى الجيزة، ثم عزل من الغد، واستقر على عادته أمير طبر.

وفيه أفرج عن الأمير أشقتمُر نائب حلب، ورسم بإقامته بالقدس.

وفي سادسه: انتهت زيادة ماء النيل إلى تسعة عشر ذراعاً وست أصابع.

وفي تاسعه: أخرج الأمير تغرى برمش حاجب الحجاب إلى حلب، وسببه أنه عرف الأمير بركة سوء سيرة بنى مكناس وكثرة ظلمهم وفسادهم، فقال له: أصلح أنت نفسك، فشق ذلك عليه، وعزل نفسه من الحجوبية، ورمى الإمرة، وقال: ما عدت أعمل أميراً، وخلع قباه وألقى مهمازه من رحله، وخرج عنه، فأمر به، فخرج حاجباً بحلب، فلما وصل دمشق عزل عنها.

وفي ثالث عشره: خلع على الأمير مأمور القلمطاي، واستقر حاجب الحجاب، عوضاً عن تغرى برمش، وقدم الأمير بيدمر نائب الشام، من دمشق، فحمل إلى الإسكندرية مقيداً، وسجن بها، واستقر عوضه فى نيابة الشام الأمير كُشْبَغَا الحموى، نائب حماة، واستقر عوضه فى نيابة حماة الأمير قمر باى الدمرداشى.

وفي ثامن عشره: أنعم على الأمير أزد مُر الصفوى بإمرة عشرة بدمشق، وأخرج إليها.

وفي العشرين منه: توجه الشيخ برهان الدين إبراهيم الأبناسى إلى الحجاز معتمرا، واستتاب عنه فى مشيخة خانكاه سعيد السعداء، الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى^(١) وقدم الخبر بأن رجلا بدمشق من آحاد العامة مات بالمارستان فغسل وكفن، وأرعى فى قبره بمقبرة باب الفراديس، فعندما أضجع بالقبر عطس، فأخرج وعوفى، وحدث الناس بما جرى له، وعاش بعد ذلك نحو ثلاث سنين.

وفي ثالث شهر رجب: خرج الأمير قَرَاكْسُك على البريد لإحضار الأمير منكلى بغا البلدى نائب حلب.

وفي سابعه: أخرج الأمير بُورى الأحمدي إلى القدس منفيا وأنعم عليه بنظر مسجدي القدس والخليل.

وفيه خلع على شمس الدين محمد النيسابورى، ابن أخى جارا الله، واستقر فى مشيخة خانكاه سعيد السعداء عوضا عن البرهان الأبناسى.

وفيه قدم البريد بسيف منكلى بغا البلدى نائب حلب، وأنه سُجن بقلعتها، فكتب باستقرار الأمير قمرى الدرداشى فى نيابة حلب، واستقر الأمير جَنْتَمُر أخو طاز فى نيابة حماة وكان بطالا بدمشق، وحمل إلى كل منهما تشريفه وتقليده على البريد.

وفي سادس عشرينه: قبض على المقدم سيف، وسلم للأمير صلاح الدين خليل بن عرام، ثم أفرج عنه.

وفي ثامن عشرينه: قبض على الوزير كريم الدين عبد الكريم بن مكانس، ثم أفرج عنه من يومه، ورسم باستقرار الأمير تغرى برمش، حاجب الحجاب فى نيابة غزة.

وفيه قدم من الأمير قُرط - متولى ثغر أسوان - أحد عشر رأسا من رعوس أمراء أولاد الكنز وماتى رجل منهم فى الحديد، فعلقت الرعوس على باب زويلة، ولم يعهد

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى: بجائة، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده فى رازنان من أعمال إربل تحول صغيرا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها، وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفى فى القاهرة، من كتبه «الغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار». انظر الضوء اللامع ١٧١/٤ وغاية النهاية ٣٨٢/١ وحسن المحاضرة ٢٠٤/١ والأعلام ٣/٤٤٣.

هذا من قبل. وقدم الخبز بأن طائفة من أهل البحيرة - كبيرهم بدر بن سلام - ساروا إلى الصعيد، فلقبهم الأمير مراد كاشف الوجه القبلى، وقتلهم، فقتل فى الحرب معهم.

وفيه قدم الشيخ أمين الدين محمد بن محمد بن محمد النسفى الخوارزمى الخلوٲى، من بلاد خوارزم، فى طائفة من الفقراء، فأنزله شيخ الشيوخ نظام الدين إسحاق الأصفهانى - شيخ خانكاه سرياقوس - بمدرسته التى على طارف الجبل، خارج باب المحروق من القاهرة، تحت دار الضيافة، فأقبل إليه الأمراء وبالغوا فى إكرامه، وبغشوا له بضيافات كثيرة وصالات سنية، فلم يدخر منها شيئاً، وعمل به أوقاتاً يجمع عنده فيها الناس، فيطعمهم المأكّل الطيبة، وذكر أنه عير فى سياحته إلى بلد بلغار حيث لا تطلع الشمس عدة أشهر، فدعا سكانه - وهم قوم لا يعلمون شيئاً - إلى الإسلام فاستجاب له كثير منهم وأسلم، فعلمهم شرائع الإسلام، ومضى عنهم، وكان من خير من أدر كناه.

وفى أول شهر رمضان: قدم الأمير منكلى بُغا البلىدى إلى دمشق، وقد أفرج عنه من سجنه بقلعة حلب، فأقام بدمشق بطالا.

وفى سادسه: خلع على الأمير شرف الدين موسى بن قرمان أطلسين، واستقر نائب الوجه القبلى، ورسم أن يكاتب بملك الأمراء، وأنعم عليه بتقدمة ألف، وعمل فى خدمته حاجب أمير طبلخاناه، وهو أول من ولى من كشاف الصعيد نيابة السلطنة، واستمر الحال كذلك فيما بعد، وخلع على الأمير على خان، واستقر والى البحيرة، عوضاً عن آيدمر الشمسى، ثم عزل من يومه، واستقر آيدمر على عادته.

وفى يوم الأربعاء ثامنه: كانت واقعة كنيسة ناحية بو النمرس من الجيزة^(١) وذلك أن رجلا من فقراء الزيلع بات بناحية بو النمرس، فسمع لنواقيس كنيسة صوتا عاليا، وقيل له إنهم يضربون بنواقيسهم عند خطبة الإمام للجمعة، بحيث لا تكاد تسمع خطبة الخطيب، فوقف للسلطان الملك الأشرف شعبان^(٢)، فلم ينل غرضاً، فتوجه إلى الحجاز

(١) الجيزة: بليدة فى غربى فسطاط مصر قبلتها ولها كورة كبيرة واسعة وهى من أفضل قرى مصر. انظر: معجم البلدان ٢/٢٠٠.

(٢) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤هـ وقام بأمور الدولة فى أيامه أتابك العسكر الأمير يلغا. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٨٧، وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ٢/١٠٤ والدرر الكامنة ٢/١٩٠ والبدايةوالنهاية ١٤/٣٠٢، ٣٢٤ والأعلام ٣/١٦٣، ١٦٤.

وعاد بعد مدة طويلة، ويبدو أوراق تتضمن أنه تشفع برسول الله ﷺ وهو نائم عند قبره المقدس في هدم كنيسة بو النمرس، ووقف بها إلى الأمير الكبير برقوق الأتابك، فرسم للمحتسب جمال الدين محمود العجمي أن يتوجه إلى الكنيسة المذكورة، وينظر في أمرها، فسار إليها وكشف عن أمرها، فبلغه من أهل الناحية ما اقتضى عنده غلقها، فأغلقها، وعاد إلى الأمير الكبير وعرفه ما قيل عن نصارى الكنيسة، فطلب متى بطريق النصارى اليعاقبة وأهانه، فسعى النصارى في فتح الكنيسة، وبذلوا مالا كبيرا، فعرف المحتسب الأمير الكبير بذلك، فرسم يهدمها بتحسين المحتسب له ذلك، فسار إليها وهدمها، وعملها مسجدا.

وفي ثانی شوال: قبض على الطواشى سابق الدين مثقال الجمالى زَمَامِ الدور، وأخذ منه ثلاثة آلاف دينار، ثم أفرج عنه.

وفي يوم الأربعاء سادسه: قبض على الأمير شهاب الدين أحمد بن هُمَزِ التركمانى، خشية من فراره إلى التركمان، وقد ورد البريد بخروجهم عن الطاعة.

وفي سابعه: قبض على الأمير جمال الدين عبد الله بن بَكْتُمُرِ الحاجب، وولده الأمير ناصر الدين محمد، وأخرجهما برقوق^(١) إلى الشام ثم ردهما بعد ثلاثة أيام، وأخذ منهما عشر آلاف دينار، وأنعم على الأمير جمال الدين بإمرة طبلخاناه، وترك ولده بطلا، وسبب ذلك أنه أهدي إلى الأمير بركة عندما صرع بالبندق طائرا من طيور الواجب، وادعى له فى رمى البندق، يشتمل الإهداء على خمس بقج حرير أطلس، ضمنها قماش حرير وصوف وفرو، وبدلة برسم الصيد غيار بذهب، وجرارات^(٢) برسم بندق الرمى عدتها أربعون مزركشة، وكمرانات^(٣) عدة أربعين، ومن قسى الحلقة اثنين، ومن قسى البندق مائتى قوس، ومن بندق الرمى ستين بندق من ذهب صامت، ومائة بندق من فضة خالصة، واثنى عشر فرسا، منها واحد بسرج ذهب وكنبوش زركش، وآخر بسرج مغرق^(٤) وعرقية زركش وآخر بسرج مغرق، وعرقية

(١) برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى، أبو سعيد سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق فباعه فيها منسوباً إليه، ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة، وعاد إلى مصر. انظر «ديوان الإسلام - خ» وابن إياس ٢٥٨/١ و ٢٩٠، ووليم موير ١١١ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

(٢) على هامش ط: حرواآت آنية وأكياس لحفظ البندق.

(٣) على هامش ط: الكمر أو الكمران، حزام يلبس فوق العقب.

(٤) مغرق أى محلى به، ولجام مغرق بالفضة، أى محلى وقيل: وإذا عمته الحلية، وقد غرق. انظر لسان العرب، والقاموس المحيط مادة غرق.

صوف سمك، وسبعة أرعوس^(١) بعبى، وفرسين عراه وعشر جُفَن سكر، ومائتى طائر دجاج، وثلاثين جملا، ومائة رأس غنم، فلما قدمت بين يديه قال له من حضر: «أنه قَدَمَ للأمير صرْعَتْمَشْ تقدمة أكثر من هذه». فغضب برقوق وقال: «ما ساوانى بصرغتمش» وأخذ الهدية المذكورة، ثم أمر به فنفى كما تقدم ذكره.

وفى ثانى عشرينه: سار محمل الحاج والركب صحبة الأمير بهادر.

وفى سادس عشرينه: توجه الأمير قرا دمرداش الأحمدى أمير مجلس إلى الحجاز حاجا.

وفيه قبض على الوزير كريم الدين عبد الكريم بن مكانس، وعلى أخيه فخر الدين، وعذبا عذابا شديدا فقرا بعد أيام، ولم يوقف لهما على خبر، وكان ابن مكانس كريم الدين هو وأخوه فخر الدين قد أحدثا عدة مظالم قبيحة، منها أن الأمير يلغا الخاصكى لما أبطل المكس من مكة، عوض الشريف أمير مكة عن ذلك فى كل سنة مائة وسبعين ألف درهم، تحمل إليه، فكان ابن مكانس يجبى ذلك من مباشرى الدولة والخاص على قدر حالهم، وكان المقسى - وهو ناظر الخاص - يقوم عن مباشرى الخاص بمبلغ ستة عشر ألف درهم، ومنها أنه ختم على قيسارية^(٢) جهاركس^(٣) بالقاهرة، فى أخريات شهر رمضان، وزعم أن عند التجار ثيابا بغير ختم، فتعطل بيع الناس وشرائهم على عيد الفطر، حتى ألزموا له بمال يقوم به، فلما حملوه إليه رفع ختمه بعد ثمانية أيام، ومنها أنه صار يخرج إلى بركة الحاج عند تكامل الحج بها فى شهر شوال، ويلزم مقومى الحاج بإحضار أوراق مُشْتَرَى جمالمهم من سوق الجمال، فمن لم يحضر ورقة مباشرى مكس سوق الجمال نكل به وغرمه مالا، فأضر ذلك بكثير من الجمالة، وتعطل حجاجهم عن الحج، وعادوا من البركة إلى القاهرة، ومنها أنه عمل بعد ذلك دائرة كبيرة بمال كبير حملوه إليه، واقتدى به من بعده من الوزراء فى ذلك، صار يخرج إلى بركة الحاج فى كل سنة، ويطالب المقومين بأوراق المكس، ولما قبض عليه، وقف التجار إلى الأمير الكبير برقوق، فرسم برد ما أخذ منهم أبناء مكانس، فردا عليهم المال. هذا مع تظاهر

(١) أرعوس جمع الرأس فى القلة ويقال رعوس فى الكثرة والمقصود هنا أرعوس من الخيل مكسورة. انظر القاموس المحيط.

(٢) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام، تعد فى أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. انظر: معجم البلدان ٤/٤٢١.

(٣) قيسارية جهاركس بنا هذه القيسارية الأمير فخر الدين جهاركس سنة ٥٩٢. انظر المواعظ

بنى مكائس بالفسق على أنواعه تظاهرا بغير احتشام، وبقاء نسبائهم وبناتهم على النصرانية، واستخفاف رجالهم بكتاب الله ودينه ورسوله.

وفيه خلع على صاحب تاج الدين النشو المالكي، وأعيد إلى الوزارة.

وفي ثامن عشرينه: خلع على صاحب شمس الدين أبى الفرج عبد الله المقسى، وأعيد إلى نظر الخاص، وخلع على علم الدين عبد الله بن صاحب كريم الدين بن غنام، واستقر في نظر الأسواق.

وفي ثالث ذى القعدة: خلع على علم الدين يحيى طباهجة بن رزق الله، بن إبراهيم ابن الفخر، واستقر في نظر الدولة، عوضا عن الفخر بن مكائس.

وفي ثاني ذى الحجة: قبض على سلام بن التركية - أمير عرب البحيرة^(١) فسجن بخزانة شمائل من القاهرة.

وفيه استقر ناصر الدين أحمد بن جمال الدين محمد^(٢) بن قاضى الإسكندرية شمس الدين محمد بن محمد بن عطا الله التنسى المالكي في قضاء مدينة الإسكندرية، عوضا عن عز الدين الربعى.

وفي سادسه: نقل الأمير كُرْجى الشمسى من ولاية قليوب إلى ولاية الغربية.

وفي سابعه: خرج الأمير إينال اليوسفى أمير سلاح، وألان الشعبانى، وأحمد بن يلبغا، وطبج الحمدي، وأقتمر العثمانى، وطقتمر، وطقتمش، وأطلمش ألتازى، وطغاي تمر القبلاوى، في عدة وافرة، لقتال عرب البحيرة ففروا منهم وعادوا بعد ما وصلوا إلى الفيوم^(٣) وقد ساقوا أنعاما كثيرة جدا. ولما وصل ركب الحجاج إلى مكة بلغهم قدوم حمل من اليمن، وكسوة للكعبة^(٤) فمنع الأمير قرا دمرdash حجاج اليمن

(١) البحيرة: كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. (انظر معجم البلدان ٣٥١/٢).

(٢) أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الزبيرى الإسكندراني، المالكي، ناصر الدين بن التنيسى: قاضى من أهل الإسكندرية - نسبته إلى تنيس، من أعمال تلمسان وله «مختصر ابن الحاجب»، وشرح «الكافية». انظر رفع الإصر ١٠٧/١، والضوء ١٩٢/٢ والأعلام ٢٢٥/١.

(٣) الفيوم: بمصر، وهى ولاية غربية بينها وبين القسوطا أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهى فى منخفض الأرض كالدارة. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤.

(٤) كسوة الكعبة: كان حاكم بنى رسول فى اليمن فى تلك السنة هو الملك محمد الدين إسماعيل بن العباس.

من دخول مكة، فلم يزل الشريف أحمد بن عجلان^(١) يتوسط بين حاج اليمن وحاج مصر حتى دخل أهل اليمن بمحلهم، ووقفوا بعرفة، ولم تكن فتنة بحمد الله، فلما كسا الأمير قرا دمر داش الكعبة في يوم النحر على العادة، خرج من مكة عائداً إلى مصر.

وفي سادس عشرة: استدعى الأمير الكبير برقوق القضاة وشيوخ العلم، وتحدث معهم في حل الأراضي الأوقاف على الجوامع والمساجد والمدارس والخوانك والزوايا والربط وعلى أولاد الملوك والأمراء وغيرهم وعلى الرزق الأحباسية، وكيف يجوز بيع أراضي مصر والشام الخراجية على بيت المال، وأحضرت أوراق بما أوقف من بلاد مصر والشام، وبما تملك منها - ومبلغها في كل سنة مال كبير جدا - فلما قرئت على من قد حضر من الأمراء وأهل العلم، قال الأمير برقوق: «هذا هو الذي أضعف جيش المسلمين». فقال قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء: «هما جيشان جيش الليل، وجيش النهار»، فأخذ الشيخ أكمل الدين في الكلام مع الأميرين بركة وبرقوق في ذلك باللغة التركية، حتى غضبا منه، فقال بعضهم لشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني «لم لا تتكلم؟» فقال: «ما استفتاني أحد حتى أفتيه». فأشار له الأمير برقوق أن يتكلم، فطال كلامه على عادته، وملخصه «أن أوقاف الجوامع والمساجد والمدارس والخوانك، التي هي على علماء الشريعة وفقهاء الإسلام، وعلى المؤذنين وأئمة الصلوات ونحو ذلك، لا يحل لأحد أن يتعرض بحلها بوجه من الوجوه، فإن للمسلمين حق لم يدفع إليهم، وإلا فانصبوا لنا ديوانا نحاسبه على حقنا، حتى يظهر لكم أن ما نستحقه أكثر مما هو موقوف علينا، وأما ما وقف على عويشة وفطيمة، واشترى من بيت المال بحيلة أن يؤخذ المال صورة ثم يعاد، فإنه يحتاج إلى أن يظهر في ذلك، فإن كان قد أخذ بطريق شرعي، فلا سبيل إلى نقضه، وإن كان غير ذلك نقض». فقال ابن أبي البقاء: «يا أمراء، أنتم أصحاب الشوكة، والأمر لكم». فقال له البلقيني «اسكت ما أنت وهذا؟». فسأل الأمير بركة والأمير برقوق بن أبي البقاء «من أين يشتري السلطان هذا؟» فقال: «الأرض كلها للسلطان». فقال له البدر محمد بن البلقيني - قاضي العسكر - «كيف تقول هذا؟ من أين للسلطان ذلك؟ وإنما هو كآحاد الناس». فقال البلقيني: «يا أمراء أنتم تأمرون القضاة، فإن لم يفعلوا ما ترسموا به عزلتموهم، كما

(١) أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نعي: من أشرف مكة. حسني، يكتني أبا سليمان استقل بإمارة مكة بعد وفاة أبيه سنة ٧٧٧هـ واستمر بها إلى أن توفي وكان كريماً حسن السيرة، رغب كثير من التجار في أيامه بسكنى مكة لعدله. انظر العقود اللؤلؤية ١٨٧/٢ والدرر الكامنة ٢٠٢/١ وخلاصة الكلام ٣٣/٣٤ والأعلام ١٦٨/١.

جرى لشرف الدين بن منصور مع الملك الأشرف، لما لم يفعل له ما أراد، عزله، ثم انفضوا وأخرجوا عدة أوقاف وأقطعوها إقطاعات.

وفيه خلع على شهاب الدين أحمد الدفري المالكي، واستقر مفتى دار العدل.

وفيه أخرج الأمير سودون العلای، والأمير بهادر الأشقتمري، منفين إلى صفد.

وفي ثاني عشرينه: استقر الأمير منكلي بُغا البلدي في نيابة صفد^(١) عوضاً عن أقبغا الجوهري، واستقر الأمير [...] ^(٢) في ولاية منفلو^(٣).

وفي خامس عشرينه: قدم الأمير قرا دمرداش أمير مجلس من الحجاز.

وفيه وجد الأمير الكبير برقوق ورقة فيها «أن غلام الله يريد أن يكبس عليك في صلاة الجمعة بمائتي عبد»، فطلب غلام الله ورسم عليه وسجن بخزانة شمایل، ووقع التحرز بحيث أمر خطيب مدرسة السلطان في يوم الجمعة سابع عشرينه أن يعجل في الخطبة، وقبض على جماعة العبيد وكثر الأرجاف بكبس الجوامع - في يوم الجمعة هذا - وقتل العامة، فنودي بالأمان.

وفيه استقر أوحده الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين - موقع الأمير الكبير برقوق - في نظر خزانة الخاص، بعد موت علاء الدين علي بن عرب، وقدم البريد بأن الأمير تمر باي الدمرداشي - نائب حلب - سار بالعسكر الحلبي وعدة من عسكر دمشق وحماة إلى جهة سيس^(٤) وقد كثر فساد طائفة التركمان الأجقية والأعاجرية، حتى قرب من مدينة إياس^(٥) أتاهم من أمراء التركمان نحو الأربعين بهدية، وسألوا الأمان لأصحابهم، والتزموا بالدرك على العادة، فقبض عليهم وقيدهم، وركب في الحال إلى بيوتهم. بمن معه، فنهب أموالهم، وسبي حريمهم، وقتل رجالهم، وارتكب منهم كل قبيح، وعاد فجمع التركمان جماعتهم، وكنوا للعسكر بمضيق يقال له باب الملك -

(١) صفد: مدينة في جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهي جبال لبنان. (انظر معجم البلدان ٤١٢/٣).

(٢) بياض في الأصل.

(٣) منفلو: بلدة بالصعيد بغربي النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٢١٤/٥، ٢١٥.

(٤) سيس: بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر: معجم البلدان ٢٩٧/٣.

(٥) مدينة إياس: مدينة على الشاطئ الجنوبي الشرقي لآسيا الصغرى وكان الميناء الرئيسي لمملكة ألمانيا الصغرى.

على شط البحر - وأوقعوا بهم، فهلكوا ما بين غريق وقتيل، ولم ينج منهم إلا طريح أو جريح، أو من نجا بخاصة نفسه - وقليل ما هم - وحاز التركمان من المال والآلات والخيول والجمال والأسلحة ما يجمل وصفه من ذلك ثلاثون ألف جمل بأحماها، وثلاثة عشر ألف رأس من الخيل غالبها مسرجة ملجمة إلى غير ذلك، فكان هذا أيضًا من الوهن في الدولة، فإن التراكمين كانوا للدولة بمنزلة السور عليها، ويتحصل منهم في كل سنة عشرات آلاف من الغنم، يؤخذ منهم عن زكاة أغنامهم يقال له «العداد»، وينال أهل حلب منهم منافع لا تحصى، وإذا نهبهم السلطان لحرب بادروا إلى امتثال أمره، وعدوا ذلك طاعة وعبادة، فصيرهم سوء التدبير وكثرة الظلم، أعداء لدولة تقتل رجالها وتنهب أموالها وتستولى على أعمالها، والله عاقبة الأمور.

واتفق أيضًا للحاج في عودهم محن شديدة، من موت الجمال وتزايد الأسعار، فلما نزلوا بالأزم - وفي ظنهم أنهم يجدوا ما جرت به العادة من الشعير والبشماط المحمول إليهم من القاهرة - فلم يجدوا شيئًا من ذلك، وذلك أن العربان تعرضت للإقامات تريد نهبها، فلم تتجاوز مغارة شعيب، فاشتد الأمر على الحاج، وعلفوا جمالهم بما معهم من زادهم الذي هو قوتهم، وانقطع كثير منهم في الطرقات جوعًا وتعبًا، وبلغت الويبة الشعير إلى خمسين درهما فضة، ثم تزايد سعرها حتى بلغت مائة درهم، وغلا عامة ما يباع أيضًا.

وفيها أعيد البرهان إبراهيم الصنهاجي إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن علم الدين القفصى، وأعيد فتح الدين أبو بكر بن عماد الدين أبى إسحاق بن إبراهيم جمال الدين أبى الكرم محمد بن الشهيد إلى كتابة السر بدمشق، عوضا عن بدر الدين محمد ابن مُزهر، وأعيد الجلال محمد بن محمد بن عثمان الزرعى إلى قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن الكمال عمر بن عثمان المعرى، وأعيد شمس الدين محمد بن أحمد بن مُهاجر إلى كتابة السر بحلب، عوضا عن ابن أبى الطيب.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الشيخ أحمد بادار العجمي نزيل القاهرة بالقدس وقد عمى وأناف على السبعين، وكانت له أحوال عجبية، وللناس فيه اعتقاد.

ومات الأمير أطلَمِش الدوادر أحد أمراء الألف، في ربيع الآخر بدمشق، وقد أخرج إليها على إمرة بها.

وتوفى الفقير المعتقد صالح بن نجم بن صالح نزيل منية السرج، فى يوم الأربعاء خامس عشر رمضان، وكان يُقصد للتبرك بزيارته.

وتوفى الشيخ ضياء الدين عبيد الله بن سعد الله العفيفى القزوينى، المعروف بقاضى قرم، شيخ الخانكاه الركنية بيسرس، فى يوم الإثنين ثالث عشرين ذى الحجة، وقد تصدى للتدريس على مذهب الشافعى وأبى حنيفة، وإقراء النحو والأصول وغير ذلك عدة سنين، وانتفع به جماعة كثيرة، مع صدق فى الديانة، وتواضع وبر وخير كثير.

وتوفى الفقير المعتقد عبد الله الجيرتى الزيلعى، فى ليلة الجمعة سادس عشر المحرم، وقبره يزار بالقرافة.

وتوفى جمال الدين عبد الله بن مختار فى تاسع صفر.

وتوفى علاء الدين على بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن هبة الله بن عرب، محتسب القاهرة، فى ثالث عشر ذى الحجة بمكة، بعد قضاء الحج ودفن بالمعلا.

ومات الأمير علاء الدين على بن كلفت، شاد الدواوين، فى جمادى الآخرة وهو عائد من حلب إلى دمشق، وكان عفيفا لا يقبل رشوة أحد.

وتوفى الشيخ أبو عبد الله محمد^(١) بن أبى العباس أحمد بن على بن جابر الهوارى الأندلسى، النحوى الأديب بحلب عن سبعين سنة، وهو علامة وقته فى الأدب والنحو والتصريف، مع كثرة العبادة، وكان هو ورفيقه أبو جعفر كالحالدين، لا يزالان سفرا وحضرا، وله مصنفات، ومن شعره:

وقفت للوداع زينبُ لما رَحَلَ الركبُ والمدامُ تُسَكِّبُ
فالتقتُ بالبَنانِ دَمْعِي وحُلُوْ سَكَّبُ دَمْعِي على أصابع زَيْنَبُ

وتوفى مسند الوقت صلاح الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الشيخ أبى عمر المقدسى، آخر من بقى من أصحاب ابن البخارى، فى شوال بصالحية دمشق، حدث بمسند أحمد وغيره.

(١) محمد بن أحمد بن على بن جابر الأندلسى الهوارى المالكي، أبو عبد الله، شمس الدين: شاعر، عالم بالعربية أعمى: من أهل المرية صحبه إلى الديار المصرية أحمد بن يوسف الغرناطى الرعينى فكان ابن جابر يؤلف وينظم والرعينى يكتب. واشتهر بالأعمى والبصير وله «بديع العميان - ط» (ومقصورة - خ). انظر مفتاح السعادة ١٥٦/١ وبغية الوعاة ١٤ ونفح الطيب ٦٦٨/٢ ثم ٧٦٨/٤ وأعلام النبلاء ٧٧/٥ والدرر الكامنة ٣٣٩/٣ وكشف الظنون والكتبخانه ٦٧٩/٧ والأعلام ٣٢٨/٥.

ومات الأمير شرف الدين موسى بن محمد بن شهرى، نائب سيسى، بعد عوده من القاهرة إليها، وكان فقيها شافعيًا أذن له فى الفتيا، وكتب الخط المنسوب، وله ترجمة.

ومات الأمير شرف الدين موسى بن الأزمكشى، فى سادس عشر من ذى القعدة، بالمحلة من قرى مصر، بعد ما ولى استادارا ومشيرا فى الأيام الأشرفية.

وتوفى الفقيه المعتقد نهار المغربى بالإسكندرية، فى يوم الثلاثاء حادى عشر جمادى الآخرة.

ومات المقرئ حافظ الدين أبو عبد الله محمد بن تاج الدين إبراهيم بن سنبكى بن أيوب بن قراجا، المقرئ بن الجمال يوسف القصيرى الحنفى، أخذ القراءات عن ابن نصحان، وبرع فى القراءات وغيرها، وولى قضاء العسكر بحلب، ثم بدمشق، ثم انقطع بداره حتى مات عن نيف وسبعين سنة.

* * *

سنة إحدى وثمانين وسبعمائة

فى حادى عشر المحرم: قبض على غلام الله مهتار - الطشت خاناه السلطانية - بعدما أفرج عنه، وأعيد إلى خزانة شمائل، وسبب ذلك أن الأمير قُرط - متولى أسوان^(١) - وجد عدة سيوف قد بعث بها من القاهرة، مكتوب عليها غلام الله، وهى مُتوجه بها إلى أولاد الكنز، فأحضرها معه لما قدم.

وفى سابع عشره: سُمر رجلا من أولاد الكنز، وطيف بهما القاهرة ومصر، ثم وسطا، وهذا أيضاً مما أوجب وهن الدولة، فإن قُرط لشدة عسفه وكثرة عتوه أوجب خروج أولاد الكنز على الطاعة، وكثرة فسادهم، حتى خرجت أسوان من أيدي الدولة، ثم خربت.

وفيه قبض على الأمير قُرط وصودر وأخذ منه مال كثير، فإنه كان قد ساءت سيرته وشره فى أخذ أموال الرعية، ثم أفرج عنه.

وفى هذه الأيام كثر تخوف العامة من أن يركب عليهم الأمير بركة، ويذل فيهم السيف ويقتلهم، وأغلَقوا حوانيت معاشهم من أول الليل، ثم أمر والى القاهرة بقبض الزعر والعبيد، فتطلبهم بعدة مواضع، فازداد خوف العامة، حتى نودى على لسان الأمير الكبير برقوق بالأمان، وأن «من سخركم يا عوام اقبضوا عليه، واحضروا به إلى الأمير الكبير» فاطمئنوا، وكان برقوق دائماً يقصد التحجب إلى العامة، ويذب عنهم، حتى أحبوه وتعصبوا له.

وفى رابع عشرينه: قدم محمل الحاج، وقد تأخر عن عادته لما بالحجاج من المشقة. وفيه خلع على الأمير قُرط، واستقر نائب الوجه القبلى، وخلع على ولده حسين بولاية قوص^(٢) فانفرد بالتحكم فى بلاد الصعيد بأسرها من الجيزة إلى بلاد النوبة. وفيه خلع على الأمير بلوط الصرغتمشى، فاستقر نائب الإسكندرية، عوضاً عن بُزْلاَ الناصرى، ونفى بُزْلاَ إلى الشام. وفى سابع عشرينه: أفرج عن غلام الله.

(١) أسوان: مدينة كبيرة وكورة فى آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل فى شرقه انظر معجم البلدان ١٩١/١.

(٢) قوص: هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين القسوطا اثنا عشر يوماً. انظر معجم البلدان ٤١٣/٤.

وفي رابع صفر: عزل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء عن الحكم.

وفي هذا الشهر استقر عز الدين يوسف بن محمود بن محمد الرازى^(١) فى مشيخة الخانكاه الركنية ببيرس، عوضا عن الشيخ ضياء الدين القرمى، وفى درس الحديث بالنصورية، فافتضح بين الناس لجهله بالحديث.

وفي رابع صفر عزل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء عن الحكم وخرج الأمير فخر الدين إياس أمير أخور على البريد لإحضار قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة من القدس.

وفي سابعه: ألزم الطواشى مثقال الجمالى الزمام بإظهار ذخاير الملك الأشرف، فدل على صندوق فى موضع من الدور السلطانية، فوجد فيه مبلغ ثلاثين ألف دينار، ثم أشار إلى موضع آخر، فوجد فيه خمسة عشر ألف دينار وبرنية^(٢)، بها جواهر، منها فص عين الهر، زنته ستة عشر درهما، ثم عوقب فلم يعترف بشئ، ووجدت أوراق عند بعض جوارى الملك الأشرف بخطه، تتضمن أماكن أمواله وتفصيلها فاعتبرت، فإذا تلك الأموال قد أخذت من بعده، ولم يتأخر منها سوى مبلغ ثلاثين ألف دينار، وعلبة بها جواهر، وعلبة بها لؤلؤ عند الأمير طشتمر الدوادر، فأفرج عن الزمام مثقال.

وفي يوم الأربعاء لاني عشرينه: قدم قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة من القدس، فركب الأمير بركة إلى لقائه، وبالغ فى التأدب معه، والتواضع له، وسار به حتى طلع إلى الأمير الكبير برقوق، فأجله، وقام بواجب حقه، وأنزله بصهريج الأمير منجك^(٣) تحت القلعة، فلما أصبح نهار الخميس ثالث عشرينه استدعى به إلى حضرة السلطان بقلعة الجبل، وخلع عليه، واستقر قاضى القضاة على عادته فى الأيام الأشرفية، ونزل وفى خدمته من أمراء الدرك ثلاثة عشر أميراً، منهم دوادار السلطان، وركب معه قضاة القضاة وأعيان الناس، وأشعلت القاهرة لنزوله بالشموع والقناديل، وكان يوما عظيما إلى الغاية فى كثرة جمع الناس لمشاهدته، فأرضى من يومه شيخ

(١) يوسف بن محمود بن محمد الرازى الظهرانى فقيه. كان شيخ خانقاه الشيخونية بالقاهرة وله (كشف الحقائق - ط) فى شرح الكنز. انظر الزيتونة ٢١٠/٤ ودار الكتب ٤٥٧/١ والأزهرية ٢٤٣/٢ وهدية ٥٥٨/٢ والأعلام ٢٥٣/٨.

(٢) البرنية: إناء من خزف. انظر القاموس المحيط.

(٣) جامع منجك تحت قلعة الجبل خارج باب الوزير وكان الأمير منجك اليوسفى أنشأ هذا الجامع فى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة وصنع فيه صهريجاً فصار يعرف بصهريج منجك. انظر المواعظ ٣٢٠/٢.

الإسلام سراج الدين عمر البلقيني وصاحبه من نفره كانت بينهما، ونزل له عن وقف السيفي^(١)، بالقبة المنصورية، عوضا عن تدريس الشافعي، وأركبه بغلة رائعة بقماش فاخر.

وفي هذا الشهر: رفع أهل منوف على متوليهم عدة مرافعات، فطلبه الأمير الكبير برقوق، وبعث بالكشف عليه، فعادوا عليه بشناعات، فضربه بالمقارع، وألزمه أن يقوم للناس بما أخذ من أموالهم.

وفيه ألزم الأمير بركة جميع الأمراء أن يأتوه بالكلاب، وقرر على كل أمير عددا من الكلاب، وألزم أرباب الحوانيت أن يحضر كل صاحب حانوت كلبا، فتبعت الكلاب بالقاهرة ومصر وظواهرها، وقد كانت كثرت إلى الغاية في الأزقة والشوارع، فأخذت من كل موضع وعدى بها النيل إلى بر الجيزة، فكان يباع كل كلب بدرهم، وقيلت في ذلك عدة أشعار.

وفيه فرق الميدان تحت القلعة على الأمراء، وألزموا بعزقه وتنظيفه، فإنه كان قد هجر منذ زالت الدولة الأشرفية حتى توحش، فعادت إليه نضارته.

وفي رابع شهر ربيع الأول: أخذ قاع النيل فكان ستة أذرع وعشرين إصبعا.

وفي سادس عشره: خلع على الأمير محمد بن قرطاي الكركي، واستقر نقيب الجيش، عوضا عن على خان بن قرمان.

وفي ثامن عشره: قدم اليريد بأن أقبغا عبد الله وقُطْلُوْبَغَا جَرَكْس وأَلْطُنْبَغَا شَادِي، وأسنبغا الأجاوي ثاروا في جماعة من المماليك بجلب يريدون قتل نائبها، فلما فطن بهم ركب لحربهم وقتلهم، فانكسروا، وفر أقبغا عبد الله إلى الأمير نُعَيْرُ بن حيار بن مهنا^(٢) فأجاره.

وفيه ركب الأمير أقبغا صبيوان اليريد لإحضار الأمير محمد بن ألبغا المظفرى من دمشق، واستقراره نائب غزة، عوضا عن تغرى برمش، والتوجه بتغرى برمش إلى دمشق واستقراره بها أمير مائة مقدم ألف، وكتب باستقرار زامل بن موسى ومعيقل بن

(١) وقف السيفي منسوب هذا الوقف إلى المنصور سيف الدين أبى بكر بن الملك الناصر قلاوون. انظر المواعظ ٣٨٠/٢.

(٢) حيار بن مهنا عيسى من آل فضل، من طيى أمير بادية الشام، آلت إليه الإمارة بعد موت أخيه قياض سنة ٧٦٢ وكان مواليا لسلطين مصر والشام وتابعا لهم فنقضن طاعتهم سنة ٧٦٥هـ وابتعد في القفر يعيث وينهب. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥، والدرر الكامنة ٨١/٢ والأعلام ٢٨٩/٢.

فضل - ولدى عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غُضَيَّة بن فضل بن ربيعة - فى إمرة العرب، عوضا عن الأمير قار بن مهنا بعد موته.

وفى تاسع عشره: قدم قاصد الأمير ناصر الدين محمد نعيم بن حيار يسأل فى إمرة العرب، وأن ينعم على أقبغا عبد الله بن محمد بنياية بعض الأطراف، فقبض عليه وسجن بالبرج من القلعة.

وفيه سار البريد بإحضار الأمير أَشَقْتُمُر.

وفى هذا الشهر: استقر شمس الدين محمد الركاكى فى تدريس المالكية بخانكاه شَيْخُو بعد موت ابن مرزوق، واستقر جمال الدين محمود المحتسب فى تدريس الحديث بالمدرسة الصَّرْغَتُمُشِيَّة، عوضا عن ابن مرزوق، واستقر شيخنا أبو البركات عوضه فى تدريس القمحية.

وفى أول شهر ربيع الآخر: ركبت سلسلة على فم قنطرة الخور^(١) وعلى قنطرة الفخر^(٢) بموردة الجيش لمنع مراكب المتفرجين من دخول الخليج الناصرى وبركة الرطلى^(٣) من أراضى الطيالة^(٤) بقيام الشيخ محمد صائم الدهر فى ذلك.

وفى ثامن عشره: توجه الأمير سودن باشاه دوا دار الأمير بركة إلى مكة، لعمارة الحرم، وأجرى عين عرفة.

وفى تاسع عشره: كبست بيوت كثيرة بحارة الأسرى خارج مدينة مصر، وأريقّت خمور كثيرة جدا على يد الأمير مأمور حاجب الحجاب.

وفى عشرينه - وهو ثالث عشر مسرى - : فتح الخليج بعد الوفاء على يد الأمير بركة.

وفيه أراق الأمير بركة خمرا كثيرا من بيوت الأقباط.

(١) الخور هو مصب الماء فى البحر وكان خليج فم الخور يخرج من النيل ويصب فى الخليج الناصرى ليقوى جرى الماء فيه. انظر المواعظ ١٤٤/٢ - ١٤٥.

(٢) قنطرة القمز بموردة الجيش هذه القنطرة بجوار موردة البلاط من أراضى بستان الخشاب برأس الميدان. انظر المواعظ ١٤٨/٢.

(٣) بركة الرطلى هذه البركة حملة أرقى الطيالة وقد عرفت ببركة الطوابين من أجل أنه كان يعمل فيها الطوب. انظر المواعظ ١٦٢/٢.

(٤) أرض الطيالة: هذه الأرض على جانب الخليج الغربى بجوار المقس، كانت من أحسن متنزهات القاهرة انظر المواعظ ١٢٥/٢.

وفي سادس عشرينه: ورد الخبر بأن عربان الصعيد كبسوا على الأمير قرط وقتلوا من عسكره سبعين فارسا، فحاربهم وهزمهم.

وفي أول جمادى الأولى: قدم الأمير أشقتمر المارديني من القدس، فركب الأميران بركة وبرقوق إلى لقائه بالريدانية، وترجلا له، فنزل إليهما وسلم عليهما وسار معهما إلى القلعة، فأنزله الأمير برقوق، وقام له بما يليق به.

وفيه خلع على الأمير سودن الشيوخوني، واستقر حاجبا ثالثا.

وفي يوم الخميس رابعه: خلع على الأمير أشقتمر، واستقر في نيابة حلب. وخلع عليه من الغد خلعة السفر، فركب البريد في ليلة الأحد سابعه، وتوجه إلى حلب. وكتب بمجيء تمرباي من حلب^(١) إلى القدس، وإقامته بها.

وفي يوم الإثنين ثامنه: خلع على قاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفى، ورسم له أن يلبس الطرحة في أيام الخدمة السلطانية، كما يلبسها قاضى القضاة الشافعى، وأن يستنيب عنه في أعمال مصر قبليها وبحريها قضاة حنفية وأن يتخذ لأيتام الحنفية مودعا يودع فيه أموالهم، حتى لا يخرج منها زكاة، فشق ذلك على قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وتحدث في إبطال ذلك، فعقد مجلس عند الأمير برقوق الكبير بسبب ذلك في يوم الإثنين خامس عشره، حضره الأمراء والقضاة ومشايخ العلم -إلا البلقينى- فقام الشيخ أكمل الدين شيخ خانكاه شيخو في إبطال ما أراد الجار بإحداثه، قياما بالغا مع الأمير الكبير، ودار بينه وبين الجار في ذلك كلام غير لائق، فتم للأكمل ما أراد، ورسم بمنع الجار مما طلبه، وكان الفقير المعتمد خلف الطوخى قد اجتمع بالأمير الكبير برقوق بالأمس، وكلمه في إبطال ذلك وبالغ معه فيه. حتى قال له: إن لم ترجع وإلا بيننا وبينك سهام الليل، فانفعل الأمير الكبير لكلامه، وخاف عاقبه.

وفي يوم الإثنين ثانى عشرينه: خلع على قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، واستقر على عادته، وألا يخرج شىء عن حكمه وهذه مرة ثانية سعى العجم في إفراود مودع للحنفية وولاية قضاة حنفية بأعمال مصر.

فلم ينجح سعيهم الأولى في ولاية السراج الهندى، عاقه عن إتمامه مرضه حتى مات، وثانيها هذه فكثرت الشناعة بأنهم أرادوا منع الزكاة وقيلت في ذلك أشعار كثيرة.

وفي ثالث عشرينه: كتب باستقرار الأمير حطط في نيابة حماة^(٢) وخلع على قراجا

(١) حلب: بلدة عظيمة قديمة ذات قلعة مرتفعة حصينة. انظر تقويم البلدان ٢٩٩/١.

(٢) حماة: مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينهما وبين شيرز نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة=

العلای أحد مقدمی الحلقة، واستقر فی ولاية الجيزة بإمرة عشرة.

وفی أوائل جمادى الآخرة: فاض الخلیج الناصرى، وأغرق عدة بساتین وأغرق كدوم الریش وما حول تلك الأراضی بحیث صارت لجة ماء.

وفی خامسه: أفرج عن الأمير بیدمر الخوارزمی من سجن الإسكندرية، وتوجه لیقیم بالقدس.

وفی تاسعه: قدم الأمير أقبغا عبد الله طائعا، فخلع علیه. واستقر نائب غزة بعد وفاة محمد بن ألبیغا.

وفیه خلع على محمد بن أیاز الدوادارى، واستقر فی نیابة الوجه القبلى عوضا عن قرط. وخلع على أحمد بن غرلو، واستقر فی ولاية البهنسا^(١) وكل ذلك بحال التزما به. وانتهت زیادة ماء النيل إلى إصبیعین من عشرين ذراعا، ورسم لقاضی القضاة جلال الدین جار الله الحنفی بعزل نائیین من نوابه بالقاهرة، وهما جمال الدین عبد الرحیم ابن الوراق وزین الدین السكندرى أما ابن الوراق فإن امرأة اعترفت عنده بانقضاء عدتها بسقط تخلق، فحكم به، ثم ادعت ثانيا بعد ذلك على مطلقها عنده أنها حامل منه، فقرر علیه فرض الحمل، وهذا غیر مذهبه.

وأما السكندرى فإن رجلا احتمی به خوفا بطش الأمير مأمور الحاجب، كما جرت العادة بأن من خاف جور من يعتدى علیه یركن إلى قاض من القضاة، فیصیر فی حماية الشرع النبوی ما أقام، ولا یجسر أحد على أخذه من ذلك القاضی، احتراماً له وتعظیما لحرمة الدین، فشكى الأمير مأمور ذلك إلى الأمير الكبير برقوق، فرسم بعزله، وطلب الرجل المحتمی بالقاضی، وضربه ضربا مبرحا بالمقارع، هو وولده وشهرهما بالقاهرة، ونودى علیهما: «هذا جزاء من یتجاهى على الحاجب». فكان هذا أيضا من الحوادث التى لم تعهد، واتضع بها جانب القضاة، وانبسطت أیدی الحجاب فی الأحكام بما تهوى أنفسهم، وزین لهم شیطانهم بغير علم ولا دین یزعهم.

وفی شهر رجب: اتفقت حادثة مستغربة، وهى أن بعض من یتكسب بتحمل الشهادة بجلوسه فی حوانیت الشهود من رحبة باب العید^(٢) بالقاهرة، یعرف بالشهاب

= أيام للقوافل، بینها وین حلب أربعة أيام. انظر یاقوت، معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١.

(١) البهنسا: مدينة بمصر من الصعيد الأردنی غربی النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ١/٥١٦، ٥١٧.

(٢) رحبة باب العید هذه الرحبة كانت عظيمة فی الطول والعرض یقف فیها العساكر فارسیها=

أحمد بن الفيشى، من الخفية دخل إلى منزله بالقرب من الجامع الأزهر، فسمع صوتاً من جدار بيته يقول له: «اتق الله، وعاشر زوجتك بالمعروف» فظن أن هذا من الجان، فإنه لم ير شيئاً، وحدث أصحابه بذلك فصاروا معه إلى بيته، فسمعوا الكلام من الجدار، فسألوا عما بدا لهم، فأجابهم المتكلم من غير أن يروا شيئاً، فغلب على ظنهم أن هذا من الجان، وأشاعوه في الناس، فارتجت القاهرة ومصر، وأقبل الناس من كل جهة إلى بيت ابن الفيشى لسماع كلام الحائط، وصاروا يحادثون الحائط بزعمهم ويحادثهم، فكثر بين الناس قولهم: «يا سلام سلم الحائط بيتكلم»، وكاد الناس أن يفتنوا بهذا، وجلبوا إلى ذلك الجدار من الطيب شيئاً كثيراً، وحضرت العذراء من خدرها إليه. فركب محتسب القاهرة جمال الدين محمود العجمي إلى بيت ابن الفيشى هذا، ليختبر ما يقال، ووكل بابن الفيشى أحد أعوانه، فإذا بالبيت مرتفع، وتحت اصطبل فيه بعض الأجناد، فوكل به أيضاً، وطلع إلى عند الحائط، وحدثه فحادثه، فأمر بهدم الحائط، فقال له: «أخرب فإنه ما ينزل على شيء، ولا أبالي» فلما هدم الحائط لم ير شيئاً، فعاد إلى بيته وقد كثر تعجبه، وازدادت فتنة الناس بالحائط وأخذ المحتسب مع أصحابه في ذكر ذلك فبعث من يكشف له الخير: هل انقطع الكلام بعد تخريب الحائط أو لا؟ فوجده قاصده يتكلم كما كان قبل خرابه، فتحير من ذلك، وكان هذا المحتسب شهماً جريئاً، قد مارس الأمور وحلب الدهر أشطره، ولا حظته مع ذلك السعود، فلا يتحرك حركة إلا حمد عليها، ولا باشر جهة وقف إلا عمر خرابه، وأنفق على مستحقه معاليمهم بعد تأخر صرفها لهم. وإذا باشر حسبة القاهرة رخت الأسعار، فإذا عزل ارتفعت، فتقف العامة وتطلب عوده لسعادة جده، ويمن إقباله. ومع ذلك فكان كما قيل «نفس عصام سودت عصاماً» فلما عاد قاصده إليه وأخبره بأن الكلام مستمر، قام من فوره ومعه عدة من أصحابه، حتى جلسوا عند الجدار، وأخذوا في قراءة شيء من القرآن، ثم طلب صاحب البيت، وقال له: «قل لهذا المتكلم: القاضي جمال الدين يسلم عليك». فقال: «يا سيدى الشيخ القاضي يسلم عليك». فقال الجدار: «وعليه السلام ورحمة الله وبركاته». فقال المحتسب: «قل له إلى متى هذا أنساده». فأجابه: «إلى أن يريد الله تعالى» فقال لصاحب البيت: «قل له: هذا الذى تفعله فتنة للناس، وهذا ما هو جيد».

فأجابه: «ما بقى بعد هذا كلام»، وسكت وهم يقولون له «يا سيدى الشيخ» فلم

يكلّمهم بعدها.

وكان فى صوته غلظ يوهّم أنّه ليس بكلام إنس، فلما أيس من مكالمته قام عنه وقد اشتدت فتنة الناس بالحائط، حتى كادوا يتخذوه معبودا لهم، وغلّوا فيه كعادتهم، وزعموا له ما شاءوا من ترهاتهم، وكان ذلك يوم الإثنين ثانى عشره. ثمّ ذلك عاد إلى الحديث مع الناس، فنزل إليه عدة من الأمراء والأعيان، وحملوا إليه المأكلا. وغيرها إلى يوم الإثنين ثالث شعبان، والمحتسب يدبر فى كشف هذه الحيلة.

ودس إلى الفيشى من استدرجه حتى اعترف بأنّها حيلة، فركب المحتسب فى يومه، ومعه جماعة إلى بيت الفيشى، وقبض عليه وعلى امرأته وعلى فقير عندهم للناس فيه اعتقاد، يعرف بالركن عمر، وعاد بهم إلى داره، وما زال والمرأة إلى أن أعلمته أنّها هى التى كانت تتكلم، وسبب ذلك أن ابن الفيشى زوجها كان يسىء عشرتها، فاحتالت عليه بهذه الحيلة، توهمه بأن الجان توصيه بها، فتمت حيلتها عليه وانفعل لها، فأعلمته بما كان منها، فرأى أن تستمر على ذلك لينالا به جaha ومالا، فوافقته على ذلك حتى كان ما كان.

فركب وأعلم الأمير الكبير بقول المرأة وأخذها وزوجها والشيخ عمر معه، فضرب الأمير الكبير الرجلين بالمقارع، وضرب المرأة بالعصى نحوًا من ستمائة ضربة، وأمر بهم فسمروا ثلاثتهم على جمال، وشهروا بالقاهرة ومصر فى يوم الإثنين هذا، فكان يوما شنيعا عظم فيه بكاء الناس على المرأة، فإنّها أركبت على الجمل، ومدت يداها، وسمرتا فى الخشب، وهى يزارها ونقابها، ولم يعهد قط امرأة سمرت.

واتفق نزول المحسب بخلعة خلعت عليه، فكثرت دعاء العامة امتعاضا عليها- أى على المرأة.

وكان قبل ذلك قد طلع ابن الفيشى هذا إلى الأمير الكبير وعلى رأسه طيلسان^(١) صوف، وقدم له شيئا من كعك، قال له: «الشيخ محمد شيخ الحائط أرسل لك هذا»، وأخذ بيده يد الأمير وقبض عليها وهزها وقال له: «اتق الله وأعدل فى الرعية».

فانفعل بكلامه، ومشى ذلك عليه، ثم طلع إليه بعده الشيخ عمر الركن، وكان مشهورا، قد انقطع بسطح جامع عمرو بن العاص من مصرا نحو من ثلاثين سنة، والناس تتردد إليه ما بين أمير ورئيس وغير ذلك، ويلتمسون بركة دعائه، إلى أن اشتهر

(١) طيلسان: ضرب من الأوشحة. انظر المعجم الوجيز ٣٣٩.

كلام الحائط فأتى إلى ابن الفيشى ولزمه ، وجمع عليه الناس، فلما رآه الأمير الكبير أكرمه، وأخذ هو فى خزعبلاته، وانصرف،

فلما طلع بهما إليه المحتسب اشتد غضبه عليهما، لما تبين له من محرفتهما، وانكشفا عن حيلة شنيعة أوقع بهما ما أوقع.

ومما اتفق فى هذه الحادثة أن امرأة ابن الفيشى هذه رأت فى منامها قبل هذه الحادثة بأيام أنها تخطب على منبر، فعبره لها بعض من عاصرنه من حذاق المعبرين بأنه يحصل لها شهرة قبيحة، فإن المرأة ليس من شأنها ركوب المنابر، وتعاطى الخطب، فكان كذلك، وركبت الجمل يوما كاملا، وهى مسمرة كأنها تعظ الناس بلسان حالها، نعوذ بالله من سوء القضاء.

وفى سادس عشرينه: استقر الأمير كرجى فى ولاية الشرقية، عوضا عن على القرمى، وأخرج من السجن حتى خلع عليه بمال التزم به.

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه: ركب الأمير الكبير برقوق من الحراقة، حيث سكنه من الاصطبل، ومضى نحو مطعم الطيور الجوارح بالريدانية خارج القاهرة.

وكان الأمير إينال اليوسفى - أمير سلاح - قد انقطع بداره على أنه مريض، ونزل الأمير الكبير حتى عاده، فركب معه الأمير سودن جركس المنجكى والأمير صصلان الجمالى، والأمير سودن النوروزى، والأمير جمق الناصرى فى عدة من الممالك، وقصد إلى الإصطبل، فطلع إلى الحراقة، وملك بيت الأمير الكبير برقوق وقبض على الأمير جركس الخليجى، فمال أصحابه على ما هناك من العدد والآلات والأموال ينهبوها، وبعث إينال بقمارى الخازندار فى طلب السلطان لينزل إلى الإصطبل، فلم يوافقه على ذلك، فألبس من بالاصطبل من ممالك برقوق السلاح، ووعدهم بأموال حمة ينفقها فيهم، وأمر بالكوسات فدقت حربيا بالطلبخاناه من القلعة. وطار الخير إلى الأمير برقوق، فأيس من الحياة، وكاد ينهزم، إلا أن الأمير أيتمش البجاسى شجعه وعاد به إلى بيته تحت القلعة، وأنزله فيه، وجمع عليه ممالكه وألبسهم آلة الحرب. وركب به فى عدة وافرة، وخرج معه من باب الوزير يريد القلعة، فلم يشعر إينال حتى وافاه وقد تفرق عنه أصحابه فى نهب ما وجدوه، وغصت الرميطة تحت القلعة بالعامه، فهموا برجمه، ظنا منهم أن أيتمش قد خامر مع إينال، عصبية منه للأمير برقوق.

فصاح بهم أيتمش «يا جماعة، هذا أخوكم برقوق معنا» وأشار إليه وقد تلثم، فقالوا: «حتى نرى وجهه» فأماط لثامه، وقال لهم: «يا إخوتى، هذا وقت المروءة

والعصية». وكان كثير الدهاء والمكر، فثاروا ثورة واحدة وصرخوا جميعا: «امش قدامنا». فسار وهم حوله كالجراد المنتشر، حتى وقف على باب سر الاصطبل أضرموا فيه النار وأحرقوه وتسلق الأمير قرط الكاشف وقد لحق برقوق ونزل إلى الاصطبل، حتى فتح الباب، فدخلوا منه جميعا، وقاتلوا أصحاب إينال، فمال معهم من كان من أصحاب برقوق هناك، فاشتد القتال وجرح الأمير إينال فى عنقه بسهم رمى به، فانهزم إلى بيته، فبعث الأمير برقوق من قبض عليه، وحمله إليه وسجنه. وهذا والأمير بركة غائب فى الصعيد، وتتبع الأمير برقوق أصحاب إينال، فقبض عليهم، ونودى فى القاهرة على ممالك إينال فقبض منهم على عدة.

وحمل الأمير إينال مقيدا إلى الإسكندرية، هو وسودن جركس، وسجنا بها، وفر برهان الدين إبراهيم بن اللبان فى هذه الواقعة إلى بلاد التكرور^(١) وذلك أنه كان قد قبض عليه بسبب مال الأمير قرطاي ثم أفرج عنه. فلما ملك إينال الاصطبل، صعد إليه، وأسمع الأمير جركس ما يكره، فخاف على نفسه، وضاق به أرض مصر.

وفى ثامن عشرينه: قدم الأمير بركة من سرحة البحيرة^(٢) فخرج الأمير الكبير برقوق وتلقاه، فنزلا جميعا عن فرسيهما وتعانقا فرحا بالسلامة، وعادا، فأمر بزيئة القاهرة ومصر، فزيئا.

وفيه قبض على الأمير جمق - أحد العشرات - وعلى الأمير أزيك، وسجنا، وأخرج الأمير قطلوبغا الكوكاي منقيا إلى الشام.

وفى ثانى شهر رمضان: أنعم على كل من يذكر بإمرة طبلخاناه، وهم الأمير قرط ابن عمر التركمانى، وشاهين الصرغتمشى، ومجلس النوروزى، وطوجى العلالى، وقردم الحسنى، وأنعم على كل من يذكر بإمرة عشرة، وهم: أقبغا الناصرى - رأس نوبة الأمير برقوق - وكمشبنغا، وبكبلات الصالحى، وطوجى.

وكتب باستقرار الأمير منكلى البلدى فى نيابة طرابلس^(٣) عوضا عن يلغا الناصرى، ورسم بإحضار الناصرى إلى قلعة الجبل.

وفى يوم السبت سابعه: شهر رجلان بعدما ضربا، وأركبا جملا، وظهر أحدهما

(١) أطلق اسم بلاد التكرور على السودان الغربى. انظر معجم البلدان. ١١٨/٢

(٢) البحيرة: كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع.

انظر معجم البلدان ٣٥١/٢.

(٣) طرابلس: انظر معجم البلدان ٢٦، ٢٥/٤.

إلى ظهر الآخر، ونودى عليهما بالقاهرة ومصر: «هذا جزاء من يتحدث فيما لا يعنيه». وكان سبب ذلك أن أحدهما يعرف بالكمال ابن بنت الخروبي، من أهل مصر، معروف بقلّة العقل والفقر من المال، تحدث مع الأمير خضر رأس نوبة الأمير بركة أن يستقر في الوزارة، وعين رجلا من آحاد معلمى المماليك القراءة لنظر الدولة، وعين رجلا من آحاد الجند يقال له كراى بن خاص ترك لشد الدواوين، وعين آخر لنظر الجهات، وآخر من أطراف العامة لتقدمة الدولة، ووعد على ذلك بمال عظيم، وضمن تكفية الدولة ستة أشهر، فأتقن خضر الأمر مع أستاذه الأمير بركة، حتى لم يبق إلا وقوع ذلك فى الخارج، وجهاز له تشريف الوزارة، ففطن به الوزير وجماعة الخرابرة التجار، وقد بلغهم عنه أنه عينهم فيمن عين لأخذ أموالهم، وعرفوا أهل الدولة بحاله، فقبض عليه الأمير الكبير برقوق، وضربه وجرسه هو ورفيقه، وفر بقية أصحابه.

وفى عاشره: قدم الأمير يلبغا الناصرى، وأنعم عليه بإقطاع الأمير إينال، واستقر أمير سلاح.

وفى تاسع عشرينه: خلع على محمد بن طاجار، واستقر فى ولاية الغربية، عوضاً عن أيدير السيفى، وخلع على خان، واستقر فى ولاية قوص.

وفى سابع شوال: خلع على محمد بن الجلبى، واستقر فى ولاية منفلوط عوضاً عن بيرم، كل ذلك بمال التزموا بالقيام به من مظالم العباد.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشره: قبض على رجل ادعى النبوة، وأنه النبى الأمى، وأنه مصدق بنبوة نبينا ﷺ.

وزعم أن حروف القرآن تنطق له مع أنه أمى، وأن الذى يأتيه بالوحى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك ودرديائيل، وزعم أنه عربى من مصر وأنه أرسل بقتل الكفرة، وأن الترك يحكموه ويملكوه عليهم، وأنه أنزل عليه القرآن فسجن عند المجانين بالمارستان، ثم أخرجه الأمير بركة وسأله عن نبوته، فأخبره، فأمر به فضرب حتى رجع عن قوله، ثم أفرج عنه بعد أيام، وكنت أراه زمانا طويلا، وله سمت وينمسة^(١).

وحدثنى عنه بعض الثقات أنه كان يتلو عليه من قرآنه لنفسه به، ثم فقدناه.

وفى ثانى عشرينه: عوقبت دادة السلطان حتى أظهرت قبح السلطان الذى عمله له

(١) والينمسة: المكر والخداع والتليس. انظر لسان العرب.

أبوه الملك الأشرف عند ختانه، وطراز ذهب، وطشت من ذهب، وهذه الثلاثة مرصعة بجواهر نفيسة، وأظهرت أيضًا تركة أم السلطان الملك المنصور على.

وفيه خرج الأمير تمرغا الحاجب على البريد، بتقليد الأمير نُعَيْر بن حيار بن مهنا إمرة العرب، عوضا عن زامل ومُعَيْقِل.

وفيه أخرج أسنْبَغًا القوصوني، من أمراء العشرات، منفيا.

وفيه أراد الأمير بركة أخذ مال أولاد ابن سلام التاجر، وأولاد ابن الأنصارى، وكان شيئا كثيرا، فركب إليه قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وما زال به حتى رجع عن ذلك.

وفى أول ذى القعدة: رسم بإحضار الأمير بزلار، الذى كان متولى الإسكندرية.

وفيه قام المحتسب جمال الدين العجمى على الشيخ زين الدين عمر بن مسلم بن سعيد بن عمر القرشى، وكان قد قدم من دمشق وعمل ميعادا للوعظ بالجامع الأزهرى، وظهر عن حفظ جم للأحاديث النبوية، وتفسير القرآن العزيز، من أجل أنه اتهم بأن لازم ما يورده من الأحاديث أنه يثبت الصفات الإلهية، وأقام شخصا ادعى عليه بشيء من هذا، ورسم عليه وعلى ولده عدة أيام، فقام قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة فى نصرته، وكف يد المحتسب عنه، ومنعه من التعرض له.

وفى عشرينه: قدم الأمير بزلار.

وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه: طلب الأمير بركة الوزراء المعزولين، وهم: كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، وكريم الدين شاکر بن غنام، وكريم عبد الكريم بن مكانس وقد ظهر من اختفائه.

وأمر بابن الرويهب فنزعت عنه ثيابه ليضربه، ثم أعاد ثيابه عليه ولم يضربه، وأخرجه منفيا إلى طرسوس، وجرد ابن مكانس من ثيابه، وضربه عريانا بالمقارع نحو العشرين شيئا، وألزم ابن غنام بمال، فكتب خطه أن كل ما يملكه فهو للسلطان، وكان للأمير أيتمش الجاسى به عناية، فلم يأخذ منه شيء، وأخرج إلى القدس منفيا. ثم أفرج عن ابن مكانس بشفاعة الأمير يلبغا الناصرى فيه. واتهم الوزير المالكى بأنه الحامل للأمير بركة على هذا. وقدم البريد بتجمع التراكمين لقصد أخذ ملطية^(١) فركب الأمير طاش البريد لكشف الخير.

وفى يوم السبت ثانى ذى الحجة: خلع على محمد بن سليمان - من مقدمى الحلقة -

(١) ملطية: بلدة من بلاد الروم المشهورة، مذكورة تناخم الشام وهى للمسلمين. انظر، معجم البلدان ١٩٢/٥.

واستقر في ولاية الأشمونين^(١) وعلى أسنبغا المنجكي، واستقر في ولاية الفيوم، عوضا عن الركن. وسلم الركن للمقدم سيف، ليستخلص منه المال.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشرة: خلع على بهاء الدين باد الكردي - أحد الطبردارية - واستقر في ولاية القاهرة، عوضا عن الأمير حسام الدين حسين على بن الكوراني، وسلم حسين لشاد الدواوين على مال، فباع ثيابه، ثم أفرج عنه في خامس عشرة.

وفي يوم السبت سادس عشرة: استعفى الأمير أيتمش البجاسي من نظر خانكاه سرياقوس^(٢)، فأعفى، وخلع على الأمير مأمور الحاجب، واستقر عوضه في نظرها.

وفي عشرينه: خلع على معين الدين محمد بن عبد الله بن أبي بكر الدماميني السكندري، واستقر في نظر الأسواق، عوضا عن علم الدين بن غنام.

وفي ثالث عشرينه: خلع على بيرم، واستقر في ولاية الغربية، عوضا عن محمد بن طاجار، وخلع على الأمير قادوس، واستقر في ولاية الأشمونين عوضا عن محمد بن العادلي، وخلع على ابن العادلي، واستقر في ولاية منوف^(٣) عوضا عن أبي بكر بن خطاب كل ذلك بمال يقومون به، إذا صاروا إلى الأعمال، فكانوا يجبون الناس من أهل النواحي أولا، ويسمون ذلك القدوم، فيفرض الوالي على كل بلد قدرًا من المال، ثم إذا جبي ذلك، أخذ في تحصيل المال من المظالم، وبينما هو في ذلك إذ استقر غيره في عمله بمال التزم به، فيقبض عليه، ويحاط بماله من خيل وخام وثياب وآلات وغير ذلك مما قد استدانه بأضعاف ثمنه، ويُعاقب على بقية ما تأخر عليه. فعندما يجد، وهو في العقوبة، سبيلا إلى عوده إلى عمله أو عمل آخر، وعد بمال واستمر فيه، وسلط على الناس بسفك دمائهم، وبضرب أبشارهم^(٤) وبأخذ ما لهم، فأخذ إقليم مصر في الاختلال بهذا السبب.

وفي هذا الشهر: جرت عين الأزرق المستمدة من عين ثُقبَة وعين ابن رَحَم من عرفة إلى البركتين خارج باب المعلاة^(٥) بمكة المشرفة. واستجدت ميضأة عند باب بني شيبه، وربع وحوانيت، وأصلحت زمزم وحجر إسماعيل والميزاب، وسطح الكعبة. كل ذلك على يد الأمير باشاه، دوا دار الأمير بركة.

وفيه حضر إلى القاهرة طائفة ما بين رجال ونساء، ذكروا أنهم ارتدوا عن الإسلام،

(١) الأشمونين: قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان

٢٠٠/١.

(٢) سرياقوس: بليدة في نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٣) من قرى مصر القديمة، لها ذكر في فتوح مصر. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

(٤) أبشارهم جمع بشر وهو ظاهر جلد الإنسان انظر القاموس المحيط.

(٥) المعلاة بالفتح ثم السكون موضع بين مكة وبدر. انظر معجم البلدان ١٨٨/٥.

وقد كانوا قبل ذلك على النصرانية، يريدون بارتدادهم التقرب إلى المسيح بسفك دمائهم، فعرض عليهم الإسلام مرارا فلم يقبلوا، وقالوا: «إنما جئنا لتنطهر وتنقرب بنفوسنا إلى السيد المسيح» فقدم الرجال تحت شباك المدرسة الصالحية بين القصرين، وضربت أعناقهم، وعرض الإسلام على النساء، فأبين أن يسلمن، فأخذهن القاضى المالكي إلى تحت القلعة، وضرب أعناقهن، فشنع الفقهاء على القاضى المالكي ضرب أعناق النساء، وأنكروا عليه ذلك.

وفيه قدم أيضا بعض رهبان النصارى وقدم في الإسلام، وأصر على قبيحه، فضربت عنقه، وكان هناك ثلاث نسوة، فرفعن أصواتهن بقلقة ألسنتهن، كما تفعل النساء عند فرحهن، واستبشارا بقتل الراهب، وأظهرن شغفا به، وهياما لما جرى له، وصنعن كصنيعه، من القدح في الإسلام، وأردن تطهيرهن بالسيف أيضا. ثم ضربت رقبة رفيق الراهب في يوم الجمعة ثانی عشرينه تحت شباك الصالحية، وضربت رقاب النسوة الثلاث من الغد، يوم السبت ثالث عشرينه تحت القلعة بيد الأمير سودن الشيوخوني الحاجب، وأحرقت جثثهن بحكم أنهن ارتددن عن الإسلام، وأظهرن أنهن فعلن هذا لعشقهن في الراهب المذكور. وكان يعرف بأبى نفيفة. ولم نسمع فى أخبار العشاق خيرا أغرب من هذا، ثم جاء بعد ذلك رجل من الأجناد على فرس، وقال للقاضى: «طهرنى بالسيف، فإنى مرتد عن الإسلام» ف ضرب وسجن.

وفيه عزم الأمير بركة على السفر لمحاربة التركمان، وقد عاد للكشف عن أخبارهم بخروجهم عن الطاعة، ثم اقتضى رأى أن يتولى محاربتهم الأمير يئذمر الخوارزمى، فرسم بإحضاره، وخرج الأميران برقوق وبركة وسائر الأمراء إلى لقائه، وترجلوا له جميعا حتى الأميران، وأتوا به إلى منزل أعد له، وحملت له تقادم كثيرة جدا، وخلع عليه، واستقر فى نيابة الشام على إعادته عوضا عن كمشيفا الحموى، واستقر الأمير طشتمر السيفى فى نيابة حماة (١) بعد وفاة الأمير حطط.

وفيه قتل محمد بن مكى داعية الرافضة تحت قلعة دمشق.

وفيه قطع الوزير الملكى معالم الناس ومرتباتهم على الدولة، ومنع مباشرى الجهات من المباشرة، ظنا منه أنه تمشى أحواله بما وفره من ذلك، فبلغ الأمير الكبير برقوق ما عمله، فسأله عن مقدار ما وفره، فأخبره بمبلغه، فأخرج عن الوزارة بلادا يتحصل منها

(١) حماة: مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيرز نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١.

بقدر ما وفره، فعاد ذلك عليه بضرر كبير، فإن الوزراء كانوا يوفرون من ذلك معلوم من استضعفوا جانبه، ليتوسعوا به، ففات الملكي ذلك، وباء بقبح القالة، ومقت الناس له.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

برهان الدين إبراهيم ^(١) بن شرف الدين أبي محمد عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم بن شادى بن هلال الطائى الطريفى، الشهير بالقيراطى، الأديب الشافعى، بمكة فى ليلة الجمعة العشرين من شهر ربيع الآخر، ومولده يوم الأحد حادى عشرين صفر سنة ست وعشرين وسبعمائة.

وتوفى الشيخ شرف الدين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادى المالكى، بعدما عمى، فى يوم الأربعاء سادس عشرين شعبان بالقاهرة، ومولده ببغداد فى سنة سبع وتسعين وستمائة. ودرس بالمستنصرية، ثم قدم الشام، وولى قضاء المالكية بدمشق، بعد الجمال المسلاتى، سنة تسع وخمسين، ثم صرف فى سنة ستين، وسكن القاهرة، وولى نظر خزانة الخاص، ثم صرف عنها بابن عرب، فلزم بيته حتى مات.

ومات الأمير حَطَطَ اليلغاوى نائب حماة فى جمادى الآخرة.

ومات الأمير حاجى بك، من أمراء الطبلخاناه.

وتوفى الشيخ المعتقد حسن الصبان المغربى، فى ثانى عشرين ربيع الأول بعدما أقعد. وتوفى الفقير المعتقد صالح الجزيرى فى رابع عشر ربيع الأول، ودفن بزاويته من جزيرة أروى، المعروفة بالجزيرة الوسطى.

وتوفى شيخ القراء تقى الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن على، المعروف بابن البغدادى ^(٢)، الواسطى الأصل، بالقاهرة، فى يوم الخميس تاسع صفر. ومولده سنة ثلاث وسبع مائة.

(١) برهان الدين إبراهيم بن شرف الدين أبي محمد عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم ابن شادى بن هلال الطائى الشهير بالقيراطى شاعر من أعيان القاهرة، اشتغل بالفقه والأدب، وحاور بمكة فتوفى فيها، وله ديوان شعر، وسماه مطلع النيرين- ط ومجموع أدب اسمه الوشاح المفصل- ط. انظر الدرر الكامنة ٣١/١ وشذرات الذهب ٢٦٩/٦ والأعلام ٤٩/١.

(٢) تقى الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن على (ابن البغدادى) (٧٠٢-٧٨١هـ= ١٣٠٢-١٣٧٩م). عبد الرحمن بن أحمد بن على بن على بن المبارك، أبو محمد، ابن البغدادى: مفسر فى الديار المصرية. من كتبه اختصار البحر المحيط لأبى حيان فى التفسير، و«شرح الشاطبية». انظر غاية النهاية ٣٦٤/١ والدرر الكامنة ٣٢٣/٢ والأعلام ٢٩٥/٣.

ومات الأمير قارا بن مهنا^(١) بن عيسى بن مهنا بن مائع بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة، أمير آل فضل.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن ألبغا العادل نائب غزة وقد استعفى، ورجع إلى دمشق في سلخ جمادى الآخرة، وهو في عشر الخمسين بشقحب، فدفن بدمشق.

وتوفى الفقيه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن محمد بن مرزوق العجيسى التلمساني المغربي المالكي، وزير المغرب، ومدرس الفقه بالمدرسة الخانكاه الشيخونية، ومدرس المدرسة القمحية، في يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الأول بالقاهرة.

وتوفى بهاء الدين بن يوسف بن عبد الله بن قريش، شاهد ديوان أولاد الناصر حسن، في ثاني عشرين جمادى الآخرة.

ومات شيخنا ناصر الدين محمد بن يوسف بن علي الحراوى الكردي الطيردار، في ثامن عشر ربيع الأول.

ومات الأمير مامق، أحد أمراء الطبلخانا، في يوم الخميس ثالث شعبان، ودفن بترية أنشأها له الأمير الكبير برقوق تحت دار الضيافة.

ومات الطواشى افتخار الدين ياقوت الرسولى، شيخ خدام الحجرة النبوية، في ليلة سابع عشرين شهر رمضان، وكان خيرا صالحا.

ومات الأمير ساطلمش الجلالى بدمشق في ذى القعدة، وهو من أبناء السبعين.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن مُزهر، أحد موقعى دمشق، وأخو بدر الدين كاتب السر بها في شوال عن نحو أربعين سنة.

* * *

(١) قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مائع بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة، أمير آل فضل في بادية الشام والعراق. آلت إليه زعامتهم، ومات بأرض «السر» من عمل حلب وكان حسن السيرة. انظر الدرر الكامنة ٢٣٦/٣ والأعلام ١٧١/٥.

سنة اثنتين وشانين وسبعمائة

فى يوم الإثنين ثانى المحرم: خلع على الركن متولى الفيوم^(١) واستقر فى نيابة الوجه القبلى، عوضا عن محمد بن إياز الدوادارى، بمال كبير التزم به. وخلع على الأمير بَيْدْمُر نائب الشام خلعة السفر، وسار إلى دمشق ومعه الأمير خضر متسفرا على العادة، وقدم البريد من حلب بكثرة جمائع التركمان، واتفاقهم على قصد البلاد الحلبية.

وفى تاسعه: أعاد الأمير بركة الأمير أقبغا صيوان إلى استاداريتته، وعزل عنها الأمير صلاح الدين خليل بن عرام.

وفى عاشره: خلع على السيد الشريف على، وأعيد إلى نقابة الأشراف، بعد وفاة الشريف عاصم.

وفيه حمل جهاز خوند ابنة الأمير طَشْتَمُر إلى الأمير الكبير برقوق، فبنى عليها ليلة الجمعة حادى عشر.

وفى تاسع عشره: خلع على محمد بن طاجار، واستقر فى ولاية البهنسى، عوضا عن أحمد بن غرلوا.

وفى رابع عشرينه: ضرب الأمير بركة الوزير المالكى نحو السبعين ضربة بالعصى، ثم خلع عليه من الغد، ونودى بأن أحدا لا يتجأه عليه.

وفى عشرينه: خلع على أبى بكر بن خطاب، واستقر فى ولاية منوف^(٢).

وفى آخره: قدم البريد من حلب، بأن رجلا قام يصلى بقوم، فتعرض له شخص يعيث به، فتمادى فى صلاته ولم يقطعها حتى سلم منها فى آخرها، فتحول وجه الشخص الذى عبث به وجه خنزير، ومر على وجهه هاربا إلى غابة بالقرب من ذلك المسجد، فعبرها.

وفى يوم الإثنين ثامن صفر: قدم الأمير خضر - متسفر الأمير بَيْدْمُر نائب الشام - وعرض ما أنعم به عليه، وهو مبلغ مائتين ألف درهم فضة عنها خمسة عشر ألف مثقال

(١) الفيوم: بمصر، وهى ولاية غربية بينها وبين القسطنطين أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهى فى منخفض الأرض كالدارة انظر ياقوت، معجم البلدان ٤/٢٨٦.

(٢) منوف: من قرى مصر القديمة، لها ذكر فى فتوح مصر. انظر معجم البلدان ٥/٢١٦.

من الذهب، وعشرة أروس من الخيل بسروج ذهب وكنائش ذهب وسلاسل ذهب، وعشرة أروس خيل بقماش دون ذلك، وثمانون أكديش عريا، ومائة ناقة، ومائة وخمسون جملا، وعشرون مملوكا، وعشرون جارية، وخمسون بقجة فيها ثياب الصوف وأنواع الفرو من السمرور والقاقم والسنجاب، والقوط والثياب القطنية، من النصافي^(١) والبعلبيكي، وغير ذلك.

وفي عاشره: شهرت امرأة على رأسها طرطور أحمر، ونودى عليها: «هذا جزاء من تنزوج برجلين فى وقت واحد».

وفي سابع عشره: بعث الأمير بركة إلى الأمير برقوق بأن الأمير أَيْتَمَش قد ألبس مماليكه حريبا، فكشف عن ذلك فلم يظهر له صحة، وطلع أَيْتَمَش إليه وأقام عنده خوفا من الفتنة، فترددت الرسل بينهم فى الصلح مرارا، حتى ركب بينهما الشيخ أكمل الدين، والشيخ أمين الدين الخلوى، وقررا الصلح، ونزلا بالأمير أَيْتَمَش إليه، فخلع عليه الأمير بركة.

وفيه اتفق شىء يُستغرب، وهو أن رجلا من الفرنج خاصم شخصا على مال ادعى به عليه بين يدى الأمير بركة، فلم يثبت له عليه شىء، فغضب، وأخرج سكيناً، وضرب بها بلبان الترجمان، فقتله فى موقف الدعوى بين يدى الأمير بركة، بحضرة الملائكة العظيم من الناس، ولم يخش عاقبة، فأمسك وسمر على لطليطة، فدور على الجمل، ثم قطعت يده ورجلاه، وأحرق خارج القاهرة.

وفى ليلة الجمعة تاسع عشره: لبس الأمير بركة السلاح، هو ومماليكه، ولبس الأمراء أيضا، وباتوا فى اصطبلاتهم على احتراز، فلما أصبح نهار يوم الجمعة، طلب الأمير الكبير برقوق القضاة ومشايخ العلم، وندبهم للدخول بينه وبين الأمير بركة فى الصلح، مكيدة منه ودهاء، فما زالوا يترددون بينهما عدة مرار، حتى وقع الصلح على دخن^(٢) وحلف كل منهم لصاحبه، ونزعوا عنهم السلاح، فبعث الأمير برقوق بالأمير أَيْتَمَش إلى الأمير بركة، فنزل إليه وفى عنقه منديل، ليفعل ما يريد من قتل أو حبس أو غير ذلك، وخضع له خضوعا زائدا، فلم يجد بركة بدا من الإغضاء عنه وقبول معذرتة، وخلع عليه، وأعادته إلى الأمير برقوق، والقلوب ممتلئة حنقا، ونودى فى القاهرة بالأمان، وفتح الأسواق، فسكن انزعاج الناس.

(١) النصافي: نصفه وجمعها نصافي، قماش من الحرير أو الكتان.

(٢) دخن: جاء فى القاموس المحيط أن الدخن محرقة الحقد، وهدة على دخن محرقة أى سكون

وفي يوم الإثنين ثاني عشرينه: خلع على قضاة القضاة الثلاث: برهان الدين إبراهيم ابن جماعة الشافعى، وجلال الدين جار الله الحنفى، وناصر الدين نصر الله الخنبلى، وخلع على الشيخ أكمل الدين محمد الحنفى شيخ الشيوخونية؛ لكونهم سعوا فى الصلح بين الأميرين والتزم الأمير بركة بأنه لا يتحدث فى شىء من أمور الدولة. وأن يستقر الأمير الكبير برقوق متحدثا فى جميع الأمور بمفرده، وانفضوا من الخدمة السلطانية بالقصر على هذا، فشق على علم الدين سليمان البساطى المالكى حرمانه من لبس الخلعة، وكثرت الإشاعة بعزله، وكانت شائعة، فوعدهم بمال على استقراره، حتى استقر، وخلع عليه فى يوم الخميس ثالث ربيع الأول.

وفيه أنعم على الأمير بُزْلاَر الناصرى بإمرة طبلخاناه، وعلى الأمير محمد بن قرطاي الكركى بإمرة عشرة.

وفي يوم السبت خامسه: ولد للأمير الكبير برقوق ولد ذكر من جاريته أَرْدُو، فسماه، محمداً، وأخذ فى عمل مهم عظيم لولادته. هذا، وهو والأمير بركة كل منهما يدبر فى العمل على الآخر. وسبب ذلك أنه لما كانت فتنة الأمير إينال مع الأمير برقوق وقبض عليه، عتبه على ما كان منه، فاعتذر بأن الأمير أيتمش اتفق معه، هو وعدة من الأمراء، على ذلك، فجمع بينه وبين أيتمش لثقة الأمير برقوق به، فظهر أن الاتفاق إنما كان بينهما على أن يأخذا الأمير بركة وحواشيه، فبلغ ذلك بركة فأسرهما فى نفسه، وأراد غير مرة القبض على أيتمش، وبرقوق يدافعه عنه، فتوحش ما بينهما إلى الغاية، إلى أن عزم أيتمش على القيام بالحرب، ففطن به بركة واستعد له، فكاده برقوق بما كان من خير الصلح الذى تقدم ذكره، هذا مع ما كان بين الأميرين بركة وبرقوق من التحاسد الذى لا بد منه غالبا بين الشريكين، فإنهما قاما بتدبير أمور الدولة. ومن طبع كل أحد من الملوك الانفراد بالمجد ومحبة الاستئثار بالملك.

فلما كان يوم الإثنين سابعه: ركب الأميران بركة وبرقوق فى عامة الأمراء، وسيرا إلى جهة قبة النصر خارج القاهرة، وعاد كل منهما إلى منزله، فمد الأمير برقوق سباط المهم لولادة ولده محمد، وطلع إليه الأمير صراى الطويل الرجبى - من إخوة بركة - وأسر إليه فيما قيل بأن الأمير بركة قد اتفق مع جماعته على اغتيالك فى وقت صلاة الجمعة ثم طلع الأمير أيتمش وغيره من الأمراء لحضور السباط، وتأخر الأمير بركة عن الحضور، وبعث من إخوته الأمير قرادمرد داش الأحمدى، أمير مجلس، والأمير طبعج المحمدي، والأمير أفتمر الدوادار، فهنوا الأمير الكبير بتجدد ولده محمد. وجلسوا على

السماط وأكلوا حاجتهم منه. فلما انقضى السمات، أشار الأمير برقوق إلى الأمير جركس الخليلي، والأمير يونس النوروزي دواذره، فقبضا على صراى الطويل وقرادمرdash وطبج وأقتم العثماني الدواذار، وألبس ممالكه في الحال آلة الحرب، وبادر بإرسال الأمير بزلار الناصري إلى مدرسة السلطان الملك الناصر^(١) حسن في عدة معه، فملكها وصعد إلى منارتها، ورمى بالنشاب على الأمير بركة، فإنهما يشرفان على بيته. وقد بلغه القبض على إخوته، فلبس وألبس ممالكه حريبا. وفي الحال نادى الأمير برقوق في العامة «عليكم بيت بركة فانهبوه». فجاء منهم خلق كالجراد المنتشر إلى بيت بركة من جهة بابه الذي بالرميلة تجاه باب السلسلة، وقد أغلق، فأضرموا فيه النار حتى احترق، وهجموا عليه، فلم يثبت لهم والرمى عليه من أعلى مأذنتي مدرسة حسن، وخرج بمن معه من باب سرداره، ومر إلى باب زويلة، فدخله، وشق بمن معه القاهرة إلى باب الفتوح في عسكر عظيم، وأخذ والى القاهرة حتى فتحه له، وقد أغلق وخرج منه إلى قبة النصر، وكانت بينه وبين أصحاب برقوق وقعة انتصف كل طائفة من الأخرى. وبعث الأمير برقوق إلى الأمير حسام الدين حسين بن الكوراني فأحضره إليه، وولاه ولاية القاهرة، عوضا عن بهاء الدين باد، لمخامرته مع الأمير بركة. فنزل إلى القاهرة وأغلق أبوابها على العادة في أيام الفتنة، ومنع الممالك من دخولها.

فلما كان الغد يوم الثلاثاء ثامن: أصبح بيت بركة خرابا نبابا^(٢) قد نهبت العامة أخشابه ورخامه، وهدمت عدة مواضع منه، ولم تدع فيه إلا الجدر القائمة، ولا يجد به مالا، ولا حريما، فإنه كان قد استعد للحرب، ووزع حريمه وأمواله في عدة أماكن.

وفيه نادى الأمير برقوق في العامة «من قبض على مملوك من ممالك بركة كان له ماله ولنا روحه». وركب الأمير آلان الشعباني، والأمير أيتمش البجاسي، والأمير قُرط التركماني من جهة الأمير الكبير برقوق، لقتال الأمير بركة فركب إليهم الأمير يلبغا الناصري - من أصحاب بركة - وقاتلهم وكسرهم كسرة قبيحة، قتل فيها جماعة، فباتوا متحارسين، وصار العسكر فريقين، فرقة جراكسة - وهم أصحاب الأمير الكبير برقوق - وفرقة ترك - وهم أصحاب الأمير بركة - فلما أصبح نهار يوم الأربعاء

(١) الملك الناصر حسن بن محمد مدرسة تنسب إلى السلطان الناصر حسن بن محمد وهو من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. انظر البداية والنهاية ١٤/٢٤٤ - ٢٧٨ و ٢٧٩ والأعلام ٢١٦/٢.

(٢) نبابا. نب التيس ينب نبا ونبيا ونبابا، ونبب: صاح عند الهياج. وقال عمر لوفد أهل الكوفة، حين شكوا سعدا: ليكلمني بعضكم، ولا تنبوا عندى نبيب التيوس، أى تصيحوا.

تاسعه، أنزل الأمير برقوق بالسلطان إلى عنده بالحراقة من الاصطبل، ودقت الكوسات حريباً بالطبلخاناه من القلعة، فطلع ممالك السلطان إليه، وأمر بباب القلعة من جهة باب القرافة، فسد بالحجارة، ونودى فى الأجناد البطالة وأجناد الحلقة بطلوعهم إلى السلطان، فطلع جماعة كبيرة، فرقت فيهم أسلحة، أخذت فى الليل من سوق السلاح بالقاهرة، وركزت كل طائفة منهم على تربة من التراب - فيما بين القلعة وقبة النصر - ليرموا من أعلاها أصحاب بركة عند محاربتهم بالسهام، وبالحسين بن الكورانى فى حفظ القاهرة، وأخذ الطرقات على من يتوجه إلى بركة بشيء من الأقوات والعلوفات. وقبض على جمال الدين محمود المحتسب، وسجن بالاصطبل من أجل أنه نقل عنه أنه بعث إلى الأمير بركة بمأكلاً من خبز ولحم وغيره. وتوجه الأمير سودون الشيخونى فى الحاجب إلى بركة بتشريف نيابة الشام، فأخرق به وأعاده أقبح عود، ثم ركب وقت القايلة، وكان الوقت صيفاً، ومعه الأمير يلغا الناصرى من طريقين، وهجما على حين غفلة إلى تحت الطبلخاناه، يريدان الهجوم على القلعة، فتناولت العامة الحجارة يرجمونهم بها، ورماهم مع ذلك من بأعلى القلعة بالنشاب، وثبت لهم الأمير آلان فى نحو مائة فارس، فكانت وقعة عظيمة جداً، أبلى فيها أحمد بن هُمز التركمانى وممالك بركة - وعدتهم ستمائة فارس - بلاء اعظيماً، كسروا فيه أصحاب برقوق عشرين كسرة، يمر فى كل وقعة منها ما يتعجب منه، فلما كثرت عليهم حجارة العامة ونشاب من بالقلعة، تقنطر بركة عن فرسه، فأركبه أصحابه، وعادوا به إلى مخيمهم بقبة النصر مكسوراً، وقد اقتحم أيتمش على يلغا الناصرى بطير^(١) وضربه حتى كاد يأتى على نفسه، وأخذ جاليشه وطبلخاناته، وجرح كثير منهم، وفر منهم الأمير مبارك شاه الماردىنى إلى الأمير برقوق فى طائفة، فلما دخل الليل تفرق عن بركة أكثر من معه، وأشرفت خيول من بقى على الهلاك، من كثرة جراحاتها، أمرهم أن يطلبوا النجاة لأنفسهم، ومضى ومعه الأمير أقبغا صيوان استاداره بعد نصف الليل من قبة النصر إلى جامع المقس^(٢) خارج باب القنطرة من القاهرة، فاختمها به، فدل عليهما بعض من هناك، فبعث الأمير الكبير يونس النوروزى دواذره إليهما، فأخذهما، وأتى بهما إليه فى يوم الخميس عاشره، فسجنه نهاره عنده، وحمله فى ليلة الجمعة مقيداً إلى الإسكندرية، فسجن بها، وبعث معه بقرا دمرداش، وبأقتمر العثمانى، واستمر باب القلعة فى يوم الجمعة حادى عشره مغلقاً، ولم تصل الجمعة يومئذ بجامع القلعة.

(١) على هامش ط: طير: وجمعه أطبار وهو الفأس من السلاح.

(٢) جامع المقس: انشأه الحاكم بأمر الله الفاطمى على شاطئ النيل بالمقس. انظر خطط

وفيه قبض على الأمير خُضَر، والأمير قراكَسَك، والأمير أَيْدَمُر الخطاى، وأمير حاج ابن مُغلطَاى، والأمير سوْدُن باشا، والأمير يَلْبُغا المنجكى، والأمير قرا بلاط، والأمير قرايغا الأبو بكرى، والأمير إلياس الماجارى، والأمير تَمْرِبغا السيفى، والأمير يوسف بن شادى، والأمير تَمْرِبغا الشمسى، والأمير قُطْلوبك النظامى، والأمير أقبغا صيوان الصالحى، والأمير أحمد بن هُمَز التركمانى. والأمير كُزَل القرمى، والأمير طولو تَمَر الأحمدي، والأمير طُوجى الحسنى، والأمير تنكز العثمانى، والأمير قُطْلوبك السيفى، والأمير غريب الأشرفى، والأمير يَلْبُغا الناصرى، وجميع أصحاب بركة وألزامة ومماليكه، فانقضت دولة الأتراك بأسرها، وتبعوا بالأخذ فقتلوا ونفوا وسجنوا، ولقد كانت الجراكسة قبل ذلك تتحدث فيما بينها بأنه يكون فتنة كبيرة ثم تخمد، ويثور بعدها فتنة بينهم وبين الترك ينتصرون على الأتراك فيها بعد وقعة، وتعلو كلمتهم عليهم، وصاروا يتدارسون هذا فيما بينهم، لا يشكون فى وقوعه. فلما كانت حركة الأمير أينال جهروا بذكر ذلك، وقالوه من غير احتشام، وأذاعوه حتى تحدث به كبيرهم وصغيرهم، فكان كذلك كما تقدم ذكره، والله عاقبة الأمور.

ومن عجيب ما وقع فى هذه الحادثة العظيمة، أنه لم يركب فيها الأمير برقوق لحرب ساعة من النهار؛ بل لم يزل فى مكانه، والحرب بين أصحابه وكبيرهم الأمير أَيْتَمَش وبين بركة ومن معه، حتى نصره الله عليهم من غير تعب، وأقامت القاهرة ثلاثة أيام مغلقة الأبواب، إلا أن الخير كثير بالأسواق، ولم يقل سوى الماء فإنه صار ينقل بالقرب من خوخة (١) أَيْدَغَمَش، فبلغت القرية نصف درهم، ثم نودى من آخر يوم الجمعة فى القاهرة بالأمان، ونودى «يا عوام إن كنتم راضين بمحتسبى القاهرة ومصر. وإلا عزلنا هما». فطلع جمع من الغوغاء إلى تحت القلعة وصاحوا «ما نرضى بهما» فرسم بعزلهما.

وفيه خلع على الأمير أحمد الطرخانى، واستقر فى ولاية الجيزة، ووجدت ذخيرة للأمير بركة فى ضمن مصطبة صغيرة بوسط اصطبله. كان يجلس عليها أحيانا، فيها زنة سبعين قنطارا من ذهب ووجد له عند جمال الدين محمود العجمى - محتسب القاهرة - مبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار.

(١) الخوخة: واحدة الخوخ. والخوخة: كوة فى البيت تودى إليه الضوء والخوخة: مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب، بلغة أهل الحجاز، وعم به بعضهم فقال: هى مخترق ما بين كل شيئين، والمقصود هنا بالخوخة: باب صغير فى بوابة كبرى لسور أو حصن، وحررت العادة أن يخصص هذا الباب الصغير للاستعمال اليومي. انظر الخطط ٤٥/٢.

وفي يوم السبت ثاني عشره: عرضت ممالكك بركة على الأمير برقوق، وممالكك يلبغا الناصري، فاختر من شاء منهم.

وفيه أفرج عن قرا كسك. وطولو تمر الأحمدي، وتنكز العثماني، وأيدمر الخطاي وأمير حاج بن مُغلطاي، ويوسف بن شادي، وقبض على أرسلان دودار بركة، وسلم هو وأقبغا صيوان وخضر وباشا إلى المقدم سيف، فنوع لهم العذاب أنواعا، وهو يقول لهم «أنتم أخذتم مني ألف ألف وخمسين ألف درهم»، وكانت عقوبتهم بقاعة الصاحب من القلعة، كما هي العادة فيمن يصادر.

وفي ليلة الأحد ثالث عشره: أخرج الأمير يلبغا الناصري مقيدا إلى الإسكندرية، ومعه الأمير طنجي المحمدي، والأمير أطلمش الطازي، والأمير قرا بلاط. والأمير إلياس، والأمير تمر يلبغا السيفي، والأمير تمر يلبغا الشمسي فساروا جميعا في الحديد حتى سجنوا بها.

وفي نهار الإثنين رابع عشره: خلع على الأمير مبارك شاه السيفي، واستقر في ولاية بلبس^(١) وخلع على السيد علي نقيب الأشراف، واستقر في حسبة مصر، عوضا عن سراج الدين عمر العجمي، وخلع على شمس الدين محمد الدميري، وأعيد إلى حسبة القاهرة، عوضا عن جمال الدين محمود العجمي وخلع على محمد بن العادلي، واستقر في ولاية الأشمونين^(٢) وأفرج عن الأمير خضر وعن الأمير أرسلان وعن مسافر استادار الصحبة لبركة، على مال قرر عليهم، وأفرج عن الأمير أقبغا صيوان، ثم أخرج بعد أيام هو وخضر إلى الشام منفيين.

وفيه أنعم على كل من يذكر بتقدمة ألف وهم: الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير الكبير وأنعم عليه بإقطاع بركة، والأمير جركس الخليلي والأمير بز لار الناصري والأمير أطلنغا المعلم، والأمير ألبغا العثماني.

وفي يوم الأربعاء سادس عشره: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع وست أصابع.

وفي سابع عشره: أنعم على الأمير أطلمش الطازي بطبلخاناه بدمشق، وأخرج إليها. وأنعم على كل من يذكر بإمرة طبلخاناه، وهم: تنكز بغا السيفي، وأقبغا الناصري، وطوجي العلاي، وفارس الصرغتمشي، وكمشيغا الخاصكي الأشرفي، وتمر يلبغا المنجكي، وسودن السيفي باق، وأياس الصرغتمشي، وقطلوبغا السيفي كوكاي، وأنعم

(١) بلبس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر معجم البلدان ٤٧٩/٢.

(٢) الأشمونين: قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

على كل ممن يذكر بإمرة عشرة، وهم: بيسر التمان تَمَرى، وطنا الكرىمى، وبيرم العلاى، وأقبغا اللاجينى، وقوصون الأشرفى.

وفيه خلع على الأمير بهادر الشاطر، واستقر شاد الدواوين، عوضا عن أقبغا الفيل.

وفي ثامن عشره: قدم البريد بسيف الأمير بيدمر نائب الشام، وذلك الأمير بركة لما خرج إلى قبة النصر، بعث إليه بأخذ قلعة دمشق، والقبض على أكابر أمرائها، وأنه إن انكسر قدم إليه، فركب يريد القبض على الأمراء، وكانوا قد وصل إليهم كتاب الأمير الكبير برقوق باحترازهم، وأعلمهم بما كان من مخامرة بركة، وأنه إن قدم إليهم يأخذوه، فاستعدوا، وقام بحرب يَبْدُمُ الأمير محمد بيك، والأمير أحمد بن جرجى الإدريسى، والأمير جَتْمَرُ أخو طاز، والأمير أرغون الأسعدى، مدة ثلاثة أيام، وأعياهم من فى القلعة بالرمى من أعلاها، فانكسر يَبْدُمُ، وقبض عليه وعلى تغرى بَرْمَش وجبرائيل، والصارم البيدمرى، وعامة حواشى بيدمر، وسجنوا بقلعة دمشق، فسر الأمير الكبير بذلك سرورا كبيرا.

وفيه أفرج عن الأمير أَيْنَال اليوسفى من سجنه بالإسكندرية.

وفي يوم الإثنين حادى عشرينه: خلع على الأمير أَيْتَمِش البجاسى، واستقر رأس نوبة كبيرا، عوضا عن الأمير بركة. وخلع على الأمير آلان الشعبانى، واستقر أمير سلاح. عوضا عن يَلْبُغا الناصرى. وخلع على الأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى، واستقر أمير مجلس، وخلع على الأمير أَلْطُنْبُغا المعلم، واستقر رأس نوبة ثانيا بتقدمة ألف، وخلع على الأمير أَلْبُغا العثمانى، واستقر دوادارا كبيرا بتقدمة ألف، وخلع على الأمير جركس الخليلى، واستقر أمير أخور بتقدمة ألف، وخلع على الأمير بجمان المحمدى، واستقر رأس نوبة صغيرا وعلى كُمُشْبُغا الخاصكى الأشرفى، واستقر شاد الشراب خاناه، فصار أرباب الدولة كلهم جراكسة من أتباع الأمير الكبير برقوق.

وفي ثانى عشرينه: خلع على صلاح الدين خليل بن عرام، وأعيد إلى نيابة الإسكندرية عوضا عن بَلُوط الصَرْغَتْمُشَى، وأنعم عليه بتقدمة وخلع على الأمير شرف الدين موسى بن دَنْدَار بن قرمان، واستقر استادار الأمير محمد بن الأمير الكبير برقوق الأتابك، وخلع على ولده دَمُردان بن موسى واستقر أمير طَبَر، وكاشف الجزية.

وفيه قدم الأمير أَيْنَال اليوسفى من الإسكندرية، فنزل ناحية سرياقوس، وتوجه منها إلى نيابة طرابلس عوضا عن منكلى بغا البلدى، ونقل البلدى إلى نيابة حلب، عوضا عن أَشْقَتْمَرُ الماردينى، ونقل أَشْقَتْمَرُ إلى نيابة الشام، عوضا عن يَبْدُمُ.

وفيه قدم ناصر الدين محمد بن الدمرداشى محتفظا به، وكان قد مات خطيب أخميم^(١) عن مال كبير، وجعل وصيه الأمير بركة، ووصى له بمال جزيل، حماية لتركته، فشره لأخذ التركة جميعها. وبعث ابن الدمرداشى للحوطة على مخلفه، فأوقع بأصحاب الخطيب كل مكروه، فزالت دولة بركة وهو فى عقوبتهم، فلم يشعر إلا وقد قبض عليه، وحمل إلى القاهرة فى أسوأ حال، فضُرب ضربا عظيما، وأخذ ماله، وأخرج منفىا إلى الصعيد، واتفق أيضا أن امرأة من مياسير نساء التجار خرجت حاجة، فأشيع أنها ماتت، فأخذ جميع مالها، وعادت إلى القاهرة فلم تعوض عن ذلك بشيء وافتقرت بعد غناها، كما افتقر أولاد خطيب أخميم مع كثرة عددهم وعظم مال أبيهم.

ومات أيضا بعض المماليك السلطانية، وترك أولادا، فأخذ ماله، ولم تعط ورثته شيئا، فكان هذا من الحوادث التى لم تعهد.

وفى ثامن عشرينه: أخرج مبارك شاه الماردىنى - أحد أمراء الطبلخاناه - إلى حماة، أميرا بها.

وفيه خلع على صاحب شمس الدين أبى الفرج المقسى، واستقر ناظر ديوان الأمير أيتمش. وهذا أيضا مما لم يعهد أن وزيرا خدم ديوان أمير.

وفيه رسم للأمير أَلطُنْبغا الجوبانى أن يجلس بالإيوان فى وقت الخدمة السلطانية ولا يقف.

وفى يوم السبت ثالث شهر ربيع الآخر: ركب الأمير الكبير الأتابك برقوق من الإصطبل، وسير بعد ما كان منذ حركة بركة لم يتحرك من موضعه خوفا على نفسه، فوقف له أهل الرواتب والصدقات المقررة على الدولة، واستغاثوا به على الوزير الملكى أن عوّق حاريهم عن الصرف، فلما عاد إلى الحراقة من الإصطبل طلب الملكى والمقدم سيف، وضربهما وأسلمهما إلى الأمير بهادر شاد الدواوين، ثم أفرج عنهما.

وفى رابعه: قدم صاحب كريم الدين شاكر بن غنام من القدس، وعظم أمر الأمير الكبير، وانفرد بتدبير الدولة، وصار فى موكب عظيم لم يعهد مثله لأمير قبله.

وفى خامسه: خُلع على صدر الدين بديع بن نفيس الدوادارى الأسلمى التورى، واستقر شريكا للرئيس علاء الدين على بن صغير فى رئاسة الأطباء.

وفيه أنعم على الأمير مأمور حاجب الحجاب بزيادة فى إقطاعه، وأنعم على الأمير

أحمد ابن الأمير يلبغا الخاصكى بزيادة فى إقطاعه، وخلع على ناصر الدين محمد بن الأسناى شاهد ألبغا الدوادار، واستقر فى نظر الأحباس عوضا عن شمس الدين محمد الدميرى ^(١) المحتسب، وخرج البريد بإحضار الأمير ناصر الدين محمد بن آقبا آص.

وفى رابع عشرينه: ترك الوزير الملكى الوزارة، ولبس هيئة الزهاد، وأقام بجامع عمرو بن العاص بمصر، فطلب فى يوم الإثنين سابع عشرينه، وسجن بقاعة الصاحب من القلعة، وتولى شاد الدواوين مصادرتة، فعذبه عذابا أليما. حتى هلك تحت العقوبة فى يوم النوروز، ولما قبض عليه خلع على الصاحب شمس الدين أبى الفرج المقسى، واستقر عوضه فى الوزارة مضافا إلى نظر الخاص.

وفيه قدم الخير بخروج بدر بن سلام بعربان البحيرة عن الطاعة، فرُسم أن يجرد لهم من الأمراء أَيْتمش البجاسى، وآلان الشعبانى، وألطنبغا الجوبانى ومأمور الحاجب، وأحمد بن الأمير يلبغا، ويُلوط الصرغتمشى، ويزلار الناصرى، وبهادر الجمالى. ومعهم من أمراء الطبلخاناه اثنى عشر أميراً، منهم سَوَكَب الشيوخونى، وقرايغا البوبكرى، وبجمان المحمدى، وطغاي تَمَر القبلاوى ومازى السيفى، وقُرط بن عمر التركمانى، ويدكار السيفى، وبجاس النوروزى، وقرايغا السيفى، وعدة من أمراء العشرات، وطائفة من مماليك الأمير الكبير برقوق، وساروا فى أول جمادى الأولى، فارتفع بدر بمن معه عن البلاد وخرج ابن عرام بعسكر الإسكندرية إلى لقاء الأمراء، فبلغهم أن بدر بن سلام يريد كبسهم ليلا، فتركوا خيمهم وقصدوا الجهة التى يكون مجىء بدر منها، فأقبل بدر من غير تلك الطريق، وهجم ليلا على خيم الأمراء، وليس به إلا الغلمان، وقليل من المماليك، فقتل ونهب ومضى، فأدرك الأمير آلان طائفة من أصحابه، فقاتلهم قتالا كبيرا. انكسر منهم مرتين، ثم كانت الكرة له، فقتل منهم جماعة، وقبض على بنى بدران - من أعيانهم - واستولى على كثير مما كان معهم، ولما طال على الأمير أَيْتمش ومن معه السرى ^(٢) عادوا، فإذا ببدر وجماعته قد عادوا من وقعتهم بمن

(١) محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى، أبو البقاء، كمال الدين: باحث أديب، من فقهاء الشافعية من أهل دميرة (مصر) ولد ونشأ وتوفى بالقاهرة كان يتكسب بالخطابة ثم أقبل على العلم وأفتى ودرس. وكانت له فى الأزهر حلقة خاصة، وأقام مدة بمكة والمدينة من كتبه «حياة الحيوان» و «حال الحسان من حياة الحيوان». انظر الفوائد البهية ٢٠٣. وخطط مبارك ٥٩/١١ ومفتاح السعادة ١٨٦/١ والضوء اللامع ٥٩/١٠ والكتبخانه ٢٨٥/٣ والأعلام ١١٨/٧.

(٢) السرى: والسرى: سير الليل عامته؛ وقيل: السرى سير الليل كله، تذكره العرب وتوثقه؛ قال: ولم يعرف للحيائى إلا التأنيث؛ وقول لبيد: قلت: هجدنا فقد طال السرى وقدرنا إن خنى الليل غفل قد يكون على لغة من ذكر؛ قال: وقد يجوز أن يريد طالت السرى فحذف علامة=

فى المخيمات، فقصده فلم يدر كوه، وقتلوا عدة ممن تخلف من أصحابه.

وفى ثالثه: على الأمير جمال الدين عبد الله بن بَكْتُمُر الحاجب واستقر حاجبا ثالثا.

وفى سادسه: قدم الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص.

وفى رابع عشره: قدم الريد من البحيرة بما تقدم ذكره، وأنه قُتل من عرب بدر نحو الألف.

وفيه استقر الأمير كمشبغا الحموى فى نيابة صفد، عوضا عن تمرى الدرداشى.

وفى يوم السبت خامس عشره وخامس وعشرين مسرى: أوفى النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج على العادة.

وفيه قدم الأمراء من تجريدة البحيرة، ولم يدر كوا بدر بن سلام، وقتلوا من ظفروا به ما بين مذب وبرىء، ونهبوا أموالا كثيرة، وخربوا تروجة^(١) وما حولها، فلما عاد الأمراء رجع بدر إلى البحيرة، وبعث ابن عرام يسأل له الأمان، فأجيب إلى ذلك، وخرج إليه الأمير بهادر المنجكى - استادار الأمير الكبير - والشرىف بَكْتُمُر، فى ثانى

=التأنيث، لأنه ليس بمؤنث حقيقى؛ وقد سرى سرى وسرية وسرية فهو سار؛ قال: أتوا نارى فقلت: منون؟ قالوا: سراة الجن قلت: عموا صباحا! وسريت سرى ومسرى وأسريت بمعنى، إذا سرت ليلاً؛ بالألف لغة أهل الحجاز؛ وجاء القرآن العزيز بهما جميعا. ويقال: سرينا سرية واحدة، والاسم السرية بالضم والسرى، وأسراه وأسرى به. وفى المثل: ذهبوا إسرائ قنفذة؛ وذلك أن القنفذ يسرى ليلة كله لا ينام؛ قال حسان بن ثابت:

حى النصيرة ربة الخـدر أسرت إليك ولم تكن تسرى
قال ابن برى: رأيت بخط الوزين ابن المغربى: حى النصيرة؛ وقال النابغة: أسرت إليه من الجوزاء سارية ويروى: سرت؛ وقال لبيد:

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم وما كان وقافا بغير معصر
وفى حديث جابر قال له: ما السرى يا جابر؛ السرى: السير بالليل أراد ما أوجب مجيئك فى هذا الوقت. واسترى كأسرى؛ قال الهذلى:

وعفوا فأما الجامل الجون فاسترى بليل وأما الحى بعد فأصبحوا
وأنشد ابن الأعرابى قول كثير:

أروح وأغو من هواك وأسـترى وفى النفس مما قد علمت علاقم
وقد سرى به وأسرى. والسراء: الكثير السرى بالليل. وفى التنزيل العزيز: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً».

(١) تروجة: بالفتح ثم بالضم، وسكون الواو، وجيم: قرية. معصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية. انظر معجم البلدان ٢/٢٧.

عشرينه، ومعهما أمان وخلعة لبدر وطبلخاناه، فالفهما، وبالع في إكرامهما، والتزم تدريك^(١) البلاد وعمارة ما خرب منها، وتعويض أهلها عما تلف لهم، واعتذر عما وقع منه، وقدم إليها ابن عرام من الإسكندرية فقراً الأمان على الناس فوق منبر مدينة دمنهور^(٢) ونودى بالأمان فعاد أهل دمنهور إليها، بعدما كانت لا أنيس بها، وعاد الأمير بهادر، والشريف بكتمر، ومعهما بدر، حتى قاربوا القاهرة، ثم مضى عنها، وقدموا إلى القاهرة وقد قويت الإشاعة بمباطنة ابن عرام لبدر بن سلام، فخرج البريد بطلبه، فحضر بتقاد جليلة، واعتذر عما رمى به، فخلع عليه، وأعيد إلى الإسكندرية على حاله.

وفى يوم الأربعاء سادس عشرينه: نودى بالقاهرة ومصر ألا يلعب أحد بالماء فى النوروز. وهدد من لعب فيه بالماء أن يضرب ويؤخذ ماله، فامتنع الناس فيه مما كانوا يفعلونه. ووجد أربعة من الناس يلعبون بالماء فى يوم النوروز. فضربوا بالمقارع وشهروا. وقدم البريد من طرابلس بأن الأمير طقتمر - مستقر الأمير إينال - أفسد بطرابلس من كثرة سكره وعربدته وقلة احترامه للنائب، وأن النائب ضربه بخضرة أمراء طرابلس ضرباً مبرحاً. فأخرج إقطاع طقتمر ورسم بسجنه بالكرك ورسم بالإفراج عمن بالإسكندرية من الأمراء. فأفرج عنهم، وتأخر بالسجن منهم أربعة وهم بركة، ويلبغا الناصرى وقرا دمرداش، ويبدمر نائب الشام. فلما قدم المسجونون. فرقوا ببلاد الشام وأرسل بعضهم إلى قوص.

وفى تاسع عشرينه: خلع على الأمير كرجى. واستقر كاشف الوجه البحرى، عوضاً عن قطلوبك صهر أيدير المزوق. ثم خلع على الشريف بكتمر أطلسين. واستقر ملك الأمراء بالوجه البحرى. ورسم أن تكون إقامته بتروجة. وأن يكاتب بملك الأمراء. فكان أول من خوطب بذلك من كشاف الوجه البحرى.

وفى يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخر: رست السلاسل على قنطرة المقسى بخليج فم الخور وعلى قنطرة الفخر برأس الخليج الناصرى - بجوار الميدان الكبير - كما عمل فى السنة الماضية. فامتنعت المراكب التى تحمل المتفرجين وأهل الخلاعة من عبور الخليج وبركة الرطلى، وانكف بذلك فساد كبير وبلغت زيادة النيل إلى أربع أصابع من ثمانية عشر ذراعاً، وثبت إلى سادس عشر توت. ثم هبط فارتفع سعر الغلال، وطلبها

(١) على هامش ط: التزم تدريك: التزم تدريك البلاد أى التزم خفارتها.

(٢) دمنهور: بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد فى طريق مصر. انظر معجم البلدان

الناس للخزن طلبا للفائدة فيها. فكثرت قلق الناس، واستغاثت العامة في عزل الدميرى من الحسبة، وسألوا عود العجمى إليها، وهموا برجم الدميرى مرارا فاختفى بمنزله خوفا على نفسه.

وفي يوم الإثنين ثالث عشرينه: خلع على جمال الدين محمود العجمى، وأعيد إلى حسبة القاهرة، وفرح العامة به فرحا زائدا، وكادوا يحملون بغلته وهو عليها بالخلعة، وأتلفوا من ماء الورد الذى صبوه عليه وعلى من معه، ومن الزعفران الذى تخلقوا به شيئا كثيرا. وبالفوا فى إشعال الشموع والقناديل بالقاهرة، ووقفت له المغانى تزفه إذا مر بها فى مواضع عديدة، فكان يوما مشهودا. وذلك أنه كان قد تعذر وجود الخبز بالأسواق. وفقد منها عدة أيام، فظنوا أن قدوم الجمال محمود يكون مباركا، فكان كما ظنوا.

وقدم فى هذا اليوم عدة مراكب مشحونة بالغلل، فانحل السعر.

وفيه خلع على الأمير قطلوبغا الكوكاى، واستقر أستاذارا ثالثا. وقدم الأمير زامل بنى موسى بن مهنا، فأكرمه الأمير الكبير كرامة زائدة.

وفي سابع عشرينه: خلع على شرف الدين بن عرب، واستقر فى حسبة مدينة مصر عوضا عن الشريف على نقيب الأشراف.

وفيه أخرج إقطاع الأمير قرايغا فرج الله عنه، وقبض عليه من أجل قتل بعض مماليكه وهو سكران. وكتب باستقرار الأمير إينال اليوسفى فى نيابة حلب، واستقر عوضه فى نيابة طرابلس كُمشبغا الحموى، واستقر طشتمر اللفاف فى نيابة صفد عوضا عن كُمشبغا.

وفي أول شهر رجب: قبض على الأمير زامل، وسجن وذلك أن ولده نزل مرج دمشق فى طائفة من آل فضل. كما قد استجد. وأنزلوهم فيه أيام الشتاء فمنعهم الأمير أشقتمر من الإقامة به. فركبوا للحرب وقاتلوا عسكر دمشق مرتين. ثم انكسروا، ونهبت عامة أموالهم وجمالهم، وانجلت هذه الواقعة على قتل طَقْتَمُر الحسنى.

وفي يوم الثلاثاء خامسه: أحيط بموجود الأمير صلاح الدين خليل بن أحمد بن عرام، وتوجه الأمير يونس دوا دار الأمير الكبير للقبض عليه وسبب ذلك ورود الخبر بقتل الأمير بركة بسجنه من الإسكندرية، فنارت مماليكه تريد الفتنة، فأنكر الأمير الكبير أن يكون قد أمر بقتله. ويقال أنه كان قد تقدم إلى ابن عرام عند حضوره بأن

يقتل بركة. فأخذ بذلك خطه وخطوط الأمراء الأكابر، وعاد إلى الثغر وقتله. فلما دخل يونس الدوادر إلى الثغر نبش قبر بركة، فوجد في رأسه ضربة وفي جسده ضربات عديدة وقد دفن بثيابه من غير غسل ولا كفن، فغسله وكفنه وصلى عليه، ودفنه في تربة بناها على قبره، وقبض على ابن عرام. وخاف من بدر بن سلام أن يعترضه في الطريق ويخلصه فطلب نجدة، فصار إليه عدة ممالك ساروا به في بحر الملح إلى دمياط وأتوا في النيل إلى القاهرة، وسجن في يوم الثلاثاء ثاني عشره بخزانة شمائل مقيدا، وعذب على مال اتهم به أنه أخذه من بركة، فلم يقر بشيء. ثم أخرج في يوم الخميس رابع عشرينه، وحمل على حمار إلى القلعة، وقد اجتمع الأمراء بباب القلعة منها، فجرد من ثيابه، وضرب بالمقارع نحو التسعين شيئا. ونودي عليه وهو يضرب: «هذا جزاء من يقتل الأمراء بغير إذن». فقال: «ما قتلت إلا بإذن الأمراء»، وأخرج خطوطهم فأخذت منه وهو يستغيث: «يبنى وبينكم الله ياسيدى الشيخ نهار هذا اليوم الذى وعدتني، فإننا لله وإن إليه راجعون». وذلك أن الشيخ نهار كان حدثه بأمر، ومنها أنه لا يموت إلا مقتولا بالسيف، موسطا أو مسمرا، فكان يتوقع ذلك. ثم أركب الجمل ودقت المسامير الحديد في كفيه وذراعيه وقدميه على الخشب. وهو يقول: «يا سيدى الشيخ نهار، قد صبح الذى وعدتني به، هذا اليوم الذى وعدتني به». وساروا به من باب القلعة على الجمل، ليشهر، فصار ينشد في تلك الحال، التى يذهل فيها المرء عن نفسه.

لَكَ قَلْتَبَى تَعْلُهُ فَدَمَى لَمْ تَحْلِهِ
قَالَ إِنْ كُنْتَ مَالِكَا فَلَى الْأَمْرِ كُلِّهِ

فلما صار بالرميلة تحت القلعة. أوقف تجاه باب السلسلة، فبدره ممالك بركة بسيوفهم يضربوه بها حتى صار قطعاً، وفرقوا شلوة تفريقاً. ثم حملت رأسه وعلقت بباب زويلة، فأخذت أمه ما قدرت عليه من بدنه وأخذت رأسه، وغسلت ذلك. ودفنته بمدرسته جوار قنطرة أمير حسين. من حكر جوهر النوبى خارج القاهرة. وكان ابن عرام فطنا ذكياً، فأحسن المشاركة في القلم. كتب تاريخاً مفيداً. وكانت له نوادر، وعنده حكايات يذاكر بها. وكان مهاباً، رئيساً سيوساً، وكان يداخل كل ذى فن، ويتنقل في أحوال مختلفة ويخوض في كل ما يفيد وينفع.

وفي رابع عشره: استقر الأمير بلوط الصرغتمشى في نيابة الإسكندرية.

وفي حادى عشرينه: استدعى الأمير الكبير برقوق الشيخ جلال الدين رسولا التبانى، فطلع إليه بعد مراجعات كثيرة، وعرض عليه أن يستقر في قضاء الخنفية. فلم يوافق على ذلك، وامتنع كما امتنع في الأيام الأشرفية شعبان بن حسين. وقال: «هذه

الوظيفة ما يصلح لها عجمي، والعرب أولى بها». فلما أُلح عليه الأمير الكبير في القبول. أخرج مصحفا شريفا، وكتاب الشفاء للقاضي عياض^(١). وقال: أسألك بحق هذين. ألا ما أعفيتني؟ وقام عنه، فاستدعى الأمير الكبير القضاة. وشاورهم فيمن يصلح لقضاء الحنفية. فأشار قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، بولاية صدر الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ علاء الدين أبي الحسن علي بن منصور الدمشقي. فصار بإحضاره من دمشق، في يوم الخميس رابع عشرينه.

وفي خامس عشرينه: أنعم على ناصر الدين محمد بن أقبغا آص. بإمرة طبلخانة. عوضا عن أروس المحمدي، وأخرج أروس على إمرة بصفد وأنعم على سودون النظامي بإمرة طبلخانة.

وفي ثامن عشرينه: قدم الأمير خضر الزيني باستدعاء.

وفي يوم الجمعة رابع عشرين شعبان: قبل الأمراء الأرض بين يدي السلطان، وسألوا عفوه عن الأمراء المسجونين، فرسم بالإفراج عن الأمير يلبغا الناصري. والأمير قرادمرdash، والأمير بيدمر نائب الشام.

وفي أول شهر رمضان: قدم بيرم والي الغريبة بطلب، وضرب وسجن.

وفي يوم الأحد رابعه: قدم صدر الدين محمد بن علي بن أبي البركات منصور الدمشقي الحنفي، ونزل بصهريج منجك تحت القلعة وأتاه الناس على اختلاف طبقاتهم للسلام عليه ثم طلب في يوم الخميس ثامنه بعد العصر. إلى بين يدي السلطان، فخلع عليه واستقر قاضي القضاة الحنفية، عوضا عن جلال الدين جارا الله بعد وفاته. ونزل معه قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة، والأمير قرايغا الحاجب.

(١) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبته، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموماً، قيل: سمه يهودي. من تصانيفه «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى - ط» و «الغنية - خ» في ذكر مشيخته، و «ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مناهج الإمام مالك - ط» أربعة أجزاء وخامس للفهارس، و «شرح صحيح مسلم - خ» و «مشارك الأنوار - ط» مجلدان، في الحديث، و «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقيد السماع - ط» في مصطلح الحديث وكتاب في «التاريخ» وجمع المقرئ سيرته وأخباره في كتاب أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض - ط» ثلاثة مجلدات من أربعة و «الإعلام بمحدود قواعد الإسلام - ط» و «شرح حديث أم زرع - خ» جزء لطيف، في خزانة الرباط (١٨٥٧ كتابي) والظاهرية بدمشق. انظر الأصابه ٦١٤٢، وصفه الصفوة ٢٧٧/١. والأعلام ٩٩/٥.

وفي عاشره: خلع على أحمد بن سنقر البريدى. واستقر فى ولاية الغربية، عوضا عن بيرم. وخلع على فرج بن أيَّدْمُر المَزَوَّق. واستقر فى ولاية أشموم الرمان.

وفي تاسع عشره: كتب مرسوم سلطانى بأن يستقر لكل من القضاة الأربع أربعة نواب. فاستقر لقاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة الشافعى أربعة نواب بالقاهرة، وهم: جمال الدين محمد بن محمد الخطيب الأسناى. وصدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى^(١) وصدر الدين عمر بن عبد المحسن بن رزين. وسرى الدين محمد بن المسلاتى. واستقر فخر الدين محمد بن محمد القاياتى نائبه بمصر. واستقر لقاضى القضاة صدر الدين محمد بن منصور الحنفى أربعة نواب، وهم: مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم. وشمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى. وشهاب الدين أحمد الشنشى. وجمال الدين محمود المحتسب. واستقر لقاضى القضاة علم الدين سليمان اليساطى المالكى أربعة نواب. وهم: جمال الدين عبد الله بن عمر الفيشى، وتاج الدين بهرام، وشهاب الدين أحمد الدفرى، وعبيد البشكالىسى. ولم يستتب قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلى عنه أحدا. فاستراح الناس من نواب المجالس؛ وهم قوم يتكسبون من الحكم بين الناس، ويجلسون لذلك فى مجالس من الجوامع أو المدارس أو حوانيت الشهود، ويقاسمون الشهود فيما يتكسبونه من تحملهم الشهادات للناس وعليهم، فبطل ذلك بسفارة قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، والله الحمد.

وفي رابع عشرينه: خلع على أوحى الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين - موقع الأمير الكبير - كاملية حرير أخضر كمخا سكندرى بفرو قاقم ولم يعهد قبله متعمم يلبس مثل ذلك.

وفي ثالث شوال: أخرج الأمير طُغْاى تَمْر القبلاوى منفيا إلى طرابلس.

وفي رابعه خلع على عبيد بن البازدار، واستقر مقدم الدولة. وخلع على قُطْلُوْبغا الأَسَنُ قجاوى أبو درقة، واستقر فى ولاية قوص. وخلع على الأمير قُرْط بن عمر التركمانى، واستقر نائب البحيرة والوہ البحرى. عوضا عن الشريف بُكْتَمُر، وأنعم عليه بَعْدُد حربية، وأسلحة كثيرة، ومال جزيل، فأكثر من استخدام التراكمين، وسارقى

(١) المناوى: محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم القاهرى، الشافعى صدر الدين، أبو المعالى: قاضى، عالما بالحديث. من أهل القاهرة. ناب فى الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالا سنة ٧٩١، وحدث سيرته. وصنف «كشف المناهج والتنقيح فى تخريج أحاديث المصاييح». مات فى غريقا فى الفرات وهو مقيد. انظر الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٦/ ٤٩ والكتبخانة ١/ ٣٨٨ والأعلام ٥/ ٢٩٩، ٣٠٠.

عسكر كثير، فاستعد بدر بن سلام للقائه، وجمع له جمعا موفورا، فخرج قُرُط عن الطريق، حتى قارب دمنهور، فلقيه بدر وقاتله أشد قتال حتى احتاج إلى طلب نجدة من القاهرة.

وفي سادس عشرينه: خلع أقبغا المارديني، واستقر نائب الوجه القبلي، بعد موت الركن.

وفيه أخرج الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص منفيا إلى الشام، وخلع على الشيخ برهان الدين إبراهيم الأبناسي، وأعيد إلى مشيخة الخانكة الصلاحية سعيد السعداء، عوضا عن شمس الدين محمد بن أخى الجار.

وفي هذا الشهر: كثر الوباء بالإسكندرية، فمات فى كل يوم ما ينيف على مائة وخمسين إنسانا، وتمادى إلى أثناء ذى الحجة.

وفى يوم الثلاثاء أول ذى الحجة: خلع على شمس الدين محمد الدميرى المحتسب، وأعيد إلى نظر الأحباس، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الأسناى، واستقر كمال الدين المعرى فى قضاء الشافعية بحلب. عوضا عن الجمال الزرعى^(١) بعد وفاته.

وفى ثالثه خلع على سعد الدين نصر الله بن البقرى. واستقر فى نظر الدخيرة، ونظر خاص الخاص، وأضيفت إليه الإسكندرية والكارم، والأملاك والمستأجرات. وخلع على الأمير شرف الدين موسى بن قرمان، واستقر أستاذار الدخيرة، رفيقا لابن البقرى.

وفى يوم الثلاثاء ثامنة: قدم اليريد بوصول آنص - والد الأمير الكبير برقو - صحبة الخواجا عثمان بن مسافر، فركب الأمير الكبير إلى لقائه وخرج معه عامة العسكر من الأمراء والأجناد، وجميع أرباب الدولة من القضاة والوزراء والأعيان، فلقي أباه بمنزلة العكرشا، وعاد به، وقد قدم معه الكمال المعرى قاضى حلب، وولى الدين عبد الله بن أبى البقاء قاضى دمشق. فنزل بالمخيم من سرياقوس وقد أعد له. وهيات المطابخ. فمد سماط عظيم إلى الغاية، أجلس الأمير الكبير أباه فى صدره، وأجلس بجانبه الأمير عز الدين أيْدُر الشمسى. وجلس الأمير الكبير تحت الأمير أيْدُر، وجلس بجانب ولد الأمير الكبير من الجهة الأخرى الأمير سيف الدين أقمُر عبد الغنى، فأكلوا وأكل عامة من حضر حتى اكتفوا، ثم رفع فتنابه الغلمان وغيرهم، حتى عم ذلك الجمع مع

(١) محمد بن محمد بن شرف الزرعى الشافعى، شرف الدين، فاضل كان قاضى عجلون وتوفى بدمشق. له «المنتقى من كتاب كشف الحال فى وصف الحال». انظر شذرت الذهب ٦ / ٢٦٤ والأعلام ٧ / ٤١.

كثرت. وركبوا جميعا ولت الظهر. وعبروا إلى القاهرة، وقد خلع على الخوارج عثمان، وصعدوا به إلى الإصطبل فكان يوما مشهودا، بالغ العامة في إشعال الشموع والقناديل. ثم طلع الخوارج عثمان بأنص، فاشتره السلطان منه وأعتقه، وخلع عليه. وأنعم على أنص بتقدمة ألف. فلم يبق أحد من الأمراء حتى قدم له التقادم الجليلة على قدر همته وبذل الأمير الكبير برقوق للخوارج عثمان مالا كثيرا، وأنعم عليه بإنعامات سنية، من أجل أنه جلب أباه من بلاد الجركس.

وفي ثاني عشره: خرج الأمير آلان الشعباني، ومعه خمسمائة مملوك إلى البحيرة، بنجدة للأمير قُرط.

وفي ثامن عشره: قدم البريد من الطرانة - وقد نزل بها الأمير آلان - بأن الأمير قُرط قتل، فاضطرب العسكر بالقلعة. وعلق الجاليش للسفر، ونودي في القاهرة بخروج الأمراء والمماليك وأجناد الحلقة للبحيرة. ورسم بتجهيز السلطان، فأشار الأمير أيْدْمُر الشمسي بإقامة السلطان، وتجهيز الأمراء، فعين للتجريدة الأمير أَيْتَمِش البجاسي، والأمير أَلْطُنْبغا الجوباني، والأمير أحمد بن يلبغا الخاصكي، والأمير مأمور القَلْمُطاوى، والأمير أَقْبغا العثماني، والأمير أَلْطُنْبغا المعلم، وكلهم أمراء ألوف، ومعهم من أمراء الطبلخاناة: قرابغا الأحمدي، ومازى، وقرابغا البوبكرى، وبجَمَان المحمدي وفارس الصرْعَمَشِي، وبجاس النوروزى. وطوحى الحسنى. وطَقَمَتَش السيفي، وأطرجى العلاى، وأرسلان اللفاف. ومن أمراء العشرات: أَقْبغا بوز الشيخونى، وكمجى، ويوسف بن شادى، وبكبلات الصالح، وبيرس التَمَان تَمُرَى، وأَقْبغا اللاجيني، وشَبْرُج الكمشبقاوى، فقدم الخير آخر النهار بأن قُرط بن همر لم يقتل فسكن الحال بعض الشيء.

وفي تاسع عشره: قدم من شيوخ البحيرة خِضْر بن موسى بن خضر وجماعة تحت الاحتفاظ، فضربوا بالمقارع.

وفيه سارت التجريدة المذكورة صحبة الأمير أَيْتَمِش إلى البحيرة.

وفي حادى عشرينه: قدم حسين بن الأمير قُرط بعدة رعوس من القتلى في الحرب، وأخبر أنه حَصِرَ بمدينة دمنهور، وكاد بدر أن يأخذه، ففر إلى العطف وعدى النيل إلى مدينة فوة^(١) وسأل أن يمد بنشاب وغيره من آلة الحرب، وأخبر بوصول الأمير آلان. بمن معه إلى دمنهور، فخلع عليه.

(١) مدينة فوة: بالضم ثم التشديد: بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد، بينها وبين البحر نحو خمسة فراسخ أو ستة. انظر معجم البلدان ٤ / ٢٨٠.

وفيه أعيد فتح الدين محمد بن الشهيد^(١) إلى كتابة السر بدمشق، بعد وفاة شهاب الدين أحمد بن نجم الدين محمد بن القاضي بها الدين أحمد بن القاضي محيى الدين محيى ابن فضل الله.

وفي ثلثي عشرينه: خلع على الطواشى صفى الدين جوهر الصلاحى، واستقر مقدم الممالك بعد موت ظهير الدين مختار الحسامى.

وفيه أبطل الأمير الكبير برقوق ضمان المغانى بمدينة حماة، ومدينة الكرك ومدينة الشوبك، وبناحية منية ابن خصيب من أراضى مصر وبناحية زفتا^(٢) منها، وأبطل ضمان الملح بمدينة عين تاب^(٣)، وضمان الدقيق من البيرة^(٤) - معاملة حلب - وضمان قمح المؤونة بدمياط وفارس كور^(٥) من أردنين إلى ما دون ذلك. وأبطل المقرر على أهل البرلس، وشورى، وبلطيم، وهو شبه الجالية ومبلغه ستون ألف درهم فى السنة. وأبطل مكس مدينة إعزاز بأجمعه، وعمر جسر الأردن الذى يعرف بالشريعة. فيما بين بيسان ودمشق، فجاء طوله مائة وعشرون ذراعاً.

وفيه أنعم على قُطْلُوْبَك السيفى - والى مدينة مصر - بإمرة عشرة زيادة على عشرة، فاستقر أمير عشرين فارساً.

وفيه أنعم على الأمير قديد القلمطوى بإمرة عشرة.

* * *

ومات فى هذا السنة من الأعيان

(١) محمد بن إبراهيم بن محمد، أبو الفتح، فتح الدين، ابن الشهيد، كاتب السر بالشام. له علم التفسير والأدب، ونظم ونثر، أصله من نابلس بفلسطين، ومولده بالرملة. اشتهر فى دمشق وكتب بها فى ديوان الإنشاء. ثم صار صاحب الديوان، ومع ولاية مشيخة الشيوخ وجرى له حنة اختفى بسببها مدة نظم فيها «السيرة النبوية». مات بظاهر القاهرة، مقتولاً بسيف السلطان. انظر الدرر الكامنة ٣/ ٢٩٦، وتاريخ ابن الفرات ٩/ ٢٨٦ ومطالع البدور ١/ ١٠ وشذرات الذهب ٦/ ٣٢٩ والأعلام ٥/ ٢٩٩.

(٢) زفتا: بلد بقرب القسقاط من مصر، قرب شطونوف. انظر معجم البلدان ٣/ ١٤٤.

(٣) عين تاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك، من أعمال حلب. انظر: معجم البلدان ٣/ ١٧٦.

(٤) البيرة: بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر: معجم البلدان ١/ ٥٢٦.

(٥) فارس كور: أو الفارسكر: من قرى مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية انظر معجم البلدان

شرف الدين أبو العباس أحمد بن علاء الدين^(١) أبي الحسن على ابن أبي البركات منصور الدمشقي الحنفى، قاضى القضاة بديار مصر، بعد ما عزل نفسه، وأقام بدمشق، فى ليلة الإثنين عشرين شعبان.

وتوفى الشريف شرف الدين عاصم بن محمد الحسنى نقيب الأشراف، فى عاشر المحرم.

وتوفى الشيخ عباس بن حسن التميمى الشافعى، المقرئ، خطيب جامع أصلم^(٢) خارج القاهرة، فى يوم الأحد ثالث عشر ذى الحجة. تصدى لتدريس الفقه وإقراء القراءات عدة سنين.

وتوفى نور الدين على عبد الصمد الجلاوى - بالجيرم - أحد فقهاء المالكية، فى رابع عشرين ذى الحجة.

ومات الأمير منكلى بُغا الأحمدي، الشهير بالبلدى، نائب حلب، وقد تجاوز نحو أربعين سنة.

ومات الركن عمر، نائب الوجه القبلى.

ومات الأمير قطلوبغا البزلارى، أحد العشرات.

وتوفى قاضى القضاة جلال الدين أبو عبد الله محمد، ويعرف بجار الله، بن قطب الدين محمد بن محمود النيسابورى، الحنفى، يوم الإثنين رابع عشر شهر رجب.

وتوفى قاضى القضاة بحلب جلال الدين أبو المعالى محمد بن محمد بن عثمان بن أحمد ابن عمرو بن محمد الزُرعى الشافعى، قاضى حلب.

وتوفى الفقير المعتقد زين الدين محمد بن المَوَّاز، فى ثانى عشرين ربيع الأول بالقاهرة.

وتوفى شمس الدين محمد الحكرى فى ذى الحجة، بالرملة^(٣) وكان فقيها شافعيًا،

(١) أحمد بن على بن منصور بن ناصر، أبو العباس، شرف الدين، بن منصور الحنفى قاضى. درس وأفتى. مولده وفاته فى دمشق. ولى قضاها، وطلبه السلطان الملك الأشرف فولاه القضاء بمصر سنة ٧٧٧هـ فباشره أقل من عام. وعاد إلى دمشق. ودفن فيها بمقبرة الصوفية. له «التحرير» فى فروع الحنفية. انظر رفع الاصر ٨٩ / ١ - ٩١ والدرر الكامنة ١ / ٢٤١ والشذرات ٦ / ٢٧٣ وكشف الظنون ١٦٢٢ والأعلام ١ / ١٧٧.

(٢) جامع أصلم: يقع هذا الجامع داخل الباب المحروق، أنشأه الأمير بهاء الدين أصلم السلاحدار سنة ٧٤٦هـ. انظر: المقرئى، المراعظ ٢ / ٣٠٩.

(٣) الرملة: من قرى بيت المقدس. انظر: معجم البلدان ٣ / ٧٣.

عارفا بالقراءات. قرأ على اليرهان الحكرى، ناب فى الحكم ثم ولى قضاء القدس، وصيدا، وبירות.

وتوفى الوزير الصاحب تاج الدين عبد الوهاب النشو الملكى الأسلمى، تحت العقوبة، مستهل شهر جمادى الآخرة.

وتوفى أحد فقها الشافعية بدمشق، شمس الدين محمد بن نجم الدين عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب الأسدى الدمشقى، المعروف بابن قاضى شهبة. فى ثامن المحرم، ومولده فى يوم الثلاثاء العشرين من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وستمائة، بدمشق.

وتوفى أبو محمد حَجَّى بن موسى بن أحمد بن سعد السعدى الحُسبانى، الشافعى، بدمشق، فى ليلة الأربعاء سابع عشر صفر، وقد صار من أعيان فقهاءها، مع اقتصاد وانجماع.

ومات قتيلا الأمير صلاح الدين خليل بن على بن أحمد بن عرام فى رابع عشرين شهر رجب.



سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة

فى يوم الأحد ثالث المحرم: قبض على طائفة من عرب البحيرة، نحو ثلاثة وعشرين رجلا عند الأهرام، قد فروا يريدون النجاة، فوسطوا، وأخذت مواشيهم. وفيه ابتدأ الوباء بالطاعون فى الناس بالقاهرة ومصر، وتزايد حتى بلغ عدة من يموت فى اليوم ثلاثمائة ميت.

وفى خامسه: خلع على قاضى القضاة بدمشق ولى الدين عبد الله بن أبى البقاء، باستقراره على عادته. وخلع على قاضى القضاة بحلب كمال الدين المعرى باستقراره. وسارا عائدين إلى بلديهما.

وفى عاشره: ابتدأ الأمير مأمور الحاجب بعرض الأجناد، وإلزام من عبيرة إقطاعه ستمائة دينار، بالسفر إلى البحيرة أو إخراج بديل عنه.

وفى ثانى عشره: قدم الخير بأن خمسة من أعيان أهل البحيرة قدموا على الأمير أَيْتَمِشْ، راغبين فى الطاعة، ومعهم نحو ستمائة فارس، وعدة رجاله. وفيه قدم الريد من الإسكندرية بطلب بدر بن سلام، من الأمير بُلُوط أن يسأل له فى الأمان، فلم يجبه الأمير الكبير برقوق إلى سؤاله. وكتب بالقبض على الذين قدموا طائعين إلى الأمير أَيْتَمِشْ، فقبض عليهم، وقتل أكابرهم.

وفى تاسع عشره: قدم الأمير قُطْلُوبغا الكُوكَاى، ومعه خمسة وعشرون رجلا من أعيان البحيرة، فعفى الأمير الكبير عنهم.

وفى خامس عشرينه: خلع على جمال الدين محمود بن على بن أصفر عينة شاد الجنان بالإسكندرية، ثم أحد أجناد الحلقة، واستقر نقيب الجيش عوضا عن ناصر الدين محمد بن قُرْطَاى الكركى.

وفى هذه الأيام: مرض السلطان حتى أرجف بموته، ثم عوفى.

وفى يوم الأحد ثانى صفر: قدم الأمير أَيْتَمِشْ بمن معه من تجريدة البحيرة، وقد فر بدر بن سلام إلى جهة برقة^(١) وبعث الأمير قُرْطُ برجال كثير قد قبض عليهم، وبعده من رعوس قتلاهم، فعلقت على باب زويلة. ونزل قُرْطُ دمنهور، وبنى عليها سورا، وأخذ فى عمارة ما خرب من بلاد البحيرة.

(١) برقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية انظر معجم البلدان

وفي تاسعه: خلع على الطنبغا الصلاحى، واستقر فى ولاية الأشمونيين، عوضا عن محمد بن العادلى.

وفي حادى عشره: استعفى صاحب شمس الدين أبو الفرج المقلّى من الوزارة؛ لضعف حالها. فإنه أخذ منها عدة بلاد. فقبض عليه وعلى علم الدين يحيى ناظر الدولة، وعدة من الكتاب، وسلموا الشاد الدواوين. فلما كان من الغد بعث الأمير الكبير إلى المقسى بخلعة الوزارة ليستمر على عادته، فامتنع من الولاية، ما لم يعد إلى الدولة ما خرج عنها من البلاد فالتزم كريم الدين عبد الكريم بن مكانس بتكفية الدولة والخاص من غير أن تعاد البلاد التى خرجت عن الوزارة. فخلع عليه فى يوم الخميس ثالث عشره، واستقر فى الوزارة. ونظر الخاص، ونظر ديوان الأمير الكبير ووكالة الخاص، عوضا عن المقسى.

وفيه أنعم على الأمير شرف أنص - والد الأمير الكبير - بتقدمة الأمير أيّدمر الشمسى بعد موته. وخلع عليه، فقبل الأرض بين يدى السلطان، وأقام فى الخدمة حتى انقضت.

وفيه أحاط الوزير على موجود الأمير أيّدمر، ورسم على مباشرى ديوانه ولم تجر عادة بذلك.

وفي رابع عشره: قدم الأمير قُـرُط، ومعه رحاب وإبراهيم وشادى، من أمراء البحيرة.

وفي تاسع عشره: قبض على المقدم سيف، وأحاط الوزير بجميع ماله وألزم بحمل مائتى ألف دينار. وعوقب، فكتب خطه بمائتى ألف درهم.

وفي عشرينه: خلع على رحاب ورفيقه.

وفيه خلع على أحمد العظمة - نقيب قرا غلامية - واستقر مقدم الدولة عوضا عن المقدم ورفيقه عبيد. وخلع على سعد الدين بن الريشة، واستقر ناظر الدولة، عوضا عن علم الدين يحيى، وخلع على عدة من الكتاب باستقراهم فى وظائف كانت بأيدي أصحاب ابن المقسى، فاستقر زين الدين نصر الله بن مكانس فى نظر الأسواق، واستقر علم الدين أفسح فى نظر دار الضيافة، واستقر تاج الدين عبد الله بن سعد الدين نصر الله بن البقرى، صاحب ديوان خزانة الخاص، واستقر تاج الدين عبد الرحيم ابن الوزير

فخر الدين ماجد بن أبو شاعر^(١) فى نظر دار الضرب، واستقر فخر الدين عبد الرحمن ابن مكائس^(٢) فى نظر الإصطبل.

وفيه أفرج عن المقسى وعلم الدين يحيى، على مال مبلغه خمسمائة ألف درهم، ليوردها.

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه: توفى السلطان الملك المنصور^(٣) على بن الأشرف شعبان، ودفن ليلا بترية جدته خوند بركة بالتبانة. وتولى تجهيزه الأمير قُطْلُوْبغا الكوكاى، فكانت مدة سلطنته خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يوما، وعمره نحو اثنتى عشرة سنة. ولم يكن له من السلطنة سوى الاسم، والجلوس على التخت، وله نفقة فى كل يوم.

ثم إن القبرسى لما قصد غزو الإسكندرية استنجد بملوك النصارى بإشارة الباب لهم فى ذلك، والباب هو بتفخيم الباء الأولى، وهو الذى تنقاد النصارى به، ويزعمون أنه من ذرية الحواريين، وعنده الصليب الأكبر، الذى إذا أبرزه للغزو لم يبق ملك من ملوك النصارى إلا أتى بجيشه نحوه. فإذا خرج الباب بصليبه ذلك ارتجت له بلاد النصرانية، فيظفر بتلك الجيوش القوية على مملكة من خالفه من ملوك الرومانية. فلما أعانت ملوك النصارى صاحب قبرس بالمال والرجال والغربان، بإشارة الباب لهم فى ذلك فعمرت المراكب له على ما قيل برودس، لأنها دار صناعة الفرنج، فكانت عمارتها على ما قيل فى أربع سنين، وذلك فى مدة طوافه على الملوك. فلما رجع إلى قبرس، وجدهم تهيئوا له، فجمع ما جاء به على ما عمر له، وتوجه إلى الإسكندرية. وكانت الأخبار تأتى إلى

(١) ماجد (فخر الدين) بن موسى (تاج الدين) ابن أبى شاعر، صاحب القبطى المصرى: وزير. كان صاحب ديوان يلبغا العمرى بمصر. وولى الوزارة فى دولة الأشرف ثلاث مرات. وتوفى بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٣/ ٢٧٤ والنجوم الزاهرة ١١/ ١٣٢ والأعلام ٥/ ٢٥١.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم، أبو الفرج، فخر الدين المعروف بابن مكائس: وزير، شاعر، مصرى حنفى المذهب أصله من القبط. ولد بالقاهرة. وولى نظارة الدولة بمصر، ثم تولى فى آخر عمره وزارة دمشق، وعزله السلطان الظاهر برقوق واستدعاه منها فتوفى قبيل وصوله إلى القاهرة ودفن بها. من كتبه «ديوان الإنشاء». انظر كشف الظنون ١٩٤٧ والعباسية ٢/ ٤٧ والأعلام ٣/ ٣١٠.

(٣) على (الملك المنصور) بن شعبان (الملك الأشرف) ابن حسين بن محمد بن قلاوون: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام ببيع له بمصر، وهو طفل وتمت له البيعة بعد مقتل أبيه سنة ٧٧٨ هـ وقام بماليكه بتدبير الشئون. وأصيب بالوباء الذى انتشر فى مصر فمات فى الثانية عشرة من عمره ولم يكن فى يده من الأمر شىء. انظر ابن إياس ١/ ٢٣٨ والأعلام ٣/ ٢٩٣.

الإسكندرية، بأن العمارة عند القبرسى، فاهتم نائب السلطان بها - وهو الأمير زين الدين خالد - فرفع سورها القصير من جهة الباب الأخضر، وصار يجتهد فى العمارة، ويرسل يطلب من الأمير يلبغا الخاسكى - مقدم الجيوش المنصورة^(١) - الإعانة على عمارة السور، ويعلمه بخبر عمارة القبرسى للمراكب الحربية، فيقول: «إن القبرسى أقل وأذل من أن يأتى إلى الإسكندرية». وما علم يلبغا أن شرارة أحرقت الجلمود، وبعوضة أهلك النمرود، ودلة قتلت فيلا، وبرغوثا أشهر ملكا جليلا.

* * *

ذكر كيفية ظفر القبرسى بالإسكندرية

بما جمعه من أجناس نصارى الرومانية، وغير ذلك من الواردات المستطردات. وذلك أن نائب السلطان بغير الإسكندرية - وهو الأمير صلاح الدين خليل بن عرام - كان غائبا عن الثغر المذكور بالحجاز الشريف، بسبب الحج. وكان نائبا عنه فيه بإشارة الأمير الأتابكى الخاسكى أمير جنغرا. فلما دخل جنغرا المذكور الإسكندرية رأى طوائفها المتطوعة الحارسة لمينتها تبهر عليه بالجزيرة بقسيهم الجرخ الموتر وأعلامهم الحرير المنشورة، مع ما بأيديهم من المزاريق والرمح والدرق والصفاح، والزرذ النضيد، ومصفحات الحديد، والنفط الطيار الصاعد منه هب النار، وهم بملبوسهم المختلف الألوان كالزهر فى البستان. فلما عاينهم جنغرا بكى وقال: «هؤلاء أهل الجنة لرباطهم وجهادهم فى سبيل الله، قد طاب والله العيش بقوة هذا الجيش، لو أتى الإسكندرية جميع نصارى الرومانية، ما قدروا على هذا الجيش الثقيل على الإسكندرية، بل يكسرون النصارى، ويصيرونهم قتلى وأسارى».

فأقام جنغرا بالإسكندرية من شوال سنة ست وستين وسبعمائة إلى المحرم، ينظر إلى تلك الطوائف التى لكل طائفة منها ليلة فى الأسبوع، تبيت تحرس بساحل المينا، وربما بات ليل فى الغرفة التى على باب مسجد تربة طغية، ويقدم قدامه فانوسين أكرتين مقابل باب المسجد المذكور. وتأتى طائفة الزرايين يطلقون النفط، وهو ينظر من طيقان الغرفة المذكورة إلى الشرار الطيار واللوالب التى تدور بألوان النار، من الخضرة والصفرة، والبياض والحمرة، فيتحصل بذلك الانسراح، من العشى إلى الصباح، ويتهيج أيضا بنظره إلى كثرة الخلائق المنتشرة على الساحل من الرماة والعوام، وقد نصب لهم

(١) المنصورة: بلدة أنشأها الملك الكامل بين دمياط والقاهرة ورايط بها فى وجه الأفرنج لما ملكوا

دمياط. انظر معجم البلدان ٥٠٠/٢١١، ٢١٢.

سوق فيه من أصناف المأكول، يشتررون ويأكلون، ومن ماء الروايا والقرب التى تحمل من البلد إليهم، يشربون. فإذا أصبحوا انتظمت الطائفة التى باتت تحرس، ودخل البلد فى همة وجلد، وكثرة ومدد، فتجتمع لدخولهم الرجال والنسوان، ينظرون لأقوام كزهر بستان، من حسن الملابس وبياض تلك الأطالس، فتزغرت لهم النسوان إعلاتا عند مشاهدتهن لهم عيانا، والأبواق حيثذ تصرخ والكوسات تدق، والمزامير تزمير، والأعلام منشورة، والمباخر بالطيب معمورة، ودخانها يفوح، فتنبسط لتلك الروائح الأرجة كل روح، والناس فى فرح وسرور لرؤية ذلك الجيش المخبور، المهتزله الشوارع والدور. فبينما هم كذلك على عادتهم مستمرين، وفى ثغرهم مطمئنين، لا تروعهم الأعداء، ولا رأوا مكروها أبدا، إذا دهمهم صاحب قبرس اللعين فى جنده الضالين، وشتت شملهم أجميعن، فروا منه فى البلدان، ودخل البلد باطمئنان، وذلك فى يوم الجمعة الثانى والعشرين من المحرم، سنة سبع وستين وسبعمائة، والنيل منتشر على البلاد، قصد الملعون بإتيانه لتتوق النجدة من مصر لبعده الطريق من الجبل، فنال الخبيث قصده فى ذلك اليوم، والذى بعده، وتحصن قبل إتيان النجدة بمراكبه، وفرح بسلامة نفسه ومكاسبه فلو كان بها أمراء مجردة ما نال الخبيث منها ثمن زردة لكن كان ذلك فى الكتاب مسطورا، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

* * *

نعود إلى ذكر كيفية إتيان القبرسى إلى الإسكندرية وظفره بها

وذلك أنه لما كان فى يوم الأربعاء العشرين من المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة، ظهر فى البحر مراكب مشرقة ومغربة، زعم أهل الإسكندرية أنهم تجار البنادقة، ينتظرونهم يأتون بمتاجهم. على جارى عادتهم فى كل سنة. وكانت تجار المسلمين جلبوا لهم من اليمن أصناف البهار، يبيعونها عليهم، ويتعوضون عنها من متاجهم. فلما لم يدخلوا الميناء بات الناس فى خوف شديد بسببهم. فلما أصبح يوم الخميس أقبلته المراكب الكثيرة طالبة ساحل الجزيرة، منشورة قلاعها كالقصور البيض. فصار الناس فى الطويل العريض من كثرة لهجهم، وحر وهجهم. وتلك المراكب مقلعة آتية قد ملأت البحر من كل ناحية، فلم تزل تشق البحر كالزلزلة، إلى أن حطت قلاعها ببحر السلسلة، وذلك من جهة الباب الأخضر المسدود بعد الوقعة بالجير والحجر، ثم فتح بعد ذلك وركبت عليه أبوابه الأول والثانى والثالث المتجددة، وذلك فى يوم الوقعة سنة سبع وستين وسبعمائة، فى ولاية الأمير سيف الدين الأكز بالإسكندرية، وسيأتى ذكر ولايته بها وما فعل فيها إن شاء الله تعالى.

نعود. ولما أرسى المراكب الحربية ببحر السلسلة مبرزة عن الساحل اعتد أهل

الإسكندرية للقتال والحرب والنزال، فتعمرت القلاع التى من جهة البحر والجزيرة، بالرماة الكثيرة، وانتشر الناس على السور، وصار برماة الجرخ معمور، فخرج من مراكب الفرنج قارب يجس الميناء بقميرة، فرمى المسلمون عليه بالسهم، فولى هاربا حتى لصق بالمراكب. فلما كان بعد الغروب، أوقدت الفوانيس على السور، فضاء السور بالنور، وبات المسلمون متأهبين بالسور، محدقين والعدو خانس لم يتحرك من الموضع الذى أرسى به. وصارت تلك المراكب منضمة بعضها إلى بعض، كالطوق الصغير فى البحر الكبير، فاستهون المسلمون أمره وقالوا: «ما يقدر هذا على هذه المدينة المسورة الحصينة. والقلاع المشيدة المتينة». فلما كان بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة، انتشر على الساحل بالجزيرة خلق من المسلمين كثيرة، منهم من معه سيفه وترسه، ومنهم من معه نبله وقوسه، ومنهم من معه رمحه وخنجره، ومنهم من ليس عليه سوى ثوبه الذى يستره، وبعضهم قد لبس الزرد المنضد، وبعضهم من هو عارى مجرد. وكانت الباعة خرجوا من البلد، بطباليهم وقذورهم ودسوتهم ملأنة بالطعام، يبيعونه على من بالجزيرة من الخاص والعام، وذلك من ليلة الخميس ليكسبوا معاشهم وهم معلنون بلعن كل راهب وقسيس؛ وذلك من غير خوف من المراكب التى رؤيت يوم الأربعاء فى البحر. ثم إنهم ما فزعوا من الإفرنج باجتماع أفروطتهم يوم الخميس، بل صاروا يلعنون القبرسى كلعنهم لإبليس؛ لأنهم فيما تقدم لهم من بيعهم على الطوائف المتقدم ذكرهم. فكان أحدهم يغضب إذا أنقص له المشتري حبة أو حبتين، ويفرح إذا غلب المشتري بحبة واحدة، فيصير البائع كما قال الشاعر:

لا تغضب السـوقى فبالحـبة ترضيه
وأخذ الفـلس من يـده كأخذ الفـرس من فيه

فصاروا يشترون من الباعة، ويأكلون كما كانوا فى خروجهم مع الطوائف، يعهدون وليس كل منهم مفكر فى أسطول الإفرنج، ولا منه خائف. وصارت الحرافيش والعوام يشتمون القبرسى بالصريح، ويسبونه بكل لفظ قبيح، والقبرسى يسمعهم من مراكبه، وهو ساكن، وكل من معه لم ينطق بكلمة، بل كل منهم صامت فليل: إن القبرسى رمى من أعلى الجزيرة فى الليل حواسيسه فى زى لباس المسلمين، مستعربين كالشياطين، فاحتاطوا بالمسلمين متجسسين، فأروهم من لباس الحرب عارين، فاشتروا كما قيل من المأكول، وأتوا به لصاحب قبرس بالأسطول، وقالوا: له ليس بالجزيرة أحد من الشجعان وليس بها إلا من هو من لباس الحرب عريان، يأكلون ويشربون، وبعضهم يحفر فى الرمل حفائر وبها ينامون. فلما كان قبل الشمس من يوم الجمعة. أقبلت

العربان. من كل ناحية ومكان، قد تخللوا بالكسيان. وكانت النسوان ينظرن إلى مراكب الفرنج من رؤوس الكيمان التي هي داخل السور، المشرفة على القبور، فزرغنت^(١) النسوان لتلك العربان. وقلن قد أتت الشجعان، يقتلون عباد الصليبان، فصاروا يتطاردون على خيولهم تحت الكيمان، وقد أرخوا لها الأعنة، عند سماعهم الزرغنة، وتلك العربان كالطمر من كثرتهم، خارجين من الباب الأخضر. فصاروا في الجزيرة كالجراد المنتشر، وكل من سرايل الحرب منتشر، ليس مع كل واحد منهم غير سيفه الأجرب ورمحه، قاصدا إما لقتله أو لجرحه، فقال أحد المغاربة وغيره للأمير جنغرا: «هذا عدو ثقيل، وقد خرج الناس من الثغر عرايا للبلايا، والمصلحة دخولهم المدينة يتحصنون بأسوارها الحصينة. ويقاتلون من خلف الأسوار. ليظن العدو أن خلفها كل رجل كالأسد المغوار، يذيقونه برميهم عليه الشدة. إلى أن تصل من مصر النجدة»، فقال ممن له رباط بالجزيرة: قد انصرف على بنائه ألوف كثيرة، بنيت بين مقابر الأموات لمييت طوائف القاعات: «ما نترك هؤلاء الفرنج الذي كل منهم رجس مقامر، تطرق بأرجلها ترب المقابر». قالوا ذلك خوفا على ربطهم تخريبها الفرنج إذا نزلوا الجزيرة، بجموعهم الكثيرة. فقال عبد الله التاجر لجنغرا: «دخول المسلمين البلد أصلح لهم» فقالت أرباب الربط: «أنتم مغاربة أحرتم بلدكم طرابلس بأخذ الفرنج وتريدون أن تخربوا ربط المسلمين بدخول المسلمين البلد كذلك ولا كرامة، بل نمنعهم النزول من المركب، ونذيقهم بالسهام العذاب والرعب».

ثم لما كان بعد وقعة القيرسى بستتين، رسم السلطان الملك الأشرف شعبان بهدم ما تجدد في الجزيرة من الربط والقصور، احترازا من العدو أن ينزلها، فيجد مأوى يأويه، ويجد ما يشرب من صهاريجها المملوءة بماء الأمطار، فهدمت تلك الربط والقصور. ولو كان المسلمون تركوا للقيرسى الجزيرة وتحصنوا بالسور وقاتلوا من ورائه كل رجس كفور، لكان المسلمون بتحسينهم بالثغر سلموا من القتل والنهب والأسر، وما كان عليهم من إخراج الفرنج للربط المبنية، لسلامة الإسكندرية، من أذى الملة النصرانية، فالذين خافوا على ربطهم تخربت، ودورهم التي داخل البلد نهبت، وذلك بالرأى الغير صائب، حتى حلت بهم المصائب، لكن القضاء إذا نزل لا يرد، وإذا أراد الله بحكم نفذ، قال بعضهم:

قضاء المهيم لا يدفع إذا حل من ذال له يمنع

وقال الآخر:

(١) فزرغنت: أى زغردت أى رددت المرأة صوتها بلسانها فى فمها عند الفرح. انظر: المعجم

وإذا أراد الله إنفاذ القضا لم يكن فيه لمخلوق مفر
نعود إلى ركوب أمير جنغرا لكلام أصحاب الربط، وتركه لما قاله له عبد الله التاجر
المغربى، فكان جواب جنغرا لعبد الله التاجر المذكور: «لست أترك أحدا من الفرنج
يصل إلى الساحل، ولو قطعت منى الأوداج ونفذت المقاتل»، وإذا أراد الله أن يلطف
بعبداه ألهمه حسن التدبير، وإذا خذله شئت رأيته. ثم إن الفرنج صاروا عمراكبهم ينظرون
أحوال الناس، فلم يروا إلا من هو عار من اللباس، فطمعوا فيهم، وزحفوا بغراب
التقدمة إليهم، فنزلت إليه طائفة من المغاربة خائفين فى الماء، ناوشوا^(١) من فيه القتال
والحرب، والنزال، وأمسكوا الغراب بأيديهم وطلبوا من الزرقاين النار ليحرقوه، فلم
يأت أحد بشرارة، وذلك لقلة همتهم وتهاونهم وغفلتهم، فاستعجلوهم بالنار، فرموا
بمدفع فيه نار كنار الحلفاء، فوقع فى الماء فانطفأ. ثم إن المغاربة وأصحاب الغراب
ضربوا بعضهم بعضا بالسيوف إلى أن قتلت المغاربة فى تلك المحاربة، فحيث دخل
الغراب الساحل، وتبعه آخر كان يرمى بالنسهم. فلما دخلا البر تتابعت الغريان داخل
من أماكن متفرقة، فنزلت الفرنج سريعا من مراكبها بخيلها ورجلها، وقت ضحى نهار
يوم الجمعة إلى البر، فرمت الخيالة المسلمون يقدمهم أصحاب الدرق والسيوف، مشاة
على الأقدام. فلما رأت الباعة الطعام، الذين كان كل واحد منهم يخاف على الحبة
والخبثين، ترك ماعونه وهرب، حافيا بغير نعلين، فمنهم من نجا من الكفرة، ومنهم من
صارت هامته على الأرض مكررة. وكانت الفرنج مسربة^(٢) بالزرد النضيد، متجلية
بصفائح الحديد، على رؤوسهم اللامعة وبأيديهم السيوف القاطعة، قد تنكبوا
القسى الموتورة، ورفعوا أعلام الصليبان المنشورة. وصاروا يرمون على المسلمين،
فارتشقت سهامهم فى أهل الإيمان، وفى خيول العربان، فهاجت بهم تلك الخيول فى كل
جهة ومكان، فانهزموا إلى ناحية السور. فصار جيش المسلمين بهزيمة العربان مكسور،
ولا عادوا قابلوا الفرنج الكلاب، بل دخلوا البلد عابرين من الأبواب. وكانت الفرنج

(١) ناوشوا: ناوش فلانا: احتير قوته قبل أن يقاتله وقال أبو حنيفة: التناوش بالواو من قرب. قال
الله تعالى: ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاضُوتُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾؛ قال أبو عبيد: التناوش بغير همز التناول والنوش مثله،
نشئت أنوش نواشا. قال الفراء: وأهل الحجاز تركوا همز التناوش وجعلوه من نشئت الشيء إذا تناوله
وقد تناوش القوم فى القتال إذا تناول بعضهم بعضاً بالرمح ولم يتدانوا كل التدانى. وفى حديث
قيس بن عاصم: كنت أناوشهم وأهاوشهم فى الجاهلية، أى أقاتلهم؛ وقرأ الأعمش وحمة والكسائى
التناوش بالهمزة، يجعلونه من ناشئت وهو البطء. فانظر لسان العرب ص ٤٥٧٥

(٢) مسربة: السربال: القميص والدرع، أو كل ما لبس والجمع سراويل. انظر: المعجم الوجيز

لابسين الحديد من الفرق إلى القدم، والمسلمون كاللحم على وضم^(١)، فكيف يقاتل اللحم الحديد، وكيف يبرز العارى لمن كسى الزرد النضيد، فانهزمت المسلمون وولت، ومن الكفار فرت، فقال الشاعر فى ذلك:

قد ولت المسلمون لما باللبس وافاهم جنود
وكيف لا يهربون منهم والناس لحم وهم حديد
ثم إن أهل الإسكندرية لما رأو ما لم يعهدوه أبدا، ولا شاهدوه على طول المدى، رجفت منهم القلوب، وصار كل واحد من عقله مسلوب، ولما رأو من الرعوس الطائرة، والخيول الغائرة، فتزاحموا فى الأبواب، بعضهم على بعض، فصاروا موتى بالطول والعرض، وثبت بعض الناس، وقاتل وهو مجتهد، حتى قتل من الفرنج ما تيسر له قبل أن يستشهد. قيل إن محمد الشريف الجزار هجم على الفرنج بساطور الجزيرة، جعل عظام جماعة منهم مكسرة، وهو يقول: «الله أكبر قتل من كفر» إلى أن تكاثرت عليه منهم جماعة كثيرة، فاستشهد - رحمه الله - بالجزيرة وروى بعض فقهاء المكاتب - ويعرف بالفقيه محمد بن الطفل - وهو قاصد الفرنج بسيفه فقتل له «تموت يا فقيه محمد» فقال «إذا أسعد، وأصير مجاورا للنبي محمد، وأى موة أحسن من الجهاد فى سبيل الله لأصير إلى الجنة»، وهجم فيهم فصار يضربهم ويضربونه إلى أن رزق الشهادة، وختم له بالسعادة.

نعود إلى ذكر من قاتل بالجزيرة من المسلمين للفرنج الكافرين. وذلك أن جماعة من رماة قاعة القرافة المتطوعة. لما حوصروا فى الرباط الذى عمره لهما الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن سلام خارج باب البحر بالجزيرة بسبب مبيتهم فيه وصلواتهم، وذكرهم ليلة خروج طائفتهم، ترابط به وكان بناؤه قبل الوقعة ما يزيد على سنة، قيل إنه انصرف على عمارته ثمانمائة دينار. فلما تكاثرت الفرنج حول الرباط، صارت رماة

(١) وضم الوضم: كل شئ يوضع عليه اللحم من خشب أو بارية يوقى به من الأرض؛ قال أبو زغبة الخزرجى، وقيل: هو للحطم القيسى، وقيل: هو لرشيد بن ربيع العنزى:

لست براعى إبل ولا غنم ولا يجزار على ظهر وضم
ومثله قول الآخر:

وفتيان صدق حسان الوجوه لا يجردون لشئى ألم
من آل المغيرة لا يشهدون عند المجازر لحم الوضم

والجمع أوضاع. وفى المثل: إن العين تدنى الرجال من أكفانها والإبل من أوضاعها على الوضم. ووضمه يضمه وضما: عمل له وضما، وفى الصحاح: وضعه على الوضم. وتركهم لحما على وضم: أوقع بهم فذلهم وأرجعهم. والوضم: ما وضع عليه الطعام فأكل. انظر لسان العرب ٤٨٦١.

المسلمين في أعلاء يرمون على الفرنج بسهامهم، فقتلوا من الفرنج جماعة. فلما نفذت سهامهم عمدوا إلى شرفات الرباط. صاروا يهدمونها، ويرمون الفرنج بأحجارها إلى أن نفذت حجارة الشرارييف منهم. فانقطع رميهم فكسرت الفرنج شباييك الرباط المذكور، وصعدوا إليهم فلما صارت الفرائج معهم صاحوا بأجمعهم «يا محمد» وصمتوا، فلم يسمع لهم بعد ذلك صوت. أخير عنهم بذلك عبد الله بن الفقيه أبو بكر قيم مسجد القشيري، كان مختفيا بصهريج المذكور فذبحتهم الفرنج عن آخرهم بخناجرهم، فصارت أدميتهم تجرى من ميازيب الرباط المذكور، كجرى الأمطار حين أبانها فيها. وقيل كان عدد المذبوحين فوق السطح الرباط من المسلمين زيادة على الثلاثين، فطوبى لهم إذ رزقوا الشهادة، وختم لهم بالسعادة. فلما رجع من خرج من الإسكندرية فارا من الفرنج من أبواب البر - كما سيأتى ذكر صفة فرارهم - وعابنوا القتل المطروحين بالأرض داخل البلد وخارجه بالجزيرة. وقصدوا رباط ابن سلام المذكور، فرأوا تحت الميازيب دماء كثيرة جامدة، فصعدوا إلى سطحه فوجدوا الرماة ذبحوا. وبالجنة قد فرحوا ورجحوا، فحفروا لهم خارج الرباط قبرا متسعا ودفنهم فيه، رحمة الله عليهم. فكانوا كما قال الله تعالى في أمثالهم: ﴿وَقَاتِلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (١).

قال المؤلف - غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين - : حدثني الشيخ الصالح أحمد بن النشاء - شيخ رماة قاعة القرافة بالإسكندرية - قال: حدثني محمد الخياط بعد قدومه من مدينة قبرص مع من حضروا من أسارى الإسكندرية الراجعين إليها منها. قال: «كنت مع رماة المسلمين على سطح رباط ابن سلام. حين صعدت الفرنج إلينا، فصاروا يذبحون الرماة، وأنا أضطرب من الخوف، فتركونى حيا لصغر سنى. وأما حسين البياح فإنهم لما قصدوا ذبحه. ضحك لهم فضحكت الفرنج بضحكه: وقالوا: «اتركوه لأنه ضحك موضع الخوف، فأسرنا نحن الاثنين، فحزن حسين بعد ذلك وبكى».

ولما رأى الشيخ محمد بن سلام ما فعل برباطه من بابه وشباييكه النحاس وكسر قناديله. وحرقت سقف إيوانه، وقتل رماة المسلمين به بكى وتألّم على ما رأى وشاهد. فسد حينئذ شباييكه وبابه بالحجارة. ثم أنه عمره ثانيا سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، فصار كما كان أولا، لكنه أقتنى سقف إيوانه بالحجارة لا بالخشب، حتى لا يصير للنار

فيه عمل، إن حدث أمر...

نعود إلى ذكر خبر الإسكندرية: وذلك أن الأمير جنغرا المتقدم ذكره، لما رأى الناس فروا من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله بلذع سهام الفرنج، والتذع هو أيضا بها، وسال دمه من نصلها. ندم على مخالفته لقول القائل: «أدخل الناس ليتحصنوا بأسوارها الحصينة يقاتلوا الفرنج الكفار بسهامهم من كوى الأسوار. إلى أن تأتي النجدة في أقرب مدة، ليزول بحضروها عن المسلمين الشدة». فتيقن حينئذ أن عدم خروجهم من الأبواب كان عين الصواب، وأن الذي أشار بعدم دخولهم البلد كان فيه أليم العذاب، وصار كل منهم بالفرار مركون ببلد البسلقون^(١) وبلد الكريان، وغيرهما من البلاد الدانية والبعاد.

ثم إن جنغرا قصد ناحية المطرق المحاذي لدار السلطان، غربى الإسكندرية من ظاهر سورها، خائضا بفرسه فى الماء، ومن معه من المسلمين فدخل الإسكندرية من باب الخوخة. فأتى بيت المال، أخذ ما كان فيه من ذهب وفضة، وأخرجها من باب البر، وأمر بتجار الفرنج وقناصلهم - وكانوا نحو خمسين بالإسكندرية مقيمين - أخرجهم من باب البر، ووجههم إلى ناحية دمنهور^(٢)، بعد أن امتنعوا من الخروج مع الجبلية المرسمين عليهم. فعند ذلك ضرب أحد الجبلية عنق إفرنجى منهم بسيفه، فحين رأوا ذلك، خافوا أن تضرب أعناقهم، فأذعنوا بالخروج سرحة، فخرجت الجبلية بهم مسلسلين إلى جهة دمنهور. وكان خروجهم بهم حين انضمام العدو إلى القرب من السور فرمتهم المسلمون من أعلى السور بالسهام، فلم يقدروا على الوصول إليه. ثم إن الفرنج عمدوا إلى بنية خشب ماؤها حريقا، وقصدوا بها حرق باب البحر، بكركرتها بأسنة الرماح، فتتابعت عليهم السهام من أعلى السور فقتل من الفرنج جماعة، فحاروا فى أمرهم ماذا يفعلون، فتركوا البنية تتقد بنارها، بعيدا من الباب، ورجعوا إلى ناحية الميناء الشرقية، ونظروا فلم يجدوا على السور من تلك الجهة أحدا. ولا ثم خندق يمنع من الصعود إلى السور، فدرجوا إلى جهة باب الديوان أحرقه، ودخلوا مع ما نصبوا هناك من السلام الخشب المفصلة، صعدوا عليها السور فلما رآهم المسلمون الذين على السور من البعد قد صعدوه وبينهم وبين الفرنج قلعة عالية غير نافذة إليهم، شردوا طالين النجاة منهم لكثرتهم، ولتحققهم بأن الفرنج ملكت البلد، فقتل من المسلمين من أدركته الفرنج، وسلم منهم من خرج من أبواب البر، فلو كان السور الذى يلى البحر

(١) البسلقون والكريان: من البلاد القديمة بمركز كفر الدوار.

(٢) دمنهور: بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد فى طريق مصر. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢.

معمرا بالرجال من جهة الديوان والصناعة سلمت منهم الإسكندرية، وإنما قال شمس الدين بن غراب كاتب الديوان، وشمس الدين بن أبى عذبية الناظر «أغلقوا باب الديوان الذى يلى البلد لئلا تنقل التجار بضائعها منه إلى البلد فتضيع الحقوق التى عليها». فقفل الباب فلذلك امتنعت الرماة من تلك الجهة من السور، فبذلك رأى العدو جهة خالية ودخل البلد منها. وقيل إن ابن غراب المذكور كان متعاملا مع صاحب قبرس^(١) عليها، وأن صاحب قبرس أتاها قبل الوقعة فى زى تاجر أو اه ابن غراب المذكور مدة، فصار القيرسى يتمشى بالبلد فى جملة الفرنج التى بها تجارا وهو يكيفها وينظر أحوال الناس. فلما علم ذلك بعد الوقعة وسط الأمير صلاح الدين بن عرام بعد قدومه من الحجاز شمس الدين بن غراب، وعلقه قطعتين على باب رشيد. فلو فتح باب الديوان الذى على البلد قاتلت المسلمون الفرنج من أعلى سوره، ووجدوا ما يقوتهم بالأكل من نقل الشام. وكانت أصحاب البضائع تحرسها، ويطعمون منها المجاهدين. فلما لم يكن للأمير جنغرا رأى صائب، وقفل ابن غراب والناظر لباب الديوان، أخذت الفرنج البلد منه، ونفذت المقادير، من كل كبير من أهل الثغر وصغير، فمنهم من قتل، ومنهم من أسر، ومنهم من سلم، ومنهم من كسر، ومنهم من هرب بعد أن ألقى سلاحه واضطرب، ومنهم من ترك وطنه وتغرب، ومنهم من ازدحم فى الأبواب ومات، ومنهم من افتقر وبلى بالشتات، فما أسرع ما أخذ الثغر، وما أعجل ما انكوت قلوب أهله بالجمر، ظفرت به الفرنج فى اليوم الذى نزلوا فيه من مراكزهم إلى البر، ولا أمسك بالحصار يومين بل أخذ من المسلمين فى ساعتين وقيل إن الحصار للمدن والحصون تمسك السنة والستين.

فلما دخل الإسكندرية الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى، بعد الوقعة، قيل له ذلك فقال: «إذا كان النخال حفظ جهته فكيف لو كان دقيقا أو سويقا. كان يحمى البلد ولم يدخل إليه من الإفرنج أحد». وكان فرار أهل الإسكندرية من الفرنج من باب السدرة وباب الزهرى وباب رشيد بعد زحام شديد، فمنهم من أدركته الفرنج بباب السدرة فقتلته، ومنهم من أسرته، ومنهم من نزل من السور فى الحبال والعمائم، فعطب العاطب^(٢)، وسلم السالم، وصعدت الفرنج على أعلى باب السدرة. نصبت عليه الصليبان، وصار كل واحد من المسلمين برؤيته للفرنج كالهائم الوهان.

(١) قبرس: قبرص أو قبرس بضم أوله وسكون ثانيه ثم ضم الراء وسين مهملة، هى جزيرة فى بحر الروم. انظر معجم البلدان ٤ / ٣٠٥.

(٢) العاطب: الفاسد وعطب عطبا: هلك وفسد. انظر المعجم الوجيز ٤٢٣.

وكان خروج أهل الإسكندرية من الأبواب من أعجب العجائب، وذلك لازدحامهم. وهلاك بعضهم من قوة الزحمة. وفي ذلك الوقت نزعت من قلوبهم الرحمة، فخرج من الأبواب ألوف مؤلفة، بتوحيد الله معترفة، فامتألت منهم الغيطان والبلدان، ونهب بعضهم العربان، وغلا السعر بينهم ما جلبته الباعة إليهم من البلدان، فباعوا الغالى بالرخيص، وصار كل منهم على تحصيل القوت حريص، ولا أمكنهم ترك القوت لزيادة الغلاء ولا رجعوا إلى قول الشاعر فى بيته السائر بين الملأ وهو:

وإذا غلا شىء على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا
ثم إنه لما حصل الغلاء بين أهل الإسكندرية، الذين فروا من الملة النصرانية، ومنهم من باع ما عليه من فوطه وفاضل قميص، ومنهم من باع ما يتدفأ به من جبة وفرو مصيص، وذلك لخروجهم من بلدهم سرعة، وليس مع بعضهم درهم ولا قطعة، بل تركوا ديارهم مغلقة الأبواب، كسرتها وترعت فيها الإفرنج الكلاب، فنهبتها من الحوانيت والفنادق. وحملت ما فيها على الجمال والبغال والحميز والأيانق، ثم قتلوا من اختفى عند مصادفتها له من كبير وصغير، وعرقبوا المواشى، فممنهم هالك وكسير. ثم إنهم أحرقوا القياسر والخانات، وأفسدوا النسوان والبنات، وكسر كل عالج وارد قناديل الجوامع والمساجد، وعلقوا على السور أعلام الصليبان، وأسرروا الرجال والنساء والولدن، وقتلوا كل شيخ عاجز. حتى الجحانين والبلهاء والعجائز وضاع للناس فى خروجهم من أبواب المدينة ما استخفوا حمله من ذهب ومصاغ للزينة وذلك من قوة الزحمة وطلب النجاة بقوة يتمه فمن الناس من خرج بمن كان معه، ومنهم من ضاع ما معه فى تلك الزحمة المفظة ومنهم من ضاع ماله الذى خرج به بين الأبواب، وصار من ضياعه فى حسرة واكتئاب، قيل إن بعض تجار الأعاجم خرج من باب رشيد، ومعه جراب فيه ستة آلاف دينار، فمن قوة الزحمة فى الباب سقط من بين يديه، بعد أن كان قابضا عليه، فما قدر على الانحناء يأخذه من الأرض من قوة ازدحام الناس بعضهم لبعض، بل رفعه من كان خلفه، فخرج صحيح البدن من الباب، مجروح القلب من ضياع الجراب، فتفتت أكباده، وعدم نومه ورقاده وصار إلى الجنون انقياده، وزال عنه عقله ورشاده، وصار يستغيث فلا يغاث، ونخل جسمه حتى صارت عظامه كالرفات، ثم حصل له بذلك الضرر والبؤس، لما أحاطت به العكوس والنحوس، فصارت الأحباب تلومه على ضيعة الجراب، فأنشد من لوعة الاكتئاب:

إذا كنت ألقى البؤس عند أحبتي ترى عند أعدائى يكون دوائى

ثم إن الفرنج فعلوا بالإسكندرية ما تقدم ذكره من نهب بعد كسر وقتل وإحراق، من عصر يوم الجمعة إلى آخر يوم السبت ثانيه. وكان مما أحرقوه حوانيت الحرف بكما لها، وسوق القشاشين بالمعاريج، والحوانيت الملاصقة لقيسارية الأعاجم من خارجها من الجهة الشرقية، وحوانيت شارع المرجانيين وبعض فنادقه، وفندق الطيبة مع فندق الجوكندار، وفندق الدماميني الذى يسوق الجوار، ووكالة الكنان المقابلة لجامع الجيوشى بالقرب من العطارين مع سوق الخشابين. وأحرقوا أيضا درابزى مدرسة ابن حباشة مع سقف الإيوان، وعبثوا بكل ناحية ومكان، وأحرقوا باب مدرسة الفخر القريبة من باب رشيد، وعبث بإحراق بعض حوانيت المحجة كل عالج مريد. ذكر لى شيخ يسكن بالحجة قال: «كنت مختفيا بأعلى دارى فى مكان أنظر من كوة^(١) صغيرة، فرأيت الفرنج يأتون إلى الحانوت المغلق الباب، فيمد أحدهم على بابه خطة سوداء، ويخط من فوقها خطة حمراء، ويلقم الخط النار فيلتهب الباب بسرعة». قيل إن الفرنج يستصحبون معهم حلق الحراقات المغموسة بالزيت والقطران والزفت والنفط، فيضع أحدهم الحلقة الواحدة فى نصل السهم الموضوع على متن قوس الركاب، ويلقم الحلقة النار، ويفك الوتر من الحوزة، فيخرج السهم صاعدا إلى السقف يركز فيه، فليتهب الخشب بسرعة، فينزل إلى الأرض يحرق كل ما فى البيت، مما ليس تحملهم به حاجة. يفعلون ذلك نكاية للمسلمين. لعنة الله على الفرنج أجمعين.

نعود إلى ذكر ما فعلته الفرنج بالإسكندرية: ثم إن الملاعين أحرقوا فندق الكيتلانيين، وفندق الجنوبيين، وفندق الموزة، وفندق الموسليين، فصارت النار تعمل فى البندق والبضائع التى لم تجد لها محملا معهم، لإشحان مراكبهم مما أخذوه من أموال الإسكندرية ثم كسرت الفرنج أيضا حوانيت الشماعين والبياعين، بعد نهب قياسر البزازين، وكسروا ما فيها من الأوعية والأواني والأحقاف^(٢) والبراني، فصارت ملقاة

(١) والكو والكوة: الحرق فى الحائط، والثقب فى البين ونحوه؛ وقيل: التذكير للكبير، والتأنيث للصغير، قال ابن سيده: وليس هذا بشيء. قال الليث: تأسيس بنائها من ك و ي كان أصلها كوى ثم أدغمت الواو فى الياء فجعلت واوا مشددة؛ وجمع الكوة كوى، بالقصر نادر، وكواء بالمد، والكاف مكسورة فيهما مثل بدرة وبدر. وقال اللحياني: من قال: كوة ففتح فجمعة كواء ممدود؛ والكوة، بالضم لغة، ومن قال: كوة فضم فجمعه كوى مكسور مقصور؛ قال ابن سيده: ولا أدرى كيف هذا وفى التهذيب: جمع الكوة كوى كما يقال قرية وقرى. وكوى فى البيت كوة: عملها. وتكوى الرجل: دخل فى موضع ضيق فتقبض فيه.

وكوى: نجح من الأنواء، قال ابن سيده: وليس بثبت. انظر لسان العرب ٣٩٦٤

(٢) الحقف من الرمل: المعوج، وجمعه أحقاف وحقوف وحقاف وحقفة؛ ومنه قيل لما اعوج: =

مطروحة فى الطرقات، قد سال ما فيها من زيت وعسل وسمن وغير ذلك، وكسروا أيضا حوانيت الصاغة، وأخذوا ما فيها من مال ومصاغ، كما أخذوا من حوانيت الصرف ما كان بها من دنائير ودراهم، ونهبوا أقمشة التجار المصريين والشاميين المخزونة المبيعة للسفر بها لمصر والشام ونهبوا أيضا الحديد الذى قدمت به تجار الأعاجم وغيرهم إلى الإسكندرية، وكانت عدة قناطير، ونهبوا من الدور الأموال والأقمشة والمصاغ والفرش والبسط والنحاس وغيره وأخذوا معهم باب المنار الذى كان عمره الأمير صلاح الدين عرام قبل الوقعة، على الأساس الذى كان أسسه الملك المنصور قلاوون وبطل عمارته، فعمل ابن عرام عليه حصنا دائرا، ثم أخذت الفرنج أيضا شبائيك قبة طغية انتى بالجزيرة وأحرقوا سقف الربط التى بها، وهى التى خاف عليها أصحابها من الإفرنج قبل نزول الفرنج من مراكبهم، وكسروا قناديلها وقناديل المزارات، وأفسدوا قصور الجزيرة وتربها، وكسروا أعمدة قبة منبر مصلى العيد، وعمودى ضريح قبة تربة الأمير طغية، والأمير بلاط، واللذين فيهما تاريخ وفاتهما. وكانا موهين بالذهب واللازورد، وقلعوا حلقتى باب المدرسة الخلاصية التى عمرها نور الدين بن خلاص، وكانا من النحاس المخرم فعمل لباب المذكورة غيرهما بعد أشهر من حين الوقعة، وأخذوا منها كرسى الربعة وبيتها، وكانا من النحاس الأندلسى المخرم، المنزل فيهما اليقات الفضة بدائرها، لم ير منها حسن صنعة وتديق وتخريم وتركوا أجزاء الربعة المذكورة الثلاثين جزءا مطروحة بالمدرسة المذكورة، لا يأخذوا جزءا واحدا، وصعدوا صومعة المدرسة النابلسية، فوجدوا فيها جمال الدين ابن بانيها مختفيا منهم بها، وكان شيخا كبيرا، ضعيف البنية، فألقوه على رأسه من أعلاها إلى الأرض، فاندقت عنقه. فمات شهيدا رحمه الله. وقتلوا من وجدوه بالجوامع والمشاهد،

=محقوق. وفى حديث قس: فى تائف حقاف، وفى رواية أخرى: حقائف؛ الحقاف: جمع حقف، وهو ما اعوج من الرمل واستطال، ويجمع على أحقاف، فأما حقائف فجمع الجمع، أما جمع حقاف أو أحقاف، وأما قوله تعالى: «إذ أنذر قومه بالأحقاف»، فقول: هى من الرمال، أى أنذرهم هنالك. قال الجوهري: الأحقاف ديار عاد. قال تعالى: «واذكر أبا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف»، وقال الفراء: واحدها حقف وهو المستطيل المشرف وفى بعض التفسير فى قوله بالأحقاف فقال بالأرض، قال: والمعروف من كلام العرب الأول، وقال الليث: الأحقاف فى القرآن جبل محيط بالدنيا من زبرجدة خضراء تلتهب يوم القيامة فتحشر الناس من كل أفق؛ قال الأزهرى: هذا الجبل الذى وصفه يقال: له قاف، وأما الأحقاف فهى رمال بظاهر بلاد اليمن كانت عاد تنزل بها. والحقف: أصل الرمل، وأصل الجبل، وأصل الحائط. وقد احقوق الرمل إذا طال واعوج. واحقوق الهلال: اعوج. وكل ما طال واعوج، فقد احقوق كظهر البعير وشخص القمر. انظر لسان العرب ٩٣٩ انظر

وأقاموا بالإسكندرية العرباد، فقتلوا الناس فى الدور والحمامات والشوارع والخانات، وكانت الفرنج تخرج بالنهب من الإسكندرية إلى مراكبهم على الإبل والخيل والبغال والحمير، فما فرغوا من النهب. وقضوا إربهم من البلد، طعنوها بالرماح وعرقبوها بالصفاح، فصارت مطروحة بالجزيرة والبلد لم يعلم لها عدد، فهلكت وجافت، فأحرقها المسلمون بالنار لتزول رائحة جيفها.

ثم إن الفرنج تحصنوا بمراكبهم بعد وقرها وإشحانها بما نهبوه، وكانت تزيد على سبعين مركبا، وتركوا بالساحل فضلات البهار التى لم يجدوا لها محملا، فرجع إلى أربابه، من وجد علامة عليه أخذه، ثم إن مراكب الفرنج ثقلت بما فيها، فصاروا يلقون ما فيها فى البحر - على ما قيل - لتخف من كثرة الوسط وكان الغواصون يرفعون النحاس وغيره بناحية أبوقير، ولولا لطف الله تعالى بعباده بحرقهم باب رشيد وباب الزيادة كانت الفرنج ملكت البلد وحصل التعب فى خلاصه، كما حصل فى طرابلس الغرب ومدينة أنطاكية^(١) بى التركية، وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر ظفر الفرنج بهما إن شاء الله تعالى. ولطف الله تعالى بعباده المسلمين فى عدم معرفة الفرنج لقصر السلاح، الذى بالموضع المعروف بالإسكندرية بالزربية، لو فهموه أحرقوا جميع ما فيه من السلاح المدخر من عهد الملوك السالفة. رحمة الله عليهم، فلقد وضعوا فيه من الأسلحة الكثيرة ما ليس لعدددها حصر، ذكر أبو العباس أحمد شيخ رماة قاعة القرافة المرصدة لسلاح الجهاد المتطوع به: بها ستون ألف سهم من بعض السهام التى فى أحد بيوت قاعة من قاعاته، قيل إن فيه عدة قاعات فى كل قاعة عدة بيوت، فى كل بيت آلاف مؤلفة من السهام، إلى غيرها من السيوف والرماح والمزاريق والأتراس والخوذ والقنابر والزرد والزرديات والأطواف والفرقلات، والسواعد والركب والساقات والأقدام الحديد، والقسى الملوبة والجرج والركاب والأعلام ما لا ينحصر بالأقلام. ثم فيه أيضا من حجارة العلاج والمدافع والنفط وحيل الحروب ومكايدها كثيرا، فلو علمت به الفرنج أحرقته سريعا، فحصل اللطف الكبير من اللطيف الخبير لعدم معرفتهم إياه، بعد أن أتوا إلى بابه ظنوا أنه أحد أبواب المدينة، خافوا من كسر بابه ليكون وراءه كمين يطبق عليهم. قال المؤلف - غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين - حدثنى الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن يوسف حارس القصر المذكور - ويعرف بابن قراجا - قال: «كنت فيه بمفردى لما دخلت الفرنج الإسكندرية، فأغلقت بابه، وقرأت حزب سيدى الشيخ الصالح أبى الحسن الشاذلى، وإذا بالفرنج أتوا إلى الزربية، فيهم خيالة ومشاة، وكنت صعدت أعلى القصر، فعدت أنظر إليهم من شقوق فى حائط، فطلع

بعضهم على زلاقة بابه، وصاروا يتشاورون فى أمره، وكنت أعددت لنفسى مكانا أحتفى فيه إن دخلوه، ولكن خفت بأن يحرقوه فأهلك بالنار، فوقفوا ساعة وتركوه ومضوا، فرأى أحدهم صبيا بالزربية يعدو سريعا حين معاينته لهم، فعدى الإفرنجى، فلما أحس به الصبى ووقف باهتا من الخوف، فضربه الإفرنجى، فالتقى الصبى الضربة بيده اليسرى. فطارت يده إلى الأرض، ثم ضربه ضربة أخرى على عانقه، فوقع على شقه الأيمن مستقبل القبلة، ومضى وتركه. فصار الصبى ينش الذباب بيده اليمنى عن وجهه وجراحه وهو راقد، وما أمكننى النزول إليه من القصر، خوفا من رجوع الفرنج إلى الزربية فصار الصبى مطروحا بالأرض إلى أن مات شهيدا، رحمه الله. انتهى.

نعود إلى ذكر ما أحرقت الفرنج أيضا بالإسكندرية: وذلك أنهم أحرقوا أبواب البحر الأولى والثانى، وأبواب الباب الأخضر الثلاثة، وباب الخوخة، والجانيق التى كانت بالصناعتين الشرقية والغربية، وكان أهل الإسكندرية وقت هزيمتهم حرقوا إغربة كانت بالصناعة الشرقية لئلا تأخذها الفرنج، فلما رأتها الفرنج محروقة أحرقتها بالنار، ثم أحرقت الفرنج أيضا دار الطراز والديوان، بعد أن أخذوا ما فى دار الطراز من الاستعمالات الرفيعة الأثمان وأحرقوا أيضا قلعة ضرغام والمكان المعروف بالمكلس، وكان برسم الاستعمالات أيضا. وكانت مدة إقامة الفرنج من حين أتوا إلى الإسكندرية وظفروا بها إلى آخر من سافر منهم ثمانية أيام، وذلك أنهم أوتوها يوم الخميس حادى عشرين المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة، وسافر آخرهم يوم الخميس الثامن والعشرين من الشهر المذكور، وكان سبب إقامتهم تلك الأيام لينظروا من البحر من يأتى من البحيرة^(١) من مصر. فلما عاينوا وهم بمراكبهم العساكر أقبلت كالجراد المنتشر، يقدمها الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى، سافروا.

* * *

السلطان الملك الصالح صلاح زين الدين أبو الجود

حاجى بن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون الألفى^(٢)

(١) البحيرة كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٥١.

(٢) أمير حاج (الملك الصالح) بن شعبان (الأشرف) بن حسين بن محمد بن قلاون: آخر سلاطين الدولة القلاونية بمصر والشام. أخذت له البيعة فى القاهرة بعد وفاة أخيه (على بن شعبان) سنة ٧٨٣هـ ثم خلع سنة ٧٨٤هـ وكانت مدة سلطنته هذه سنة وسبعة أشهر وأيام. ثم أعيد إلى الحكم سنة ٧٩١هـ وغير لقبه وتلقب بالملك المنصور ثم خلع نفسه من السلطنة. انظر ابن إياس ٢٥٥/١، ٢٥٧، ٢٧٤ والأعلام ١٣/٢.

أقيم فى السلطنة ثانى يوم مات أخوه المنصور وقد اجتمع الأمير الكبير برقوق^(١) والأمراء بالقلعة فى يوم الإثنين رابع عشرينه، واستدعوا الخليفة وقضاة القضاة إلى باب الستارة، وأحضر إليهم أولاد الملك الأشرف شعبان، وهم إسماعيل وأبو بكر وحاجى، فوقع الاختيار على حاجى - فإنه أكبرهم - فحلفوا له، وباعه الخليفة. ثم أركب من باب الستارة بشعار السلطنة، والأمراء فى ركابه مشاة، حتى صعد الإيوان فأجلس على تخت الملك، ولقب بالملك الصالح، ومد السماط بين يديه، ثم عبروا به إلى القصر، فأجلس به، وخلع على الخليفة، ونودى فى القاهرة ومصر بالدعاء للسلطان الملك الصالح.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: أجلس السلطان بدار العدل، وعملت الخدمة على العادة، فلما دخل إلى القصر بعد الخدمة، حضر الخليفة والقضاة ومشايخ العلم، وقرأ عهد الخليفة للسلطان على الأمراء، وكتب عليه الخليفة خطه، وشهد فيه القضاة عليه، ثم خلع على القضاة وكاتب السر والوزير.

وفيه خلع الوزير على يوسف بن المقدم محمد بن يوسف، واستقر مقدم الدولة، عوضا عن أحمد العظمة، باستعفائه.

وفى ليلة الثلاثاء خامس عشرينه: مات المقدم سيف تحت العقوبة، ولم يخلف بعده فى معناه مثله، سعة مال وكثرة أفضال،

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بالقاهرة ومصر.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الأول: خلع على تاج الدين بن وزير بيته مستوفى الخاص، واستقر فى نظر الإسكندرية، عوضا عن مجد الدين بن البرهان. واستقر علم الدين ودينات فى استيفاء الخاص. وخلع على ناصر الدين أحمد بن محمد ابن محمد التنسى^(٢)، وأعيد إلى قضاء الإسكندرية، عوضا عن تاج الدين بن الربعى.

(١) برقوق بن أنص - أو أنس - العثماني، أبو سعيد، سيف الدين الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة تولى حكم السلطنة سنة ٧٨٤هـ وتلقب بالملك الظاهر ثم خلع ثم أعيد مرة ثانية سلطانا سنة ٧٩٢هـ وتوفى بالقاهرة. مدة حكمه أتابكا وسلطانا قرابة ٢١ عاما. انظر ديوان الإسلام وابن إياس ٢٥٨/١، ٢٩٠ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

(٢) أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الزبيرى الإسكندراني المالكي، ناصر الدين بن التنسى: قاض من أهل الإسكندرية. نسبته إلى تنس من أعمال تلمسان كان تاجرا، وولى القضاء بالإسكندرية سنة ٧٨١هـ صيانة لماله. عمل تعليقا على مختصر ابن الحاجب، وشرح الكافية لابن الحاجب واستقر فى قضاء المالكية بالقاهرة سنة ٧٩٤هـ ومات بها. انظر رفع الإصر ١٠٧/١ والضوء ١٩٢/٢ وشذرات ٥/٧ والأعلام ٢٢٥/١.

وخلع على جلال الدين أحمد بن نظام الدين إسحاق، واستقر في مشيخة خانكاه سرياقوس^(١)، عوضا عن والده، ونعت بشيخ الإسلام شيخ الشيوخ.

وفي تاسع عشره: ركب الأمير يونس - دوا دار الأمير الكبير - البريد إلى حلب، لكشف أحوال التركمان - وقد ورد خبر خروجهم عن الطاعة - وتجهيز عساكر الشام لقتالهم.

وفي سادس عشرينه: أخذ قاع النيل، فكان حمسة أذرع وثمانى أصابع.

وفي ثامن عشرينه: قدم الأمير تغرى برمش من الشام باستدعاء.

وفي تاسع عشرينه: خلع على شرف الدين بن عرب، واستقر في وكالة بيت المال، عوضا عن نجم الدين محمد الطنبدى، بمال.

وفي آخر هذا الشهر ارتفع الوباء، وأكثر من مات فيه الأطفال.

وفي يوم الخميس: ثالث شهر ربيع الآخر، أنعم على الأمير تغرى برمش بتقدمة ألف، عوضا عن أمير على بن قشتمُر بعد وفاته.

وفيه نودى بسفر الحجاج الرجبية، فسر الناس ذلك، وكتب بولاية علم الدين أبى عبد الله بن ناصر الدين محمد القفصى، قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن البرهان الصنهاجى.

وفي سابع عشرينه: وصلت خيمة جليلة من الشام، عملت للأمير الكبير، تُحمل على مائة وثمانين جملا، فضربت بالميدان الكبير.

وفي حادى عشرينه: أنعم على الأمير سودن الشيخونى بتقدمة ألف، وخلع عليه، واستقر حاجبا ثانيا.

وفي ثانى عشرينه: ركب الأمير الكبير لرؤية الخيمة بالميدان. ومد للأمراء سباطا جليلا. ومد بعده سباط حلوى، ثم سباط فاكهة، فكان يوما مذكورا خرج الناس لمشاهدة ذلك، فكان جمعا كبيرا.

وفي ثامن عشرينه: خلع على على القرمى، واستقر في ولاية الشرقية، عوضا عن مبارك شاه. وخلع على الأمير فخر الدين إياس الصرغتمشى، واستقر حاجبا رابعا.

(١) بليدة في نواحي القاهرة بمصر.

انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

وهذا أيضا مما تجدد، وكانت العادة أولا أن يكون حاجب واحد، ثم استقر حاجب الحجاب، وحاجب ثانى، ثم زيد بعد ذلك فى الأيام الأشرفية حاجب ثالث.

وفى أول جمادى الأولى ذكر بعض العجم للأمير الكبير أن النيل لا يزيد فى هذه السنة شيئا، وأرجف بذلك، فزاد فى هذا اليوم خمس عشرة أصبعا، وفى غده ست عشرة أصبعا، فضربه الأمير الكبير وشهره.

وفى يوم السبت حادى عشره: - وعاشر مسرى - وفى النيل ستة عشر ذراعاً، فركب الأمير الكبير حتى خلّق المقياس، وفتح الخليج من يومه.

وفيه قطعت أخبار الطواشين: شاهين دست، وشاهين الجلالى، وأمرأ بلزوم بيتهما. وفيه هبت ريح شديدة بدمشق، اقتلعت أشجارا كثيرة بعروشها، واستمرت عدة أيام، فهاى الناس أمرها.

وقدم البريد بخروج الأمير أشقمتُر نائب الشام بعسكر دمشق، والأمير إينال اليوسفى بعسكر حلب، والأمير كمشُبغا الحموى بعسكر طرابلس، والأمير طشتُمُر القاسى بعسكر حماة، والأمير طشتُمُر العلاى بعسكر صفد، ومعهم نواب القلاع، وتراكمين الطاعة، وللعربان، والعشران ^(١) لقتال خليل بن قراجا بن دُلغادر وجماعته ببلاد مرعش ^(٢)، وأنهم اجتمعوا بحلب وساروا منها صحبة الأمير يونس الدوادار، فى أول شهر ربيع الأول، فنزلوا ظاهر مرعش. وتوجه فى ثامن شهر جمادى الأولى ضياء الملك

(١) وعشيرة الرجل: بنو أبيه الأدنون، وقيل: هم القبيلة، والجمع عشائر. قال أبو على: قال أبو الحسن: ولم يجمع جمع السلامة. قال ابن شميل: العشيرة: العامة، مثل بنى تميم وبنى عمرو بن تميم، والعشير القبيلة، والعشير المعاشر والعشير: القريب والصديق، والجمع عشراء، وعشير المرأة: زوجها، لأنه يعاشرها وتعاشره كالصديق والمصادق؛ قال ساعدة بن جوية:

أنته على يأس وقد شاب رأسها حين تصدى للهوان عشيرها
أراد لإهانتها، وهى عشيرته. وقال النبى ﷺ: إنكن أكثر أهل النار، فقليل: لم يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرون اللعن وتكفرن العشير؛ العشير: الزوج. وقوله تعالى: ﴿لبئس المولى ولبئس العشي﴾ أى لبئس المعاشر. ومعشر الرجل: أهله. والمعشر: الجماعة، متخالطين كانوا أو غير ذلك؛ قال ذو الإصبع العدواني:

أنتم معشر زيد على مائة جمعوا أمركم طراً فكيدونى
والمعشر والنفر والقوم الرهط معناهم: الجمع، لا واحد لهم من لفظهم، للرجال دون النساء. قال: والعشيرة أيضا الرجال، والعالم أيضا للرجال دون النساء. وقال الليث: المعشر كل جماعة أمرهم واحد، نحو معشر المسلمين، ومعشر المشركين. والمعاشر: جماعات الناس. والمعشر: الجن والإنس. وفى التنزيل: ﴿يا معشر الجن والإنس﴾.

(٢) مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم. انظر معجم البلدان ١٠٧/٥.

ابن بوزدوغان الواصل بعسكره إلى نصره العساكر، ومعه طائفة من العربان والأكراد لقتال التركمان، فقاتلهم ويومه، وكسرهم، وقتل ثلاثة من أعيانهم، وعاد، فاقتضى رأى النواب الركوب لأخذ مرعش، فأخذوها، ثم مشوا لتمهيد البلاد حتى انتهوا إلى ملطية^(١)، ثم عادوا في آخر شهر شعبان.

وفي خامس عشرة: عقد مجلس عند الأمير الكبير برقوق بسبب وقف، فاجتمع القضاة ومشايخ العلم، فتعيط قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة^(٢) على علم الدين سليمان البساطى قاضى المالكى ونهره، فرسم بعزل البساطى، وجعل تعيين غيره لابن جماعة، فعين جمال الدين عبد الرحمن بن خير، وخلع عليه.

وفي يوم الإثنين سابع عشرينه: قدم البريد بأن العسكر ركب فى يوم السبت ثانى عشره، وصدم ابن دلغادر فكسره، وولى منهزما بمن معه، والعسكر فى آثارهم، فغنموا منهم شيئا كثيرا، وملكوا منهم مدينة مرعش ونودى فيها بالأمان، فأتى الناس من الجبال وبطون الأودية. ورحل العسكر حتى نزل بمدينة الأبلستين، فى تاسع عشره، وأقاموا بها.

وفى نصف شهر جمادى الآخرة أوقعت الحوطة على صاحب شمس الدين المقسى، وأخذ على حمار إلى القلعة، فسجن بقاعة صاحب.

وفي هذا الشهر: كثر ظلم الوزير ابن مكانس^(٣)، وأخذ مالا من الكارم، وطلب من مباشرة الدولة والخاص جامكية شهرين، ووكل بعدة من التجار أعوانه، وأخذ منهم جملة مال، وأخرق ببعضهم، فكثرت الشناعة عليه.

وفي تاسع عشرينه: أفرج عن المقسى.

وفى هذا الشهر قدمت رسل الملك المعز جلال الدين حسين بن السلطان أويس -

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين. انظر معجم البلدان

١٩٢/٥.

(٢) إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن جماعة الكنانى، أبو إسحاق، برهان الدين، الحموى الأصل، المقلد الشافعى: مفسر من القضاة. ولد بمصر ونشأ بدمشق. وسكن القدس وولى قضاء الديار المصرية مرارا توفى فجأة. ودفن بالمزة ظاهر دمشق. انظر الأنس الجليل ٤٥٢/٢ والدرر الكامنة ٣٨/١ والشذرات ٣١١/٦ والأعلام ٤٦/١.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم، أبو الفرج، فخر الدين، المعروف بابن مكانس: وزير، شاعر، مصرى حنفى المذهب. أصله من القبط ولد بالقاهرة، وولى نظارة الدولة بمصر، ثم تولى فى آخر عمره وزارة دمشق، وعزل السلطان الظاهر برقوق واستدعاه منها. فتوفى قبيل وصوله إلى القاهرة. انظر الدرر الكامنة ٣٣٠/٢ وابن الفرات ٣٢٢/٩ وآداب اللغة ١٢٤/٣ والفهرس التمهيدى ٣٠١ والكتبخانة ٣١٣/٤ ودار الكتب ٣١٨/٣ والأعلام ٣١٠/٣.

متملك توريز وبغداد - وهم قاضى القضاة بتوريز وبغداد علاء الدين على بن الجلال عبد الله بن سليمان العتائقى الأسدى الشافعى، والصاحب الوزير الأعظم شرف الدين عطا بن الحاج زين الدين حسين الواسطى، والشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن البرادعى البغدادى، والشيخ زين الدين على بن عبد الله بن الشامى المعرى، فأنزلوا بالميدان الكبير، وأجرى عليهم فى كل يوم مبلغ مائتى درهم، ومائتى رطل لحم، وثمانى فردات أوز، وعشرة أطيار دجاج، وسميد، ومصبغات، وخبز جراية بقدر كفايتهم.

وكانوا فى تحمل زائد. ذكر العتائقى عن نفسه أنه أنفق من توريز إلى مصر مائتين وخمسين ألف درهم. وجاء فى مائة عليقة ^(١) فترك جماعته بالشام،

فأتاه قضاة القضاة، وسلموا عليه، ثم مثلوا بين يدى الأمير الكبير، فخلع عليهم بعدما مد لهم سماًطاً جليلاً، أوقف عليه الطواشى مقدم المماليك السلطانية، ولم يتقدمه أمير لفعل ذلك.

وفيه عزل ابن التنس عن قضاء الإسكندرية بابن الربعى، ثم أعيد بعد ثلاثة أيام. وورد الخبر بأن متملك الحبشة داود بن سيف أرعد - الملقب بالحطى - أنفذ جيشاً إلى أطراف معاملة أسوان، فأوقعوا بالعربان، ونال أهل الإسلام منهم بلاء كبير، فبعث الأمير الكبير إلى متى بن سمعان بطريق النصارى اليعاقبة بالمعلقة من مدينة مصر، يأمره أن يكتب إلى صاحب الحبشة يمنعه من التطرق إلى بلاد المسلمين، فأجاب بعد امتناع، وكتب إليه بما اقترحه عليه الأمير الكبير من ذلك. وكتب السلطان إليه كتاباً بالإنكار عليه، وندب لرسالته البرهان إبراهيم الدمياطى، نقيب قاضى القضاة المالكى، وجُهِز بما يليق به.

وفى أول شهر رجب: وفُرِ إقطاع تقدمه الأمير أقمَر عبد الغنى، ولم يُنعم به على أحد. وفيه امتنع قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة من الحكم، لأجل مال طلب منه من الأوقاف لتجهيز الرسل إلى الحبشة، فأعفى من ذلك، وخلع عليه فى ثانيه خلعة الاستمرار. وخلع على على بن القرماني، واستقر فى ولاية منوف ^(٢) عوضاً عن أبى بكر بن خطاب.

وفيه رسم بقطع ما تكاثر من الأتربة وغيرها بالشوارع المملوكة، حتى علت الطرقات بالقاهرة ومصر، وندب الأمير مأمور الحاجب لذلك، فقطعت بالمساحر، ونقل

(١) المقصود بها الإبل وسائر الدواب.

(٢) هى من قرى مصر القديمة، ويقال لكورتها الآن المنوفية. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

السلوك لمعرفة دول الملوك ١٢٣

ما خرج منها إلى الكيمان. وبلغت زيادة ماء النيل تسع عشرة ذراعا واثنى عشرة أصبعا، وثبت إلى سادس عشرين توت، فغرقت بساتين كثيرة.

وفي سادسه: خلع على الأمير تغرى برمشى، واستقر أمير سلاح، وخلع على العتاقى - قاضى بغداد - أطلسين بطرز زركش، وطرحة حرير.

وفي سابعه: طلع الوزير ابن مكانس بهم الميدان على العادة، وهى كنايش زركش، وطرز زركشى، فخلع عليه.

وفي يوم السبت ثامنه: ركب السلطان إلى الميدان - كما هى العادة فى كل سنة - وخلع على تقى الدين عبد الرحمن ناظر الجيش، وعلى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، خلع الميدان، وكانت عادتهما أن يلبسا الجلب فى الميدان الثانى، فتعجلا خلعتيهما فى الميدان الأول.

وفي يوم السبت خامس عشره: ركب السلطان إلى الميدان ثانيا، برسم اللعب بالكرة مع الأمراء. وخلع على الوزير جبة نخ بقصب، فركب بها إلى تحت القلعة، ثم عاد.

وفي يوم السبت ثانى عشرينه: ركب السلطان إلى الميدان ثالثا. وخلع على الوزير خلعة ثانية، جبة حرير بنفسجى، بطرز زركش وفرو قاقم، وخلع على جميع من جرت عادته بالخلع.

وفي هذا الشهر: دار حمل الحاج على العادة، وخرجت أثقال الحجاج الرجبية يوم دار المحمل إلى بركة الحجاج، صحبة الأمير بهادر الجمالى، المشرف، وخرج الناس أفواجا، ثم رحلوا من البركة فى يوم الأحد ثالث عشرينه.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه: توجهت الرسل إلى بلاد الحبشة. وفيه أخرج الأمير مأمور حاجب الحجاب، منفيا إلى الشام، ثم رسم له بناية حماة، عوضا عن طشتمر القاسمى بعد موته. وخلع على الأمير تغرى برمش، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن مأمور. وخلع على نجم الدين محمد الطنبدى، وأعيد إلى وكالة بيت المال، عوضا عن ابن عرب. وفيه أخذت دواة الوزير ابن مكانس، وعوق نهاره، ثم أفرج عنه. وفيه سارت رسل بغداد بعدما خلع عليهم.

وفي يوم الإثنين ثانى شعبان: خلع على الوزير ابن مكانس خلعة الاستمرار.

وفي يوم الأربعاء رابعه: رسم بنفى جمال الدين محمود العجمى محتسب القاهرة، فشفع فيه الأمير أيتمش، فأمر أن يلزم بيته. وسبب ذلك أنه نقل لقاضى القضاة صدر

الدين محمد بن منصور الحنفى عن الأمير الكبير برقوق أنه قال بالتركية لمن حوله - وهو فيهم - : «إن القضاة ما هم بمسلمين». فشق ذلك عليه، وركب إلى قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، واستشاره فى عزل نفسه عن القضاء، وقال: «قطعت عمرى فى الاشتغال بالعلم فى دمشق، ثم فى آخر عمرى أنفى بمصر عن الإسلام!». وحدثه بما نقله المحتسب فى حق القضاة عن الأمير الكبير، فتغير ابن جماعة من ذلك تغيرا كبيرا، وقام من فوره إلى الأمير الكبير، وأخبره الخير، فغضب على محمود وعزله. وهذا أيضا مما تجدد من الحوادث القبيحة، وهو أن الأمير الكبير صار يقع فى حق القضاة والفقهاء مع خاصته، فنضع أقدارهم عند الأمراء والمماليك، بعدما كانوا يرون السلطان وأكابر الأمراء يبالغون فى إجلال القضاة والفقهاء، ويرون أن بهم عرفوا دين الإسلام، وفى بركتهم يعيشون. وحسب أعظمهم قدرا أن يقبل يد الفقيه والقاضى، فانقلب الأمر، وانعكس الحال، حتى كثرت وقية الأمراء والمماليك فيهم، لما لقنوه من الأمير الكبير. ثم تزايد الحال، بحيث صار الفقهاء والقضاة فى أخريات الدولة الظاهرية برقوق، وفى الدولة الناصرية فرج^(١)، وما بعد ذلك ينزلون من أهل الدولة منزلة سوء؛ ويتكلم فيهم أقل الغلمان، وأرذل الباعة، بكل قبيح عقوبة من الله لهم، لامتھانهم العلم، وخضوعهم فى طلب الدنيا ولا قوة إلا بالله.

وفى يوم الخميس خامسه: خلع على تاج الدين محمد المليجى، شاهد خزانة الخاص، صائم الدهر، واستقر فى حسيبة القاهرة، عوضا عن جمال الدين محمود العجمى. وخلع على علم الدين يحيى، وأعيد إلى نظير الدولة عوضا عن ابن الريشة، وكان مريضاً، فحملت له الخلعة إلى داره. وخلع على الأمير قرط بن عمر، وأعيد إلى نيابة البحيرة. وخلع على عمر ابن أخيه، وأعيد إلى ولاية البحيرة.

وفيه قدم الأمير يونس النوروزى - دوا دار الأمير الكبير - من حلب، وقد عادت العساكر من محاربة ابن دُلغادر. وذلك أنهم أقاموا على الأبلستين إلى خامس عشر جمادى الآخرة ثم رحلوا عنها وقد بلغهم نزول خليل بن دُلغادر بقلعة خرت ببرت^(٢)، إلى جهة ملطية، فورد عليهم فى أثناء طريقهم كتاب الأمير حسام الدين طرُنطاي -

(١) نسبة إلى فرج «الملك الناصر» بن برقوق (الظاهر) بن أنص (أو أنس) العثماني، أبو السعادات، زين الدين: من ملوك الجراكسة بمصر والشام. يبيع بالقاهرة سنة ٨٠١هـ. قتل فى القلعة سنة ٨١٥ على يد مماليك أبيه. انظر ابن إياس ٣١٧/١، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٧، ووليم موير ١٢٣ والضوء اللامع ١٦٨/٦ والأعلام ١٤٠/٥.

(٢) هو حصن فى أقصى ديار بكر من بلاد الروم، بينه وبين ملطية مسيرة يومين، وبينهما الفرات. انظر معجم البلدان ٣٥٥/٢.

مقدم العسكر - بسيس (١)، يتضمن دخول الصارم إبراهيم بن رمضان - مقدم التركمان - عليه في قبول توبته، وتنصله من مساعدة ابن دلغادر، فأجيب بقبول عذره. ونزلوا بظاهر ملطية في ثامن عشرة. ثم رحلوا عنها في أول شهر رجب عائدتين إلى حلب، بعد ما عزموا على خوض الفرات، وكشفوا مخاضها، فوجدوا تعديتها إلى البر الشرقي والوصول إلى خرت برت، متعذرا. فلما نزلوا على بريد من عين تاب (٢) - في ثالث عشر رجب - قدم عليهم الأمير حيدر بن باشان كبير التركمان البوزوقية في طلب أمان لأمرأ طائفته، فكُتب له أمان، ورحلوا في سابع عشرة، فقدموا حلب في ثاني عشرينه، وتفرقت العساكر إلى مواضعها، وقد نالهم مشقة عظيمة من البرد، وكثرة الأمطار.

وفي هذا الشهر ظهر في السماء كوكب له ذؤابة، قدر رحين من جهة القبلة، وأقام كذلك مدة. وفيه كُتب باستقرار شهاب الدين أحمد بن أبي الرضا بن عمر (٣) في قضاء القضاة الشافعية بحلب، بعد وفاة كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعري. وفيه قبض الأمير قُوط على طائفة من أعيان البحيرة، منهم شادى، ووسطهم، ورماهم في النيل، وأحاط بموجودهم كله.

وفي يوم الإثنين آخره: قدم الأمير يلبغا الناصرى (٤)، فخرج الأمير الكبير إلى لقائه، وترجل له، ثم أركبه فرسا من مراكيبه.

وفي يوم الثلاثاء أول شهر رمضان: أنعم على الأمير يلبغا الناصرى بتقدمة ألف، وأجلس وقت الخدمة - السلطانية - بالإيوان، رأس الميسرة، فوق أمير سلاح.

(١) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٧٧/٣.

(٢) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك، من أعمال حلب. انظر

معجم البلدان ١٧٦/٣.

(٣) أحمد بن عمر بن أبي الرضى، أبو الخير، شهاب الدين: قاض من أهل حماة (بسورية) ولى القضاء بحلب ثلاث مرات. وكان عالما بالقراءات، له فيها نظم سماه بعقد البكرة وله منظومات أخرى في موضوعات متعددة. أعدم في خان شيخون بين المعرة وحماة. انظر الدرر الكامنة ٢٢٧/١ وجمع اللغة بدمشق ٣٢٩/٤٨ والأعلام ١٨٧/١.

(٤) يلبغا أبو المعاني السالمى الظاهرى الحنفى: من أشهر أمراء الجند فى دولة الملك الظاهر برقوق، ثم ابنه الناصر، أخذ مدينة صفد باسمه، ثم اتهم واعتقل سنة ٨٠٣ هـ ونفى إلى دمياط ثم أحضر سنة ٨٠٥ هـ وقرر فى الوزارة والإشارة وقبض عليه أيضا. وأفرج عنه سنة ٨٠٧ هـ وعمل مشيرا ولم يلبث أن نفى إلى الإسكندرية وقتل فى محبسه بها حنقا. انظر الضوء اللامع ٢٨٩/١٠ والأعلام ٢٠/٨.

وفي يوم الخميس ثالثه: خلع على سعد الدين نصر الله بن البقرى، واستقر فى نظر الخاص، عوضا عن كريم الدين عبد الكريم بن مكانس.

وخلع على الوزير ابن مكانس، واستقر على عادته فى الوزارة فقط. وخلع على الأمير جركس الخليلي - أمير أخور - واستقر مشير الدولة. ورسم للوزير ألا يتصرف فى شيء إلا بعد مراجعته.

وفيه استقر تاج الدين عبد الله بن البقرى فى استيفاء الصحبة، عوضا عن أبيه سعد الدين، وخلع عليه وعلى علم الدين يحيى - ناظر الدولة - خلعة استمرار.

وفي هذه الأيام: ساق الأمير جركس الخليلي ماء النيل إلى الميدان تحت القلعة، وضُب فى الحوض الذى على بابه بالرميلة، فعم النفع به سكان تلك الجهات. وكان له نحو من سبعة سنين لم يجر فيه ماء.

وفي هذا الشهر: قرئ صحيح البخارى بالقصر من قلعة الجبل، كما هى العادة من عهد الملك الأشرف شعبان بن حسين^(١). فلما كان يوم الإثنين سابعه وانقض مجلس السماع، قام قاضى القضاة برهان الدين [إبراهيم] بن جماعة، لينصرف إلى داره. فلما ركب، أخذ شخص - يعرف بابن نهار - بعنان بغلته، وقال له: حكمت علىّ بحكم لا يجوز شرعا، وقد فسقت بجهلك. فرجع ومعه المذكور إلى الأمير الكبير، وهو فى فكره، فأخذ ابن نهار فى الإساءة على ابن جماعة، والأمير الكبير فى شغل بما عنده من شدة الفكر؛ فشق ذلك على ابن جماعة، وعزل نفسه، وقام فتوجه إلى تربة كوكاي خارج القاهرة؛ ليمضى منها إلى القدس. وفى أثناء نزوله من عند الأمير الكبير، تجلى عنه الفكر، وسأل من حضر عما كان، فأخبروه الخبر، فبعث فى طلب ابن نهار، فأتى به من الغد، واستدعى القضاة ومشايخ العلم، فأفتى شيخ الإسلام البلقينى^(٢) بتعزير ابن

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية. بمصر والشام. ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤هـ. خنفته الأمير إينيك البدرى، ورماه فى بحر، فأخرج بعد ذلك ودفن. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبدية والنهاية ٣٠٢/١٤، ٣٢٤ والأعلام ١٦٤/٣.

(٢) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية= مصر) وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب» «محاسن الاصطلاح».

نهار، فضربه إلى القاهرة بالمقارع، وشهره بالقاهرة. وبعث الأمير الكبير يسترضى ابن جماعة، فلم يرض، فراجعه ثانيا فلم يرض، فبعث إليه الأمير قُطْلُوْبُغا الكوكاى، والأمير فخر الدين إِيَّاس الصُرْغَتْمُشَى، فلم يزالا به حتى أخذه، وأتيا به الأمير الكبير. فلما شاهده من بعد، قام إلى لقائه، ومشى إليه، وترضاه. فقال له: أعدائى كثير، وما آمنهم، ومالى ولهذا الأمر. فقال له: كل من تعرض لك - ولو بكلمة سوء - ضربته بالمقارع. ثم جىء بالتشريف، فأفيض عليه، ونزل إلى القاهرة فى تاسعه، فكان يوما مشهودا. وفيه ركب البريد الأمير جُلْبَان الدوادر، لإحضار الأمير أَيْنال اليوسفى، نائب حلب.

وفى ثانى عشرينه: أخرج الأمير مُقْبِل الرومى الخازندار - أحد اليلبغاوية - منفىا، وكان ظالما غشوما.

وفيه أمطرت السماء مطرا، قل ما عهد مثله فى الكثرة، حتى سالت الأزقة والشوارع، وخاضت الخيل بالشارع فى الماء فبلغ بطونها، وسال الجبل سيلا عظيما إلى الغاية.

وفى سابع عشرينه: قدم البريد بخروج الأمير إينال من غزة، فركب الأمير أقبغا الصغير - أحد أمراء الطبلخانة - البريد، وقبض عليه بقطيا، وبعثه إلى الكرك، فسجن بها.

وفى تاسع عشرينه: ابتدأ بهدم خان الزكاة بين القصرين، لتداعيه للسقوط. وفيه ثبت أن هلال رمضان رؤى ليلة الإثنين، وأن هذا اليوم تمام ثلاثين. وفى هذا الشهر زاد سعر اللحم عما يعهد.

وفى يوم الأربعاء - يوم عيد الفطر - حمل الأمير يلغا الناصرى القبة والطير على رأس السلطان، عند نزوله لصلاة العيد، بالميدان تحت القلعة.

وفى يوم الخميس ثانيه: خلع على الأمير يلغا الناصرى، واستقر نائب حلب، عوضا عن إينال اليوسفى. وأنعم على الأمير يونس - دوادار الأمير الكبير - بتقدمة ألف، ورأس نوبته الأمير قُرْدُم الحسنى أمير مائة مقدم ألف، ولم يعهد قبل ذلك أن يكون دوادار أمير ورأس نوبته من جملة مقدمى الألو.

وفيه نادى الأمير المشير جركش الخليلى فى القاهرة ومصر، أن تكون الفلسوس العتق

كل رطل بدرهم وثلاث، بعد ما كانت بدرهم ونصف الرطل وفرق في الصيارفة فلوسا استجد ضربها، وعمل عليها رنكه، فمنها فلس زنته أوقية، ليكون كل أربعة بدرهم، كل فلس برقع درهم. ومنها ما زنته نصف أوقية، فكل ثمانية بدرهم، حسابا عن كل فلس ثمن درهم. ومنها ما يكون كل ثمانية وأربعين فلسا بدرهم، فلم يحش له ذلك، وتوقفت أحوال الناس، وبطل بيعهم وشراؤهم، وقلّ جلب البضائع من المأكّل وغيرها، فنأى الأمير الكبير برقوق في يوم الجمعة ثالثه بإبطال ذلك، واستمرار الفلوس على حالها.

وفي ثالث عشره: خلع على الأمير يلبغا الناصرى خلعة السفر، وتوجه إلى حلب.

وفي رابع عشره: خلع على صلاح الدين خليل بن عبد المعطى بن عبد المحسن نقيب دروس الفقهاء الحنفية، واستقر في حسيبة مصر، عوضا عن ابن عرب بحال التزم به، فاستفزع الناس ذلك، وعدوه بلاء ونقمة، لسوء سيرته ونذالته، فلما دخل على الأمير المشير جركس الخليلي، أنكر ولايته، وضربه.

وفيه خلع على شمس الدين إبراهيم كاتب أرلان، واستقر في وزارة الشام، ونظر الخاص والمهمات، والمراجع بها، ونظر ديوان نائب الشام، على قاعدة فخر الدين ماجد ابن قزوينة، وكتب له في توقيعه الوزير، وأنعم عليه بغلة من الإصطبل السلطاني، وعليها زنارى جنيب خلفه، فلم يرض بذلك، لعلمه أنه إنما قصد الوزير ابن مكانس إبعاده وخروجه من مصر، خوفا منه. وفيه استدعى الجلال رسولا التبانى، وسئل أن يحج عن الأمير آنص والد الأمير الكبير بعد وفاته، فأجاب إلى ذلك، وجُهِز أحسن جهاز، وسافر صحبة الركب.

وفي ثاني عشرينه: توجه محمل الحاج سائرا من البركة، وتبعه الركب على العادة في كل سنة، وفيه أنعم على طغاي تَمُر القَبْلَاوى - من أمراء الطبلخانة بطرابلس - بناية الكرك، عوضا عن منكلي بُغا الشمسى، وخلع على زين الدين عمر بن منهل، واستقر في كتابة السر بدمشق، عوضا عن فتح الدين محمد بن الشهيد. وكتب بمصادرة ابن الشهيد. وأنعم على الأمير قطلوبغا الكوكاى بتقدمة آنص - والد الأمير الكبير - بعد موته.

وفي رابع ذى القعدة: خلع على الشريف جهاز بن هبة الحسينى، ^(١) واستقر أمير

(١) جهاز بن هبة بن جهاز بن منصور الحسينى: أحد من تولوا إمارة المدينة المنورة في عهد ولاية السلطان برقوق بمصر. ساءت سيرته. فاغتاله بعض عربان مطير، فكان عبرة للناس قتلوه وهو نائم. انظر رسائل في تاريخ المدينة والأعلام ١٣٣/٢.

بالمدينة النبوية، عوضا عن عمه عطية، بعد وفاته. وقدم الشيخ شمس الدين محمد القونوي^(١) من دمشق، فنزل بالمدرسة الصالحية بين القصرين من القاهرة، وأتاه الناس يلتمسون بركة زيارته.

وجُهِز أربعمئة خلعة إلى البلاد الشامية، برسم النواب والأمراء وغيرهم، لنصرتهم على التراكمين.

وفي سادسه: قبض على بنى مكانس جميعا، بحيلة دبرها الأمير الكبير، فإنه تقدم إلى الوزير بجمع الكتاب ليندبهم إلى أشغال سلطانية، فلما اجتمعوا عنده، قبض على الوزير وإخوته، وقبض على علم الدين بن قارورة - ناظر ديوان الأمير الكبير - وألزم بحمل خمسمئة ألف درهم، وخُلع على شمس الدين إبراهيم - المعروف بكاتب أرلان - المستقر في وزارة الشام، واستقر ناظر ديوان الأمير الكبير، عوضا عن ابن قارورة، فمنا أغنى عن ابن مكانس حذره منه. وكتب باستقرار ابن بشارة في نظر الشام على عادته. وخلع على سعد الدين إبراهيم الميموني، واستقر عامل ديوان الأمير الكبير.

وفي ثاني عشرينه: خلع على الشريف جمال الدين عبد الله بن عبد الكافي بن عبد الله الطباطبائي، واستقر في نقابة الأشراف، عوضا عن السيد علي بن فخر الدين.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه: خلع على علم الدين عبد الوهاب الطنساوي، ويقال له سن إبرة، واستقر في الوزارة، عوضا عن كريم الدين بن مكانس، وسُلم ابن مكانس وإخوته وحاشيتهم إلى شاد الدواوين، فعذبهم بأنواع العقوبات. وفيه استتاب قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة عنه في نظر وقف الأشراف، الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن حمزة.

وفي خامس عشرينه: خلع على بلوط نائب الإسكندرية خلعة الاستمرار، وقد حضر باستدعاء، ثم توجه إليها. وكانت الأسعار قد ارتفعت من شهر رمضان، حتى بلغ الإردب القمح إلى أربعين درهما، وتزايد حتى بلغ في ذى القعدة ستين درهما، وعز وجوده، وارتفعت أسعار الحبوب كلها، وتعذر وجود الخبز بالأسواق واختطفه الناس من الأفران. فرسم في خامس عشرينه بفتح شونة الذخيرة، وبيع منها. ثم توقفت أحوال

(١) محمد بن يوسف بن إلياس، شمس الدين القونوي: فقيه حنفي، تركي الأصل. مستعرب، ولد وتعلم في قونية وقدم إلى دمشق، بأهله وولده. انظر النجوم الزاهرة ٣٠٩/١١ والدر الكامنة ٢٩٥، ٢٩٢/٤ وبغية الوعاة ١٢٥ والكتبخانة ٤٨/٣ والأعلام ١٥٣/٧.

الناس، وكثرت الشكاية ^(١) فى الناس جميعهم من وقوف الحال، وقلة وجود الدراهم، فكان هذا - أعنى الشكاية - مما تجدد، ولم يكن يُعرف، بل أدركنا الناس، وإذا شكا أحد من الناس حاله، عُذ عليه ذلك، فصرنا وما من صغير ولا كبير إلا وهو يشكو، وتزايد أمرهم فى ذلك، حتى صار أمر الناس بمصر فى الأيام الناصرية فرج وما بعدها إلى فاقة ^(٢) وضعة.

وفى تاسع عشرينه: وقفت العامة واستغاثت، وطلبت ولاية العجمى الحسبة، فطلب فى يوم السبت سلخه، وخلع عليه، وأعيد إلى الحسبة، عوضا عن المليجى.

وفى ثالث ذى الحجة: سُمر ثلاثة من قطاع الطريق، ووسطوا، ثم سُمر فى خامسه ثلاثة آخر.

وفى تاسعه: ترك الأمير تغرى بَرْمِش أمير سلاح إمرته، وتزيا بزي الفقراء، وفرق عنه مماليكه وحاشيته، وجلس بجامع قوصون خارج باب زويلة، وجمع عليه طائفة من العامة، فبعث إليه الأمير الكبير بالأمير سوذُن الشيوخونى الحاجب، والأمير قُرْذُم الحسنى - رأس نوبة - ليعود إلى إمرته، ولكنه أبى وصمم على الزهادة، فتردد إليه الأمراء وسألوه ذلك، فأبى عليهم، ثم لم يكن بأسرع من توجهه إلى الشيخ أكمل الدين شيخ خانكاه شيخو، وسأله فى التحدث مع الأمير الكبير فى عوده إلى إمرته كما كان، فبعث يسأل الأمير الكبير فى ذلك، فاشتد غضبه عليه، وأمر به فأخرج فى الحال ماشيا ليمضى إلى القدس، فمشى على قدميه إلى قبة النصر خارج القاهرة، وأدركه قاصد بالإذن له بالركوب، فركب وسار.

وفى حادى عشره: وسُط رحاب، أمير عربان البحيرة، ومعه ثلاثة نفر من أعيانها.

وفى هذه الأيام: اتفقت حادثة مستغربة، وهى أن بعض تجار قيسارية جهار كس - يعرف بابن القماح - أدخل حماما بالقرب منها فى ليلة الجمعة خامسه، وأطمع صدقه - حارس القيسارية - بأن فى البئر التى بها كنزًا، ففتح له القيسارية ليستخرج الكنز من البئر. فلما صار بها هو وولده والحارس أوهمه أنه يحتاج إلى قراءة عزيمة، وإلى تبخير البئر، حتى يتيسر أخذ الكنز بإبطال موانعه، وأمره أن ينصرف عنه - هو والولد - إلى الحمام؛ ليخلو بما ذكر. وترك عنده رجلا فى صورة أنه يعينه على ذلك، وكان صانع أقفال، فمضى الحارس وولد ابن القماح [فأخذ ابن القماح] فى فتح ما على

(١) المراد الشكوى.

(٢) الفاقة هى الفقر.

حوانيت القيسارية من الأقفال الحديدية بيد ذلك الرجل، حتى فتحها كلها، وأخذ منها ما يزيد قيمته على عشرة آلاف دينار، وهرب فى الليل هو وأهله. فأصبح الناس بالقيسارية وهى مفتحة الحوانيت، فارتجت القاهرة بأهلها، وحضر والى القاهرة، واجتمع التجار وغيرهم بها. فقالت امرأة ممن يسكن بالربيع علو القيسارية: قد رأينا البارحة ليلاً ابن القماح هنا، فأخذ الوالى فى طلبه فلم يقدر عليه، ولا على صدقة الحارس. ورفع التجار شكواهم إلى الأمير الكبير، فاشتد حنقه على والى القاهرة، وألزمه بإخراج السارق. فبينما هو فى الفحص عن ابن القماح، إذ دلّه شخص على موضعه، فركب إليه فى يوم الإثنين ثامنه، وأحاط بالبيت الذى هو به، فألقى نفسه من علو البيت يريد النجاة، فانكسرت يده، وقبض عليه وعلى ولده أحمد، وعلى الأقفال الذى فتح له الحوانيت. فوجد القماش الذى أخذه، والمال بعينه، لم يفقد منه شىء، فحمل ذلك على عدة حمالين، وسار بهم والمغانى تزفهم، حتى طلع إلى الأمير الكبير. فأقر ابن القماح بما تقدم ذكره، فأمر الوالى بعقوبة الجميع. فنزل بهم فى الحديد والعملة من ورائهم على رعوس الحمالين، والمغانى تزفهم فى شارع القاهرة، فكان يوماً مشهوداً. ثم أخذ التجار ما لهم بتمامه وكماله. وظفر أيضاً الوالى بصدقة الحارس، فما زال هو والأقفال تحت العقوبة حتى هلكا. وضرب ابن القماح وولده مراراً، وسُجن فى خزانة شمائل، فإنه لم يجب عليه القطع شرعاً. لأنه كان يقول عن الأقفال هذا ناولنى المتاع من الحوانيت. فأقام عدة سنين فى السجن ثم أخرج واتضع حاله حتى مات.

وفى سابع عشره: قدم الأمير كُمُشْبِغا الحموى نائب طرابلس باستدعاء، فأكرم غاية الإكرام، وحمل إليه الأمراء تقادم كبيرة جداً. وفى هذه الواقعة، ألزم والى القاهرة عريف قيسارية جهار كس ألا يُسكن بها تاجرًا حتى يضمن عليه، وصار يتهدد التجار بفعله ابن القماح، فتحدث الناس فى القاهرة بهذه الواقعة أعواماً كثيرة.

وقدم البريد بوقوع الوباء بصفد.

وجاءت الأخبار بغلاء الأسعار بمكة، فلما قدمها الرجبية انحلت قليلاً، حتى أبيعَت الويبة الدقيق بعشرين درهماً، والويبة الشعير من ثلاثين إلى عشرين [درهماً]، مع غلاء كل ما يؤكل، وبلغت الغرارة ^(١) بالمدينة النبوية أربعمئة درهم. فلما قدم الحاج فى الموسم، ارتفعت الأسعار، وبلغت الويبة الدقيق إلى خمسين درهماً وما فوقها، والويبة

(١) الغرارة - بفتح الغين - التصايب بعد نكة، والغفلة. انظر (محيط المحيط).

الشعير إلى أربعين درهما، وعظمت المشقة في الرجعة إلى القاهرة من غلاء الأسعار.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير إبراهيم بن حسن بن الناصر محمد بن قلاون، في عاشر جمادى الآخرة.

وتوفي مفتى دار العدل، ركن الدين أحمد بن محمد، المعروف بقاضى قرم الحنفى، في عاشر رجب.

وتوفي فقيه حلب، شهاب الدين أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الغنى بن محمد بن أحمد بن سالم بن داود بن يوسف الأذرعى^(١) الشافعى، فى خامس عشرين جمادى الآخرة، بحلب. ومولده سنة تسع وسبعمائة، وله مصنفات فى الفقه.

وتوفى شيخ الشيوخ، نظام الدين إسحاق بن عاصم بن سعد الدين محمد بن الأصفهاني شيخ خانكاة سرياقوس؛ فى ليلة الأحد ثالث ربيع الآخر. ودفن بمدرسته فوق الشرف، بجوار الضيافة رحمه الله تعالى.

وتوفى عماد الدين إسماعيل بن شرف الدين أبى البركات محمد بن أبى العز بن صالح الدمشقى الحنفى، بدمشق، وقد أناف على التسعين. ومات أمير أحمد بن الملك المظفر حاجى بن محمد بن قلاون، فى سادس صفر.

ومات الأمير أقمتر عبد الغنى، نائب طرابلس، ونائب الشام ونائب السلطان بديار مصر، وأمير كبير، فى تاسع عشرين جمادى الآخرة.

ومات الأمير أنص - والد الأمير الكبير برقوق - فى يوم السبت ثامن عشر شوال.

ومات الأمير أيَّدَمُر الشمسى، أحد أمراء الألوف، فى ثالث عشر صفر. ومات الأمير آلان الشعبانى، أمير سلاح، فى ثامن عشر ربيع الآخر.

ومات الحاج سيف بن على مقدم الدولة، تحت العقوبة، فى ليلة الأحد ثالث عشرين صفر، ولم يخلف فى معناه مثله.

(١) أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد، أبو العباس، شهاب الدين الأذرعى: فقيه شافعى. ولد بأذرعات الشام، وتفق بالقاهرة، وولى نيابة القضاء بحلب له «جمع التوسط والفتح بين الروضة والشرح» فى عشرون مجلدا. عاد إلى القاهرة سنة ٧٧٢ ثم استقر فى حلب إلى أن توفى. انظر الدرر الكامنة ١٢٥/١ وأعلام النبلاء ٨٦/٥ والفهرس المهتدى ٢٣١ وهدية العارفين ١١٥/١ ودار الكتب ٥٣٣، ٥٢٧/١. ١١٩/١.

السلوك لمعرفة دول الملوك ١٣٣

ومات الأمير طَشْتَمُرُ الشعباني اليلبغاوى، نائب حماة فى رجب، بعين تاب صحبة العسكر.

وتوفى الشيخ المسند جمال الدين عبد الله محمد بن على بن حَدِيدَة الأنصارى فى خامس عشرين شعبان. ومولده سنة عشر وسبعمائة.

وتوفى جمال الدين عبد الله بن الرقيق الأسلمى، أحد أعيان الكتاب، فى ثالث عشر صفر.

وتوفى قاضى قضاة حلب، كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعرى الشافعى، فى شهر رجب بحلب.

ومات خواجه فخر الدين عثمان بن مسافر، جالب الأمير الكبير برقوق. وإليه ينسب فيقال برقوق العثمانى، فى سادس عشر رجب بالقاهرة، وشهد الأمير الكبير جنازته.

وتوفى الفقير المعتقد، أبو لحاف على الشامى بالقاهرة، فى خامس صفر. وتوفى نور الدين على بن قَشْتَمُرُ المنصورى الشافعى فى ثامن عشرين ربيع الأول. ومات أمير على بن قَشْتَمُرُ الحاجب، أحد أمراء الألوف، الشهير بالوزير، فى تاسع عشرين ربيع الآخر. كان يشارك فى عدة علوم مشاركة جيدة، وسيرة جميلة. ومات غلام الله مُهْتَار الطشت خاناه؛ فى ثالث عشرين ربيع الآخر. وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن الكومى الشافعى، الأعمى، فى تاسع عشرين ربيع الأول.

ومات شمس الدين محمد بن محمد بن محمد، المعروف بابن السيورى العمارى^(١)، نسبة إلى عمار بن ياسر - رضى الله عنه - الموصلى، إمام أهل الموسيقى فى زمنه، يوم العشرين من صفر.

وتوفيت المسندة جويرة بنت الشهاب أبى الحسن أحمد بن أحمد الهكارى، فى يوم السبت ثانى عشرين صفر. وقد انفردت برواية النسائى وغيره. والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

(١) محمد بن محمد بن محمد بن محمد، المعروف بابن السيورى العمارى، منسل عمار بن ياسر: موسيقى مغن انتهت إليه الرئاسة فى ضرب العود أصله من الموصل. سكن القاهرة واشتهر وتوفى بها. انظر النجوم الزاهرة ١١/٢٢٠، ٢٢١، والأعلام ٤١/٧.

سنة أربع وثمانين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الثلاثاء: فيه خُلع على الأمير مُبارك شاه السيفي، واستقر والى الفيوم^(١)، وكاشف الفيوم، وكاشف البهنساوية والأطفيحية؛ عوضا عن أسنبغا المنحكي.

وفي ثالثه: خلع على الأمير سودُن الشيخوني، واستقر حاجب الحجاب على إقطاع تغرى بَرْمِش. وخلع على الأمير كُمُشْبِغا الحموي اليلغاوي - نائب طرابلس - خلعة الاستمرار على عادته. وخلع على فرج بن أَيْدُمُر السيفي، واستقر في ولاية الغربية، عوضا عن أحمد بن سُنُقُر. وخلع على أَلْطُنْبُغا الصلاحى واستقر في ولاية الأشمونين، عوضا عن مبارك شاه السيفي.

وأنعم بإقطاع الأمير سودُن الشيخوني، على الأمير أَيْدُكار واستقر حاجبًا ثالثًا.

وفي عاشره: قدم الأمير أَقْبُغا المُرديني، نائب الوجه القبلي، باستدعاء.

وفي حادى عشره: توجه الأمير بكلمش العلای، لإحضار الأمير بيدمر الخوارزمي من سجنه في نغر دمياط. وقدم الأمير جَتَمُر أخوطاز من دمشق، بسؤاله.

وفي هذا الشهر: تزايد سعر الغلال، وفقد الخبز من الأسواق، وأبيع كل رطلين بدرهم، وأبيع القمح بمائة وخمسة دراهم الأردب، والبطة الدقيق بثلاثين درهما، فلما دخل الشعير الجديد، أبيع الأردب منه بخمسين درهما.

وفيه رسم الأمير الكبير بإطلاق من في سجنى الديلم والرحبة من المديونين، فأفرج عنهم جميعهم، وأغلق باب السجنين، ومنع القضاة من سجن أحد على دين، لما بالناس من الغلاء ووقوف الحال، فاشتدت وطأة الحجاب على الناس بالضرب على الديون، وترسيم نقبائهم على من في ذمته دين.

وفي ثامن عشرة: قدم ركب الحاج.

وفي عشرينه: قدم الأمير بيدمر من دمياط في النيل، فركب الأمير الكبير إلى لقائه، وحضر من الغد يوم الإثنين حادى عشرينه الخدمة السلطانية، وقبل الأرض على العادة،

(١). مصر، وهى ولاية غربية بينهما وبين القسطايط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى،

وهى فى منخفض الأرض كالدارة. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤.

١٣٦ سنة أربع وثمانين وسبعمائة

فخلع عليه، واستقر في نيابة الشام على عادته عوضا عن الأمير أَشَقْتَمُر، وهذه ولايته السادسة. وكتب بتوجه الأمير أَشَقْتَمُر إلى القدس بطالا.

وفيه خلع على الأمير أَقْبغا المارديني نائب الوجه القبلي، خلعة الاستمرار.

وفي آخره: انخط السعر إلى أربعين درهما الأردب القمح، والشعير والفول إلى اثنين وعشرين درهما الأردب، والبطة الدقيق إلى أحد عشر درهما.

وفي يوم الأربعاء: أول صفر خلع على ابن عرب، وأعيد إلى حسبة مصر عوضا عن خليل بن عبد المعطى، على مال يقوم به. وأضيف إليه وكالة بيت المال، عوضا عن نجم الدين الطنبدى.

وفي ثانيه: خلع على الأمير بَيْدَمُر نائب الشام، خلعة السفر، وسافر.

وفي سادسه: خلع على محمد بن أَشَقْتَمُر بولاية قطيا، عوضا عن علاء الدين على ابن الطشلاقى. وخلع على أبى بكر بن المزوق بولاية قوص، عوضا عن أبو درقة قُطْلُوْبغا الأسن قُجاوى.

وفيه أعيد نجم الدين أحمد بن قاضى القضاة عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن شرف الدين أبى البركات محمد بن أبى العز بن صالح بن أبى العز إلى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن الهمام أمير غالب بن القوام أمير كاتب الأتقانى.

وفي تاسعه: قدم المجدوب المعتقد على الروبى من الفيوم، واجتمع بالأمير الكبير، فهرع الناس إلى زيارته، وبالغوا فى اعتقاده، ونقلوا عنه خوارق، الله أعلم بحقيقتها.

وفي سادس عشرة: ركب الأمير بَهْدُر المنجكى أستاذار الأمير الكبير على البريد. ليحضر من دمشق المال الذى وعد به الأمير بَيْدَمُر.

وفي ثامن عشرة: أعيد النجم الطنبدى إلى وكالة بيت المال. لعجز ابن عرب عن القيام بالمال الذى وعد به.

وفي رابع عشرينه: طلب الأمير الكبير برقوق من قاضى القضاة أن يسلمه مال تاجر قد مات عن ورثة غائبين، وترك ما خلفه بمودع الحكم، فأبى أن يدفعه إليه، وقال: «ثبت عندى أن له ورثة، ولا سبيل أن أدفع المال إلا لورثته»، فغضب الأمير الكبير برقوق، واستدعى الشيخ برهان الدين إبراهيم الأبناسى ليوليه القضاء، فغيّب ولم يظفر به، فامتنع ابن جماعة من الحكم، وأخذ الناس فى السعى.

وفي ثامن عشرينه: خلع على سراج الدين عمر العجمى، وأعيد إلى حسبة مصر،

عوضا عن ابن عرب؛ لعجزه عن القيام بما وعد به. ورسم الغرماء على ابن عرب ليقوم لهم بما استدانه منهم وبرطل به، ورفعوه إلى الأمير أيذكار الحاجب، فأحرق به، وبالع في إهانتته؛ نسأل الله العافية.

وفتحت طبقة الرفرف وبيت الأمير طاز علو خزانة الخاص بالقلعة من الإصطبل، حيث سكنى الأمير الكبير برقوق، وركب لهما سلما ليتوصل إليها، وأسكن بها مماليكه الذين اشتراهم.

وفي يوم الخميس سلخه: خلع على قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء، وأضيف إلى وظيفة القضاء، عوضا عن البرهان إبراهيم بن جماعة، وسافر ابن جماعة إلى القلس.

وقدم اليريد بمسير نائب حلب إلى محاربة التركمان، فلما دخل دربند أصلان، توفى حادى عشر صفر، وقد فر منه سولى بن دلغادر، فلم يظفر به، فثنى عنانه إلى ابن أوزر، فداس بيوته، ووضع فيمن لقيه السيف، فامتنع منه بالجبل، فعاد النائب من تل حمدون يريد مدينة مرعش، وعاد إلى حلب.

وفي يوم الأحد عاشر شهر ربيع الأول: قرئ تقليد ابن أبى البقاء، وفوض أمانة الحكم لشهاب الدين أحمد الزركشى، وفوض نظر أوقاف مصر لشمس الدين محمد بن الوحيد، وفوض نظر أوقاف القاهرة لجمال الدين محمود العجمى المحتسب. واستناب فى الحكم تقى الدين عبد الرحمن الزبيرى أحد موقعى الحكم. وأقر الصدر بن محمد المناوى وعمر بن رزين على خلافة الحكم.

وفي هذه الأيام: شرع الأمير المشير جرکش الخليلى فى عمل جسر بين الروضة وجزيرة أروى، فى طول ثلاثمائة قصبه، وعرض عشر قصبات، وعمل فيه بنفسه ومماليكه، وحفر فى وسط مجرى النيل خليجا من هذا الجسر إلى زريبة قوصون. ليعود الماء إلى البر الشرقى، ويستمر طول السنة، فأنفق على ذلك من ماله جملة من غير أن يكلف أحد فيه شيئا، حتى تم الجسر، فلم يفد شيئا، وقال فيه أدباء العصر شعرا كثيرا. وكان القاع ستة أذرع ونصف ذراع.

وفيه هرب الوزير كريم الدين عبد الكريم بن مكائس من ميسأة جامع الصالح خارج باب زويلة، وكان مسجوناً به، هو وإخوته، فغضب الأمير الكبير على الأمير بهادر الأعسر - شاد الدواوين - وضرب إخوته، بالمقارع، وقبض على حواشيهم وحرّمهم، ونودى عليه فلم يوجد.

وفي عاشر ربيع الآخر: خلع على ابن عبد المعطى بنظر المواريث.

١٣٨ سنة أربع وثمانين وسبعمائة

وفى سابع عشره: خرجت تجريدة إلى البحيرة، فيها خمسة أمراء ألوف، وهم بهادر الجمالى، وقُطْلُوْبُغا الكوكاى، وأحمد بن يلبغا الخاصكى، وقُرْدُم الحسنى، وآلبغا العثمانى. وأربعة أمراء طبلخانة، وعشرة أمراء عشرات. فلم يجدوا من أهل البحيرة أحدا، فساقوا من مواشيهم ثلاثة آلاف رأس من الضأن، وستة آلاف رأس من المعز.

وفى آخره: انتهى عمل الجسر الخليلي.

وفيه قدم البريد بأن حسين بن أويس - ممتلك بغداد - قتله أخوه أحمد بن أويس، واستقر فى المملكة بعده، وذلك بإشارة خواجه شيخ الكحجانى.

وفى خامس عشر جمادى الأول: استقر الأمير قُطْلُوْبُغا أبو درقة فى ولاية دمياط، عوضا عن محمد بن قرايغا.

وفى عشرينه: استقر فتح الدين صدقة أبو دقن فى نظر المواريث، عوضا عن ابن عبد المعطى.

وفى يوم الأحد أول جمادى الآخرة: - الموافق له من أشهر القبط تاسع عشر مسرى - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، بعدما توقف عدة أيام، وأرجف خُرْزَان الغلال يكون الغلاء، فخاب أملهم.

وفى سابع عشره: خلع على جمال الدين محمود المحتسب خلعة الاستمرار وقد أرجف بعزله، ونقل قراجا من ولاية قلوب إلى ولاية الجيزة، ونقل حسين من ولاية الجيزة إلى ولاية قلوب.

وقدمت رسل ألفنس - ممتلك أشبيلية - بسبب الإفراج عن تكفور حاكم سيس، فأجيبوا إلى ذلك.

وفى هذه السنة: ركب السطان إلى الميدان سبتين، ولم يركب السبت الثالث لغرق الميدان بماء النيل.

وفى عشرينه: استقر مُقْبَل الطيبى فى ولاية قوص، عوضا عن ابن المَزَوَّق وأعيد علاء الدين الطشلاقى إلى ولاية قطيا.

وفى ثالث عشرينه: قدم الأمير أَقْبُغا الماردينى - نائب الوجه القبلى - فقبض عليه، وسجن فى الحديد بخزانة شمائل؛ لقبح سيرته، وعتوه على الخلق، وإسرافه فى إراقة الدماء، وأخذ الأموال، وأحيط بأمواله التى اغتصبها من أهل البلاد.

وفيه ضرب الأمير الكبير على خان بن قرمان - كاشف الوجه البحرى - ضربا

ميرحا، وأسلمه إلى حاجب الحجاب. وقدم نصارى مدينة سيس فى طلب من يقوم بأمرهم، وقد مات حاكمهم، فاختر لهم بعض الأسرى المقيمين بالكوم فيما بين جامع ابن طولون ومدينة مصر. وخلع عليه وعلى القادمين من سيس، وكتب تقليده، فأصبح حمارا يبيع الخمر، وأمسى ملك الأرمن ينفذ حكمه فى خلق كثير.

وفى سلخه: استقر الأمير أرسبغا المنجكى ملك الأمراء بالوجه القبلى عوضا عن أقبغا الماردىنى.

وفى ثالث شعبان: استقر بهادر طُجج - كاشف الوجه البحرى - عوضا عن ابن قرمان.

وانتهت زيادة ماء النيل إلى ثلاث أصابع من عشرين ذراعا، فعد ذلك طوفانا. وفيه عمل الأمير جركس الخليلى طاحونا فى مركب عند بسطة المقياس، يديرها الماء برسم طحن القمح دقيقا؛ فأتى الناس من كل جهة لرؤيتها، وقال فيها أدياء الزمان شعرا كثيرا.

وفيه نقل الأمير مأمور من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس، ونقل كمشبغا الحموى من نيابة طرابلس إلى نيابة دمشق، وأنعم عليه بإمرة جنتمر أخى طاز، وقبض على جنتمر وسجن بقلعة دمشق، ثم نقل إلى قلعة المرقب ^(١)، واستقر الأمير يلو الحاجب بدمشق، فى نيابة حماة. ونقل الأمير طرُنطاي الكاملى من نيابة سيس إلى حجویية دمشق، واستقر تراز العلای فى ولاية البهنسى، عوضا عن طاجار.

وفيه نقل عن ممالك الأسياد الذين فى خدمة الأمير الكبير برقوق، أنهم قد اتفقوا مع طائفة من ممالكه على أن يفتكوا به؛ وكبيرهم فى ذلك أيتمش الخاصكى. فعندما بلغه ذلك، بادر بالقبض على المذكور، وعلى بطا الخاصطى واستدعى من فى خدمته من ممالك الأسياد أولاد الأشرف، وقبض على سبعة عشر من أعيانهم، وسجنهم فى البرج من القلعة. وأصبح فقبض منهم على تكملة خمسة وستين، وسجنهم بخزانة شمایل، مقيدین، فهرب من بقى من ممالك الأسياد، فنودى فى القاهرة عليهم، وهدد من أخفاهم. وقبض على الأمير ألبغا العثمانى الدوادار فى تاسع عشرينه، وأخرج على إمرة بالشام. وأخرج أيضا أيضا بأمرين من العشرات منفين. واستقر الأمير بيرم فى ولاية أشموم الرمان.

وفى يوم السبت أول شهر رمضان: نفى الأمير الكبير برقوق إلى قوص ممن قبض

(١) بلد ومدينة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بلنياس. انظر معجم البلدان

عليه ثلاثة وأربعين مملوكا، ونفى بقيتهم إلى الشام، وتبع من اختفى منهم، فأغرق جماعة منهم في النيل، ونفى كثيرا منهم حتى ذهبوا بأجمعهم. وخلا الجو للأمير الكبير، ورأى أنه قد أمن، فإنه لما أخذ الإمرة في أيام الأمير أَيْبُك كان معه في ضيق؛ لأن نفسه تريد منه ما لا يؤهل له.

فلما زالت دولة أَيْبُك، وتحكم الأمير طُشْتَمُرُ العلای، لم يكن له معه كبير أمر، فما زال بَطُشْتَمُرُ حتى أزاله، وصار هو والأمير بركة يتنازعان الأمور، ولا يقدر على عمل شيء إلا بمراجعة بركة، حتى كان من أمره ما قد ذكر، فصارت ممالك الأسياد يريدون التوثب عليه وهو يداريهم جهده، حتى وثب بهم وأخذهم، فلم يبق له معاند، وصار له من الممالك الجراكسة عدد كبير جلبوا إليه من البلاد، فرقاهم إلى ما لم يخطر لهم ببال، وأنعم على جماعة منهم بإمريات.

وفيه نقل الأمير طُشْتَمُرُ العلای من نيابة صفد إلى القدس بطلبه لذلك، فأقام به بطالا.

وفيه أمر الأمير الكبير بالإفراج عن المسجونين بسجن الديلم وسجن الرحبة، على الديون، فأفرج عنهم.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره: جمع الأمير الكبير برقوق الأمراء والقضاة ومشايخ العلم، وأهل الدولة، والخليفة، إلى عنده بالحراقة من الإصطبل، وعرفهم أن الأمور مضطربة لصغر سن السلطان، وقلة حرمة، وأن الوقت محتاج إلى ملك عاقل يستبد بأحوال الدولة، ويقوم بأمور الناس، وينهض بأعباء الحروب والتدبير ونحو ذلك. فاتفقوا جميعهم معه على خلع الملك الصالح حاجي، وبعثوا في الحال بالأمير قُطْلُوبُغَا الكوكاي - أمير سلاح - والأمير أَلْطُنْبُغَا المعلم - رأس نوبة - فقبضا على الملك الصالح من القصر، وأدخلاه إلى دور الحرم، وأخذوا منه نمجاة ^(١) الملك، وعادا بها، فانقضت دولة الأتراك من مصر، وزالت دولة بني قلاوون، وصح ما أنذر به أرباب الحدثان، فقد قيل:

تمت ولايتهم بالحاء لا أحد من البنين يداني الملك في الزمن
وكذا كان، فإن آخر أولاد الناصر محمد بن قلاوون السلطان حسن بن محمد ^(٢)،

(١) النمجاة، خنصر محني أشبه بالسيف الصغير. انظر.

(٢) حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون، أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. يبيع بمصر صغيرا. كانت مدة سلطنته الثانية ست وستين وتسعة وأشهر وأياما. انظر ابن إياس ١٩٠/١ ووليم موير ١٠١ والبداية والنهاية ٢٢٤/١٤ والأعلام ٢/٢.

وآخر من ولي من أولاد الأولاد حاجي، وعلى رأسه زالت دولتهم، وبه ختمت ملوكهم، فسبحان محيل الأحوال، لا إله إلا هو.

* * *

السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن آنص الجركسي العثماني اليلبغاوي القائم بدولة الجراكسة

أخذ من بلاد الجركس، فأبيع ببلاد الهرم، ثم جلبه الخواجا فخر الدين عثمان بن مسافر إلى مصر، فاشتره الأمير يَلْبُغا العُمري الخاصكي وأعتقه، وجعله من جملة مماليكه الأجلاب، وكان اسمه أَلْطُنْبُغا فسماه الأمير يلبغا - برقوق - لتتوء في عينه، ومولده في سنة إحدى وأربعين وسبعمئة - تخميناً - فإنه ذكر في سنة ثمان وتسعين أن سنه سبع وخمسون سنة. فلما قتل الأمير يَلْبُغا - وكانت واقعة الأجلاب - أخرج برقوق فيمن أخرج منهم، وسجن بالكرك مدة، ثم أفرج عنه وصار إلى دمشق، فخدم عند نائبها الأمير مُنْجَك حتى طلب الملك الأشرف شعبان اليلبغاوية، قدم مع من قدم منهم، وصار في خدمة الأسياد، من جملة مماليكهم، إلى أن ثاروا بعد سفر الأشرف إلى الحجاز، كان ممن ثار معهم، وانتقل من الجندية إلى إمرة طبلخاناه، ثم إلى إمرة مائة، وملك الإصطبل، وعمل أمير آخور، ثم أميراً كبيراً. وما زال يدبر الأمور، والأقدار تساعده، حتى ذهب من يعانده، وثبت دولته، ووافقه الجميع، على أن يكون سلطان البلاد.

فلما خلع الصالح، وصلى الجماعة الظهر من يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مائة - الموافق له آخر هاتور، وسادس عشرين تشرين الثاني - خطب الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد (١) الخطبة على العادة، وبأيع الأمير الكبير الأتابك على السلطنة، وقلده أمر العباد والبلاد، فأفيض في الحال على السلطان تشريف الخلافة، وأفيض على الخليفة التشريف على العادة. وأشار شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني أن يقلب السلطان بالملك الظاهر، وقال: «هذا وقت الظهر، والظهر مأخوذ من الظهيرة والظهور، وقد ظهر هذا الأمر بعد أن كان خافياً، فقلب بالملك

(١) محمد (المتوكل على الله) بن أبي بكر (المتعاضد بالله) ابن سليمان (المستكفي) بن أحمد العباسي، أبو عبد الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية. بمصر ببيع بعد وفاة أبيه (سنة ٧٦٣هـ) بعهد منه، بالقاهرة وطالب مدته، وخلع في صفر ٧٧٩ وأعيد في ربيع الأول من السنة نفسها كانت مدة خلافته نحو من ٤٥ عاماً. انظر بدائع الزهور ١/٣٥٠ وتاريخ الخميس ٢/٣٨٢، ٣٨٣ والضوء اللامع ١٦٨/٧ والأعلام ٦/٧٨٤.

الظاهر، وركب من الحراقة بالإصطبل وطلع من باب السر إلى القصر. وعندما ركب أمطرت السماء فتفأل الناس بذلك. ولما دخل إلى القصر، جلس على التخت، فكان طالع جلوسه برج الحوت. ونودي بالقاهرة ومصر «الدعاء للسلطان الملك الظاهر». وكتب إلى أعمال المملكة بذلك، وأن يحلف النواب والأمراء للسلطان على العادة، فسارت البرد بذلك، ودقت البشائر بقلعة الحبل عند تمام البيعة، وزينت القاهرة ومصر وعامة مدائن مصر والشام.

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه: قرئ عهد الخليفة للسلطان على الأمراء، بحضرة الخليفة والقضاة وأعيان الدولة.

وفيه خلع على الأمير أَيْتَمَشَ البجاسى - رأس نوبة - وعلى الأمير أَلْطُنْبُغَا الجوبانى - أمير مجلس - وعلى الأمير جركس الخليلي - أمير أخور -، وخلع على الأمير سوْدُنَ الشيوخونى الحاجب، واستقر نائب السلطان. وخلع على الأمير قُطْلُوبْغَا الكوكاى، واستقر حاجب الحجاب، عوضاً عن الأمير سودن النائب. وخلع على الأمير أَلْطُنْبُغَا المعلم، واستقر أمير سلاح عوضاً عن الكوكاى الحاجب. وخلع على الأمير قردم الحسنى، واستقر رأس نوبة ثانياً. وخلع على الأمير يونس النوروزى الدودار، واستقر دودار السلطان، عوضاً عن آلا بغا. وخلع على قضاة القضاة الأربع، وقضاة العسكر، ومفتين دار العدل، ومحتسبى القاهرة ومصر، وكاتب السر، والوزير، وناظر الخاص، وناظر الجيش، ووكيل بيت المال، وسائر أرباب الدولة، فكان يوماً مشهوداً كثرت فيه التهاني والأفراح.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: جمع السلطان الأمراء بأجمعهم، وحلفهم - صغيرهم وكبيرهم - على طاعته.

وفيه خلع على أُوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين، واستقر فى نظر خزانة الخاص، ووكالة الخاص. وخلع على الأمير بهادر المنجكى الأستادار، واستقر أستاذار السلطان، بإمرة طبلخاناة، وأضيف إليه أستاذارية الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان.

وفى يوم الإثنين تاسع شوال: خلع على أُوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين الحنفى، واستقر فى كتابة السر، عوضاً عن بدر الدين محمد بن على بن يحيى بن فضل الله العمرى.

وفى حادى عشرينه: عرض السلطان المماليك الأشرفية، وعزل منهم خمسة، جعل لهم رواتب ليكونوا طرخان، وأرسل بقيتهم إلى الأمير سودن النائب، فعمل أصحاب

الأخباز الثفال مقدمين فى الحلقة، وباقيهم من جملة أجناد الحلقة. وطلب السلطان من المقسى أسماء من قبض بعد الأشرف العشرة آلاف، فوجد منهم قد بقى خمسمائة مملوك، فيهم أربعمائة مملوك بأيديهم إقطاعات فى الحلقة، ومائة مملوك لهم جوامك، فأمر فى يوم الإثنين سلخه، الأربعمائة أصحاب الأخباز فى الحلقة بلزوم دورهم، وأكلهم إقطاعاتهم. وقطع جوامك المائة أرباب الجوامك، وقرر عوضهم من ممالكه الذين اشتراهم ورباهم، وقال: «هؤلاء خونة قد خانوا أستاذهم الملك الأشرف، وأعانوا على قتله بشيء يسير أخذوه من المال، بعد ما عاشوا فى نعمته دهرا طويلا، فلا خير فيهم». فتلقوا قله وذله. ولقد رأيت بعض من كان من أمراء الألوف فى أيام الأشرف، وقد صار فقيرا، يسأل الناس، وعليه ثياب صوف شبه عباءة.

وفى هذا الشهر: قدم شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون ^(١) من بلاد المغرب واتصل بالأمير ألطنبغا الجوبانى، وتصدر للاشتغال بالجامع الأزهر، فأقبل الناس إليه، وراقهم كلامه، وأعجبوا به.

وفى يوم الإثنين سابع ذى القعدة: غضب السلطان على الوزير علم الدين عبد الوهاب الطنساوى - ويقال له سن إبرة - وضربه، واستدعى بالأسعد أبى الفرج النصرانى - كاتب الخوائج خاناه - وأكرهه حتى أظهر الإسلام، فخلع عليه وأركبه فرسا بسرج ذهب، وكنبوش زركش، واستقر به ناظر ديوان ولده [محمد] رفيقا للأمير بهادر الأستاذار.

وفى عاشره: خلع على الوزير سن إبرة خلعة الاستمرار. وخلع على الأمير منكللى الطرخانى واستقر حاجبا رابعا. وخلع على الأمير جليان العلاى، واستقر حاجبا خامسا. ولم يعهد قبل ذلك خمسة حجاب فى الدولة التركية.

وفيه استقر خير الدين العجمى - من صوفية خانكاه شيخو - فى قضاء الحنفية بالقدس. ولم يعرف قبله بالقدس قاض حنفى، واستقر موفق الدين العجمى - من صوفية خانكاه شيخو - فى قضاء الحنفية بغزة. ولم يعرف أيضا قبل ذلك بغزة قاض حنفى.

(١) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولى الدين الحضرمى الإشبيلى، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المورخ، العالم الاجتماعى البعثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس وقرطبة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، ثم عاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر وولى فيها قضاء المالكية. توفى بالقاهرة فجأة. اشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخير فى تاريخ العرب والعجم والبربر» فى سبعة مجلدات. انظر الضوء اللامع ١٤٥/٤ ونيل الابتهاج ١٧ ونفح الطيب ٤١٤/٤ والعبر ٣٧٩/٧ والأعلام ٣٣٠/٣.

وفيه كان بحث بين شيخ الإسلام البلقيني وبين بدر الدين بن الصاحب فى مسألة علمية، آل الأمر إلى أن كفر البلقيني ابن الصاحب، فطلبه إلى قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكي، وأقام رجلا يدعى عليه بأمر رتب عليه، فجرت أحوال عقد من أجلها مجلس حضره القضاة والفقهاء، وذكر ما يدعى به عليه، فلم يثبت منه شيء بوجه شرعى، فحكم بعض القضاة بعدم كفر ابن الصاحب وبقائه على دين الإسلام.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه: ركب السلطان من قلعة الجبل، ومر على قناطر السباع، حتى عدى النيل من بولاق إلى الجيزة، وتصيد، ثم عاد من آخر النهار، وقد ركب الأمير أيتمش عن يمينه، والشيخ أكمل الدين - شيخ خانكاه شيخو - عن يساره.

وفيه استقر بدر الدين محمد بن أحمد بن مظهر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن فتح الدين محمد بن الشهيد.

وفى هذا الشهر: ورد البريد بأن الأمير يلبغا الناصرى - نائب حلب - سار بعسكر حلب إلى البيرة ^(١)، يريد تعدية الفرات، فجاءه الخبر بعصيان الأمير علاء الدين ألتنبغا السلطاني - نائب الأبلستين - وأنه لم يخلف للسلطان واستولى على قلعة درندة ^(٢) - المضافة إليه - وطلع إليها، وأمسك بعض أمرائها، وأطلع إليها ذخيرة وميرة، فركب العسكر الذى بالمدينة عليه، وأمسكوا رجاله، فطلب الأمان منهم، وفر من القلعة إلى الأبلستين. فكتب إليه الأمير يلبغا الناصرى، يهدده ويخيفه، فلم يرجعه إليه، ومر هاربا على وجهه إلى بلاد التتر، فعاد الأمير يلبغا المذكور إلى حلب.

وفى يوم الثلاثاء سادس ذى الحجة: قبض على الأمير قُرط - نائب الوجه البحرى - لقبح سيرته، وسوء أفعال حاشيته، وضرب بين يدى الأمير أيتمش ضربا مبرحا، ثم جلس وصودر - هو وجماعته - وفر ابنه حسين، فنودى عليه، وهدد من أخفاه. وخلع على الأمير قرا بلاط الأحمدي، واستقر عوض قرط.

وفيه رسم باستقراء ولى الدين عبد الرحمن بن رشد فى قضاء المالكية بحلب، عوضا عن علم الدين القفصى.

وفى يوم السبت سابع عشره: ركب السلطان من القلعة إلى جهة المطرية ومضى

(١) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان

إلى قناطر أبي المنجا^(١)، وعاد فدخل إلى القاهرة من باب الشعرية، حتى خرج من باب زويلة^(٢) وصعد القلعة، فكان يوما مشهودا، زينت فيه الأسواق وأشعلت الشموع والقناديل، فرحا برؤيته.

وفي ثاني عشرينه: خلع على محمود بن علي بن أصفر عينه - أستاذار الأمير سودن باق - واستقر شاد الدواوين، عوضا عن بهادر الأعسر. وأنعم عليه بإمرة طبلخاناة.

وفيه ورد البريد بأن الأمير أقبغا عبد الله - نائب غرة - فر منها إلى جهة الأمير نعيم.

وفيه خلع على الأمير قرقماس الطشتمري البليغاوي، واستقر خازندارا كبيرا.

وفي رابع عشرينه: ركب السلطان من القلعة، وشق مدينة مصر، وقد زينت له، حتى عدى النيل إلى بر الجزيرة. ثم عاد على بولاق، إلى القلعة.

وفي سابع عشرينه: قدم الأمير أظنبغا الجوباني من الحجاز، وكان قد حج مع الركب.

* * *

مات في هذه السنة من الأعيان

قاضي القضاة الحنفية بدمشق، همام الدين - أمير غالب - ابن قوام الدين - أمير كاتب - الأتقاني، بعد عزله. وكان قد بلغ غاية في الجهل.

ومات قاضي القضاة بدر الدين عبد الوهاب بن الكمال أحمد بن قاضي القضاة علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران الأحنائي^(٣) المالكي، في يوم الخميس سادس عشر رجب، وهو معزول.

(١) هذا البحر أنشأه أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه أيام وزارته للخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله سنة ٥٠٦ هـ. إشراف أبي المنجا يشيعا اليهودي الذي كان مشرفا على أعمال الري، ولذلك عرف البحر باسم أبي المنجا. انظر الانتصار ٤٦/٥ وخطط المقرئ ١٥١/٢ وانظر تعليق النجوم الزاهرة ١٣٣/٧.

(٢) قال صاحب النجم الزاهرة: ولما نزل جوهر القائد اختطت كل قبيلة خطة عرفت بها، فزويلة بين البابين المعروفين ببابي زويلة، وهما البابان اللذان عند مسجد ابن البناء وعند الحجارين، وهما بابا القاهرة.

وقال أيضا: وأما باب زويلة الآن فبناها الوزير الأفضل بن أمير الجيوش، وكتب على باب زويلة تاريخه واسمه، وذلك في سنة ٤٨٠ هـ. انظر النجوم الزاهرة ٣٩، ٣٧/٤.

(٣) محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدى المصرى، أبو عبد الله، تقي الدين الأحنائي: قاضي قضاة المالكية بمصر. له تأليف. انظر الدياج ٣٢٧، والأعلام ٥٦/٦.

١٤٦ سنة أربع وثمانين وسبعمائة

ومات صاحب الوزير كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، فى سابع عشر شهر رمضان؛ وقد اتضع حاله وافترق.

ومات علاء الدين على بن عمر بن محمد بن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد - موقع الحكم - فى خامس عشرين صفر.

ومات جمال الدين محمد بن على بن يوسف، المعروف بالخطيب الأسنوى أحد خلفاء الحكم الشافعية، فى يوم الأحد عاشر ربيع الأول.

وتوفى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد الخالق، الأسىوطى الشافعى، فى يوم الأربعاء حادى ذى الحجة؛ وقد تصدر للأشغال عدة سنين.

ومات الأمير فخر الدين إياس الصرغتمشى الحاجب، أحد الطبلخاناه، فى ثالث ربيع الآخر.

ومات الأمير زين الدين زباله الفارقانى، نائب قلعة دمشق، فى شعبان بدمشق؛ وقد أناف على السبعين.

* * *

سنة خمس وثمانين وسبعمائة

فى يوم السبت الأول المحرم: قدم الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب، فخرج الأمير سودن النائب إلى لقائه، وصعد به إلى بين يدى السلطان، فقبل له الأرض، وجلس تحت الأمير سودن النائب. ثم نزل إلى بيت أعد له فكان فى هذا عيرة، فإنه بالأمس قد كان الناصرى من جملة الأمراء الأشرفية، وبرقوق إذ ذاك من جملة ممالك الأسىاء، إذا ضمه مجلس مع الناصرى قام على رجليه بين يديه، فأصبح ملكا يقبل الناصرى له الأرض، ويمثل أمره ونهيه فسبحان مقلب الأمور.

وفى سادسه: خلع على الأمير يلبغا الناصرى خلعة الاستمرار على نيابة حلب، ونزل من القلعة، وعن يمينه الأمير أيتمش، وعن يساره الأمير الطنبغا الجوبانى، ومن ورائه سبعة جنائب من الخيول السلطانية، بسروج ذهب، وكنائش زركش أخرجت له من الإصطبل. وكان قد حمل إليه السلطان والأمراء من أنواع التقادم ما يجمل وصفه.

وفى يوم السبت ثامنه: ركب السلطان ومعه الأمير يلبغا الناصرى حتى عدى النيل من بولاق إلى الجيزة^(١) وتصيد، ثم عاد من آخره.

وفى عاشره: خلع على الناصرى خلعة السفر، وتوجه من وقته إلى حلب.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: خلع على شمس الدين إبراهيم كاتب أرلان، واستقر فى الوزارة بعد شدة تمنعه، وكثرة إباطه، وتشترطه عدة شروط، منها أنه لا يلبس تشريف الوزارة، فأجيب إلى كل ما سألته، وليس خلعة من صوف كخلع القضاة، وأشار له السلطان بأن تكون يده فوق كل أيدى أهل الدولة، وأنه يستبد بالأمور من غير مشاورة، فنزل إلى داره، ولم يمكن أحداً من الركوب معه كما جرت به العادة، ومضى كأحد الناس حتى نزل منزله، وضبط الأمور أشد ضبط. ولم يتناول من معلوم الوزارة إلا الشىء اليسير، الذى كان لا يرضاه أقل عبيد الوزراء، وأنفق فى أرباب الرواتب جاريهم من غير نقص، وملأ الأهراء^(٢) بالغلل، وبيت المال بالأموال، وأدار الطواحين السلطانية بجوار الأهراء بمدينة مصر، وعمل الخواصل بسائر الأصناف. ولم يمكن أحداً

(١) والجيزة: بالزى، من أعمال مصر: على الجانب الغربى، اختطها بمصر عمرو بن العاص رضى الله عنه فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، والجيزة قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر.

انظر الروض المعطار ١٨٣، وصبح الأعشى ٣/٣٩٢، وخطط المقرئى ١/٢٠٥.

(٢) مخزن للغلل. انظر ابن ممتى، قوانين الدواوين ١٩.

أن يركب معه، وصار يخرج من بيته، ويغلق بابه بيده، ويضع مفاتيحه فى كفه، ثم يركب فرسه، ويركب غلامه بغلة، ويردف خلفه الدوادار، وهو حامل الدواة تحت إبطه، ويمضى إلى القلعة، من غير أن يكون معه أحد من الكتاب، ولا الأعوان، فلا يعرفه إلا من له به معرفة. ومنع جميع أرباب الدولة أن يأتوا إلى بيته، وإنما يأتوه بقاعة صاحب من القلعة. ورفع يد الأمير جركس الخليلي من التحدث فى الدولة، وانفرد بالكلمة فى الوزارة مع هذا الاقتصاد، ونفذت كلمته، وعظمت مهابته، حتى عند أكابر الأمراء، ولم يجد فيه عدوه سيلا إلى الطعن عليه بوجه.

وفيه أنعم على الأمير بهادر المنجى الأستادار بتقدمة الأمير قطلوبغا الكوكاى بعد موته..

وخلع على علم الدين الحزين، واستقر فى استيفاء الدولة، عوضا عن أمين الدين عبد الله جعيص بعد موته.

وفى يوم الخميس ثانى صفر: قدمت رسل السلطان أحمد بن أويس - متملك بغداد - بهدية فيها فهد وصقر وأربع بقج قماش، وتضمن كتابه أنه ملك بغداد بعد أخيه.

وفى سابع عشرة: أفرج عن الأمير قرط.

وفى سلخه: قدم البريد بأن الأمير طغاي تَمُرُ القبلاوى - نائب الكرك - تنازع مع الأمير خاطر بسبب أنه كبس عربانا كانوا نزلاته، وقبض عليهم، وآل الأمر إلى اقتتلهم، فانكسر نائب الكرك من خاطر، وتخلص العربان من يده.

وفى أول شهر ربيع الأول: قدم الخبر بأن طائفة من الفرنج شحنوا مراكبهم، وساروا من مدينة الإسكندرية هاربين، فتبعهم المسلمون من الغد، وقتلوه، فقتل عدة من المسلمين، وعاد من بقى بغير طائل، فقبض الأمير بلوط النائب على من تأخر بالثغر من الفرنج، وأخذ أموالهم، فتكر السلطان على النائب، وكتب بقدمه.

وفى سابعه: ضرب قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكى عنقى رجلين، ارتدا عن الإسلام، ولم يوافقا على العودة إليه.

وفى عاشره: قدم الأمير بلوط نائب الإسكندرية.

وفى حادى عشره: صُرف الشريف مرتضى عن نيابة نظير وقف الأشراف برغبته عنه، واستقر عوضه صدر الدين عمر بن رزين، أحد خلفاء الحكم.

وفي ثاني عشره: قدم الأمير بلوط تقدمه سنية.

وفي خامس عشره: ضرب قاضى المالكية عنق رجل على الردة عن الإسلام.

وفي سابع عشره: خلع على بلوط خلعة الاستمرار على نيابة الإسكندرية وتوجه إليها، وكتب بالقبض على الأمير طغاي ثمر الجر كمري، والأمير ألطنبغا السابقى، وكانا مجردين بالإسكندرية.

وفيه أخرج الأمير إياس السيفى - من العشرات - إلى دمشق، على إمرة بها. وأنعم على كل من سودن العلالى، وإينال الجر كسى بإمرة طبلخانة، وعلى حسن قجا الأسن قجاوى بإمرة عشرة. وقدم البريد بأن الأمير يلغا الناصرى نائب حلب توجه منها بالعسكر فى طلب التركمان، فوافاه فى أثناء طريقه غالب تركمان الطاعة، فخلع عليهم، وسار حتى وصل دربند بغراض^(١) وقدم طائفة من العسكر، فلقبهم التركمان وقتلهم، فقتل نائب بغراض، وجرح جماعة، فعاد إلى حلب. ثم قدم البريد بأن الأمير قرا محمد - حاكم الموصل - قد اتفق مع ضياء الملك بن بوز دوغان على محاربة سالم الدكرى؛ لما كان منه من قطع الطريق على حجاج الموصل وذبحهم وأخذ أموالهم، وأن الأمير يلغا الناصرى لما بلغه ذلك سار من حلب بالعسكر إلى البيرة، وعدى الفرات فى المراكب إلى الرها، فوجد قرا محمد وضياء الملك قد ركبا فى زيادة على اثنى عشر ألف فارس على سالم، وضربا بيوته، فأخذوا مالا يحد كثرة منها، قدر ثلاثين ألف حمل وكان بينهم وقعة عظيمة، قتل فيها من الفريقين خلق كثير، وفر سالم إلى جهة قلعة المسلمين، وقرا محمد فى إثره، فلم ينج إلا فى نفر قليل، فذهب عسكر قرا محمد تلك النواحي، وأفسدوا، فلم يجد سالم بدا من الترامى على الأمير يلغا الناصرى، وكفنه فى عنقه، وعاد به إلى حلب، فكتب بتجهيزه إلى مصر.

وفي عشرينه: أخرج الأمير مقبل الرومى منفيا، وكان قد قدم من الشام، وأنعم عليه بإمرة طبلخانة فلم يقبلها.

وفي نصف شهر ربيع الآخر: قدمت طائفة من الفرنج إلى الطينة^(٢)، وأسروا منها سبعة، وقتلوا رجلا واحدا، فمروا على دمياط، وباعوا بها الأسرى السبعة. وفيه قدم أمير أسد الكردي - أحد أمراء الألوف بحلب - فى الحديد، لشكوى بعض التجار عليه أنه أخذ له مملوكا غصبا، فحبس أياما، ثم أفرج عنه، وأخرج على إمرة بطرابلس.

(١) مدينة فى لحف جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ، على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب، فى البلاد المظلة على نواحي طرسوس. انظر معجم البلدان ٤٦٧/١
(٢) بلدة بين الفرما وتيس من أرض مصر. انظر ياقوت، معجم البلدان ٥٦/٤.

وفيه استقر الأمير تمرباى الدمرداشى فى نيابة صفد. وأنعم على الأمير أينال اليوسفى بتقدمة بدمشق.

وفيه استعفى الأمير يلو من نيابة حماة، فأعفى.

وفى تاسع عشره: قدم سالم الدكرى من حلب، فأكرمه السلطان، وخلع عليه، وأنعم عليه بإمرة طبليخانة بحلب.

وفيه أخذ قاع النيل فكان ثمانية أذرع سواء.

وفى يوم الإثنين حادى عشر جمادى الأولى: استقر جمال الدين محمود العجمى المحتسب، فى نظر الأوقاف كلها. واستقر الأمير قديد القلمطاوى - شاد الأوقاف - رفيقا له، وخلع عليهما، فشق ذلك على قضاة القضاة.

وفى عشرينه: قدم الخبر بأن سلام ابن التزكية عملت له مبارد^(١) فى رباب^(٢) أحضرت له، وطلب سواسى^(٣) خام ليفصلها له تمصانا، فبرد شبابيك البرج الذى هو مسجون فيه، وتدلّى منها فى تلك السواسى وهرب، فلم يقدر عليه، فغضب السلطان على نائب الإسكندرية، وأمر بإحضاره، ثم أعفى عنه.

وفى خامس عشرينه: أنعم على دمر خان بن موسى بن قرمان، بطبليخانة أبيه بعد موته.

وكان النيل فى أول مسرى^(٤) على اثنى عشر ذراعا، وأربع أصابع، فزاد فى رابعه - وهو سادس عشرين جمادى الأولى - أربعين أصبعا، وفى الغد أربعة وثلاثين أصبعا، ثم زاد أربعاء، فوفى ستة عشر ذراعا، وزاد أصبعين من سبعة ذراعا، فركب السلطان فى نهاره - وهو خامس مسرى - وفتح الخليج على العادة، ولم يعهد بعد الملك الظاهر بيبرس ملك ركب حتى خلق المقياس، وفتح الخليج سوى السلطان برقوق.

وفى هذا الشهر: اتفق بناحية برما^(٥) من الغربية أن طائفة من مسلمة النصارى،

(١) جمع مبرد، وهو ما يرد به الحديد.

(٢) هى الجلدة التى يجمع فيها السهام.

(٣) جمعه سواس، قماش شهير يصنع فى سوسه. انظر.

(٤) شهر من الشهور القبطية، كانت الحكماء تحمد الأسفار فيه، وتحمد فيه محبة السلطان، ويعتمدون الإحسان إلى أتباعهم، ويكرهون فيه تحريك الضغائن فيها. انظر الفضائل الباهرة ١٤٢.

(٥) بلدة ذات أسواق فى كورة الغربية من أرض مصر فى طريق الإسكندرية من القسطنطينية.

انظر معجم البلدان ٤٠٣/٢.

صنعوا عُرساً جمعوا فيه عدة من أرباب الملاحى، فلما صعد المؤذن ليسبح الله تعالى فى الليل على العادة، سبوه وأهانوه، ثم صعدوا إليه وأنزلوه، بعدما ضربوه فثار خطيب الجامع بهم؛ ليخلصه منهم، فأوسعوه سبا ولعنا وهموا بقتله وقتل من معه، فقدم إلى القاهرة فى طائفة، وشكوا أمرهم إلى الأمير سودن النائب، فبعث بهم إلى الأمير جركس الخليلى، من أجل أن ناحية وبرما من جملة إقطاعه، فلم يقبل قولهم، وسجن عدة منهم، فمضى من بقى منهم إلى أعيان الناس، كالبلقينى وأمثاله، وتوجه الحافظ المعتمد ناصر الدين محمد فيق إلى الخليلى، وأغلظ عليه حتى أفرج عن سجنه، فغضب كثير من أهل برما واستغاثوا بالسلطان، فأنكر على الخليلى ما وقع منه. وبعث الأمير أبدكار الحاجب للكشف عما جرى فى برما، فتبين له قبح سيرة المسألة فحملهم معه إلى السلطان، فأمر بهم وبغرمائهم أن يتحاكموا إلى قاضى القضاة المالكية، فادعى عليهم بقوادح، وأقيمت البينات بها فسجنهم.

واتفق أن الخليلى وقع - فى شونة قصب له - نار أحرقتها كلها وفيها جملة من المال، وحدث به ورم فى رجله، اشتد ألمه فلم يزل به حتى مات وذلك عقوبة له لمساعدة أهل الزندقة.

وفى أول جمادى الآخرة: قدم البريد بأن الأمير تمربادى الدمرداشى نائب صفد قدمها وأقام بها خمسة أيام، ومات فيها. وفيه استقر الأمير صنجق السيفى فى نيابة حماة، عوضاً عن يلو.

وفيه قدمت رسل الفرنج.

وقدم البريد من الكرك بأن نائبها الأمير طغاي تمر، صالح الأمير خاطر حتى اطمأن له، ودخل إليه ومعه إبنائه، فقبض عليهم، وذبحهم ثلاثتهم.

وفى تاسعه: استقر الأمير كُمشبغا الحموى فى نيابة صفد.

وفى رابع عشرينه: أعيد ابن وزير بيته إلى نظر الإسكندرية، واستقر جمال الدين عبد الله بن عزيز الإسكندراني - تاجر السلطان - بها.

وفى يوم الخميس سادس عشرينه: اجتمع الأمير سودن النائب، وقضاة القضاة الأربع، بشباك المدرسة الصالحية بين القصرين، وقدمت رسل مسلمة أهل برمة - وهم ستة - وضربت أعناقهم على الزندقة، ثم غسلوا وكفنوا، ودفنوا بمقابر المسلمين.

وفى يوم الإثنين أول شهر رجب: طلع الأمير صلاح الدين محمد بن محمد بن تَنَكِز -

نائب الشام - بالسلطان، ونقل له عن الخليفة المتوكل على الله أبي عبد الله محمد، أنه اتفق مع الأمير قُرط بن عمر التركمانى والأمير إبراهيم بن الأمير قُطْلُو أقمتر العلالى أمير جاندار، وجماعة قرط من التركمان والأكراد، وهم نحو الثمانى مائة فارس، على أن السلطان إذ نزل من القلعة إلى الميدان فى يوم السبت للعب بالكرة، وترجل الأمراء والمماليك كلهم، ومشوا فى ركاب السلطان على العادة، عند قربه من الميدان، خرجوا جميعا وقتلوا السلطان والأمراء، وأركبوا الخليفة، وصعدوا به إلى القلعة، ومكنوه من القيام بالسلطنة، فإن عارضه معارض، فر به قرط إلى الفيوم، ودعا عربان الصعيد للقيام بنصرته، وأن الخليفة قد كتب إلى بدر الدين بن سلام أن يقوم له فى البحيرة بالدعوة. فحلف السلطان ابن تنكز على صحة ما نقله، فحلف له. والتزم أنه يحاققهم على ما نقل عنهم. فبعث السلطان إلى الخليفة، وإلى قرط، وإبراهيم بن قطلو أقمتر، فأحضرهم إليه، واستدعى أيضا الأمير سودن النائب، وحدثه بما بلغه عن الخليفة وقرط وإبراهيم، فأخذ ينكر ذلك، ويستبعد وقوعه منهم، فأمر السلطان بالثلاثة، فحضروا بين يديه، وأخذ يذكر لهم ما نقل عنهم، فأنكروا إلا قرط، فإنه لما اشتد عليه السلطان، وخاف تهديده، قال: «إن الخليفة طلبنى، وقال لى هؤلاء ظلمة، وقد استولوا على هذا الأمير بغير رضائى، وأنى لم أقلد برقوق أمر السلطنة إلا غصبا، وقد أخذ أموال الناس بالباطل وطلب منى أن أقوم معه لله، وأنصر الحق، وأزِيل هذه الدولة الظالمة. والتزم أنه يبطل المكوس^(١) جميعها، ولا يفعل إلا الحق. فأجبتة إلى ذلك، ووعدته المساعدة، وأن أجمع له ثمانى مائة فارس من الأكراد والتركمان، وأقوم بأمره». فقال السلطان للخليفة: «ما قولك فى هذا». فقال: «ليس لمقاله صحة». فسأل إبراهيم بن قطلو أقمتر عن ذلك، فقال: «ما كنت حاضرا هذا الأمر والاتفاق، لكن الخليفة استدعانى إلى بيته بجزيرة الفيل، وأخبرنى بهذا الكلام، وقال لى إن هذا مصلحة، ورغبنى فى موافقته والقيام لله تعالى، ونصرة الحق. فأنكر الخليفة ما قاله إبراهيم، وأخذ إبراهيم يحاققه، ويذكر له أمارات، والخليفة يحلف أن هذا الكلام ليس له صحة، فاشتد حنق السلطان، واستل السيف ليضرب به عنق الخليفة، فقام الأمير سودن النائب وحال بينه وبينه، وما زال به حتى سكن بعض غضبه. فأمر بقرط وإبراهيم أن يسمرا، واستدعى القضاة ليفتوه بقتل الخليفة، فلم يفتوه بقتله، وقاموا عنه. فأخذ الخليفة وسجن فى موضع بالقلعة، وهو مقيد. وسمر قرط وإبراهيم، وشهرا فى القاهرة ومصر. ثم أوقفا تحت القلعة بعد العصر. فنزل الأمير أيد كار الحاجب، وسار بهما ليوسطا خارج باب المحروق من القاهرة. وابتدأ بقرط فوسطه. وقبل أن يوسط إبراهيم جاءت عدة من المماليك بأن الأمراء قد شفعوا فى إبراهيم، ففكت مساميره، وسجن بخزانة شمائل.

وطلب السلطان زكريا وعمر ابني إبراهيم عم المتوكل، فوقع اختياره على عمر بن الخليفة المستعصم بالله أبي إسحاق إبراهيم بن المستمسك بالله أبي عبد الله محمد بن الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن أبي على إسحاق ابن على القبي^(١)، فولاه الخلافة، وخلع عليه، فتلقب بالوائق بالله.

وفى يوم الثلاثاء ثانيه: قبض على حسين بن قرط، وعمر ابن أخى قرط، فسجنا بخزانة شمائل. وخلع على الأمير سبرج الكُمشْبُغَاوى، واستقر والى قلعة الجبل، بإمرة طبلخاناة، عوضا عن طَشْتُمَر المظفرى. وقبض على على ابن بدر والى أطفيح^(٢) وقيد، واستعمل مع المقيدين فى نقل التراب ونحوه بالقلعة. وكتب بولاية عثمان بن قارة إمرة العرب، عوضا عن نعيم بن حيار بن مهنا^(٣)، وتوجه به وبالتشريف الأمير بجمان الحمدي، وقلده الإمارة. وركب هو والأمير يلغا الناصرى نائب حلب، وكبسوا نعيم ابن حيار. وكانت بينهم وبينه وقعة عظيمة انهزم فيها نعيم، ونهب له ما لا يوصف، فمما أخذ له ثلاثون ألف بعير. ووجد له بسط تحمل الفردة الواحدة منها على بعير، وسبى حريمه. فكان هذا أيضا من أعظم أسباب الفساد فى الدولة، ومن أكبر أسباب خراب الشام.

وفى يوم السبت سادسه: قدم الريد بخبر هذه الواقعة.

وفيه ركب السلطان إلى الميدان على العادة.

وفى ثامنه: خلع على الطواشى بهادر الشهابى، واستقر مقدم الممالك، عوضا عن جوهر الصلاحى. وخلع على الأمير كمشبغا الخاصكى، واستقر رأس نوبة ثالثا بعد وفاة أيدمر من صديق. وخلع على الأمير بكلمش الطازى العلاى، واستقر رأس نوبة خامسا،

(١) عمر بن إبراهيم بن أحمد بن محمد العباسى، أبو حفص، الواثق بالله، من خلفاء العباسيين بمصر. وهو أخو المعتصم بالله (زكريا). ولى الخلافة بعد خلع المتوكل (محمد بن أبى بكر) سنة ٧٨٥هـ. واستقام أمره فيها، فاستمر إلى أن توفى بالقاهرة. انظر مورد اللطافة ٩٤ وشذرات الذهب ٣٠٣/٦ وتاريخ المعتصم ٣٨٣/٢ والأعلام ٣٩/٥.

(٢) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقه. انظر معجم البلدان ٢٢٨/١.

(٣) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شمس الدين المعروف بنعيم: أمير آل فضل بالشام. ولى الإمرة بعد أبيه (سنة ٧٧٧هـ) وكان شجاعا جوادا مهييا، إلا أنه كثير الغدر والفساد. كانت إقامته فى سلمية بسورية، ثم جرى به إلى حلب فقتل فيها، وقد نيف على السبعين. انظر الضوء اللامع ٣٠٢/١٠ وإعلام النبلاء ١٤٧/٥ والأعلام ٣٤٤/٦.

عوضا عن بجمان الحمدي، وخلع على الأمير حسن قُجا الأسن قجاوى، واستقر شاد الشراب خاناه، عوضا عن كمشيفا الخاصكى.

وفي يوم السبت ثالث عشره: ركب السلطان إلى الميدان ثانى مرة.

وفي ثامن عشره: خلع على كرجى بولاية الأشمونين، عوضا عن قطلوبغا حاجى. وفيه دار الحمل بالقاهرة ومصر على العادة فى كل سنة، واستجد له ثوب حرير أصفر بشمسات ^(١) زركش، فيها اسم السلطان، وعملت له رصافيات ^(٢) فضة، مطلية بذهب، فجاء أحسن ما عهد قبل ذلك. وفيه عرضت كسوة الكعبة، وقد استجد فيه أيضا أن عمل طرازها الدائر بأعلاها من قصب.

وفي يوم السبت عشرينه: ركب السلطان إلى الميدان ثالث مرة.

وفي يوم السبت سابع عشرينه: ركب السلطان إلى خارج القاهرة، وغير من باب النصر، ونزل بالبيمارستان المنصورى، ثم ركب منه إلى القلعة.

وبلغ النداء على النيل أربع أصابع من عشرين ذراعا، ثم زاد بعد ذلك حتى انتهى إلى أصابع من أحد وعشرين ذراعا، ففرقت مواضع عديدة، وتهدمت عدة دور وانتهبت، وانتدب عدة من الأمراء لسد مقاطع الماء.

وفيه قدم عدة من رجال نائب سنجار، ومن تكريت ^(٣) وقيصرية الروم، يسألوا أن تكون مضافة إلى مملكة مصر، فكتبت تقاليد الثلاثة، وحملت لهم التشاريف. وخرج السلطان إلى السرحة بسرياقوس على العادة فى كل سنة.

وفي أول شعبان: قدم الخير بحركة الفرنج، فرسم بمخروج اليزك إلى الساحل، فتجهزوا وساروا فى ليلة الخميس سابع عشره، فتوجه الأمير أحمد بن يلبغا الخاصكى إلى نغر رشيد، وتوجه الأمير أيدكار الحاجب إلى نغر دمياط.

وقدم الخير بأن سلام ابن التركية جمع عليه كثيرا من العربان، ونهب نواحي الفيوم. وقد لحق به إبراهيم بن اللبان فى زى أنه من جهة الخليفة، ولحق به أحمد بن الزعلى متولى قليوب - وقد فر من الشكوى عليه - فخرج أربعة أمراء فى طلب ابن التركية، ففر منهم إلى جهة الصعيد الأعلى، واستقر فى ولاية قليوب قُطليجا الصفوى. واستقر أوناظ اليوسفى فى ولاية الشرقية، عوضا عن على القرمى.

(١) مفردا شمسة، حلى مستدير فى شكل الشمس الصغيرة، تزين بها الثياب ونحوها، يغلب أن تكون من القصب. انظر.

(٢) حلى بارزة من الفضة زين بها المخمل. انظر.

(٣) تكريت: بالعراق بين دجلة والفرات وقيل هى من كور الموصل، من سر من رأى إلى تكريت، وهى مدينة قديمة كبيرة واسعة الأرجاء جميلة الأسواق كثيرة المساجد غاصة بالأهل. انظر معجم البلدان ٣٨/٢، والروض المعطار ١٣٣.

وقدم البريد بخروج الأمير يلغا الناصرى من حلب بالعسكر للقاء الفرنج، وقد وردت شوانهم فى البحر لقصد إياس، ونزوله بالعمق لقربه من البحر. فورد عليه كتاب نائب اللاذقية بوصول الفرنج إلى بيروت، وأنهم نزلوا إلى البر، وملكوا بعض أبراجها. فأدركهم العسكر الشامى فى طائفة من رجالة الأكراد، وقتلوه، فأيد الله المسلمين، حتى قتلوا من الفرنج نحو خمسمائة رجل، وانهزم باقيهم إلى مراكبهم، وساروا، وعادت العساكر إلى الشام.

وأن الأمير يلغا الناصرى ألقى الفتنة بين التركمان الأجدية والقنقية، فرمى طائفة القنقية على الأخرى، وكتب إليهم بالنزول على باب الملك مفتتح البلاد السيسية حيث مقام الأجدية لإيقاع سيف الفتنة بينهم.

وفيه استقر تقى الدين أبو محمد عبد الله ابن قاضى القضاة جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ابن قاضى القضاة شرف الدين أبى العباس أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن نجم الدين أبى العباس أحمد بن أبى العز.

وفى يوم الخميس تاسع شهر رمضان: حضر سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الخاص، الخدمة على العادة، وقد اجتمع نساؤه فى داره لفرح عندهم، وعليهن من اللؤلؤ والجوهر والذهب وثياب الحرير ما تجل قيمته، والخمر بينهن دائرة، والمغانى تغنيهن، فنزل الأمير قرقماس الخازندار، والأمير بهاء الدين بهادر الأستاذار، وأحاطا بداره، وأخذ النساء والغلمان، وحملوا جميع ما فى الدار، فبلغت قيمته زيادة على مائتى ألف دينار، وقبض على ابن البقرى بالقصر، وعمل فى الحديد، وسجن بقاعة صاحب من القلعة، ولا علم له بما كان فى داره.

وخلع على الوزير صاحب شمس الدين إبراهيم كاتب أرلان بنظر الخاص، فاستعفى من ذلك وقال: «هذه خلعة الاستمرار»، فلم يكلف لولايتها. وطلب موفق الدين أبو الفرج عبد الله الذى أسلم، وخلع عليه، واستقر فى نظر الخاص.

وفى سادس عشرة: قبض الوزير على عبيد البازدار - مقدم الدولة - وأخذ منه مائة ألف درهم، وأقام عوضه محمد بن عبد الرحمن فى مقدمة الدولة، ثم جعل معه شريكا له عبد الله بن محمد بن يوسف.

وفى عشرينه: خرجت تجريدة إلى دمياط، فيها ستون مملوكا، وخرجت تجريدة إلى الإسكندرية، وإلى رشيد.

وفيه أخرجت إقطاعات الممالك الأشرفية عنهم إلى ممالك السلطان.

وفيه اشتدت عقوبة ابن البقرى بالمقارع، وألزم بحمل خمسمائة ألف درهم، بعد ما أخذ منه ما يقارب الثلاثمائة ألف دينار.

وفى هذا الشهر ركب السلطان للصيد عدة مرار.

وفيه كتبت أسماء الذين فى سجن القضاة على الديون، وصولح غرماؤهم عما لهم عليهم من الدين بمال أخرجه السلطان على يد الأمير جركس الخليلي، وأفرج عنهم.

وفيه شفّع الأمراء فى الخليفة، وتقدم منهم الأمير أيتمش، والأمير ألتونبغا الجوباني، وقبلا الأرض، وسألا السلطان فى العفو عنه، وترفقا فى سؤاله، فعددهما ما أراد أن يفعل من قتله وقتلهم، فكفا عن مساءلته.

ثم سأله بعد ذلك الأمير سودن النائب فيه، فأمر بقيده، ففك عنه.

وفى يوم الأحد ثالث شوال: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وعاد من يومه، وأمر بتتبع المماليك الأشرفية والمماليك البطالين، فأخذوا، وعملوا فى الحديد، ونفوا من مصر.

وفى ثانى عشره: عدى السلطان النيل إلى الجيزة وتصيد، ثم عاد إلى مخيمه تحت الأهرام، فمر على خيمة الأمير قُطلو أقتمر أمير جاندار فوقف عليها، وخرج إليه قُطلو أقتمر وقبل له الأرض، وقدم له أربعة أفراس فلم يقبلها، فقبل الأرض ثانيا، وسأل السلطان أن يقبلها، فأجاب سؤاله وقبلها. وتوجه السلطان إلى مخيمه، واستدعى فى الحال بإبراهيم بن قُطلو أقتمر من خزانة شمائل، وخلع عليه، وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش زركش، وأعطاه ثلاثة أروس آخر، وهى التى قدمها أبوه، وأذن له أن يمشى فى الخدمة، ووعد برزق، وأرسله إلى أبيه، فسر به سرورا كبيرا وكان فى هذه المدة لم يحدث السلطان، ولا أحدا من الأمراء فى أمر ولده، فأتاه الله بالفرج من حيث لا يحتسب.

ورحل السلطان إلى سسرحة بالبحيرة على العادة، وعاد فى يوم الخميس سادس ذى القعدة إلى القلعة. وخلع على قاضى العسكر بدر الدين محمد بن البلقينى الشافعى، وشمس الدين محمد القرمى الحنفى.

وفى يوم السبت ثامن: جمع السلطان القضاة، واشترى الأمير أيتمش البجاسى من ورثة الأمير جرجى نائب حلب بحكم أن جرجى لما مات لم يكن أيتمش البجاسى ممن أعتقه، بل كان فى رقه، فأخذه بعد جرجى بجاس وأعتقه من غير أن يملكه بطريق

صحيح، فلم يصادف عتقه محلا، وأثبتوا ذلك على القضاة. فلما اشتراه السلطان منهم بمائة ألف درهم أعتقه وأنعم عليه بأربعمائة ألف درهم فضة، وبناحية سبط رشين^(١) ثم خلع على القضاة والموقعين الذين أسجلوا قضية البيع والعتق.

وفي تاسعه: ركب السلطان إلى بركة الحجاج، وعاد فدخل من باب الفتوح وشق القاهرة إلى باب زويلة، وصعد إلى القلعة.

وفي عاشره: خلع على كاتب السر أوحد الدين لقراءته عتاقة الأمير أيتمش الظاهري. وخلع على نقيب الأشراف السيد الشريف جمال الدين عبد الله عبد الرحيم الطباطبائي، واستقر في نظر وقف الأشراف، عوضا عن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء، فخرج من حيثئذ نظر الأشراف عن القضاة، ولم يعد إليهم. وأنعم على الأمير الطنبغا السلطاني بإمرة طبلخانة.

وفي سابع عشره: ضرب ابن البقرى بين يدي السلطان ضربا مبرحا. وفيه خلع على المحتسب جمال الدين محمود العجمي خلعة الاستمرار، وقد أرجف بعزله.

وفيه كتب باستقرار قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، في قضاء القضاة بدمشق، بعد وفاة ولي الدين عبد الله بن أبي البقاء، وحمل إليه تقليده وتشريفه فلم يقبل، فخوف عاقبة ذلك، فأجاب وتوجه من القدس إلى دمشق.

وفي يوم الثلاثاء تاسع ذى الحجة: أفرج عن الخليفة المتوكل، ونقل من سجنه بالرج إلى دار بالقلعة، وطلع إليه عياله.

وفيه قدم البريد بمحاربة التركمان. وكان من خير ذلك أنه كتب بتجريد عسكر دمشق وطرابلس وحماة وحلب ونواب الثغور وتركمان الطاعة وأكرادها، إلى جهة التركمان العصاة بالبلاد السيسية، كالصارم بن رمضان نائب أدنه وبنى أوزر، وابن برنص من طائفة الأجدية لمقاتلتهم على تعديهم طريقهم، وقطعهم الطرقات، ونهبهم حجاج الروم، ولاتفاقهم مع الأمير علاء الدين على بك بن قرمان - صاحب لارندة^(٢) على اقتلاع بلاد سيس، فتأهبت العساكر لذلك ووافقت حلب، فتقدمها الأمير يلبغا الناصري نائب حلب، وركب من حلب في ثاني ذى القعدة يريد العمق، وكتب إلى بنى أوزر وبقية التركمان العصاة، ينذرهم، ويحذرهم التخلف عن الحضور إلى الطاعة،

(١) من القرى القديمة في مركز بيا.

(٢) المقصود بها قلعة درندة، وقد تقدم ذكرها.

و يخوفهم بأس العساكر، وإنهم إن أذعنوا وأطاعوا كانوا آمنين على أنفسهم وأموالهم، ومن تخلف كان غنيمة للعساكر. وسار حتى نزل تحت عقبة بغراس، فعرض العساكر، وترك الثقل وتوجه مخفيا، وجاوز عقبة بغراس، وترك بها نائبي عين تاب وبغراس بخيالتهما ورجالهما، حفظا للدربند، إلى أن تصل العساكر الشامية. وجد السير إلى أن نزل باب إسكندرونه بجانب البحر، وأراح الخليل يسيرا. وقدم أمامه من أمراء الألو فبجلب دمرداش وكشلى ليملكا جسر المصيصة ^(١) قبل أن يفطن التركمان بوصول العساكر فيقطعونه ولا يمكن جوازه إلا بعد تعب زايد. ثم ركب فى الثلث الأول من ليلة الأحد خامس عشره وسار مجدا، فوصل المصيصة عصر نهار الأحد، فوجد الأميرين قد ملكا الجسر بعد أن هدم التركمان بعضه، وقطعوا منه جانبا لا يمنع الاجتياز، وتوقدت بينهم نار الحرب. وعدت العساكر نهر جاهان ^(٢) إلى جانب بلاد سيس، واقتفوا آثار من كان بالمصيصة من التركمان فأدركوا بعض البيوت، فانتهبوها، فتعلق الرجال بشعف الجبال، ثم حضرت قصاد التركمان - على اختلاف طوائفهم - يسألون الأمان، فأجاب الأمير بلبغا الناصرى سؤالهم، وكتب لهم أمانا. ولما أحس الصارم بن رمضان بالعساكر، ترك أذنة ^(٣) وفر إلى الجبال التى لا تسلك. ووصلت الأطلاب والثقل إلى المصيصة فى سابع عشره، فقدم من الغد ثامن عشره قاصد الأمير طشْبغا العزى - نائب سيس - بخبر وصول ابن رمضان إلى أطراف البلاد السييسية، وأنه ركب فى أثره ومعه طائفة من التركمان القرمانيين، فأدركوا بيوته، فانتهبوها، وأمسكوا أولاده وحریمه، ونجا بنفسه، ولحق بالتركمان البياضية مستحجرا بهم، فأجمعت الآراء على التوجه بالعساكر إلى جهتهم وإمساكه. فقدم الخبر من نائب سيس فى آخر النهار بأنه استمر فى طلب ابن رمضان إلى أن أدركه وأمسكه، وأمسك معه أخاه قرا محمد وأولاده وأمه وجماعته وعاد إلى سيس، فسرت العساكر بذلك سرورا زائدا.

(١) المصيصة: من الثغور بالقرب من أنطاكية، والمصيصة مدينتان بينهما نهر عظيم يقال له جيحان، وهما على ضفتيه وبينهما قنطرة من حجارة، واسم الواحدة المصيصة والأخرى كفرىبا، وجيخان يخرج من بلاد الروم حتى يصل المصيصة، وبين المصيصة والبحر اثنا عشر ميلا. انظر معجم البلدان ١٤٤/٥، ١٤٥، والروض المعطار ٥٥٤، ونزهة المشتاق ١٩٥، والكرخى ٤٧، وابن حوقل ١٦٧، وآثار البلاد ٥٦٤.

(٢) نهر جاهان تقع عليه المصيصة، وتقع عليه طرسوس وأذنة على التوالي.

(٣) أذنة: مدينة بالشام بينها وبين المصيصة اثنا عشر ميلا بناها هارون الرشيد وأتمها الأمين وبها كانت منازل ولاة الثغور لسعتها، وهى على نهر جيحان وليس المسلمين عليه إلا أذنة هذه بين طرسوس والمصيصة، ومن أذنة إلى طرسوس اثنا عشر ميلا. انظر معجم البلدان ١٣٢/١، ١٣٣، والروض المعطار ٢٠.

ورحلت في تاسع عشره تريد سيس، وأحاطت بطائفة من التراكمن اليراكية، فانتهبت كثيرا من خيل ومتاع وأثاث ثم أمنوهم بسؤالهم ذلك وتفرقت جموع التركمان بالجلبال ومرت العساكر إلى جهة سيس. وأحضر ابن رمضان، وأخوه قرا محمد، ومن أمسك معهما، فوسطوا، وعاد العسكر يريد المصيصة. وركب الأمير يلغا الناصري بعسكر حلب، وسلبهم جبلا يسمى صاروجا شام، وهو مكان ضيق حرج وعمر، به جبال شوامخ وأودية عظام، مغلقة بالأشجار والمياه والأوحال، وبه دربندات خطره، لا يكاد الراجل يسلكه، فكيف بالفارس وفرسه الموقرين حملا باللبوس؟ وإذا هم بطائفة من التركمان اليراكية، فجرى بينهم القتال الشديد. فقتل بين الفريقين جماعة، وفقد الأمير يلغا الناصري، وجماعة من أمراء حلب، وإذا بهم قد تاهوا في تلك الأودية. ثم تراجع الناس وقد فقد منهم طائفة. وداخل العسكر رعب شديد، وخوف كاد يذهب منه أرواحهم. ووصلهم الخبر بأن التركمان قد أحاطوا بدربند باب الملك، فالتجأوا إلى مدينة إياس. ثم قدم يلغا الناصري إلى إياس بعد انقطاع خيره، فتباشروا بقدمه، وأقاموا عليها أياما، ثم رحلوا، فلقبهم التركمان في جمع كبير. فكانت بينهم وقعة لم يمر لهم مثلها. قتل فيها خلق كثير، وانجلت عن كسرة التركمان بعد ما أبلى فيها الناصري بلاء عظيما. وارتحل العسكر يوم عيد الأضحى إلى جهة إياس، فما ضربت خيامهم بها حتى أحاط بهم التركمان وأنفذوا فرقة منهم إلى باب الملك، فوقفوا على دربنده ومنعوا عنهم الميرة، فعزت الأقوات عند العسكر، وجاعت الخيول، وكثر الخوف وأشرفوا على الهلاك، إلا أن الله تداركهم بخفى لطفه، فقدم عليهم الخير بوصول الأمير سودن المظفرى - حاجب الحجاب بحلب - في عدة من الأمراء. وقد استخدم من أهل حلب ألف راجل من شبان بانقوسا، ودفعوا إليهم مائة درهم كل واحد. وخرج العلماء والصلحاء وغالب الناس، وقد بلغهم ما نزل بالعسكر. ونودى بالنفير العام، فتبعهم كثير من الرجالة والخيالة، والأكراد ببلد القصير والجبل الأقرع وغيره من أعمال حلب. فقام بمؤنتهم الحاجب ومن معه من الأمراء، وهجموا على باب الملك، فملكوه وقتلوا طائفة ممن كان به من التركمان، وهزموا بقيتهم. ففرح العسكر بذلك فرحا كبيرا، وساروا إلى باب الملك حتى جاوزوا دربنده ونزلوا بغراس^(١)، ثم رحلوا إلى أنطاكية وقدموا حلب. فكانت سفرة شديدة المشقة، بلوا فيها من كثرة تنابح الأمطار الغزيرة، وتوالى هبوب الرياح العاصفة، وكثرة الخوف، ومقاساة آلام الجوع، ما لا يمكن وصفه.

(١) مدينة في لطف جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ، على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب، في البلاد المطلة على نواحي طرسوس. انظر معجم البلدان ٤٦٧/١.

وفي سادس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بأن الشريف سعد بن أبى الغيث الحسنى - الذى كان أمير ينبع^(١) - نزل على الحاج المغاربة، بوادى العقى^(٢)، وسألهم أن يعطوه شيئاً، فأمسكوه وربطوا كتفيه، وأخذوا فرسه، وأخذوه معهم ماشياً، فأتاهم كثير من عربيه وقتلوه، فقتل من المغاربة عدد كثير، وأفلت منهم سعد، فأدركهم حجاج التكرور وقتلوه، فقتل كثير من التكرور، وأخذت أموالهم وأموال من كان معهم من الصعايدة وغيرهم. وأن حاج العراق أخبروا بأن حاج شيراز^(٣) والبصرة والحسا^(٤) خرج عليهم قريش ابن أخى زامل فى ثمانية آلاف نفس، فأخذوا ما معهم من اللؤلؤ وغيره - وكان شيئاً له مبلغ عظيم - وقتلوا منهم خلقاً كثيراً. فرد من بقى منهم ماشياً عارياً، وقدم بعضهم إلى مكة كذلك صحبة حاج بغداد. وأن ركب العراق جبى منهم عشرون ألف ديناراً عراقية، حساباً عن كل جمل خمسة دنانير، حتى أمكنهم التوجه إلى مكة. وأن حاج اليمن تعذر حجهم لفتنة باليمن، شغل فيها سلطانهم عن تجهيز الحمل.

وفي هذه السنة: كثر الرخاء بالقاهرة، وأبيع لحم الضأن السليخ، كل عشرة أرطال بثمانية دراهم، ولحم البقر كل رطل بنصف درهم، والقمح كل أردب من ثمانية دراهم إلى خمسة عشر درهماً، والشعير من ستة دراهم الأردب إلى ثمانية دراهم.

وفي هذا الشهر: استقر شرف الدين مسعود بن شعبان بن إسماعيل فى قضاء الشافعية بحلب، عوضاً عن الشهاب أحمد بن عمر بن أبى الرضا. ثم بعد قليل أعيد ابن أبى الرضا.

وفىها ولى الأمير فخر الدين عثمان بن قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثه بن غضبة بن حازم بن فضل بن ربيعة، إمرة آل فضل، عوضاً عن الأمير ناصر الدين محمد بن نعيم بن حيار بن مهنا.

وفىها أنشئ حوض للسبيل عند باب المعلا بمكة، باسم السلطان. ووصل الماء إلى القدس من قناة العروب، بعد عمارتها بأمر السلطان.

(١) من أرض تهامة، بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٤٤٩/٥. ، والروض المعطار ٦٢١. ورحلة الناصرى ٢١٦.

(٢) يوجد بناحية المدينة المنورة. انظر معجم البلدان ١٧٢/٥.

(٣) شيراز: مدينة بأرض فارس، وهى مدينتها العظمى ودار مملكة فارس، وينزلها الولاة والعمال، وتفسير شيراز: خوف الأسد. انظر معجم البلدان ٣٨٠/٣، والروض المعطار ٣٥١، ٣٥٢، ونزهة المشتاق ١٢٥.

(٤) واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان. انظر معجم البلدان ٢٥٨/٢.

وفيها قتل محمد بن مكى ^(١) كبير الرافضة بدمشق، لتظاهرة بزي النصرية، ضربت عنقه تحت القلعة.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأديب شهاب الدين أحمد بن يحيى بن مخلوف بن مر بن فضل الله بن سعد بن ساعد، المعروف بالأعرج السعدى رحمه الله.

ومات الأمير أرغون دودار الأمير طشتمر أحد الطبلخاناة.

ومات الأمير أيذمر الخطايبى من صديق، وهو مجرد بالإسكندرية.

ومات الأمير بلاط السيفى الصغير، أمير سلاح، وهو بطرابلس، فى جمادى الأولى.

ومات الأمير تمرباى نائب صفد، فى جمادى الأولى، بها.

ومات علم الدين سليمان بن أحمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن أبى الفتح بن هاشم العسقلانى، أحد أعيان الفقهاء الحنابلة، فى ثالث عشرين جمادى الآخرة. ومات قاضى قضاة دمشق ولى الدين عبد الله ابن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن على تمام السبكى ^(٢) الشافعى بها.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن أيك الفافا، أحد العشرات.

ومات شرف الدين موسى بن البدر محمد بن محمد بن الشهاب محمود الحلبي، أحد موقعى الدست، بمدينة الرملة عائدا من القاهرة إلى دمشق فى رابع عشرين صفر عن ثلاث وأربعين سنة. ومن شعره:

يا طيف دونك ناظرى خذ نوره إن جئت زائر

(١) محمد بن مكى بن محمد بن حامد العاملى النبطى الجزينى، شمس الدين الملقب بالشهيد الأول: فقيه إمامى أصله من النبطية سكن حزين بلبنان. ورحل إلى العراق والحجاز ومصر ودمشق وفلسطين وأخذ من علمائها واتهم باخلال العقيدة. سجن فى قلعة دمشق سنة ثم ضربت عنقه. انظر شهداء الفضيلة ودار الكتب ٥٧٣/١ والأعلام ١٠٩/٧.

(٢) محمد بن عبد البر بن يحيى، بهاء الدين، أبو البقاء، السبكى: فقيه شافعى مصرى، من العلماء بالعربية والتفسير والأدب. ولى قضاء دمشق ثم قضاء طرابلس، وعاد إلى القاهرة، فولى قضاء العسكر ووكالة بيت المال والقضاء الكبير. ثم ولى قضاء دمشق. انظر بغية الوعاة ٦٣ والدرر الكامنة ٤٩٠/٣ والوفاء بالوفيات ٢١٠/٣ وكشف الظنون ٦٢٥ والأعلام ١٨٤/٦.

يا طيف دونك ناظري خذ نوره إن جئت زائر
أخشى عليك لشقوتى من أن تعثر فى المحابر
ومات الأمير شرف الدين موسى بن دينار بن قرمان، أحد الطبلخانة فى ليلة
الأربعاء عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير قُطْلوبغا الكوكاى، أحد أمراء الألوف، فى سادس المحرم.
ومات مستوفى المرتجع أمين الدين عبد الله بن جعيص الأسلمى، فى ثالث عشر
المحرم.

ومات الشيخ نهار المجذوب المغربى بالإسكندرية وكان يتحدث بالمغنيات، وله
كرامات.

* * *

سنة ست وثمانين وسبع مائة

فى يوم الخميس ثانى المحرم: استقر طَشْتَمُر السيفى فى ولاية دمياط، عوضا عن الأمير قطلوبغا أبو درقة.

وفى ثامن عشره: استقر أبو درقة فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنساوية، والأطفيحية، عوضا عن محمد بن قرأبغا.

وفى عشرينه: قدم محمل الحاج.

وفيه رسم برمى الإقامات بالصعيد، لسفر السلطان.

وفى حادى عشرينه: رسم بعمارة برجى ثغر دمياط، وعمارة جسر السبيل البنهاوى.

وفيه قدم اليريد بأن السيل هجم على دمشق، وخرب بها عدة دور، فلم يعهد بها سيل مثله.

وفى يوم السبت ثالث صفر: قبض على الأمير يَلْبَغَا الصغير الخازندار، وسبعة من المماليك، وشيء بهم أنهم قصدوا الفتك بالسلطان، وضربوا ثم نفوا إلى الشام.

وفى خامس عشرينه: درّس شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون بالمدرسة القمحية بمصر، عوضا عن علم الدين سليمان البساطى بعد موته، وحضر معه بها الأمير الطُّنْبُغا الجوبانى، والأمير يونس الدوادار، وقضاة القضاة والأعيان.

وفى يوم الإثنين عاشر ربيع الأول: قدم الأمير يَئِدْمُر الخوارزمى نائب الشام، فجلس بدار العدل فوق الأمير سودن النائب.

وفى ثالث عشره خلع عليه وقيد له من الإصطبل ثمانية جنائب من الخيل، بقماش ذهب، جرها الأوجاقية خلفه.

وفى يوم الجمعة رابع عشره: كان عقد السلطان على فاطمة ابنة الأمير منجك اليوسفى وقبل النكاح كاتب السر أُوحد الدين عبد الواحد، وخلع عليه وعلى ناظر الخاص، وقضاة القضاة الأربع، وموقعى الحكم

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره: نزل السلطان إلى عيادة الأمير الطُّنْبُغا الجوبانى أمير مجلس، وقد مرض.

وفيه طلع الأمير يَدْمُر نائب الشام بتقدمة جليلة، تشتمل على عشرين مملوكًا منتخبة، وثلاثة وثلاثين حملاً عليها أنواع الثياب من الحرير والصوف والفرو بأنواعه، وثلاثة عشر كلبًا سلوقيًا، وثمانية عشر فرسا عليها جلال (١) الحرير، وخمسين فحلاً، واثنين وثلاثين حجرة (٢)، ومائة أكديش (٣) لتتمة مائتي فرس، وثمانى قطر هجن بقماش ذهب، وخمسة وعشرين قنطاراً من الهُجن بُعبي، وبكيران ساذجة، وأربعة قطر جمال بخاتى، لكل حمل منها سمنان وثمانين حملاً عرايا. وباسم ولد السلطان سيدى محمد عشرين فرسا وخمس عشرة حملاً ثياباً وغيرها.

وفى عشرينه: خلع عليه خلعة السفر، وتوجه إلى محل ولايته.

وفى رابع عشرينه: أذن السلطان لنواب القاضى الحنفى أن يستمروا على حكمهم، بعد موت قاضيه صدر الدين بن منصور.

وفى خامس عشرينه: نزل السلطان لعيادة الجوبانى مرة ثانية، ففرش له الجوبانى شقاق الحرير السكندرى، وشقاق الحرير الشامى، وشقاق نخ من باب اصطبله إلى حيث هو مضجع، فمشى عليها بفرسه، ثم بقدميه، ونثرت عليه الدنانير والدرهم، وقَدَّم له الجوبانى جميع ما عنده من الخيل والمالِك، فلم يرزأه شيئاً منها.

وفى يوم الأحد سلخه: حمل جهاز فاطمة ابنة الأمير منجك - زوجة السلطان - إلى القلعة، وقيمته مائة ألف مثقال ذهباً، يحمله ثلاثمائة حمال، وعشرة أطباق مملوءة زركش، وسبعون بغلاً. والأمير أيدكار الحاجب ماش أمام الجهاز، هو والأمير بهادر الأستدار. والأمير قُرْدُم الحسى رأس نوبة، والأمير يونس الدوادار، والأمير قرقماس الخازندار، فكان يوماً مشهوداً.

وفى ليلة الخميس رابع شهر ربيع الآخر: بنى عليها السلطان.

وفى سابعه: قدم البرهان إبراهيم الدمياطى من الحبشة، وخلع عليه.

وفى تاسعه: قدم الخبر بنزول مركبين من مراكب الفرنج على رشيد، فخرج الأمير يونس الدوادار، والأمير ألطنبغا المعلم، فلم يدركوهم.

وفى ثامن عشره: ركب الأمير ألطنبغا الجوبانى إلى الخدمة السلطانية، وقد عوفى مما كان به.

(١) الجمل ما تلبسه الدابة لتصان به.

(٢) الأثنى من الخيل.

(٣) الحصان غير الأصيل المستخدم فى حمل الأثقال.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه: استدعى شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى - أحد نواب الحكم الحنفية - وخلع عليه، واستقر قاضى القضاة الحنفية، عوضا عن صدر الدين محمد بن منصور بعد وفاته.

وقد شغل منصب القضاة بعد موته أحدا وأربعين يوما، وسعى فيه غير واحد، فلم يتهيا إلا للطرابلسى بسفارة أوحد الدين كاتب السر.

وفي سادس عشرينه: توفى للسلطان ولد ذكر، فدفن بتربة الأمير يونس الدوادار خارج باب النصر.

وفي تاسع عشرينه: نزل السلطان لزيارة قبره، وعبر من باب النصر، فمرّ فى القاهرة وعاد إلى القلعة.

وفي يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى: قرئ تقليد قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أبى بكر الطرابلسى الحنفى بالمدرسة الناصرية، بين القصرين على العادة، وحضره القضاة والأعيان، وتكلم على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ (١)، الآية.

وفي ثالث عشره: غضب السلطان على ناظر الجيش تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد الشافعى، بسبب إقطاع زامل أمير آل فضل، وقد رآه فيه، فضربه بالدواة، ثم أمر به، فضرب بين يديه، نحو ثلاثمائة ضربة بالعصى. وكان ترفا، فحمل فى محفة إلى داره بالقاهرة، فلزم الفراش حتى مات ليلة الخميس سادس عشره.

وفي خامس عشره: قدم الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتمر الحاجب من سفره، وهو مريض فى محفة، فمات من يومه. وأنعم بإقطاعه على الأمير بورى، صهر الأمير أيتمش الأتابك.

وفي يوم الخميس سادس عشره: خلع على ناظر الخاص موفق الدين أبى الفرج الأسلمى، واستقر فى نظر الجيش، عوضا عن تقى الدين، مضافا إلى نظر الخاص، ونظر الذخيرة، واستيفاء الصحبة.

وفيه أخرج الشريف بكتمر الوالى منفيا إلى الشام، وأنعم بإمرته على الأمير ناصر.

وفي يوم السبت ثالث جمادى الآخرة: عزلا قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن ابن خير المالكى، من أجل أنه حكم فى قضية خطأه فيها فقهاء المالكية.

وكان قاع النيل فى هذه السنة ثمانية أذرع وأربع أصابع، وزاد على العادة حتى كان الوفاء فى يوم الخميس ثامنه، ورابع مسرى. فركب السلطان إلى المقياس حتى خلق بين يديه، ثم فتح الخليج بحضرته على العادة، وعاد إلى القلعة.

وفى يوم الجمعة سادس عشره: صلى الشيخ أكمل الدين صلاة الجمعة مع السلطان بقلعة الجبل، وترضاه. وذلك أنه كان عزل مدرس المالكية شمس الدين محمد الرکراکى المغربى من تدريس الشيخونية، فبعث السلطان إليه عدة من الأمراء ليعيدوا الرکراکى، فلم يقبل شفاعته، فتغيط عليه بسبب ذلك، فصمم على منع الرکراکى، وترضى السلطان.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: استدعى شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون إلى قلعة الجبل، وعرض عليه السلطان ولاية قضاء المالكية، وخلع عليه، ولقب ولى الدين. فاستقر قاضى القضاة المالكية، عوضاً عن جمال الدين عبد الرحمن بن خير، وذلك بسفارة الأمير ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس، وقرئ فى المدرسة الناصرية بين القصرين على العادة، وتكلم على قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ (١) الآية وفى تاسع عشرينه ولى الشيخ أكمل الدين تدريس المالكية بخانكة شيخو، تاج الدين بهرام، عوضاً عن شمس الدين الرکراکى، وحضر معه الدرس بها قضاة القضاة والفقهاء.

وفى آخره ركب الأمير سودن بن النائب، ومعه قضاة القضاة إلى الكنيسة المعلقة بقصر الشمع من مدينة مصر الفسطاط، وكشفها، وهدم ما استجده النصارى بها من البناء.

وفى يوم السبت تاسع رجب: - رابع أيام النسيء - ركب السلطان إلى الميدان للعب بالكرة مع الأمراء على العادة فى كل سنة.

وفيه قدم عليه رسل التركمان، فعفا عنهم. وكان من خيرهم أن الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب بلغه أن التركمان الأجدية والبوزقية استولوا على مدينة مرعش واقتلعوها، وكسروا تركمان الطاعة المقيمين بها. فركب فى أوائل ربيع الآخر بفرقة من العسكر، ونزل مرعش، وقتل عدة من المذكورين، وجرح كثيرا، وهزم باقيهم إلى الجبال، فأخذ أموالهم، وحرقت بيوتهم، وأقام بمرعش أياما، فاتاه الخبر بأن خليل ابن دلغادر - عدو

الدولة - اتفق مع القاضي إبراهيم حاكم سيواس وأرزنجان^(١) ومع التتار، وسار بهم إلى أطراف بلاد درنده دوركى^(٢)، فنهبوا وعاثوا، فركب من مرعش، وسار إلى أبلستين، وبعث كشافته في طلب القوم، فإذا بهم قد تفرقوا، فأقام عليها أياما - على نهر جاهان - ثم رحل يريد ابن دلفادر. وقد بلغه نزوله بالقرب من سيواس، فبلغه ذلك، ففر، وعاد الناصرى. ثم سار إلى رأس العين من عمل ماردین، ثم عاد إلى حران في طلب التركمان، فأقام عليها أياما ثم عاد.

وفي أثناء شهر رجب: استبدل السلطان خان الزكاة من ورثة الناصر محمد بن قلاوون، بقطعة أرض، وأقام الأمير جركس الخليلي أمير آخور على عمارة موضعه مدرسة، فابتدى بهدمه في يوم الأحد رابع عشرينه.

وفي آخره: عزل السلطان قضاة حلب الأربع، وأعيد محب الدين محمد بن الشحنة إلى قضاء الحنفية بحلب، عوضا عن الجمال إبراهيم بن العديم. واستقر جمال الدين عبد الله النحريرى في قضاء المالكية، عوضا عن أبى يزيد عبد الرحمن بن رشد.

واستقر شهاب الدين أحمد بن محمد بن قاضى القضاة شرف الدين أبى البركات موسى بن فياض بن عبد العزيز بن فياض المقدسى الصالحى في قضاء الحنابلة بها، عوضا عن عمه شهاب الدين أحمد بن شرف الدين موسى بن فياض.

واستقر ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن تقى الدين بن أبى حفص عمر بن نجم الدين بن أبى عبد الله محمد بن زين الدين عمر بن أبى الطيب الدمشقى في كتابة السر بحلب، عوضا عن شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر، وولى شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريرى قضاء المالكية بطرابلس، عوضا عن ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة سرى الدين أبى الوليد إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانى اللخمى الأندلسى.

وأعاد علم الدين القفصى إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن البرهان إبراهيم الشاذلى.

وفي يوم الإثنين ثانى شعبان: مات تحت الهدم بخان الزكاة جماعة من الفعلة.

وفي خامسه: ركب السلطان إلى عمارته، فدخل من باب النصر، وخرج من باب زويلة، فدخل إلى بيت الأمير الأتابك أيتمش، وعاد إلى القلعة.

(١) هى بلاد إرمينية بين بلاد الروم وخلاط، قرية من أرزن الروم. انظر معجم البلدان ١/١٥٠.

(٢) من بلاد الروم وهى من مضافات حلب.

١٦٨ سنة ست وثمانين وسبعمائة

وفى تاسعه: سار السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة فى كل سنة، ونزل بالقصور.

وفى يوم السبت رابع عشره ورابع بابة: ابتدأ نقص ماء النيل، وقد بلغت زيادته إلى عشر أصابع من عشرين ذراعا.

وفى سادس عشره: ضُرب بهادر كاشف الوجه البحرى بالمقارع ستين شييا، ثم خلع عليه، واستمر على الكشف.

وفى ثالث عشرينه: عاد السلطان من السرحة. للقبض على سعد الدين نصر الله ابن البقرى، وألزم بمال، وقبض على نسائه، فدلّت امرأته على موضع أخذ منه سبعة آلاف درهم فضة ومائتا دينار.

وفى يوم الثلاثاء ثانى شهر رمضان: ركب السلطان وشق القاهرة.

وفى حادى عشره: خلع على ترمباى الحسنى نائب أبلستين، وعلى دمرداش القشتمرى نائب الكرك، وعلى أيدمر الشمسى أبو زلطة، نائب الوجه القبلى، وعلى ابن رمضان التركمانى نائب البيرة. وحملت خلعة لأركماس حاجب طرابلس بناية صفد، وخلعة لطغاي تمر القبلاوى بناية سيس. وخلع على الشريف سعد بن أبى الغيث، واستقر شريكا لابن عمه محمد بن مسعود فى إمارة ينبع.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره: نزل السلطان لعيادة الشيخ أكمل الدين فى مرضه، ثم نزل حتى يصلّى عليه فى يوم الخميس ثامن عشره. وظهر أنه أغمى عليه ولم يمت، فعاد السلطان. فلما كان يوم الخميس تاسع عشره نزل السلطان حتى صلى عليه بمصلى المؤمنى تحت القلعة، ومشى على قدميه إلى الخانكة الشيخونية مع الناس فى الجنازة، بعدما أراد أن يحمل النعش، فحمله الأمراء عنه، وما زال على القبر حتى دفن، ثم عاد إلى القلعة.

وفيه خلع على بكتمر الطرخانى، واستقر فى ولاية الأشمونين، عوضا عن كرجى.

وفيه عُزل البرهان إبراهيم الدمياطى رسول الحبشة بالحبس من أجل أنه قال: «لا رحم الله أكمل الدين فإن موته فتح».

وفى ثانى عشرينه: عدّى السلطان إلى بر الجيزة للصيد، وعاد من يومه.

وفي سابع عشرينه: خلع على عز الدين يوسف بن محمود الرازى العجمى ^(١) الأصم، واستقر فى مشيخة خانكاه شيخو، عوضا عن أكمل الدين بعد وفاته وخلع على الشرف الأشقر - واسمه عثمان بن سليمان بن رسول بن أمير يوسف بن خليل ابن نوح الكرادى العجمى الحنفى - إمام السلطان، واستقر فى مشيخة خانكاه بيسرس، عوضا عن الرازى واستقر جمال الدين محمود المحتسب فى تدريس الحديث بالقبة المنصورية، عوضا عن الرازى، وأعيد الركاكى إلى تدريس المالكية بخانكاه شيخو، عوضا عن بهرام، واستقر أوحده الدين عبد الواحد كاتب السر محدثا فى نظره خانكاه شيخو، بعد أكمل الدين، بحكم أن النظر له لرأس نوبة، بشرط الواقف.

وفي ثامن عشرينه: عدى السلطان النيل إلى الجيزة، فتصيد وعاد من يومه.

واستقر شرف الدين مسعود بن شعبان بن إسماعيل فى قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن عمر بن أبى الرضا.

وقدم كبيش بن الشريف عجلان بالقود من جهة أخيه الشريف أحمد بن عجلان أمير مكة على العادة فى كل سنة.

وفيه استقر شهاب الدين أحمد بن ظهيرة فى قضاء مكة، عوضا عن كمال الدين أبى الفضل محمد النويرة بعد وفاته، بعناية أوحده الدين كاتب السر، وحمل إليه تقليده وتشريفه.

وقدمت هدية متملك قيصرية الروم.

وفي يوم السبت سادس شوال: عدى السلطان النيل إلى بر الجيزة، يريد سرحة البحيرة على العادة كل سنة.

وفي حادى عشره: قدم الأمير يلغا الناصرى نائب حلب، فعدى إلى السلطان.

وفي رابع عشره: خرج محمل الحاج على العادة فى كل سنة، صحبة الأمير بهادر الجمالى المشرف.

(١) يوسف بن محمود بن محمد جمال الدين الرازى الظهرانى: فقيه حنفى كان شيخ خانكاه الشيخونية بالقاهرة له «كشف الحقائق» فى شرح الكنز، اختصر من شرح الزيلعى، وفرغ منه بالقاهرة سنة ٧٧٣. انظر الزيتونة ٤/ ٢١٠ ودار الكتب ٤٥٧/ ١ والأزهرية ٢/ ٢٤٣ وهدية ٢/ ٥٥٨ والأعلام ٨/ ٢٥٣.

وفي يوم الخميس أول ذى القعدة: قدم السلطان من سرحة البحيرة.

وفي خامسه: خلع على الأمير يلغا الناصرى خلعة السفر، وتوجه إلى حلب.

وفي سادسه: ركب السلطان إلى بركة الحجاج، وعاد فشق القاهرة إلى القلعة.

وفي يوم الخميس ثامنه: أسست المدرسة الظاهرية موضع خان الزكاة، بخط بين القصرين من القاهرة.

وفي ثالث عشره: عدى السلطان إلى الجيزة، وعاد من يومه.

وفي ليلة الأربعاء رابع عشرة: قدم الخير بموت الأمير بهادر أمير الحاج بمنزلة عينونة^(١)، فقام الأمير عبد الرحمن بن الأمير منكللى بغا الشمسى بإمرة الحاج.

وفي سادس عشره: خلع على الأمير أبى بكر بن الأمير سُنْقُرُ الجمالى، وأنعم عليه بتقدمة عمه الأمير بهادر، واستقر أمير الحاج، فسار إلى الحجاز فى ليلة السبت سابع عشره. وأنعم على أمير عمر بن بهادر الجمالى بإمرة عشرة وهو أعمى.

وفي رابع عشرينه: خلع على محمد بن طاجار بولاية الغريبة، عوضا عن أمير فرج ابن أيدْمُر.

وفي تاسع عشرينه: خلع على على خان بولاية البحيرة.

وفي يوم الإثنين رابع ذى الحجة: نزل الأمير يونس الدوادار إلى بيت بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى، وتوجه به إلى القلعة، فخلع عليه السلطان وأعاده إلى كتابة السر بعد وفاة أوحد الدين، فنزل إلى داره، ومعه عدة من الأمراء والأعيان.

وفي حادى عشره: قدم رسل الخان طَقْتَمُش بن أزيك - متملك بلاد الدشت^(٢) فخرج الأمير سودن النائب، والأمير يونس الدوادار، وأنزلوهم بالميدان الكبير على النيل، ثم أحضروا إلى الخدمة بالإيوان فى يوم الإثنين ثامن عشره، ومعهم هديتهم، وهى سبعة سناقر من الطيور الجوارح، وسبع بقج قماش، وعدة ممالك. فلما قرئ كتابهم ظهر أنهم رسل متملك بلاد القرم. فقطع راتبهم وكان فى كل يوم خمسمائة رطل لحم، ورأس بقر، ورأس من الخيل برسم الذبح، ومبلغ ألف درهم. وأخرجوا من الميدان إلى موضع بالقلعة، وخلع عليهم فى حادى عشرينه وأعيدوا.

(١) هى من قرى بيت المقدس. انظر معجم البلدان ١٣/٢.

(٢) قرية من قرى أصبهان فى وسط الجبال بين أربل وتبريز. انظر معجم البلدان ٤٥٦/٢.

وفي عشرينه: أخرج محمد بن طاجار - والى الغربية - منفيا إلى طرابلس.

وفي خامس عشرينه: أخرج محمد بن طيغا الدمرداش منفيا إلى صفد، وتوجه الأمير كمشيفا الخاصكى بخلعة قرا بلاط الأحمدي نائب البحيرة ليستقر فى نيابة نغر الإسكندرية، عوضا عن بلوط الصرغتمشى. واستقر جمق السيفى فى ولاية البهنسا^(١) والإطفيحية^(٢)، عوضا عن أبى درقة.

وفي ثامن عشرينه: استجد لقرافة مصر والى بإمرة عشرة، واستقر فيها سليمان الكردي، وأخرجت عن والى مدينة مصر. ولم يعهد هذا فيما سلف.

وفي سلخه: خلع على خان بولاية البهنسى، عوضا عن جمق. واستقر الأمير كمشيفا الحموى فى نيابة طرابلس، عوضا عن مأمور القلمطاوى.

وفيه أخذ بقطيا مكس ستين ألف نصفية^(٣)، قدمت من بغداد، سوى الثياب البغدادية والموصلية والحموية والدمشقية، وهى أضعاف ذلك.

وفيهما خلع ملك المغرب صاحب فاس أبو العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن المرينى^(٤) وملك فاس عوضه موسى بن أبى عنان^(٥)، فى العشرين من ربيع الأول.

وأعيد الأمير نعيم بن حيار إلى إمرة آل فضل، عوضا عن الأمير فخر الدين عثمان

(١) مدينة. بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة انظر معجم البلدان ٥١٧، ٥١٦/١.

(٢) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقه. انظر معجم البلدان ٢٢٨/١.

(٣) النصفية جمعها نصافى قماش من نسيج الحرير والكتان.

(٤) أحمد بن إبراهيم بن على، أبو العباس بن سالم المرينى، السلطان المستنصر بالله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب كانت مدة دولته الأولى عشر سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما. والثانية ست سنين وأربعة أشهر ويلقب بذى الدولتين لذلك. انظر الاستقصا ١٣٣/٢. ١٤١ وروضة النسر ٢٤ والأعلام ٨٧/١.

(٥) موسى فارس (أبى عنان، بن على المرينى، أبو فارس، المتوكل على الله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب الأقصى كان من أبناء ملوك «بنى مرين» المبعدين إلى الأندلس. تمت البيعة لموسى (سنة ٧٨٦هـ) مدة حكمه ستان وأربعة أشهر. انظر حذوة الاقتباس ٢٩/٥ والاستقصا ٢ والأعلام ٢٣٦/٧.

ابن قارا بن مهنا. ونقل الأمير سيف الدين سودن المظفرى من نيابة حماة إلى نيابة حلب، عوضا عن الأمير يلبغا الناصرى.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الفيشى ناظر المواريث، وناظر الأهرام، فى سادس رجب.

ومات الأمير بهادر الجمالى، المعروف بالمشرف، أمير الحاج، أحد الألوف، فى ذى القعدة بعينونة من طريق الحجاز، وبها دفن.

وتوفى قاضى القضاة علم الدين أبو الربيع سليمان بن خالد بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن غانم بن محمد الطائى البساطى المالكى، وهو معزول، فى يوم الجمعة سادس عشر صفر، وقد أناف على الستين.

ومات الأمير طبع المحمدى - أحد أمراء الألوف - وقد أخرج إلى دمشق.

وتوفى كاتب السر أوحده الدين عبد الواحد بن تاج الدين إسماعيل بن ياسين الحنفى، فى يوم السبت ثانى ذى الحجة.

وتوفى ناظر الجيش تقى الدين عبد الرحمن بن ناظر الجيش محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدايم التيمى، الحلبي الأصل، الشافعى، فى ليلة الخميس سادس جمادى الأولى.

وتوفى الأمير جمال الدين عبد الله بن الأمير بكتمر الحاجب - أحد الطبلخانة - فى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير علاى الدين على بن أحمد بن السائس الطيرسى - أستاذار خوند بركة أم الأشرف شعبان - فى سادس شوال.

ومات قاضى القضاة صدر الدين محمد بن علاء الدين على بن منصور الحنفى، وهو قاضى، فى يوم الإثنين عاشر ربيع الأول. وقد أناف على ثمانين سنة، وفاق فى علم الفقه أهل زمانه.

ومات الشيخ أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود الرومى البابرى ^(١) الحنفى، شيخ

(١) محمد بن يوسف بن على بن سعيد، شمس الدين الكرمانى: علم بالحديث أصله من كرمان: =

الخانكاة الشيوخونية، وعظيم فقهاء مصر، فى ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان. شرح الهداية فى الفقه، وكتب تفسير القرآن، وشرح تلخيص المفتاح، وأخذ عن شمس الدين الأصفهاني، وأبى حيان.

ومات قاضى مكة وخطيبها كمال الدين أبو الفضل محمد بن شهاب الدين أحمد بن على العقيلي النويرى المصرى بمكة، فى ليلة الأربعاء ثالث عشر رجب.

ومات عالم بغداد شمس الدين محمد بن يوسف بن على الكرمانى ^(١)، ثم البغدادي الشافعى، شارح البخارى، فى المحرم، بطريق الحجاز، فحمل إلى بغداد، ودفن بها. ومولده فى جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبعمائة. قدم مصر والشام.

ومات صائم الدهر محمد بن صديق التبريزى الصوفى، فى ليلة الإثنين خامس عشر رمضان، بالقاهرة.

وأقام نيافاً وأربعين سنة، يصوم الدهر، ويفطر دائماً على حمص بفلس، لا يخلطه إلا بالملح فقط، ويقسم أوقاته كلها للعبادة، ما بين صلاة وذكر وتلاوة، ومطالعة كتب العلم. وكان شديداً فى ذات الله.

ومات تاج الدين موسى بن أبى شاکر بن سعيد الدولة أحمد، ويعرف بمالك الرق. والد الوزير فخر الدين ماجد بن أبى شاکر، فى أول ذى القعدة.

ومات ناظر الخاص تاج الدين موسى بن سعد الدين أبى الفرج، عرف بابن كاتب السعدى، وهو معزول.

وتوفى الطواشى شبل الدولة كافر الهندى الزمردى الناصرى، صاحب التربة بالقرافة، فى ثامن ربيع الأول، وقد عمّر طويلاً.

=اشتهر فى بغداد، تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة وأقام مدة بمكة وفيها فرغ من تأليف كتابه «الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى» خمسة وعشرون جزءاً صغيراً. مات راجعاً من الحج فى طريقه إلى بغداد، ودفن فيها. انظر الدرر الكامنة ٣١٠/٤ وبغية الوعاة ١٢٠ ومفتاح السعادة ١٧٠/١ والأزهرية ٥٤٥/١ والكتبخانة ٣٩٠/١ والأعلام ١٥٣/٧.

(١) محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومى البابر تى: علامة بفقه الحنفية، عارف بالأدب نسبته إلى بابر تى (قرية من أعمال دجيل ببغداد) أو «بابر تى» التابعة لأرزن الروم - أرضروم - بتركيا. وحل إلى حلب ثم إلى القاهرة. وعرض عليه القضاء مراراً فامتنع وتوفى بمصر. من كتبه «شرح تلخيص الجامع الكبير» للخلاطى، «والعقيدة». انظر الأعلام وبدائع الزهور ٢٦١/١ والفوائد البهية ١٩٥ والنجوم الزاهرة ٣٠٢/١١ وفهرست الكتبخانة ٦٨/٣، ٢٦/٢ - ٣٤ والأعلام ٤٢/٧.

ومات يحيى بن الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، فى ليلة الأحد سابع عشرين شوال.

ومات تاج الدين بن وزير بيته الأسلمى، ناظر الإسكندرية بها، فى ربيع الآخر.
ومات أمين الدين محمد بن على بن الحسن الأنفى، قاضى المالكية بحلب، فى شوال،
وقد ناهز السبعين. ومولده سنة ثلاث عشرة وسبعمائة.

ومات الأمير سيف الدين طَشْتَمُرُ العلأى الدوادار. كان خيراً محسناً، له مشاركة فى فهم العلوم، محباً لأهل العلم، كثير الاجتماع بهم، ويعرف الكتابة، ويحب الأدب وأهله، ولا يهمل وقتاً بغير فائدة، مع الديانة. وياشر الدوادارية فى الأيام الأشرفية، ثم نيابة الشام، ثم صار أتابك العساكر والله تعالى أرحم بهم أجمعين.

ومات الأمير مُعِيقِل بن فضل بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، أمير آل فضل، شريكاً لابن عمه زامل.

* * *

سنة سبع وثمانين وسبعمائة

فى يوم الإثنين ثانى المحرم: خلع على الطواشى شمس الدين صواب الشهاىى شَنُكَل، واستقر نائب المالِك، عوضا عن نصر البلسى. وخلع على ناصر الدين محمد بن أبى الطَّيِّب، واستقر كاتب السر بحلب. واستقر الأمير سوْدُن المظفرى، حاجب حلب، فى نيابة حماة، عوضا عن صَنَجَق، واستقر صنجق من أمراء طرابلس.

وفى ثامنه: أخرج الأمير بلوط الصرغُتمشى - نائب الإسكندرية - منفىا إلى الكرك. وفى تاسعه: خلع على الأمير قُطْلوبغا الأسن قُجَاوى - الذى يقال له أبو دَرَقَة - واستقر نائب الوجه البحرى، عوضا عن قرابلاط الأحمدى، واستقر قرابلاط فى نيابة الإسكندرية.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: فرش الإيوان، الذى يقال له دار العدل من قلعة الجبل، ببسط جدد، كان الملك الأشرف شعبان بن حسين قد رسم بعملها بالكرك عند توجهه إلى الحج، فأهمل عملها بعد قتله، حتى عرف السلطان برقوق بها فبعث فى تجهيزها، فحملت إليه.

وفيه بسط دهليز القصر من القلعة، ورسم للأمراء ألا يدخل أحد منهم إلى القصر، ومعه من مماليكه غير مملوك واحد، وتقف مماليكهم بأسرها خارج القصر، فامتل الأمراء ذلك، واستمر.

وفى سابع عشره: ضرب الأمير على خان والى البهنسى، وأخذ منه عشرة آلاف درهم، وأخرج من القاهرة منفىا.

وفى تاسع عشره: خلُع على الأمير مُبارك شاه متولى أسوان، واستقر والى البهنسى. وفيه قدمت رسل الخان طَقْتَمُش خان بن أَرْزَبَك، فخرج الأمراء وأجناد الحلقة إلى لقائهم، ومثلوا بين يدى السلطان، وقدموا هديتهم.

وفى سادس عشرينه: قدم البريد من حلب بورود سولى بن دلفادر طائعا، فخلع على القاصد، وأنعم عليه بثلاثة آلاف درهم.

وفى نصف شهر ربيع الأول: قدم البريد من حلب بأن سولى بن دلفادر التركمانى لما قدم طائعا بعدما حلف له الأمير يلبغا الناصرى، أقام بحلب حتى ورد مرسوم

السلطان بالقبض عليه، فسجن بالقلعة من حلب، ثم رُسم بإحضاره إلى مصر، فتسلمه حاجب حلب، وأنزله إلى الميدان فهرب منه ليلاً، فركب الأمير يلبغا الناصرى فى طلبه حتى عدى الفرات، فلم يقدر عليه.

وفى خامس عشرينه: خُلع على يَيْلِكَ السيفى بولاية أشموم الرمان، عوضاً عن يَرم. وفى سلخه: خُلع على محمد بن العادلى، واستقر فى ولاية أطفيح، عوضاً عن قُطلو شاه.

وفى يوم السبت ثانى ربيع الآخر: ركب السلطان، وشق القاهرة لرؤية عمارته، ودخل إلى بيت الأمير الطنبغا الجوبانى مسلماً عليه، ثم عاد إلى القلعة.

واستقر جمال الدين بن بشاره وزير دمشق فى نظر الجيش بها، عوضاً عن ناصر الدين بن مشكور مضافاً إلى الوزارة. وأعيد الأمير نعيم بن حيا بن مهنا إلى إمرة آل فضل، بعد موت عثمان بن قارا، وحمل إليه تقليده وتشريفه، وحمل إلى الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب تشريف بالاستمرار على نيابته.

وفيه اشترى السلطان ثُمربغا الأفضلى، المعروف بمنطاش، أخو الأمير عمر باى، وأعتقه.

وفى ثامن عشره: توجهت شوانى الأمير الطنبغا الجوبانى من ساحل مصر نحو دمياط. وقد أنشأها وشحنها بالعدد والمقاتلة ليغزو بلاد الفرنج.

وخلع على الأمير بجمان، واستقر فى نيابة الإسكندرية، بعد موت قرا بلاط الأحمدي.

وفى حادى عشرينه: أخرج جوبان العمرى - من أمراء العشرات - منفياً إلى الشام.

وفى يوم السبت سابع جمادى الأولى: خلع على جمال الدين عبد الرحمن بن خير، وأعيد إلى قضاء القضاة المالكية، عوضاً عن ولى الدين أبى زيد عبد الرحمن بن خلدون.

وفى عاشره: أخذ قاع النيل، فكان ست أذرع وأربع أصابع.

وأنعم على أزدمر الشرفى بإمرة جوبان العمرى.

وفى ثانى عشرينه: قرئ تقليد ابن خير بالمدرسة الناصرية على العادة.

وفى يوم الأربعاء سابع عشر جمادى الآخرة: قدم الخير بأن شوانى الأمير الطنبغا

الجوباني سارت من ثغر دمياط فى بحر الملح، فوجدوا مركبا فيه الفرنج الجنوبية، فأخذوه وأسروا منهم خمسة وثلاثين رجلا، وقتلوا غ منهم جماعة.

وفى حادى عشرينه: قدمت الشوانى إلى شاطىء النيل ببولاق - خارج القاهرة - بالأسرى والغنيمة، فعرضت الأسرى من الغد على السلطان.

وفى يوم الجمعة ثالث رجب - وثمان عشر مسرى - : كان وفاء النيل ست عشر ذراعا.

وتوجه الأمير حسن قجا على البريد؛ لإحضار الأمير يلغا الناصرى، نائب حلب.

وفى عشرينه: سار كُمشبغا الخاصكى على البريد، لنقل سودُن المظفرى من نيابة حماة إلى نيابة حلب.

وقدم الخبر بأن أولاد الكنز هجموا على ثغر أسوان، وقتلوا معظم أهله، ونهبوا الناس، وأن الوالى فر منهم. فخلع على حسين بن قُرط بن عمر التركمانى، واستقر فى ولاية أسوان. ورُسم أن يتوجه معه الكاشف وابن مازن.

وخلع على مُقبل مملوك الأزقى، واستقر فى ولاية أشموم الرمان، بعد موت بيليك.

وفيه قدم الأمير يلغا الناصرى إلى بلبيس، فقيد وحمل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفى يوم السبت ثالث شعبان: سار الأمير جمال الدين محمود شاد الدواوين على البريد؛ لاستخلاص أموال الأمير يلغا الناصرى من حلب، وحملها.

وفى ليلة الثلاثاء ثالث عشره: زلزلت القاهرة مرتين، زلزلاً قليلاً.

واتفقت فى هذا الشهر حادثة يتعجب منها، وهى أن امرأة رأت فى منامها رسول الله ﷺ وهو ينهاها عن لبس الشاش وهو عصبة أحدثها النساء من نحو سنة ثمانين وسبعمئة صارت تشبه أسنمة البخت، وسمينها، الشاش، يكون أوله على جبين المرأة، وآخره عند ظهرها، فمنه ما يبلغ طوله ممتداً نحو الذراع فى ارتفاع دون الربع ذراع فلم تنته عن لبسه؛ فرأته - ﷺ - مرة ثانية فى منامها، وهو يقول لها: «قد نهيتك عن لبس الشاش فلم تسمعى، ولبستيه ما تموتى إلا نصرانية»، فأتت بها أمها إلى شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى، حتى قصت رؤياها عليه، فأمرها أن تذهب إلى كنيسة النصرارى، وتصلى بها ركعات، وتسأل الله تعالى لعله يرحمها، ثم تأتية حتى يدعو لها. فمضت بها أمها من مجلس البلقينى إلى الكنيسة، فصلت ثم خرت ميتة لوقتها، فتركها أمها وانصرفت عنها، فدفنها النصرارى عندهم. نعوذ بالله من سوء عاقبة القضاء.

وفيه قدم رسل مملكة مدينة اصطنبول بهديته وكتابه، يتضمن أن تمكن تجارهم من القدوم إلى بلاد مصر والشام، وأن يقام لهم قنصل بثغر الإسكندرية أسوة بغيرهم من طوائف الفرنج، فأجيب إلى ذلك.

وفي أول شهر رمضان: استرجع عن الخليفة المتوكل ناحية أبو رجوان.

وفي هذا الشهر: ولدت امرأة ابنة لها رأسان كاملان، على صدر واحد ويدين، ومن تحت السرة تنقسم إلى شكل نصفين، في كل نصف رجلان كاملتان، فلم تعيش.

وفي يوم الإثنين عاشر شهر رمضان: ألبس السلطان المقدم عُبيد البازدار زى الأجناد من الكلفتهاء والقباء والخف.

وفي سابع عشرينه: خلع على همام الدين عبد الواحد السيواسى العجمى، نائب الحسبة بالقاهرة، واستقر فى قضاء الحنفية بالإسكندرية، ونظر أوقافها، بمساعدة جمال الدين محمود العجمى المحتسب.

وفي يوم الثلاثاء عاشر شوال: عدّى السلطان النيل إلى الجزيرة، وسار إلى سرحة البحيرة على العادة.

وفيه قدم مصر خجاً أخو بيرم خجاً، عم قرا محمد أمير الموصل بعد بيرم خجاً، برسالة ابن أخيه قرا محمد، يسأل إن دهمه عدو أن يُمكن من الانتماء إلى الدولة وعبور الشام.

وفيه رُسم بعمارة شوانى حربية، فابتدئ بعملها فى أول ذى القعدة، تجاه المقياس.

وفي يوم الخميس ثلثه: عاد السلطان من سرحة البحيرة.

وفي ثامن عشرينه: كُسفت الشمس من قبل نصف النهار إلى العصر.

وفيه حمل الأمير جركس الخليلي قمحاً كثيراً إلى مكة والمدينة، ليعمل منه فى كل يوم بمكة خمسمائة رغيف، وبالمدينة فى كل يوم خمسمائة رغيف، تفرق فى السَّوَال ونحوهم من الفقراء. وألا يقرر منها لأحد راتباً، بل يأخذ من حضر ولا يراعى أحد فى التفرقة، فعم النفع بها. ولم يبق بالحرمين من يسأل عن جوع.

وفي ليلة الثلاثاء رابع عشر ذى الحجة: خسف القمر من آخر الليل.

وفي ثامن عشره: خلع على أمير حاج بولاية الأشمونين، عوضاً عن بكتُمُر الشهابى.

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه: قبض على الأمير أَلطُنْبغا الجوبانى أمير مجلس وقيد، ثم أفرج عنه بعد أيام، وخلع عليه بناية الكرك، عوضا عن دمر دَاش القَشْتُمُرى. وتوجه إليها فى تحمل زائد كبير.

وفى هذا الشهر: قدمت رسل تيمور لك - القائم ببلاد الشرق - بكتابه فأعيدوا بجوابه.

وفيه استقر محب الدين أبو المعالى محمد بن الكمال محمد بن محمد بن الشحنة (١) فى قضاء الحنفية بحلب، بعد وفاة جمال الدين إبراهيم بن محمد بن العديم. واستقر جمال الدين عبد الله النحريرى فى قضاء المالكية بحلب بعد وفاة زين الدين عبد الرحمن بن رشد. واستقر شهاب الدين أحمد بن محمد بن موسى بن فياض بن عبد العزيز المقدسى الصالحى فى قضاء الحنابلة بحلب، عوضا عن عمه شهاب الدين أحمد ابن موسى بن فياض. واستقر شهاب الدين أحمد بن السلاوى فى قضاء الشافعية بطرابلس، عوضا عن ابن وهيبة.

واستقر شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريرى فى قضاء المالكية بطرابلس عوضا عن ناصر الدين محمد بن سرى الدين إسماعيل بن محمد بن هانىء الأندلسى.

وفى هذه السنة: تزايد سعر الغلال بتوقف النيل، فأبيع الأردب القمح بثلاثين درهما، والأردب الشعير بعشرين درهما، والأردب الفول بثمانية عشر درهما. فلما دخل شهر ذى الحجة أبيع الأردب القمح بخمسين درهما.

وفيه كثرت رماية القمح على الطحانين بالثمن الغال، والتكلف للأعوان.

وهذا أيضا مما أحدث ونشأ منه مفاصد كثيرة.

وحج بالناس فى هذه السنة الأمير أبو بكر بن سُنْقُر الجمالى. وحج الأمير أحمد بن الأمير يلبغا الخاصكى. وكان الحجاز رخصى السعر.

وفيهما كان بحلب وباء، بلغ عدة من مات فى كل يوم ألف إنسان وزيادة.

* * *

(١) محمد بن محمد، أبو المعالى محب الدين، ابن الشحنة الحلبى: فقيه حنفى، له اشتغال بالأدب والتاريخ، من علماء حلب. ولى قضاها مرأت واستقصى بدمشق والقاهرة. له كتب منها «روض المناظر، فى علم الأوائل والأواخر» اختصر به تاريخ أبى الفداء وذيل عليه إلى سنة ٨٠٦هـ و «الرحلة القسرية بالديار المصرية». مولده ووفاته بحلب. انظر أعلام النبلاء ١٦١/٥ والضوء اللامع ٣/١٠ والكتبخانه ٤١/٢، ١٤٦/٣، ١٥٥/٤، والأعلام ٤٤/٧.

ومات فيها من الأعيان

قاضي الحنفية بحلب، تاج الدين أحمد بن محمد بن محبوب، المحدث المسند الفاضل الأديب، عن سن عالية بدمشق.

ومات جمال الدين إبراهيم بن قاضي حلب ناصر الدين محمد بن قاضي حلب كمال الدين عمر بن قاضي حلب عز الدين أبي البركات عبد العزيز بن صاحب محيى الدين أبي عبد الله محمد، ابن قاضي القضاة نجم الدين أبي الحسن أحمد، ابن قاضي القضاة جمال الدين أبي الفضل هبة الله، ابن قاضي حلب مجد الدين أبي غانم محمد، ابن قاضي حلب جمال الدين هبة الله، ابن قاضي حلب نجم الدين أحمد، ابن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر أبي جرادة بن ربيعة بن خويلد بن عوف ابن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، المعروف بابن العديم الحلبي الحنفي. عن نيف وسبعين سنة. حدث عن ابن الشحنة.

وتوفى كبير التجار، زكى الدين أبو بكر بن على الخروبي، بمصر، فى يوم الخميس تاسع عشر المحرم.

ومات الأمير بيليك، وإلى الأشمونين.

وتوفى قاضي المالكية بحلب، زين الدين عبد الرحمن بن رشد.

ومات الأمير عثمان بن قارا بن مهنا بن عيس بن مهنا، أمير آل فضل، فى ربيع الأول.

ومات نائب الإسكندرية الأمير قرا بلاط الأحمدي اليلبغاوى، فى نصف ربيع الآخر.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن سبع العيسى، أحد الأدباء ومستوفى ديوان الأحباس، فى ثامن عشر شعبان.

ومات الأمير أقبغا الدوادار، فى شهر ربيع الآخر. ومات شيخ الشام نجم الدين أحمد ابن عثمان بن عيسى بن حسن بن حسين بن عبد المحسن، المعروف بابن الجابى الياسوفى الدمشقى الشافعى، فى جمادى الآخرة، بعد عوده من مصر.

وتوفى الشيخ محيى الدين عبد القادر بن الإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن سيف الدين يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الكيلانى.

ومات السيد الشريف شمس الدين أبو المجد محمد ابن النقيب شهاب الدين أحمد ابن النقيب شمي الدين محمد بن أحمد الحسينى الحرانى الحلبي، عن تسع وأربعين سنة، بحلب، ولم يل وظيفة.

ومات شيخ الشيوخ مجلب نجم الدين عبد اللطيف بن محمد بن موسى بن أبي
الفتوح بن أبي سعيد فضل الله بن أبي الخير الخراساني ثم الحلبي، عن بضع وسبعين
سنة، مجلب.

وتوفي شرف الدين أبو بكر بن زين الدين عمر بن مظفر بن عمر، ابن الوردى،
المعري الحلبي، الفقيه الأديب، عن بضع وسبعين سنة؛ مجلب. والله أعلم.

* * *

سنة ثمان وثمانين وسبعمائة

أهلت بيوم الجمعة.

فى سادسه: قدم مبشرو الحاج، وقد تأخروا عن عادتهم.

وفيه أخرج الأمير جوبان العمرى، منفيا إلى صفد. وأنعم بإمرته على أرسبغا السيفى.

وفى تاسعه: عقد السلطان على هاجر ابنة الأمير منكلى بغا الشمسى، وأمها أخت الملك أشرف شعبان.

وفى ثامن عشره: قدم الأمير أحمد بن يلغا العمرى الخاصكى من الحجاز، ومعه الركب الأول.

وفى حادى عشرينه: قدم الأمير أبو بكر بن سنقر بمحمل الحاج.

وفيه قبض على عدة من المماليك، وضربوا ضربًا مبرحًا بالمقارع، لكلام بلغ السلطان عنهم من الفتك به. وقبض على الأمير تُمربغا الحاجب، وسُمر ومعه عشرة مماليك، وأركب كل مملوكين على جمل، ظهر أحدهما إلى ظهر الآخر، وسُمر بالخدديد، وأفرد تُمربغا على جمل. وشهروا ونساؤهم حاسرات، يصحن ويلطمن خدودهن، ثم وسطوا، فكان أمرًا شنيعا.

وفى خامس عشرينه: قبض على ستة عشر من ممالك الأمير الكبير أئتمش ونفوا إلى الشام، وتتبع من بقى من الممالك الأشرفية، فقبض على كثير منهم، ونفوا من مصر.

وفى سلخه: قدم الأمير إبراهيم بن قراجا بن دُلغادر طائعا، فخلع عليه، ورسم له بإمرة طبلخانة بديار مصر.

وفى يوم الإثنين ثالث صفر: نقل الشريف هياز بن هبة الله الحسينى، أخو جماز أمير المدينة النبوية، من سجنه بقلعة الجبل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وكان قد قبض عليه، وسجن نحو سنة ونصف، ثم أفرج عنه فى ذى الحجة من السنة الماضية، ثم قبض عليه فى هذه السنة وسجن.

وقدم الخير ماردين باستيلاء تيمورلنك على مدينة تبريز^(١)، وقتل أهلها وتخرّبها.

وفي ليلة السبت تاسع عشرينه: دخل إلى القاهرة نحو ستين رجلاً، يقال أنهم تدلّوا من السور ونهبوا سوق الجمالين بالقرب من جامع الحاكم، وقتلوا نفرين. فركب الأمير حسام الدين حسين بن الكوراني - وإلى القاهرة - وقبض على ثلاثة منهم في بعض الضواحي ومعهم بعض ما نهبوه، فعاقبهم حتى دلّوه على بقيّتهم.

وفي يوم الأحد سلّخه: وقع حريق بالجسر، قريب قنطرة الحاجب^(٢)، تلف فيه عدة بيوت، ونزل عدة من الأمراء حتى أطفوه.

وفي أول شهر ربيع الأول: أبيع اللحم البقري كل رطلين ونصف بدرهم وأبيع اللحم الضأن السميط^(٣) كل رطلين بدرهم.

وفي يوم الجمعة ثاني عشره: رُسم بالإفراج عن الأمير يلبغا الناصري نائب حلب، ونقله من سجنه بالإسكندرية إلى إقامته بدمياط. وأذن له أن يركب ويتنزّه بها.

وفي خامس عشره: سُمّر من رجال المنسر ثمانية عشرة على جمال، وثلاثة سمّرت أيديهم في الخشب، وألبسوا في أرجلهم قباقيب خشب، ثم سمّرت أرجلهم فيها. وأكرهوا حتى مشوا وهم مسمرون كذلك، وشهروا جميعاً بالقاهرة، ثم وسطوا إلا واحد منهم، وأبقى عليه ليدل على بقيّتهم.

وفي يوم الثلاثاء أول ربيع الآخر: أحرق السلطان بالأمير بهادر المنجكي الأستادار، وقبض عليه ثم أفرج عنه.

وفيه قدم البريد من حلب برأس الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر، فقبض في الحال على أخيه عثمان بن قراجا، وعلى ابن أخيه إبراهيم.

وفيه غضب السلطان على موفق الدين أبي الفرج - ناظر الجيش -، وضربه نحو مائة وأربعين ضربة بالعصى.

وقدم الخبر بوقوع الوباء بالإسكندرية، وأنه تجاوز عدة من يموت بها في كل يوم مائة إنسان.

(١) تبريز: في خراسان من أشهر مدن أذربيجان. انظر معجم البلدان ٤٠٥٦/٢، والروض المعطار ١٣٠.

(٢) تقع هذه القنطرة على الخليج الناصري. انظر المقرئ، المواعظ والاعتبار ١٥١/٢.

(٣) تنف الجدى من الصدف ونظف من الشعر ليشوى. انظر محيط المحيط.

وفيه استقر محمد بن عيسى - شيخ عرب العائد بالشرقية - كاشف الحسور بإمرة طبلخاناة. واستقر أخوه مهنا في مشيخة العائد.

وفي تاسع عشرينه: ماتت للسلطان ابنة، فأدفت بالعمارة بين القصرين قبل أن تكمل، وكانت جنازتها حَفَلَة.

وفي يوم الخميس أول جمادى الأولى: خُلع على الوزير صاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس، واستقر في نظر الدولة بعد موت علم الدين يحيى.

وفي خامسه: خلع على الوزير صاحب علم الدين سن إبرة، واستقر في نظر الأسواق، عوضا عن شرف الدين محمد بن الدمامنى ^(١).

وفي ثاني: قدم الأمير أَقْبَا الجوهري - أحد أمراء الألفو بحلب - وقدم أمير زه ابن ملك الكُرْج رَاغِبًا في الإسلام، فأسلم بحضرة القضاة بين يدي السلطان، وسمى عبد الله، وأنعم عليه بإمرة عشرة، وأنزل بقصر الحجازية من رحبة باب العيد بالقاهرة.

وفي حادى عشرينه: - وهو سادس عشرين بؤونة - أخذ قاع النيل على العادة في كل سنة، فكان ستة أذرع سواء.

وفي ثاني عشرينه: خلع على عُيَيْد البازدار، وأعيد إلى تقدمة الدولة، على ما كان عليه.

وفي سادس عشرينه: خلع على محمد بن أَشَقْتَمُر، واستقر والى منفوط.

وفيه عزل شهاب الدين أحمد بن ظهيرة عن قضاء مكة وخطابتها، بمكاتبة الشريف أحمد بن عجلان ^(٢) أمير مكة فيه، وكتب بنقل محب الدين محمد بن أبى الفضل النويرى

(١) محمد بن أبى بكر بن عمر بن أبى بكر بن محمد، المخزومى القرشى، بدر الدين المعروف بابن الدمامنى: عالم الشريعة وفنون الأدب. ولد في الإسكندرية واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون. وتصدر لإقراء العربية بالأزهر. ثم تحول إلى دمشق ومنها حج، وعاد إلى مصر فولى فيها قضاء المالكية. ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زبيد نحو سنة، وانتقل إلى الهند، فمات بها في مدينة كلبرجا. من كتبه «تحفة الغريب» و«الفتح الربانى». انظر الضوء اللامع ١٨٤/٧ وبغية الوعاة ٢٧ وشذرات الذهب ٨١/٧ وآداب اللغة ١٤٣/٣ وحسن المحاضرة ٢٥٨/١ ومعجم المطبوعات ٨٩٧ والكتبخانة ٣٣٨/٤ والأعلام ٥٧/٦.

(٢) أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبى نعى: من أشرف مكة. حسنى، يكنى أبا سليمان استقل بإمرة مكة بعد وفاة أبيه سنة ٧٧٧هـ، واستمر بها إلى أن توفى. انظر العقود اللؤلؤية ١٨٧/٢ والدرر الكامنة ٢٠٢/١ وخلاصة الكلام ٣٤، ٣٣ والأعلام ١٦٨/١.

من قضاء المدينة النبوية وخطابتها إلى قضاء مكة وخطابتها. وخلع على شيخ الحديث زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي^(١)، واستقر في قضاء المدينة النبوية وخطابتها.

وفيه كملت عمارة ثمانية غربان حربية، وشحنت بالأسلحة والعدد والمقاتلة.

وفي سلخه: قدمت هدية أحمد بن أويس، صاحب بغداد. وقدم الشريف ثابت بن نعيم الحسيني من المدينة النبوية، بموت ابن عمه محمد بن عطية - أمير المدينة - فقُبض عليه، وحمل إلى الإسكندرية، وسجن بها.

وفيه قدم الشريف عنان بن مغامس^(٢) الحسنى من مكة، فاراً من سجن ابن عمه الشريف أحمد بن عجلان أمير مكة.

وفي أول جمادى الآخرة: قدم البريد من حلب بمسير عساكر الشام لمحاربة التركمان، وكانت بينهم وقعة عظيمة، قتل فيها سبعة عشر أميراً، منهم سوّدن العلّاي نائب حماة. وقتل من الأجناد خلق كثير، وانكسر بقية العسكر.

وفيه كملت عمارة المدرسة الظاهرية بين القصرين.

وفي يوم الخميس رابع عشره: نُقلت رمم أولاد السلطان الخمسة من مدافنهم إلى القبة بالمدرسة الظاهرية المستجدة، ونقلت رمة الأمير آنص والد السلطان، عشاء، والأمراء مشاة قدامه، حتى دفن بالقبة المذكورة.

وفي يوم الإثنين ثامن عشره: زلزلت القاهرة في الساعة الرابعة زلزلة خفيفة.

وفي ثامن عشرينه: استقر سودن العثماني الساقى في نيابة حماة، عوضاً عن سودن العلّاي.

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقي: بحاث، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده في رازنان من أعمال إربل، تحول صغيراً مع أبيه إلى مصر، فعلم ونبغ فيها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفى في القاهرة. من كتبه «المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار» «نكت منهاج البيضاوى» و«ذيل على الميزان».

انظر الضوء اللامع ٧١/٤ وذيل طبقات الحفاظ، وغاية النهاية ٣٨٢/١ حسن المحاضرة ٢٠٤/١ والأعلام ٣٤٤/٣.

(٢) عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نعي: شريف حسنى، من أمراء مكة وليها للظاهر برقوق بعد مقتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان (سنة ٧٨٨هـ) ثم عزله الظاهر سنة ٧٨٩هـ، فرحل إلى مصر سنة ٧٩٤هـ فأقام إلى أن توفى فيها. انظر الإكليل ١٣٥/١٠، ١٥٨ والأعلام ٩٠/٥.

وفي سلخه: قدمت رسل الفرنج بهدية جليلة القدر.

وفي يوم الثلاثاء ثالث شهر رجب - وسابع مسرى: - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً، فركب الأمير قُرْذُم الحسنى رأس نوبة، والأمير يونس الدوادار إلى المقياس، حتى خُلِقَ العمود بحضرتهما على العادة، ثم فتح الخليج.

وفي يوم الأربعاء حادى عشره: نزل الأمير جركس الخليلي إلى المدرسة الظاهرية المستجدة، وهياً بها الأطعمة والحلاوات والفواكه، فركب السلطان من الغد يوم الخميس ثانى عشره من القلعة، بأمرائه ومماليكه ونزل بها، وقد بسطت. واجتمع فيها قضاة القضاة والفقهاء والأعيان، فمد سباط أوله عند المحراب وآخره عند البحرة^(١) التى فى وسط المدرسة، مملوء كله بأنواع الأطعمة الفاخرة، والأشوية من الخيل والخراف والأوز والدجاج والغزلان، فأكل القضاة والأعيان أولاً، ثم أكل الأمراء والمماليك، وتناهب الناس بقيته. ثم مُد سباط الحلاوات والفواكه، وملئت البحرة من مشروب السكر. فلما انقضى الأكل والشرب، خلع على علاء الدين على السيرامى الحنفى، وقد استدعاه السلطان من بلاد المشرق، واستقر مدرس الحنفية وشيخ الصوفية. وفرش له الأمير جركس الخليلي السجادة بنفسه، حتى جلس عليها. ثم خلع على الأمير جركس، وعلى المعلم شهاب الدين أحمد الطولونى المهندس، وأركبا فرسين بقماش ذهب. وخلع على خمسة عشر من مماليك الخليلي، وأنعم على كل منهم بخمسمائة درهم. وخلع على مباشرى العمارة وشاديهما، وعلى المهندسين والبنائين. وتكلم العلاء السيرامى على قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾^(٢) الآية، ثم قرأ القارئ عشراً من القرآن، ودعا. وقام السلطان وركب إلى القلعة، فكان يوماً مشهوداً.

وفي يوم الخميس تاسع عشره: دار حمل الحاج القاهرة ومصر، على العادة فى كل سنة.

وفي يوم الإثنين أول شعبان: خلع على الأمير أحمد بن الأمير يلبغا العمبرى الخاصكى، واستقر أمير مجلس، عوضاً عن الأمير الطُّنْبُغا الجوبانى.

وفي يوم السبت سادسه: ركب السلطان إلى الميدان على العادة، ولعب بالكرة مع الأمراء.

(١) حوض من الرخام يملأ ماء وقد يزخرف بالفسيفساء ويوجد عادة فى صحن المنزل أو المبنى أشبه بالفسقية.

(٢) سورة آل عمران آية ٢٦.

وفيه أنعم على أحمد بن هُمز التركمانى، بإمرة طبلخاناة، عوضا عن على بن الأمير منجك، بعد وفاته.

وفى ثمانى عشرينه: خُلع على سودن الطُرنطاي الخاصكى - أحد أمراء العشرات - واستقر رأس نوبة صغيرا. وأنعم على مُقبل الرومى الطويل بإمرة عشرة، عوضا عن أحمد بن همز.

وفى ثالث عشرينه: أسلم ميخائيل الصبان - من نصارى مدينة مصر - فخلع عليه، وأركب بغلة سلطانية، واستقر ناظر المتجر السلطانى.

وانتهت زيادة ماء النيل إلى عشرين ذراعا، وثبت إلى عيد الصليب، ثم هبط بعده بيومين.

وفى ثامن عشرينه: خُلع على أمير موسى بن سلار - من الطير دارية - واستقر أمير طير بإمرة عشرة.

وفى أول شهر رمضان: عُزل ناصر الدين أحمد التنسى من قضاء الإسكندرية، وركب طاش البريدى البريد للقبض على الأمير يَدْمُر نائب الشام، وعلى جميع أَلزامه، وإيقاع الحوطة على موجوده. وركب الأمير تَمْرُبُغا المنجكى البريد، لتقليد الأمير أَشْقَتْمُر الماردينى نيابة الشام، وحمله من القدس إلى دمشق، وحمل إليه التقليد والتشريف.

وقدم الشريف محمد بن مبارك بن رميثة الحسنى من مكة، وأخير بموت الشريف أحمد بن عجلان أمير مكة، وأن ابنه محمد بن أحمد أقيم بعده، وقام بإمرة عمه كُبَيْش ابن عجلان. وقدم الخير من المدينة النبوية أن الشريف جواز بن هبة حضر المدينة بحشده، فحاربه على بن عطية، وهزمه عنها.

وفى سادسه: ركب السلطان إلى بركة الحاج، وعاد إلى القاهرة من باب النصر، ونزل بمدرسته، ثم مضى إلى القلعة.

وفى يوم الجمعة عاشره: أقيمت الجمعة بالمدرسة الظاهرية المستجدة بين القصرين، وخطب بها جمال الدين محمود العجمى المحتسب، بثياب بيض.

وفى يوم الجمعة سابع عشره: نزل من قلعة الجبل أحد أمراء الدولة بسواد الخطبة إلى المدرسة الظاهرية، فلبسه جمال الدين محمود، وخطب بثياب السواد على العادة، وصلى بالناس الجمعة. فلما انقضت الصلاة أخرج له الأمير المذكور خلعة سلطانية، وأفاضها عليه، فسار إلى منزله فى موكب جليل.

وقدم الخير بأن كَيْش بن عجلان سمل أعين جماعة من بنى حسن، وهم: أحمد وحسن ابنا ثقبه، ومحمد بن عجلان، وابن أحمد بن ثقبه وعمره نحو اثنتا عشرة سنة، فتغير السلطان على كبيش وابن أخيه محمد بن عجلان.

وفي سلخه: أنعم على ناصر الدين محمد بن الأمير جُلبيان العلای بطبلخانة أبيه، بعد موته.

وارتفع سعر لب الفستق، حتى بلغ خمسة وثلاثين درهما الرطل، وعنها يومئذ قريب من مثقال ونصف، ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف.

وفيه خلع على الشريف عنان بن مُغامس، واستقر أمير مكة.

وفي يوم الإثنين رابع شوال: ركب السلطان وتوجه إلى سرحة سرياقوس على العادة في كل سنة.

واستقر شيخنا سراج الدين عمر بن الملقن في مشيخة دار الحديث الكاملية عوضاً عن زين الدين عبد الرحيم العراقي، بحكم انتقاله إلى قضاء المدينة النبوية.

وفيه أخرج السلطان خمسة من مماليكه، على إمرات بدمشق.

وفيه ضرب شهاب الدين أحمد بن الجندي الشافعي - من فقهاء ناحية دمنهور ^(١) - من أجل أنه أنكر على الضمن ما يأخذه من المكوس، وألزم بألا يسكن دمنهور. ثم بلغ السلطان ما هو عليه من الورع وكثرة العلم، فاعتذر إليه، وخلع عليه، وأعادته إلى دمنهور مكرماً.

وفي يوم الأحد عاشره: حضر المدرسون بالمدرسة الظاهرية المستجدة، وهم سبعة، أربعة مدرسين الفقه على المذاهب الأربعة، ومدرس تفسير، ومدرس حديث، ومُصدر لإقراء القراءات السبع.

وفي ثامن عشره: سار محمل الحاج صحبة الأمير أقبغا المارديني، وحج أيضاً الأمير جركس الخليلي بتجمل كثير. وحج من الأمراء أيضاً كُشْبُغا الخاصكي، ومحمد بن تَكْرُبْغا، وجركس المحمدي. وكتب لنواب الشام باستخدام المماليك البطالين الذين نفوا من الأشرفية وغيرهم.

(١) دمنهور: مدينة مسورة في بسيط من الأرض أفيح متصل من الإسكندرية إلى مصر والبسيط كله محترث، والقرى فيه يميناً وشمالاً لا تحصى كثيرة. انظر الروض المعطار ٢٣٧، وابن دقماق ١٠١/٥، وقاموس رمزي ٢/٢، ٢٨٤.

وفي حادى عشرينه: عاد السلطان من سرحة سرياقوس.

وفي يوم الإثنين خامس عشرينه: استدعى السلطان زكريا بن الخليفة المعتصم بالله أبى إسحاق إبراهيم بن المستمسك بالله أبى عبد الله محمد بن الحاكم بالله أحمد (١) وأعلمه أنه يريد أن ينصبه خليفة، عوضاً عن الخليفة الواصل بالله عمر بن المعتصم إبراهيم بعد وفاته. ثم استدعى بقضاة القضاة وأهل الدولة، فلما اجتمعوا أظهر زكريا عهد عمه - المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر - إليه بالخلافة، فخلع عليه خلعة الخلافة، ونزل إلى داره. فلما كان يوم الخميس ثامن عشرينه طلع الخليفة زكريا إلى القصر من قلعة الجبل، وحضر أعيان الأمراء وقضاة القضاة الأربع، وشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى، وصدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى (٢) - مفتى دار العدل - وبدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، ونجم الدين محمد الطنبدى - وكيل بيت المال - فبدأ شيخ الإسلام بالكلام مع السلطان فى مبايعة زكريا على الخلافة، فبايعه السلطان أولاً، ثم بايعه من حضر على مراتبهم. ونعت نفسه بالمستعصم بالله أبى يحيى. ثم أشهد عليه الخليفة أنه قلد السلطان أمور العباد والبلاد، وأقامه فى ذلك مقام نفسه، فخلع عليه خلعة الخلافة، وخلع على عامة من حضر، وركب القضاة بين يدى الخليفة إلى منزله، فكان يوماً مشهوداً.

وفي سلخه: قدمت رسل أحمد بن أويس - ممتلك بغداد - بكتابه، يتضمن أن تيمور لك نزل قرا باغ، ليشتى بها ثم يعود، وحذر منه.

وفي يوم الإثنين ثالث ذى القعدة: خلع على الخليفة المستعصم بالقصر، واستقر فى نظر مشهد السيدة نفيسة. وخلع على شهاب الدين أحمد الأنصارى واستقر فى مشيخة خانكاه سعيد السعداء، عوضاً عن برهان الدين إبراهيم الأبناسى، بواسطة الأمير سُودن النائب. وذلك أنه التزم أن يعمر أوقاف الخانكاه من ماله، بمبلغ ثلاثين ألف درهم، ولا

(١) زكريا بن إبراهيم بن الحاكم بأمر الله أحمد بن محمد العباسى، أبو يحيى المعتصم بالله: من خلفاء العباسيين بمصر. نصب خليفة فى القاهرة بعد خلع المتوكل على الله (محمد بن أبى بكر، سنة ٧٧٩هـ، فأقام عشرين يوماً وعزل، ثم أعيد وبويع بالخلافة بعد موت أخيه الواصل بالله (عمر بن إبراهيم) سنة ٧٧٨هـ، فاستمر إلى أن خلع سنة ٧٩١هـ ولزم داره إلى أن مات. انظر تاريخ الخميس ٣٨٣/٢ والأعلام ٤٥/٣.

(٢) محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم القاهرى، الشافعى صدر الدين، أبو المعالى: قاض، عالم بالحديث. من أهل القاهرة. ناب فى الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالاً سنة ٧٩١هـ وصرف بعد شهرين وأعيد، مات غريقاً فى الفرات وهو مقيد. انظر الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٢٤٩/٦ والكتبخانة ٣٨٨/١ والأعلام ٣٠٠/٥.

يتناول معلوم المشيخة، بل يقنع بماله من معلوم التصوف، فإنه كان من جملة صوفيتها. على أنه لا يستجد بها صوفيا، وأنه يوفر نصيب من مات منهم، حتى تُعمر أوقافها.

وفي سادسه: خلع على رسل ابن أويس وسافروا.

وفي ثامنه: عدّى السلطان النيل، ونزل تحت الأهرام، فأقام في سرحته حتى وصل إلى ناحية دلنجة^(١)، ثم عاد فطلع إلى القلعة في عشرينه.

وفي هذا الشهر أخرج الوزير صاحب شمس الدين إبراهيم كاتب أرنان مائة ألف وثمانية عشر ألف أردب قمحا، طرحه على التجار، كل أربعة أردب بثلاثة وتسعين درهما - عنها أربعة دنانير - سعر كل دينار ثلاثة وعشرون درهما وربع درهم. فمن هذه الأربعة أردب، إردب بسبعة وعشرين درهما، وإردب بستة وعشرين درهما، وإردب بأحد وعشرين درهما؛ وإردب بتسعة عشر درهما، فيجىء معدل كل إردب بدينار.

وفيه خلع على قوزى السيفى، واستقر في ولاية قوص، عوضا عن مقبل الطيبى. وخلع على سعد الدين نصر الله بن البقرى، واستقر ناظر الديوان المفرد الذى استجده السلطان، وناظر ديوان المماليك. واستقر برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن عمر الصنهاجى^(٢) فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن علم الدين محمد بن محمد القفصى. واستقر فى قضاء الحنفية بجلب موفق الدين، عوضا عن محب الدين محمد بن الشحنة.

وفي أول ذى الحجة: أحضر من دمشق بأربعة من الفقهاء فى الحديد، اتهموا أنهم سعوا فى نقض المملكة، والدعاء لإمام قرشى، فسجنوا. ثم أحضروا فى يوم الأربعاء رابع عشرينه إلى بين يدى السلطان وتقدم كبيرهم - أحمد بن البرهان - فكلم السلطان عما سألته عنه، وصدع بالإنكار عليه، وأنه غير أهل للقيام بأمر المسلمين، وعدد له ما هو عليه من أخذ المكوس ونحو ذلك، وأنه لا يقوم بأمر المسلمين إلا إمام قرشى. فأمر به وأصحابه أن يعاقبوا حتى يعترفوا بمن معهم من أمراء الدولة، فتولى عقوبتهم الأمير حسام الدين حسين والى القاهرة، ثم سجنهم بخزانة شمائل.

وفي خامس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وفيهم بطا الخاصكى، وأخبروا أن أقبغا الماردينى - أمير الحاج - لما قدم مكة فى أول ذى الحجة خرج الشريف محمد بن أحمد

(١) دلنجة من أعمال البحيرة.

(٢) نسبة إلى قبيلة صنهاجة بالمغرب.

عجلان لتلقيه على العادة، وقبل الأرض، ثم خُفَّ الجمل. وعندما انحنى ليقبل عقب الرمح، وثب عليه فداويان ضربه أحدهما بخنجر فى جنبه، وضربه الآخر بخنجر فى عنقه، وهما يقولان: «غريم السلطان» فخر ميتا وترك نهاره ملقى، ثم حمله أهله، وواروه، وكان كبيش على بعد، فقتل الفداوية رجلا يظنوه كبيشا، ففر كبيش، وأقام الأمراء لابسين السلاح سبعة أيام، خوفا من الفتنة. فلم يتحرك أحد ولبس الشريف عنان خلعتة، وتسلم مكة، وخطب له بها.

وفى تاسع عشرينه: قدمت رسل الحبشة بكتاب ملكهم الخطى، واسمه داود بن سيف أَرعد، ومعهم هدية على أحد وعشرين حمالا، فيها من ظرائف بلادهم، ومن جملتها قد ملئت قد صيغ على قدر الحمص.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

أديب مصر بدر الدين أحمد بن الشرف محمد بن الوزير صاحب فخر الدين محمد ابن الوزير صاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا^(١)، فى يوم الجمعة تاسع عشرين جمادى الآخرة بمدينة مصر، عن نيف وسبعين سنة.

وتوفى الشريف أبو سليمان أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبى نعى محمد بن أبى سعد الحسنى أمير مكة، فى حادى عشرين شعبان عن نيف وستين سنة بمكة، ودفن بالمعلا، وكان حسن السيرة.

وتوفى الشيخ المعتقد شهاب الدين أحمد بن شرف الدين عبد الهادى بن الشيخ أبى العباس أحمد الشاطر الدمنهورى^(٢)، الأديب الشاعر ذو الفنون، فى المحرم وهو عائد من الحج.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن محمد بن على الزركشى - أمين الحكم - فجأة فى ليلة الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأول. واتهم أنه سم نفسه، فإنه نقص من مال الأيتام عليه نحو خمسمائة ألف درهم، ذهبت كأمس الذاهب.

(١) على بن محمد بن سليم المصرى، المعروف ببهاء الدين بن حنا: وزير. كان من أكابر الرجال فى عصره مولده ووفاته بمصر، استوزره الظاهر وفوض إليه الأمور فقام بأعباء المملكة ثبت فى وزارته إلى أن مات. انظر فوات الوفيات ٧٦/٢ وابن الفرات ١٢٥/٧ والأعلام ١٥٤/٤.

(٢) نسبة إلى دمنهور.

ومات أحمد بن الناصر حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون، فى ليلة الخميس رابع عشر جمادى الآخرة، ودفن بمدرسة أبيه، وكان أسن أولاده.

وتوفى عماد الدين إسماعيل بن الزمكحل الناسخ، أحد الأفراد، كان يكتب سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بكمالها على حبة أرز، كتابة بينة لا يطمس فيها واو، إلى غير ذلك من بدائع.

ومات الأمير جُلبان الحاجب، أحد أمراء الطبلخاناه، فى أخريات شهر رمضان. وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر، كبير التركمان البروقية، وأمير أبلستين، قتيلا فى الحرب، مع الصارم إبراهيم بن همز التركمانى، قريبا من مدينة مرعش، عن نيف وستين سنة.

ومات الأمير سودن العلاى، نائب حماة، قتيلا فى محاربة التركمان. وتوفى المقرئ فتح الدين عبد المعطى بن عبد الله فى سادس عشر رمضان، وتقد أسن. أخذ القراءات عن أنير الدين أبى حيان.

وتوفى الشريف محمد بن عطيفة بن منصور بن ججاز بن شيحة الحسينى، أمير المدينة النبوية.

وتوفى أحد الأفراد فى العبادة والزهد والورع، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان القرمى بالقدس، فى صفر. ومولده فى ذى الحجة سنة ست وعشرين وسبعائة. كان لا يزال يتلو القرآن، فيقال إنه قرأ فى اليوم والليلة ثمانى ختمات، وقدم القاهرة.

وتوفى الشديد فى الله، الورع، شمس الدين محمد بن يوسف بن إلياس القونوى الحنفى (١)، بدمشق، عن نيف وسبعين سنة. قدم القاهرة غير مرة. وأقسم بالله أنه إذا رأى منكرا يحم.

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق شمس الدين أبو عبد الله محمد بن تقى الدين عبد الله ابن محمد بن محمود بن أحمد بن عزاز الحنبلى، المعروف بابن التقى.

(١) محمد بن يوسف بن إلياس، شمس الدين القونوى: فقيه حنفى، تركى الأصل مستعرب ولد وتعلم فى قونية وقدم إلى دمشق، بأهله وولده، فأقام بالزرة. صنف كتبا مفيدة منها «درر البحار» و «شرح تلخيص المفتاح». انظر النجوم الزاهرة ٣٠٩/١١ والدرر الكامنة ٤/٢٩٢، ٢٩٥ وبغية الوعاة ١٢٥ والكتبخانة ٤٨/٣ والأعلام ١٥٣/٧.

وتوفى شيخ أهل الميقات ناصر الدين محمد بن الخطائى فى يوم الأربعاء ثالث عشرين شعبان.

وتوفى قرينه فى العلم بالميقات شمس الدين محمد بن الغزولى، فى رابع رجب.

وتوفى زين الدين أبو بكر بن نور الدين على بن تقى الدين محمد بن يوسف السعدى الخزرجى الأنصارى، المعروف بالسندوبى، أحد موقعى الدست، فى يوم الخميس ثالث ربيع الآخر، وهو أحد من أدركناه من الأفراد، فى الجود والكرم.

وتوفى شرف الدين موسى بن الفافا، أستاذ دار الأمير أَيْمَش الأتابك، فى تاسع شوال، وكان من رءوس الظاهرية.

وتوفى الشريف هياز بن هبة بن جواز بن هبة بن منصور الحسينى ^(١)، أمير المدينة النبوية، فى سجنه بالإسكندرية، لأيام من شهر ربيع الأول.

وتوفى شيخ القادرية شرف الدين صدقة ويدعى محمد بن عمر بن محمد بن محمد العادلى، فى سادس عشر جمادى الآخرة بالقيوم، وأحرم مرة بالحج من القاهرة.

وتوفى ناظر الدولة علم الدين يحيى بن فخر الدولة، المعروف بكتاب ابن الدينارى، فى يوم الأربعاء تاسع شهر ربيع الآخر بالقاهرة، كان أولا نصرانيا ثم أسلم، وهو فى خدمة الأمير شرف الدين موسى بن الدينارى شاد الدواوين. وصاهر المقسى ناظر الخاص. ثم ولى نظر الدولة، وتمذهب لأبى حنيفة، رحمه الله. وسمع الحديث، وجمع عنده الفقهاء، وأفضل عليهم وجمع كتباً كثيرة. وكان غاية فى الترف، يقول عن نفسه أن يده يحتاج فى كل يوم إلى ثمانين درهما، عنها نحو أربعة مئائيل ذهباً، يصرفها فيما يأكله ويشربه خاصة. وترك أواني وقماشاً وأثاثاً أبيعته بجملة كبيرة، وخلف من الكتب النفيسة عدة يجلب ثمنها، مع كثرة شكواه الفقر.

ومات ملك المغرب صاحب فاس موسى بن السلطان أبى عنان فارس بن أبى الحسن المرينى فى جمادى، وأقيم بعده المنتصر بالله محمد بن أبى العباس أحمد المخلوع

(١) هياز بن هبة بن جواز بن منصور الحسنى المدنى: ممن ولى الإمارة بالمدينة المنورة. غضب عليه السلطان وقبض عليه، واعتقله بمصر مدة ثم أرسله إلى الإسكندرية فأقام بالجب محبوساً إلى أن توفى. انظر ابن قاضى شهبة والنجوم الزاهرة ٣١١/١١ والضوء اللامع ٧٨/٣ والأعلام ١٠٣/٨.

ابن أبي سالم ^(١) ثم خلع بعد قليل، وأقيم الواثق محمد بن أبي الفضل بن السلطان أبي الحسن ^(٢) كل ذلك بتدبير الوزير مسعود بن رحو ب ماساى. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) محمد بن أحمد أبي العباس بن أبي سالم المرينى، أبو زيان: طفل من ملوك الدولة المرينية فى المغرب الأقصى أخذت له بيعة أهل فاس سنة ٧٨٨هـ ولقب بالمنتصر بالله. ولم يستمر سوى ٤٣ يوما وخلع. انظر الاستقصاء ١٣٨/٢ وجزء الاقتباس ١٣١ والأعلام ٣٢٩/٥.

(٢) محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن على بن عثمان المرينى، أبو زيان، الملقب بالسلطان الواثق بالله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب الأقصى. بويع بالملك سنة ٧٨٨هـ وقد تعهد للوزير مسعود بأن يكون فى يده الحل والعقد. خلع وقيد وأرسل إلى طنجة فقتل ودفن بها. انظر الاستقصاء ١٣٨/٢ وجزء الاقتباس ١٣١ والأعلام ٣٣١/٦.

سنة تسع وثمانين وسبعمائة

فى يوم السبت سابع عشر صفر: قدم الأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى من الكرك باستدعاء، فبالغ السلطان فى إكرامه، وألبسه لنيابة دمشق تشريفا سنيا، فى تاسع عشره، عوضا عن أَشَقْتُمُر الماردىنى.

وفيه استقر جمال الدين ميخائيل الأسلمى فى نظر الإسكندرية، وعزل علم الدين توما، وكان ميخائيل هذا قد أسلم يوم الثلاثاء عشرين شعبان من السنة الماضية، بحضرة السلطان، وخلع عليه وأركب بغلة رائعة، وعمل تاجر الخاص.

وفيه استقر الأمير زين الدين مبارك شاه - متولى البهنسا - ^(١) فى نيابة الوجه القبلى، عوضا عن أيدمر الشمسى، الذى يقال له أبو زلطة. واستقر ناصر الدين محمد ابن الحسام فى ولاية البهنسا.

وفيه استقر سعد الدين عبد الله بن بنت الملكى الوزير فى استيفاء الإسكندرية. وفى سابع عشرين: استقر شمس الدين بن مشكور، ناظر الجيش بدمشق، عوضا عن ابن بشارة.

وفى يوم الجمعة أول شهر ربيع الأول: برز الأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى؛ ليسافر إلى دمشق، بعد ما خلع عليه، وحمل إليه مبلغ ثلاثمائة ألف درهم فضة. وقيد إليه فرس بسرج وكنفوش ذهب. وأرسل إليه الأمير الكبير أَيْتَمِش مائة ألف درهم، وعدة بقج ثياب، قيمتها نحو السبعين ألف درهم، وعين مُسَفَّرَه قُرُقُماس الظاهرى، وخرج بتحمل عظيم.

وفى رابعه رأى السلطان من قلعة الجبل خيمة قد ضربت على شاطئ النيل فبعث للكشف عنها، فوجد فيها كريم الدين بن مكانس، وشمس الدين أبو البركات، فأحضرا إليه، وقد كانا يتعاقران الخمر فى خواصهما، فضربهما بالمقارع، وألزم ابن مكانس بمائة ألف درهم، وأبا البركات بخمسين ألفا.

وفيه استقر عمر بن إلياس - قريب قُرُط - فى ولاية الشرقية، عوضا عن أوناط اليوسفى.

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان

وعزم السلطان على عرض أجناد الحلقة، وشرع فيه، فتحدث معه شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني في إعفائهم من ذلك، فأجابته وعفا عنهم.

وفي عاشر ربيع الآخر: ابتداء السلطان في اللعب بالرمح، وألزم الممالك بذلك، فاستمر.

وكثرت المرافعات في ميخائيل، فعزل عن نظر الإسكندرية، وقبض عليه الأمير جمال الدين محمود شاد الدواوين السلطانية وحبسه، فأثبت أهل الثغر عليه أنه زنديق، وشهد عليه في المحضر بذلك تسعة وأربعون نفساً، فضربت رقبتة بالثغر، يوم السبت ثالث عشره.

وفي هذا الشهر: ضربت فلسوس بإشارة الأمير جركس الخليلي في قلعة الجبل، وجعل اسم السلطان في دائرة، فتطير الناس بذلك، وقالوا: هذا يؤذن بأن السلطان تدور عليه الدوائر، ويحبس، فبطل ذلك، ولم يتم.

وورد البريد بنزول الفرنج على طرابلس، فحاربهم المسلمون، وغنموا منهم ثلاثة مراكب، وقتلوا جماعة كثيرة.

وورد الخبر بأن علي بن عطيفة الحسني^(١)، طرق المدينة النبوية ونهبها، وقتل منها أناساً، وأخذ ما كان لجماز بن هبة الله من المال، فأفرج عن ثابت بن نعيم، وقلد إمارة المدينة النبوية.

وقدم البريد بارتفاع الأسعار بالشام، وأن الخبز وصل بدمشق كل رطل بدرهم، والجرة الماء في القدس بنصف درهم.

وقدم الخبر من مكة بأن كبيش بن عجلان حصر مكة، وأخذ من جدة ثلاثة مراكب للتجار.

وقدم البريد بمحاربة ابن همز نائب أبلستين^(٢)، مع ابن دلفان.

وفي ثالث جمادى الآخرة: أخذ قاع النيل، فكان سبعة أذرع، وأربع أصابع.

(١) علي بن عجلان بن رميثة بن أبي غي الحسني، أبو الحسن نور الدين: من أمراء مكة وليها بعد عزل عنان بن مغاس سنة ٧٨٩هـ. وأمضى أكثر أيامه في حروب، فلم يهناً له عيش إلى أن قتله جماعة من أقاربه من بني حسن، اغتالوه في بطن مر من نواحي مكة. انظر ابن الفرات ٤٢٠/٩ وشذرات الذهب ٣٥٠/٦ وابن إياس ٣٠٤/١ وخلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ١٢٨/٤.

(٢) هي مدينة مشهورة ببلاد الروم. انظر معجم البلدان ٧٥/١.

وفي سادسه: استقر الأمير ناصر الدين بن مبارك حفيد المهندار فى نيابة حماة، عوضا عن سودن العثمانى. واستقر سودن فى إقطاع ابن المهندار بحلب.

وفي سادس عشره - وهو تاسع أبيب: - توقف ماء النيل عن الزيادة ونقص، فاضطرب الناس. ثم أنه رد النقص وزاد فى رابع عشرينه.

وفي ليلة ثامن عشرينه: ظهر كوكب فى جهة الشمال عظيم القدر، ممتد إلى جهة الغرب، له ثلاث شعب، فى أحديها ذنب طويل بقدر الرمح، وله ضوء زايد على نور القمر، ثم أنه تحول امتداده من الغرب إلى الجنوب، وسمع له صوت مرعب، وذلك بعد عشاء الآخرة بقدر ساعة.

وفي آخره: ورد البريد بأن تمرلنك كبس قرا محمد وكسره، ففر منه فى نحو مائتى فارس، ونزل قريب ملطية. ونزل تمرلنك على آمد، فاستدعى السلطان القضاة والفقهاء والأمراء وتحدث فى أخذ الأوقاف من الأراضى الخراجية، فكثر النزاع، وآل الأمر إلى أنه يأخذ متحصل الأوقاف لسنة.

ورسم السلطان بتجهيز أربعة من الأمراء الألفوف، وهم الأمير أَلْطَبْغا المعلم أمير سلاح، والأمير قردم الحسنى، والأمير يونس الدودار، والأمير سودن باق، وسبعة من أمراء الطبلخاناة، وخمسة من أمراء العشرات.

فتجهزوا، وعين معهم من أجناد الحلقة ثلاثمائة فارس، وخرجوا من القاهرة فى أول رجب، فساروا إلى حلب، وبها يومئذ فى نيابة السلطنة سودن المظفرى. وقدم الخير بوقعة بين قرا محمد وولد تمرلنك، انكسر فيها ابن تمرلنك.

وفي تاسع عشر رجب: رسم للقاضى جمال الدين محمود، محتسب القاهرة بطلب التجار وأرباب الأموال، وأخذ زكوات أموالهم، وأن يتولى قاضى القضاة الحنفية شمس الدين محمد الطرابلسى تحليفهم على ما يدعون أنه ملكهم فعمل ذلك يوم واحد، ثم رد عليهم ما أخذ منهم، وبطل، فإن الخير ورد برجوع تمرلنك إلى بلاده. وبعث نائب دمشق رجلا تركيا اتهم أنه جاسوس لتمرلنك، فعوقب حتى أقر بأنهم ثلاثة قدموا إلى دمشق، فسجن، وكتب بطلب المذكورين.

وفي سادس عشرينه - وهو تاسع عشر مسرى -: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا.

وفي يوم الإثنين رابع شعبان: استدعى السلطان الشيخ ناصر الدين محمد ابن بنت

٢٠٠ سنة تسع وثمانين وسبعمائة

مليق^(١)، وولاه قضاء القضاة الشافعية بديار مصر، بعد ما امتنع وصلى ركعتى الاستخارة، وعزل بدر الدين محمد بن أبى البقاء.

وفى سادس عشرينه: استقر فى الوزارة علم الدين عبد الوهاب بن القسيس كاتب سىدى، عوضا عن صاحب شمس الدين إبراهيم كاتب أرنان نقل من استيفاء المرتجع إلى الوزارة، بوصية كاتب أرنان.

وفى ثانى رمضان: عزل كريم الدين بن مكائس من نظر الدولة، واستقر عوضه أمين الدين بن ريشة، واستقر حسن السيفى أمير أخور فى ولاية قطيا، عوضا عن ابن الطشلاقى، فلم يقم سوى أيام، واعيد ابن الطشلاقى.

وفى تاسعه: استقر جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى فى إفتاء دار العدل، برغبة أخيه بدر الدين محمد له عن ذلك.

واستقر زوج أخته بهاء الدين محمد بن البرجى فيما كان باسمه من توقيع الدست، وصار بيد أخيه بدر الدين قضاء العسكر.

وانتهت زيادة ماء النيل إلى ثمانية عشر ذراعا، وأربعة عشر أصبعا، وثبت إلى خامس بابة، أحد شهور القبط.

وفى يوم الأحد ثامن عشرينه: جلس السلطان بالميدان تحت القلعة للحكم بين الناس، بعد ما نودى قبل ذلك بيومين: «من كانت له ظلامة فعليه بالإصطبل السلطانى يوم الأحد والأربعاء». فداخل أعيان الناس من ذلك خوف شديد، واجترأ أسافل الناس على الأكابر.

وفيه قدم الشريف على بن عجلان يريد إمارة مكة.

وورد الخبر بأن الشريف عنان بن مغامس اقتتل مع كبيش، فقتل كبيش فى عدة من بنى حسن، وعاد عنان مظفرا، فشق على المجاورين.

وفى خامس عشرينه: استقر نجم الدين محمد الطنبدى - وكيل بيت المال - فى حسبة القاهرة، عوضا عن جمال الدين محمود، على خمسين ألف درهم فضة يقوم بها، عنها ألف دينار مصرية. واستقر جمال الدين فى قضاء العسكر، عوضا عن شمس الدين محمد القرمى بعد وفاته.

(١) محمد بن عبد الدائم بن محمد، أبو المعالى، ناصر الدين المعروف بابن بنت المليق ويختصر فيقال ابن المليق: قاضى مصرى كان شافعيًا شاذليًا، واعظًا بليغًا ولاء الظاهر برفوق القضاء وباشره بعفة ونزاهة مدة اثنتى عشرة سنة. كتبه «حادى القلوب إلى لقاء المحبوب» و «الأنوار اللامحة فى أسرار الفاتحة». انظر الدرر الكامنة ٤٩٤/٣ والكتبخانة ٧٩/٢ ودار الكتب ٣٧/١ والأعلام ١٨٨/٦.

وفي ثالث شوال: استقر شمس الدين محمد النويرى فى قضاء طرابلس، مستولا بها.

وورد الخبر بوصول العسكر إلى حلب فى أول شهر رمضان.

وقدم الأمير جبرائيل الخوارزمى، والأمير ناصر الدين محمد بن بيدمر نائب الشام، فسلما إلى الأمير علاء الدين على بن الكورانى وإلى القاهرة، ليخلص منهما مبلغ ألفى ألف درهم.

وفي نصفه: استقر الشريف على بن عجلان فى إمارة مكة، شريكا لعنان.

وفي عاشره: توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة. واستدعى الأمير يلبغا الناصرى من دمياط، فوصل إلى المخيم بسرياقوس فى حادى عشرينه، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه بمائة فرس، ومائة جمل، وسلاح، ومال وثياب، قيمة ذلك خمسمائة ألف درهم فضة. وبعث إليه سائر الأمراء.

وعاد السلطان من سرياقوس أول ذى القعدة، وخلع على يلبغا الناصرى فى خامسه وأعاد له لياقة حلب، عوضا عن سودن المظفرى. واستقر سودن أتابك العسكر بحلب، ثم خلع عليه خلعة السفر فى ثامنه، وسار من القاهرة فى تاسعه لياقة حلب.

وفي ثاني عشره: قدم البريد بأن تمر بغا الأفضلى منطاش نائب ملطية خامر، ووافقه القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس، وقرا محمد التركمانى، والماجارى نائب البيرة^(١)، ويلبغا المنجكى، وعدة من الأشرية.

وفي ثالث عشره: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وتصيد.

وفي عشرينه: استقر قُطليجا الصفوى فى ولاية قليبوب، عوضا عن الصارم إبراهيم الباشقردى.

وفي سادس عشرينه: عاد السلطان من الصيد بالجيزة إلى القلعة.

وفي تاسع عشرينه: جاءت رأس بدر بن سلام، فعلمت على باب القلعة.

وكان قد فر وفسدت أحواله بالبحيرة، والسلطان يعمل فكره فى قتله، إلى أن قتله بعض أتباعه، وأحضر رأسه إلى الكاشف، فحملها، وكفى السلطان شره.

وفيه استقر نجم الدين أبو العباس أحمد بن قاضى القضاة عماد الدين إسماعيل بن شرف الدين محمد بن أبى العز صالح المعروف بابن الكشك قضاء الحنفية بدمشق، وعوضا عن تقي الدين الكُفرى.

(١) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان

وفى رابع ذى الحجة: استقر زين الدين أمير حاج ابن مُغلطاي، فى نيابة الإسكندرية، وعزل الأمير بَحْمَان المَحمَدى. واستقر أمير حاج بن أيَدمر والى الأشمونين، وعزل الصارم إبراهيم الشهابى القازانى.

وفى خامس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا أن عنان بن مغامس لم يقابل الأمير قُرُقَماس الطُشْتُمُرى الخازندار أمير الحاج، وتوجه من مكة إلى نخلة^(١)، فدخل على بن عجلان إليها، وقرئ تقليده بالحرم، وتسلم مكة، ثم خرج فى طلب عنان ففر منه.

وفيه خلع الواثق محمد بن أبى الفضل بن أبى الحسن، وأعيد السلطان المخلوع أبو العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن، فملك فاس فى [خامس] رمضان، وحمل الواثق إلى طنجة، فسجن بها ثم قتل.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الوزير صاحب شمس الدين إبراهيم المعروف بكاتب أرلان، ليلة الثلاثاء سادس عشرين شعبان. وأصله من نصارى مصر، وأظهر الإسلام. وخدم فى دواوين الأمراء، حتى تعلق بخدمة الملك الظاهر - وهو أمير - فولاه نظر ديوانه. ثم فوض إليه الوزارة لما صارت إليه سلطنة مصر، فنفذ الأمور، ومشى الأحوال أحسن تمشية، مع الغاية فى وفور الحرمة، ونفوذ الكلمة، والتقلل فى ملبسه ومركبه وسائر أسبابه، بحيث كان كهيئة أوساط الكتاب. ودخل فى الوزارة، وأحوال الوزارة غير مستقيمة، وليس للدولة حاصل من عين ولا غلة، وقد استأجر الأمراء النواحي بأجر قليلة عجلوها، فكف أيدي الأمراء عن النواحي، وضبط المتحصل، ومشى على القواعد القديمة، والقوانين المعروفة، فهابه الخاص والعام. وجدد مطابخ السكر، ودوايب النقود^(٢) ومات والحاصل ألف ألف درهم فضة وثلاثمائة ألف وستون ألف أردب غلة، وستة وثلاثون ألف رأس من الغنم، ومائة ألف طائر من الأوز والدجاج، وألف قنطار من الزيت، وأربعمائة قنطار ماء ورد، قيمة ذلك كله خمسمائة ألف دينار.

ومات الأمير تاج الدين إسماعيل بن مازن الهوارى، وترك أموالا جزيلة.

(١) موضع بالحجاز قريب من مكة فيه نخل وكروم. انظر معجم البلدان ٥/٥٦٨.

(٢) المقصود الآلات العجلية المستخدمة فى صناعة النبيذ.

ومات القاضي شهاب الدين أحمد بن الجمال إبراهيم بن إسحاق الغزاوى الشافعى،
خطيب المدرسة الصالحية، وشاهد الإصطبلات السلطانية فى تاسع عشر صفر.

ومات الأمير سيف الدين بهادر أستاذار طبخ، كاشف الوجه البحرى، فى نصف
رمضان.

ومات الشيخ صدر الدين سليمان بن يوسف بن مُفلح الياسوفى بدمشق، معتقلا
بقلعتها. وكان من أعيان فقهاء الشافعية وأكابر محدثيها. واشتهر بالزهد والعفة، واتهم
بأنه ممن مالىء الفقهاء الظاهرية، فاعتقل بسبب ذلك.

ومات الأمير سيف الدين طينال الماردينى، عتيق الناصر محمد بن قلاون، ترقى فى
الخدم من الأيام الناصرية، حتى صار من أمراء الألو فى أيام الناصر حسن، ثم نفاه إلى
دمشق، فأقام بها إلى أن استبد الأشرف شعبان، أحضره إلى القاهرة، وأعطاه إمرة مائة،
ثم نزعا منه، وأعطاه إمرة طبلخاناه، ثم جعله والى قلعة الجبل، فباشر ذلك مدة، ثم
أعطى إمرة عشرة، وترك طرخانا، حتى مات فى شهر رمضان.

ومات الأمير سيف الدين طَقْتُمُش الحسنى، أحد المماليك اليلبغاوية، وأمير طبلخاناة.
مات فى تاسع عشرين رجب.

ومات زين الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الحفيد بن رُشد
السجلماسى^(١) المغربى المالكى، سمع بغلناطة أبا البركات محمد بن إبراهيم البلفيقى،
وبمكة ضياء الدين أبا الفضل محمد بن خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن حسن
القسطلاتى، وبالمدينة النبوية عفيف الدين المطرى. وبرع فى الفقه وغيره. وأقام بالقاهرة
زمانا. وولى قضاء المالكية بحلب، فسار فى الناس سيرة عسوف، فعزل. وأقام بغزة حتى
مات. ومولده فى ثانى عشرين شعبان سنة ست وعشرين وسبعمائة.

ومات الرئيس نور الدين على بن عنان التاجر بالخاص، فى ليلة الجمعة ثامن عشر
شوال.

(١) نسبة إلى سجلماسة، وهى مدينة فى جنوبى المغرب فى طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس
عشرة أيام تلقاء الجنوب.

ومات الخطيب ناصر الدين محمد بن علي بن محمد بن محمد بن هاشم، بن عبد الواحد بن عشاير^(١) الحلبي، بالقاهرة، في ليلة الأربعاء سادس عشرين ربيع الآخر. وكان فقيها شافعيًا، عارفًا بالفقه والحديث، والنحو والشعر وغيره. ولى هو وأبوه خطابة حلب. وقدم إلى القاهرة، فلم تطل مدته بها، حتى مات.

ومات القاضى فتح الدين محمد بن قاضى القضاة بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل الشافعى، موقع الدرج، فى حادى عشرين صفر. ومات الشيخ شمس الدين محمد بن الحافظ محب الدين عبد الله بن أحمد ابن المحب الحنبلى الدمشقى بها. وكان إماما فى الحديث والورع والزهد.

ومات الشيخ أمين الدين محمد بن محمد بن محمد النسفى الخوارزمى البلغولوى^(٢) المعروف بالخلوتى، فى سابع عشرين شعبان خارج القاهرة.

ومات القاضى شمس الدين محمد القرمى الحنفى، قاضى العسكر، فى سابع عشرين ربيع الآخر.

ومات القاضى شمس الدين محمد بن على بن الخشاب الشافعى فى تاسع عشرين شعبان. حدث بصحيح البخارى عن وزيره والحجار. وناب فى حسبة القاهرة، وعمر.

ومات القاضى شمس الدين محمد بن الوحيد الدمشقى، باشر نظر المواريث ونظر الأوقاف بمدينة مصر، وشهادة الجيش، مات فى سابع ربيع الأول.

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن قطب البكرى الشافعى، فى خامس عشر شوال. تصدر للاشتغال بالفقه مدة.

* * *

(١) المعروف أن بلاد البلغار ربطتها علاقات بالإسلام والمسلمين منذ أيام الخليفة المقتدر العباسى.

(٢) محمد بن على بن محمد السلمى الحلبي أبو المعالى، ناصر الدين بن عشاير: حافظ، مؤرخ كان خطيب حلب وسافر إلى القاهرة فتوفى بها. من تصانيفه « ذيل على تاريخ حلب لابن العديم » و « تاج النسرین فى تاریخ قنسرین ». انظر لحظ الألاحظ ١٧٠ وشذرات الذهب ٣٠٩/٦ وأعلام النبلاء ٩٧/٥ والدرر الكامنة ٨٥/٤ وحسن المحاضرة ٢٠٥/١ والأعلام ٢٨٦/٦.

سنة تسعين وسبعمائة

فى المحرم: قدم قاصد من الأمير منطاش، يخبر أنه باق على الطاعة، فقدم البريد من حلب أنه خارج عن الطاعة، وقصد بهذا المدافعة عنه، حتى يدخل فصل الربيع، وتذوب الثلوج. فسير السلطان الأمير سيف الدين تُلْكُتْمُر الدوادار بعشرة آلاف دينار للأمراء المجردين، تقوية لهم وتوسعة عليهم، وليعرف حقيقة أمر منطاش.

وقدم الأمير جُمُق بن الأتابك أَيْتَمِش من حلب، وقد قلد الناصرى النيابة بها. وفى يوم السبت حادى عشرينه: قدم الأمير قُرُقُماس - أمير الحاج - بالمحمل، والحاج، بعد ما أصابهم سيل عظيم فى ترعة حامد - فم وادى القباب - ^(١) فمات فيه عدد كبير، غرق منهم جمع ودفن مائة وسبعة، وتلف من الأمتعة شىء لا يعبر عنه كثرة، وذلك فى ليلة التاسع عشر منه.

وفيه سمر على بن نجم أمير عرب القيوم، ومعه عشرون رجلا، ووسطوا كلهم، بسبب قتلهم محمد وعمر ابنى شادى.

واستقر الأمير علاء الدين أقباغا الماردانى كاشف الجيزة.

وقدم رسل ابن عثمان ملك بُرْصا، فأنزلوا بالميدان الكبير بخط موردة الجبس.

واستقر عمر بن الخطاب فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنسا وأطفيح، عوضا عن أمير أحمد بن الركن.

وفى أول صفر استقر أيدمر أبو زلطة نائب الوجه البحرى. وعزل قطلوبغا أبو درقة. واستقر أبو درقة كاشف الوجه البحرى.

وفى ثامن عشره: أحضر ترسل ابن عثمان إلى الخدمة بالقلعة، وقدموا هدية مرسلهم.

وقدم الخبز برحيل تمرلنك عن توريز إلى سمرقند ^(٢) وأن الأسعار ارتفعت بسائر بلاد الشام، وأبيعت الغرارة القمح فى بلد الرملة بثلاثمائة درهم فضة، فنقل الناس الغلال من ديار مصر إليها.

(١) كانت أقصى محلة بنيسابور على طريق العراق. انظر معجم البلدان ٥٧٣/٤.

(٢) سمرقند: مدينة من خراسان، ويقال: إن شمر بن أفرقش غزا أرض الصغد حتى وصل إلى سمرقند فهدمها ثم ابتناها، ويقال إنها بنيت أيام الإسكندر وتولى ذلك شمر فقيلى شمرقند، وعربت فيل سمرقند. انظر معجم البلدان ٢٤٨/٣، والروض المعطار ٣٢٢، ابن الوردى ٢١٤.

وقدم الخبر بأن الشريف عنان بن مغامس اقتتل مع الشريف على بن عجلان، وانهزم من على. ثم قدم مقاصده يسأل السلطان العفو عنه.

وقدم البريد بأن منطاش خرج من ملطية إلى سيواس، فسار البريد بالخلع والأموال. لتفرق في تلك البلاد.

وفيه فرق نجم الدين محمد الطنبدي محتسب القاهرة عدة فقراء الفقهاء على الباعة بسائر الأسواق، ليعلموهم من القرآن ما لا بد منه في الصلاة، فاستمر ذلك، وقرر لكل معلم على كل حانوت فلسين في كل يوم.

وفي ربيع الأول: منع قراء الأجواق عامة من التهنيك، وأن يكون عوضه الصلاة على النبي ﷺ.

وفي هذا الشهر: وقع بالقاهرة، ومصر وضواحيهم طاعون وحميات حادة، وفشى الموت بذلك في الناس.

وفيه عمل السلطان المولد النبوى بالقصر على العادة، وأقيم السماع بإبراهيم بن الجمال وأخيه خليل يشبب.

وفي ليلة الأربعاء ثاني عشره: حضر ابنا الجمال المذكورين عند بعض أهل مصر مولدا. فلما أقيم السماع سقط البيت بمن فيه، فمات ابنا الجمال في ستة أنفوس، وسلم من عداهم.

ومن الاتفاق الغريب أنه كان يغنى بهذه الأبيات:

تغنيت فى حبكم	ولا فادنى منه فن
وخضت بحار الهوى	وجزت بوادى محن
وقالوا به جنّة	ومثلى بكم من يجن
فؤادى بكم هايم	وعقلى بكم مفتن
أغنى ولى فيكم	فؤاد كثير الشجن
سيطرب من فى الحمى	ويرقص حتى السكن

فلما وصل فى غنائه إلى قوله «ويرقص حتى السكن» سقط البيت على من فيه. وتمة هذه الأبيات:

لقد جئت مستعذرا	لكم يا أهيل المحن
فجودوا على عبدكم	وإن لم تجودوا فمن؟

وفي هذه الليلة: عمل الشيخ المعتقد إسماعيل بن يوسف الإنبأبي المولد على عادته في زاويته بناحية منبوبة (١) من الجيزة تجاه بولاق، فكان فيه من الفساد ما لا يوصف، إلا أنه وجد من الغد في المزارع مائة وخمسون جرة فارغة من جرار الخمر التي شربت تلك الليلة في الخيم، سوى ما حكى عن الزنا واللياطة، فجاءت ريح كادت تقتلع الأرض بمن عليها، وامتنع الناس من ركوب النيل فتأخروا هناك.

واتفق في هذا الشهر موت خمسة من المشهورين، لم يخلفوا بعدهم مثلهم في مغناهم، وهم: علم الدين سليمان القرافي المادح، مات ليلة الخميس تاسعه. وإبراهيم ابن الجمال المغني، وأخوه خليل المشيب، في ليلة الأحد ثاني عشره. وعلى بن الشاطر رئيس المؤذنين بالجامع الأزهر، في ليلة الإثنين ثالث عشره. والمعلم إسماعيل الدجيجاتي، في ليلة الأربعاء خامس عشره.

وفيه ورد الخير بدخول العسكر المصرى إلى بلاد ملطية، لقتال منطاش.

وفي يوم السبت ثالث ربيع الآخر: استقر جمال الدين يوسف بن محمد بن عبد الله الحميدى في قضاء الحنفية بالإسكندرية، وعزل همام الدين عبد الواحد السواسى (٢) العجمى.

وسار الشريف حسن بن عجلان (٣) من القاهرة إلى مكة، وسار معه جماعة يريدون العمرة والمجاورة بمكة.

وتزايد الموت، وطلب البطيخ الصيفى للمرضى، فأبيعت البطيخة بخمسين درهما فضة، وأبيع الرطل من الكمثرى بعشرة دراهم.

وفيه ندب قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن بنت ميلق، جماعة، فقرأوا بالجامع الأزهر صحيح البخارى، ودعوا الله تعالى في رفع الطاعون. واجتمعوا أيضا في يوم الجمعة سادس عشره بالجامع الحاكمى، وفعلوا ذلك. ثم اجتمعوا مرة ثالثة بالجامع

(١) من الأعمال الخيرية.

(٢) نسبة إلى سيواس.

(٣) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نعى: شريف حسنى، من أمراء مكة. ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨هـ. وجاءه التوقيع سنة ٨١١هـ بنبابة السلطنة في جميع بلاد الحجاز، فاستمر مدة. وعزل وأعيد مرتين ثم توجه إلى مصر سنة ٨٢٨هـ فتوفى فيها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ٣/٢١٣، ٢١٤.

الأزهر، بعد عصر يوم الإثنين تاسع عشره، ومعه كثير من الأطفال الأيتام، فكان جمعا موفورا.

وفي سادس عشرينه: استقر الأمير أيدكار العمرى، حاجب الحجاب بديار مصر، عوضا عن الأمير قطلوبغا الكوكاى، وكانت هذه الوظيفة متوفرة نحو أربع سنين بعد وفاة الكوكاى، وأضيف إليه نظر الخانقاة الشيوخونية. واستقر الأمير سيف الدين المعروف بسيدى أبو بكر بن سنقر الجمالى حاجب ميسرة بإمرة مائة، عوضا عن أيدكار بحكم انتقاله حاجب الحجاب.

وفي ثامن عشرينه: قدم الأمير بلوط الصرغتمشى.

وفي تاسع عشرينه: مات الأمير سُبرج والى باب قلعة الجبل. وكثر الموت فى الممالك بالقلعة، فكان يموت منهم فى كل يوم زيادة على عشرين نفسا.

وفي أول جمادى الأولى: بلغت عدة الأموات الواردين على الديوان إلى مائتين وخمسة وثلاثين، سوى من يموت بالمارستان، وسوى الطرحاء على الطرقات.

وفي رابعة: استقر بحاس النوروزى نائب باب القلعة، وتزايدت عدة الموتى.

وفي رابع عشره: استقر فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس فى نظر الدولة، عوضا عن أمين الدين عبد الله بن ريشة بعد موته.

وفي حادى عشرينه: ورد صراى تَمُر - دوادار الأمير يونس الدوادار، ومملوك نائب حلب - على البريد بأن العسكر توجه إلى سيواس، وقاتل عسكرها، وقد استنجدوا بالنن، فأتاهم منهم نحو الستين ألفا، فحاربوهم يوما كاملا، وهزموهم، وحصروا سيواس بعدما قتل كثير من الفريقين، وجرح معظمهم، وأن الأقوات عندهم عزيزة فجهز السلطان إلى العسكر مبلغ خمسين ألف دينار مصرية، وسار بها تُلَكْتُمُر الدوادار فى سابع عشرينه.

ثم أن العسكر تحرکوا للرحيل عن سيواس، فهجم عليهم التتار من ورائهم فبرز إليهم الأمير يلغا الناصرى نائب حلب، وقتل منهم خلقا كثير، وأسر نحو الألف، وأخذ منهم العسكر نحو عشرة آلاف فرس، وعادوا سالمين إلى جهة حلب.

وفي حادى عشرينه: استقر كل من جَرَكَس وقُطْلُوبَك السيفى أمير جاندار عوضا عن يَلْبُغا المحدى وألْطُنْبغا عبد الملك بعد موتهما. وقدم البريد بقتل الصارم إبراهيم بن شهرى نائب دوركى على سيواس.

وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة: استقر الأمير جمال الدين محمود بن على شاد الدواوين فى أستاذارية السلطان، بعد موت الأمير بهادر المنجكى، واستقر ناصر الدين محمد بن الحسام لاجين الصقرى أستاذار الأمير سودن باق فى شد الدواوين.

وفي يوم الخميس خامس جمادى الآخرة: أنعم على كل من بَلُوط الصَرغَتْمُشى ونوغيه العلأى، وناصر الدين محمد بن الأمير محمود بإمرة طبلخانة. وعلى كل من داود ابن دلغادر، وناصر الدين محمد بن الحسام الصقرى الشاد بإمرة عشرة.

وفيه استقر الأمير محمود الأستاذرار مشير الدولة، وخلع عليه، فتحدث فى الدولة، والخاص، والديوان المفرد، وصار عزيز مصر. وحضر عنده صاحب علم الدين كاتب سيدى، وموفق الدين أبو الفرج ناظر الخاص، واثتمرا بأمره.

وفي ثامنه: ارتفع الوباء بعدما تجاوز الثلاثمائة فى كل يوم.

وفي عاشره: قدم البريد من الأمير يونس ومن نائب حلب بخير وقعة سيواس التى ذكرناها، وعود العسكر إلى ملطية، فكتب بإحضار الأمير يونس الدوادار على البريد.

وفي ثانى عشره: خلع على صاحب علم الدين خلعة استمرار، بعقب غضب السلطان عليه.

وفي رابع عشره - الموافق سادس عشرين بؤونة: - أخذ قاع النيل فجاء ستة أذرع وثمانية أصابع.

وفيه قدم الفقيه قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الأشبيللى المغربى من الحجاز إلى القاهرة.

وفي تاسع رجب: قدم الأمير تُلَكْتُمُر الدوادار، وأخبر بأن منطاش قد فر من سيواس خوفا من القاضى برهان الدين أحمد صاحبها أن يقبض عليه.

وفي خامس عشره: استقر الأمير قُطْلُوْبُغا الأَسْنَقْجَاوى أبو درقة كاشف الوجه البحرى، عوضا عن ركن الدين عمر بن إلياس بن أخلا قُوطُ.

وفي خامس عشرينه: استقر مُقْبِل الطيبى والى قوص ملك الأمراء بالوجه القبلى، وعزل مبارك. واستقر الصارم إبراهيم الشهابى فى ولاية قوص.

وفي أول شعبان: أوفى النيل، ووافق ثالث عشر مسرى.

وفي ثالثه: قدم العسكر المجرد والأمراء من سيواس إلى قلعة الجبل بغير طائل، فخلع على الأمراء وأركبوا خيولا بقماش ذهب، فكانت غيبتهم عن القاهرة سنة وأياما.

وفي عاشره: استقر بتخاص السودانى - حاجب طرابلس - فى نيابة صفد، بعد موت أركماس.

وفي خامس عشرة: طلب السلطان الطواشى بهأثر مقدم الماليك، فلم يوجد بالقلعة، فأحضره سكرانا من بيت على البحر، فاشتد حنق السلطان عليه، ونفاه إلى صفد، وأعطى بها إمرة عشرة. واستقر عوضه الطواشى شمس الدين صواب السعدى - المعروف بشنكل الأسود - مقدم الماليك فى سابع عشره. واستقر الطواشى سنعد الدين بشير الشرفى عوضا عن شنكل فى نيابة المقدم.

وفيه قدمت رسل الفرنج بجنوة فى الحديث بسبب من قبض عليه من الفرنج. وذلك أنه ورد الخبر أن بعض أقارب السلطان قدموا من بلاد الجراكسة فى البحر، فأخذهم الفرنج، فقبض على من بالإسكندرية منهم، وختم على أموالهم.

وفي ثالث عشرينه: قدم البريد بموت قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة بدمشق، فصلى عليه صلاة الغائب بجوامع القاهرة ومصر، فى يوم الجمعة خامس عشرينه.

وفيه عُقد عقد القاضى جمال الدين محمود القيصرى - قاضى العسكر - على ابنة ناصر الدين محمد بن المعلم شهاب الدين أحمد الطيُّلُونى فى بيت الأمير يونس الدوادار، فكان يوما مشهودا.

وفيه استقر القاضى سرى الدين أبو الخطاب محمد ابن قاضى القضاة جمال الدين أبى عبد الله محمد بن زين الدين أبى محمد عبد الرحيم بن على بن عبد الملك السُّلمى المسَّلاتى فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن البرهان بن جماعة، وحمل إليه التشريف والتقليد إلى دمشق، مسئولا بذلك.

وفي ثامن رمضان: خلع على صاحب علم الدين عقب عافيته من مرضه، وعلى الفخر بن مكانس ناظر الدولة، وابن الحسام الشاد، وعلى محمد بن صدقة الأعسر، واستقر والى الأشمونين، عوضا عن أمير حاج بن أيْذمر. ونقل أمير حاج إلى ولاية الفيوم ^(١) وكشفها وكشف البهنسا وأطفيح عوضا عن عمر بن خطاب.

واستقر محمد بن الهذبانى فى ولاية البهنسا، وعزل قُوزى.

(١) ولاية غربية. مصر بينها وبين القسطنطين أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها. انظر معجم البلدان

وفي تاسع عشره: قبض على سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الديوان المفرد، وسلم لشاد الدواوين، وألزم بخمسة آلاف دينار، فباع أملاكه. وقبض على سعد الدين ابن قارورة - مستوفى الدولة - وألزم بثلاثين ألف درهم.

وفي رابع عشرينه: قبض على الصاحب الوزير علم الدين عبد الوهاب بن القسيس، المعروف بكاتب سيدى. واستدعى الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وخلع خلعة الوزارة، وسلم إليه كاتب سيدى، فألزمه بمال حمل منه ثلاثمائة ألف درهم، بعد ما قبض على حواشيه، والحاج عبيد البزدار، مقدم الدولة.

وفي يوم الخميس - سادس شوال: - قدم من حلب الأمير قرادمراش باستدعاء.

وفي تاسعه: قدم من الحجاز الشريف عنان بن مغامس أمير مكة، واستجار بالأمير الكبير أيتيمش، ونزل عنده، فشفع فيه، وأحضره إلى السلطان، فغفا عنه.

وفي عاشره: استقر شمس الدين محمد بن أخى الجار النيسابورى فى مشيخة سعيد السعداء، عوضا عن شهاب الدين أحمد الأنصارى.

وخرج الحاج على العادة، وأمير الركب الأول جركس الخليلى أمير آخور، وأمير الركب الثانى أقبغا الماردانى، صحبة المحمل.

وقدم الخبر من أمراء دمشق بمخامرة أَلْطُنْبغا الجوبانى نائب دمشق، وأنه ضرب طُرْنطاي حاجب الحجاب، واستكثر من استخدام المماليك، فبلغ الجوبانى ذلك، فاستأذن فى الحضور، فأذن له، فركب البريد من دمشق ونزل سرياقوس - خارج القاهرة - ليلة الخميس سابع عشرينه، فبعث إليه السلطان الأمير فارس الصرغتمشى الجوكندار، فقيده وسار به إلى الإسكندرية، فسجنه بها. وقبض بقلعة الجبل فى يوم السبت تاسع عشرينه على الأمير أَلْطُنْبغا المعلم أمير سلاح، وقُرْذُم الحَسَنِى - رأس نوبة - وقيدا، وحملوا إلى سجن الإسكندرية، مع أَلْجُبغا الجمالى الدوادر.

واستقر الأمير سيف الدين طرنطاي حاجب دمشق فى نيابتها، عوضا عن الجوبانى، وحمل إليه التشريف والتقليد من قلعة الجبل إلى دمشق، مع سودن الطرنطاي. وكتب بقبض الأمير كمشبغا الحموى نائب طرابلس، فقدم سيفه فى عاشر ذى القعدة.

وفي حادى عشره: استقر الأمير أَلْجُبغا الجمالى الدوادر خازندارا ثانيا.

وتوجه الأمير شيخ الصفوى بتقليد أسندمر المحمودى حاجب طرابلس نيابة طرابلس. ونفى كُمُشْبغا الأشرفى الخاصكى رأس نوبة إلى طرابلس، فسار من دمياط لأنه كان فى اليكز بها.

وفي خامس عشرينه: عزل أيدير نائب الوجه البحرى، ثم أعيد من يومه.

وفي سادس عشرينه: قدم البريد بعشرين سيفاً من سيوف الأمراء الذين قبض عليهم ببلاد الشام. وكتب بالقبض على الأمراء البطالين ببلاد الشام فقبض عليهم. وأعيد سودن العثمانى على نيابة حماة. واستقر كشلى القلمطاوى نائباً بملطية.

وفي يوم الخميس ثانى ذى الحجة: قدم الأمير سودن الطرنطاى من الشام بعدما قلد نائب دمشق، وقبض على الأمراء، فاستقر فى ثامنه رأس نوبة ثانيا عوضاً عن قُرْدُم الحسنى.

وفيه قدمت رسل الأمير قرا محمد التركمانى بكتابه، يخبر أنه أخذ مدينة تبريز، وضرب بها السكة باسم السلطان، ودعا له على منابرها، وسير دنانير ودراهم ضربت بالسكة السلطانية. وسأل أن يكون بها نائباً عن السلطنة، فأجيب بالشكر والثناء. واستقر جمع السيفى فى ولاية الفيوم وكشفها، عوضاً عن أمير حاج بن أيْدُمُر. وقدم الأمير شيخ الصفوى من طرابلس.

وفي ثانى عشرينه: استقر شمس الدين محمد بن عيسى أمير عرب العائد فى كشف الشرقية وولايتها، عوضاً عن قُطْلُوْبُغا التركمانى.

وفي سادس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بالأمن والسلامة.

وقدم البريد من الإسكندرية بوصول خواجا على أخى الخواجا عثمان، ومعه جميع من أسره الفرنج من أقارب السلطان. واستقر تقى الدين أبو محمد عبد الله ابن قاضى القضاة جمال الدين أبى المحاسن يوسف ابن قاضى القضاة شرف الدين أبى العباس أحمد ابن الحسين بن سليمان بن فزارة الكُفْرِى فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضاً عن نجم الدين أحمد بن أبى العز بن الكشك. واستقر شمس الدين محمد بن الشهاب أحمد بن المهاجر الحلبي فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضاً عن شرف الدين مسعود. وأعيد محب الدين محمد بن الكمال محمد بن الشحنة إلى قضاء القضاة الحنفية بحلب، عوضاً عن موفق الدين.

واستقر علاء الدين على بن أحمد بن عبد الله بن المقارعى فى قضاء القضاة الحنابلة بحلب، عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن فياض.

وكان الحاج من مصر خاصة سبعة ركوب من كثرتهم، سوى ركبى المغاربة والتكرارة، لتتمة تسعة ركوب.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن إبراهيم ابن سعد الله بن جماعة الكنانى ^(١) الشافعى، بدمشق، ليلة الجمعة ثامن عشر شعبان، ومولده سنة خمس وعشرين وسبعمائة. ولم يخلف بعده مثله.

ومات الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الأسيوطى ^(٢) الشافعى بمكة، فى ثانى شهر رجب. وقد أسن وأفتى ودرس، وأسمع صحيح مسلم وغيره.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قليج والى الفيوم. كان أبوه أحد أمراء الألف، وكاشف الوجه القبلى.

ومات الشيخ المعتقد إسماعيل بن يوسف الإنابانى، بزوايته بناحية منبابة، فى سلخ شعبان.

ومات عماد الدين إسماعيل بن على، المعروف بابن المشرف، أستاذار الأمير جركس الخليلى، فى العشرين من ذى القعدة.

ومات الأمير سيف الدين بهادر المنجكى، أستاذار السلطان، وأحد الأمراء الألف، فى أول جمادى الآخرة.

ومات الوزير صاحب علم الدين بن القسيس، المعروف بكاتب سيدى، الأسلمى، فى آخر ذى الحجة.

ومات القاضى أمين الدين عبد الله بن مجد الدين فضل الله بن أمين الدين عبد الله ابن ريشة القبطى الأسلمى، ناظر الدولة، فى ليلة الأربعاء سادس جمادى الأولى.

ومات الأمير سيف الدين جلبان الحاجب، فى خامس عشرين رمضان، وكان خيرا متدينا عارفا.

ومات الأمير سيف الدين سُبُرج الكمشبقاوى، نائب قلعة الجبل، فى تاسع عشرين ربيع الآخر.

(١) تقدم ذكره.

(٢) إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم، جمال الدين اللحى الأسيوطى: أديب من فقهاء الشافعية. مصرى ناب فى الحكم بالقاهرة، وهاجر إلى مكة فاستوطنها ٧٧٦هـ وتوفى بها. له مختصر «شرح بانث سعاد وإعرايها». انظر الدرر الكامنة ٦٠/١ والأعلام ٦٤/١.

ومات الشيخ علاء الدين أحمد بن محمد، المعروف بالعلاء السيرامي العجمي، شيخ المدرسة الظاهرية المستجدة بين القصرين، في ثالث جمادى الأولى. وكان فاضلاً في الفقه على مذهب أبي حنيفة، مشاركاً في غيره، مشكور السيرة.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن قطلوبغا المحمدي، المعروف بقشقلدق، أحد أمراء العشرات، في ثاني جمادى الآخرة.

ومات القاضي عز الدين أبو الثيمن محمد بن عبد اللطيف بن الكؤيك الربيعي الشافعي، في ثاني عشر جمادى الأولى، عن خمس وستين سنة، وقد أسمع الحديث مدة.

ومات القاضي تقى الدين محمد بن محمد بن أحمد بن شاس المالكي موقع الدست، في سابع عشر شعبان. وقد عين لكتابة السر.

* * *

سنة إحدى وتسعين وسبعمائة

أهلت بيوم الخميس.

ففى خامس المحرم: استقر قطلوبك السعدى اليريدى والى الشرقية، عوضا عن الأمير شمس الدين محمد بن عيسى العايدى. واستقر ابن عيسى كاشف الشرقية.

وفى ثامننه: قدمت رسل ابن قَرمَان بهدية، فقبلها السلطان، وخلع عليهم.

وفى تاسع عشره: قدمت رسل فرنج جنوة بالخواجاء على وأقارب السلطان ومعه هدية ملكهم، فقبلت، وخلع عليهم.

وفيه قدم الأمير جركس الخليلى من الحجاز بإخوة السلطان.

وفى ثالث عشرينه: قدم اليريد من سيس^(١) بأن خليل بن دلغادر، ونائب سيس، جمعا تركمان الطاعة وحاربوا سولى بن دلغادر ومنطاش، وقتلوا كثيرا من أصحابهما، وهزماههما، وغنما ما معهما من الأموال والحريم.

وفيه قدم الأمير أَقْبغا الماردانى بالحمل وبقية الحاج.

وفيه استقر الشيخ جلال الدين نصر الله البغدادى الحنبلى فى تدريس المدرسة الظاهرية المستجد بدرس الحديث النبوى، عوضا عن الشيخ أحمد بن أبى يزيد، المعروف بمولانا زاده السيرامى. واستقر قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون عوضه فى تدريس الحديث بالمدرسة الصرغتمشية، خارج القاهرة.

وفى هذا الشهر: أشيع أن الأمير يلبغا الناصرى - نائب حلب - وقع بينه وبين الأمير سوْدُن المظفرى، وكاتب كل منهما فى الآخر، فلهج العامة فى كل وقت بقولهم: «من غلب صاحب حلب»، حتى لا تكاد تجد صغيراً ولا كبيراً إلا ويقول ذلك، حتى كان من غلب الناصرى نائب حلب ما يأتى ذكره، فكان هذا من غرائب الاتفاقات.

وفى يوم الأحد خامس صفر: جمع السلطان الأمراء الخاصكية فى الميدان تحت القلعة، وشرب معهم القمز^(٢)، وقرر لشربه يومى الأحد والأربعاء.

وفى سابعه: استقر سيف الدين أبو بكر بن شرف الدين موسى بن الدينارى فى ولاية قوص، عوضا عن الصارم إبراهيم الشهابى.

(١) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان

(٢) القمز نبيذ يعمل من لبن الخيل.

وفي عاشره: بعث السلطان هدية الأمير يلبغا الناصري، فيها عدة خيول بقماش ذهب وقباء، واستدعاه ليحضر. فلما قدم ذلك عليه خشى أن يفعل به كما فعل بالأمير أَلْطُبغا الجوباني، فكتب يعتذر عن الحضور بحركة التركمان ومنطاش، والخوف على حلب منهم، فلم يقبل السلطان عذره، وكثر تخيله منه. وبعث الأمير تلكتمر المحمدي الدوادار إلى حلب، وعلى يده مثالين ليلبغا الناصري وسوْدُن المظفري أن يصطلحا بحضرة الأمراء والقضاة. وسير معه خلعتين يلبسانهما بعد صلحهما. وحمله في الباطن عدة ملطفات ^(١) إلى سوْدن المظفري، وغيره من الأمراء، بقبض الناصري وقتله إن امتنع من الصلح. وكان مملوك الناصري قد تأخر عن السفر ليفرق كتباً من أستاذه على الأمراء، يدعوهم إلى موافقته على الثورة بالسلطان. وآخر السلطان جواب الناصري الوارد على يده ليسبقه تلكتمر إلى حلب، فبلغ المملوك ما على يد تلكتمر من الملطفات، وأخذ الجواب، وسار على البريد وجد في السوق حتى دخل حلب قبل تلكتمر. وعرف الناصري الحال كله، ويقال إن تلكتمر كان بينه وبين الشيخ حسن - رأس نوبة الناصري - مصاهرة، فلما قرب من حلب بعث يخبره بما أتى فيه، فتنبه الناصري لما أخبره الشيخ حسن برسالة تلكتمر، واحترز لنفسه. وخرج حتى لقي تلكتمر على العادة، وأخذ منه المثال، وحضر به إلى دار السعادة، وقد اجتمع الأمراء والقضاة وغيرهم لسماع المثال السلطاني. وتأخر سوْدُن المظفري عن الحضور والرسل تستدعيه، حتى حضر وهو لابس آلة الحرب من تحت ثيابه. فعندما دخل الدهليز جسَّ قازان البرقشي - أمير أخور الناصري - كتفه، فوجد السلاح وقال: «يا أمير، الذي يريد الصلح يدخل لابس آلة الحرب؟» فسبه المظفري، فسل قازان عليه السيف وضربه، وأخذته السيوف من الدين رتبهم الناصري من مماليكه حتى برد ^(٢)، فجرد مماليكه أيضا سيوفهم، وقتلوا ممالك الناصري، فقتل بينهم أربعة. وثارت الفتنة، فقبض الناصري على حاجب الحجاب وأولاد المهمندار، وعدة ممن يخافهم، وركب إلى القلعة وتسلمها. واستدعى التركمان والعربان، وقدم عليه الأمير منطاش معاوناً له، وداخلاً في طاعته. وبعث تلكتمر إلى السلطان، فقدم في خامس عشره وأعلم السلطان بخروج الناصري عن الطاعة، واجتمع الناس معه، وكتب السلطان في سابع عشره إلى الأمير سيف الدين أينال اليوسفي أتابك دمشق بنبابة حلب، وجهز إليه التشريف والتقليد. وطلب السلطان في ثامن عشره القضاة والأعيان وأهل الدولة من الأمراء وغيرهم، وحدثهم بعصيان

(١) هي رسائل تكتب عادة إلى الأمراء للترضية والتعزير.

(٢) أي حتى مات. انظر محيط المحيط.

الناصرى واستشارهم فى أمره، فوقع الاتفاق على إرسال عسكر لقتاله، فحلف الأمراء كلهم. ثم خرج السلطان إلى القصر الأول، وحلف أكابر الممالك على الطاعة.

وفى تاسع عشره: ضربت خيمة كبيرة بالميدان تحت القلعة، وضرب بجانبها عدة صواوين برسم الأمراء، ونزل السلطان إلى الخيمة، وحلف الأمراء وسائر الممالك. ثم مد لهم سماءً جليلاً، فأكلوا وانفضوا.

وفى رابع عشرينه: قدم البريد من دمشق بأن قرا بغا فرج الله، وبزلار العمرى، ودمرداش اليوسفى، وكمشبيغا الخاصكى الأشرف، وأقبغا حنحق، اجتمع معهم عدة كبيرة من الممالك المنفيين، وقبضوا على الأمير سيف الدين أسندمر نائب طرابلس، وقتلوا من الأمراء صلاح الدين خليل بن سنجر وابنه وقبضوا على جماعة، ودخلوا فى طاعة الناصرى.

وفيه عرض السلطان الممالك، وعين منهم أربعمئة وثلاثين للسفر ورسم لمن يذكر من الأمراء بالسفر، وهم: الأمير الكبير أيتمش الأتابك، والأمير جركس الخليلى أمير آخور، والأمير شهاب الدين أحمد بن يلغا أمير مجلس، والأمير يونس الدوادار، والأمير أيدكار حاجب الحجاب، وهؤلاء أمراء ألوف. ومن أمراء الطبلخانات فارس الصرغتمشى، وبكلمش رأس نوبة، وجركس الحمدي، وشاهين الصرغتمشى، وأقبغا الصغير السلطاني، وأينال الجركسى أمير آخور، وقديد القلمطاوى. ومن أمراء العشراوات خضر بن عمر بن بكتمر الساقى، وناصر الدين محمد بن محمد بن أقبغا آص. وحمل إلى الأمير أيتمش مائتا ألف درهم فضة، وعشرة آلاف دينار ذهباً مصرية. وإلى كل من أمراء الألوف مائة ألف درهم وخمسة آلاف دينار ما خلا أيدكار، فإنه حُمل له مبلغ ستين ألف درهم مع الذهب نظيرهم. ولمن عداهم من الأمراء لكل منهم مبلغ خمسين ألف درهم، وألف دينار، وأربعمئة دينار.

وفى سادس عشرينه: قدم البريد بأن ممالك الأمير سيف الدين سودن العثمانى - نائب حماة - هموا بقتله، ففر إلى دمشق، وأن الأمير سيف الدين بيرم العزى الحاجب بحماة دخل فى طاعة الناصرى، وملك حماة، فعرض السلطان الممالك وعين منهم أربعة وسبعين، لتتم جملة من يسافر من الممالك خمسمئة.

وورد الخير باستيلاء الفرنج على جزيرة جرّبة. (١)

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه: رسم للأمير بجاس والى باب القلعة، فتوجه إلى الخليفة المتوكل، ونقله إلى برج وضيق عليه، ومنع الناس من الدخول إليه خوفاً من

الناصرى أن يدس من يأخذه، فإنه - أى الناصرى - شنع على السلطان بأمر أكبرها سجن الخليفة. فبات الخليفة به ليلة واحدة، ثم أعيد إلى مكانه. ورسم للطواشى مقبل الزمام بالتضييق على الأسياد أولاد الملوك الناصرية، ومنع من يتردد إليهم، والفحص عن أحوالهم، ففعل ذلك.

وفى يوم الإثنين ثانى ربيع الأول: خرج البريد بتقليد الأمير سيف الدين طغاي تمر القبلأوى - أحد أمراء دمشق - نيابة طرابلس.

وفى خامسه: قدم قاصد خليل بن دلغادر بكتاه، يخبر أن سنقر - نائب سيس - توجه إلى الناصرى ودخل فى طاعته، فلما عاد قبض عليه، وبعث سيفه، فخلع على قاصده.

وفيه أنفق فى الممالك نفقة ثانية، فالأولى لكل واحد من الخمسمائة مملوك ألف درهم فضة، والثانية أيضا ألف درهم، سوى الخيل والجمال والسلاح، فإنه فرق فى أرباب الجوامك لكل واحد جملا، ولكل اثنين من أرباب الأخباز ثلاثة جمال. ورتب لهم اللحم والجرايات والعليق، فرتب لكل من رعوس النوب فى اليوم ست عشرة عليقة، ولكل من أكابر الممالك فى اليوم عشر علائق، ولكل من أرباب الجوامك خمس علائق. ورسم لكل مملوك فى دمشق بمبلغ خمسمائة درهم.

وفى رابع عشره: استدعى السلطان شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى إلى مسجد رُدينى^(١) داخل القلعة، واستدعى الخليفة المتوكل على الله فقام إليه وتلقاه، وأخذ فى ملاطفته والاعتذار إليه، وتحالفا. ومضى الخليفة إلى موضعه، فبعث إليه السلطان عشرة آلاف درهم، وعدة بقج، فيها صوف وثياب سكندرية، وفرو، لتتمة القيمة عن الجميع ألف دينار. فبعث الخليفة بجزء وافر من ذلك إلى شيخ الإسلام، وإلى والى القلعة.

وتواترت الأخبار بدخول سائر أمراء الشام والممالك اليلغاوية والأشرفية، وسولى أمير التركمان، ونعير أمير العربان، فى طاعة الناصرى على محاربة السلطان. وأنه أقام سناجق خليفته، وأخذ جميع القلاع، خلا دمشق وبعبك والكرك، فكثرت الاضطراب بالقاهرة وقلعة الجبل. وخرج الأمراء والممالك فى يوم السبت رابع عشره إلى الريدانية خارج القاهرة بتجمل عظيم واحتفال زائده، فإن الدولة كانت لم تطرق والبلد لم يتغير حاله، والناس فى عافية بلا محنة.

(١) يوجد بداخل قلعة الجبل.

وأقاموا فى التبريز ^(١) إلى يوم الإثنين سادس عشره، فكانت أياما مشهودة.
وفيه قدم البريد من صفد بأن وقعة كانت بها من أجل مخامرة بعض الأمراء.
وفيه أنعم على قرابغا الأبو بكرى بإمرة صراى الرجى الطويل، وأنعم بإقطاعه على
طغای تَمَر الجَرَكَمُرى.

وفى سابع عشره: عزل موفق الدين أبو الفرج من نظر الجيش، واستقر عوضه جمال
الدين محمود القيسرى قاضى العسكر الحنفى، واستقر الشيخ شرف الدين عثمان الأشقر
إمام السلطان فى قضاء العسكر. واستقر القاضى سراج الدين عمر الحنفى العجمى
محتسب القاهرة فى تدريس التفسير بالقبة المنصورية، عوضا عن جمال الدين محمود،
برغبته له عنه.

وقدم البريد من دمشق بأن سودن العثمانى - نائب حماة - جدد له بركا ^(٢)
بدمشق، وأقام عسكرا وسار معه الأمير صارم الدين إبراهيم بن هُمزُ التركمانى يريد
أخذ حماة، فلقية الأمير منطاش بعسكر حلب، وقاتله وهزمه إلى حمص، ومعه ابن هُمزُ.
وفيه أمر السلطان بإبطال الرماية والسِّلَف على البرسيم والشعير، وإبطال قياس
القصب والقلقاس، والإعفاء بما على ذلك من المقرر السلطانى.

وفى سلخه: عزل مُقْبَل الطيىبى عن نيابة الوجه القبلى، وأعيد مبارك شاه.
وفى يوم الثلاثاء أول ربيع الآخر: قدم البريد من دمشق بأن كُْمُشُبُغا المنجكى -
نائب بعلبك - دخل فى طاعة الناصرى.

وفى خامسه: قدم البريد بأن ثلاثة عشر من أمراء دمشق خرجوا بمماليكهم إلى حلب
نصرة للناصرى، فواقعهم النائب بمن معه، وجرح منهم عدة، وساروا إلى حلب. وأن
الأمير جركس الخليلى لما قدم إلى غزة، أحس بمخامرة الأمير علاء الدين أقبغا الصفوى
نائب غزة، فقبض عليه، وبعثه إلى الكرك، وأقر فى نيابة غزة الأمير حسام الدين حسن
ابن باكيش.

وفى عاشره: أنعم على بلاط المنجكى بإمرة عشرين، عوضا عن نوغای العلاى بعد
موته.

وفى حادى عشره: عزل ناصر الدين محمد بن العادلى، واستقر عوضه فى ولاية

(١) المقصود المبارزة.

(٢) البرك: ثقل المسافر ومتاعه.

منوف أقبغا البشتكى. وعزل الصارم إبراهيم الباشقردى من ولاية أشموم الرمان، واستقر عوضه علاء الدين على بن المقدم.

وفى تاسع عشره: عزل قنق السيفى عن كشف الفيوم وولايتها، وكشف البهنسا وأطفیح، واستقر شاهين الكلبيكى عوضه. وعزل محمد بن صدقة بن الأعسر من الأشمونين، واستقر عوضه عز الدين أيدمر المظفرى.

وفى عشرينه: قدم رسول قرا محمد التركمانى، ورسول الملك الظاهر صاحب ماردين، بقدمومهما إلى الخابور ^(١)، ويستأذنان فى محاربة الناصرى، فأجبا بالثناء والشكر، وأنهما ادخرا لأهم من هذا. ودخل العسكر المصرى إلى دمشق يوم الإثنين سابع ربيع الآخر، فتلقيه الأمير حسام الدين طرُنطَاى النائب، واتفقوا على إرسال طائفة من أعيان الفقهاء إلى الناصرى؛ ليدخلوا بينه وبين السلطان فى الصلح، فساوا فى ثانى عشره بكتب الأمراء وهو فيما بين قارا ^(٢) والنبك ^(٣) فلما وصل الجماعة إليه تلقاهم ووعدهم بالجميل وأنزلهم فى مكان، ووكل بهم من يحفظهم. وقد سار من حلب بمن معه يريد دمشق. وقد أقبل الممالك السلطانية على الفساد بدمشق، واشتغلوا باللهو حتى نزل عليهم الناصرى، فى يزم السبت تاسع عشره، خان لاجين - خارج دمشق - فخرج فى يوم الأحد ويوم الإثنين حادى عشرينه عساكر مصر ودمشق إلى برزة ^(٤) والتقوا بالناصرى على خان لاجين وقتلوه قتالا شديدا، انكسر فيه مرتين من الممالك السلطانية. فعندما تنازلوا فى المرة الثانية أقلب الأمير أحمد بن يلغا رجمه، وصاح «فرج الله»، ولحق بعسكر الناصرى، ومعه مماليكه، وتبعه الأمير أيدكار والأمير فارس الصرغتمشى والأمير شاهين أمير آخور، بمن معهم، وقتلوا الممالك ومن بقى من أمراء مصر ودمشق، معاونة للناصرى، فثبتوا لهم ساعة، ثم انهزموا. فهجم مملوك من عسكر الناصرى يقال له يلغا الزينى الأعور، وضرب الأمير جركس الخليلى فقتله، وأخذ سلبه ^(٥)، وترك رمته بالعراء عارية مدة، إلى أن كفتته امرأة ودفنته. ومدت التراكميين أيديهم ينهبون من انهزم، ويأسرون من ظفروا به. ولحق الأمير أيتمش بدمشق، وتحصن بقلعتها. وتمزق سائر العسكر، ودخل الناصرى دمشق فى يومه بعساكره وجموعه، ونزل بالقصر من الميدان، وتسلم القلعة بغير قتال. وأوقع الحوطة على سائر ما للعسكر.

(١) اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة. انظر معجم البلدان ٣٣٤/٢.

(٢) قرية كبير من حمص. انظر معجم البلدان ١٨٢/٤.

(٣) قرية بين حمص ودمشق انظر معجم البلدان ٢٠٢/٥.

(٤) قرية من غوطة دمشق انظر معجم البلدان ٤٨٢/١.

(٥) ما يسلب من ثياب وسلاح ودابة انظر محيط المحيط.

وقيد أَيْتَمَش وطُرُنْطَاى نائب دمشق، وسجنهما بالقلعة. وتبع بقية الأمراء والماليك، فقبض من يومه على الأمير بَكْلَمِش العلّاي فى عدة من الممالك، واعتقلهم. ومدت الأجناد والتركمان أيديهم إلى النهب، وتبعهم أوغاد الناس، فما عفوا ولا كفوا، وتمادوا على هذا عدة أيام.

وفى رابع عشرينه: عزل سُنْقَرُ السيفى عن ولاية دمياط، واستقر عوضه ركن الدين عمر بن إلياس، قريب قُرْط.

وفى سادس عشرينه: استقر قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون فى مشيخة الخانقاة الركنية ببيرس، عوضا عن شرف الدين عثمان الأشقر بعد موته.

وفى سابع عشرينه: ورد الخير من غزاة بكسرة الأمراء والممالك فى محاربة الناصرى، واستيلائه على دمشق، وقتل الخليلى، والقبض على الأمير أَيْتَمَش وغيره، فاضطربت الناس بالقاهرة ومصر وظواهرهما اضطرابا عظيما، وغلقت الأسواق، وانتهبت الأخباز، وشغب الزعر، وتجمع أهل الفساد. وكان فى البلد وباء، والناس فى شغل بدفن موتاهم، فاشتد الخوف، وتزايد الإرجاف، وشنت القالة.

وفى ثامن عشرينه: صرف سراج الدين عمر بن منصور بن سليمان القرمى العجمى عن حسبة مدينة مصر، واستقر فى قضاء العسكر عوضا عن شرف الدين عثمان الأشقر. واستقر عوضا عنه فى حسبة مصر همام الدين العجمى. واستقر الشيخ شمس الدين محمد بن على البلالى الحلبي فى مشيخة سعيد السعداء، عوضا عن الشيخ شمس الدين محمد ابن أخى جاز الله النيسابورى بعد موته. واستقر شمس الدين محمد القليجى فى إفتاء دار العدل عوضا عن النيسابورى.

وفيه خرج السلطان إلى الإيوان، واستدعى الممالك، واختار منهم خمسمائة، وأنفق فيهم ذهباً حساباً عن ألف درهم فضة؛ ليتوجهوا إلى دمشق صحبة الأمير سودن الطرنطاي.

وفى تاسع عشرينه: أنفق فى خمسمائة مملوك ثم فى أربعمائة، لتتمة ألف وأربع مائة مملوك. ثم أنفق فى الممالك الكتابية، لكل مملوك مائتى درهم فضة.

وفى يوم الأربعاء أول جمادى الأولى: أنعم على كل من قرابغا أبو بكرى وبجاس النوروزى والى القلعة، وشيخ الصفوى، وقرقماس الطُشْتُمُرى بإمرة مائة وتقدمة ألف،

نقلوا إليها من إمرة الطبلخاناه. وأنعم على كل من أجبغا الجمالى الخازندار، وألطنبغا العثمانى رأس نوبة، ويونس الأسعدى الرماح، وفتح باى الألباوى اللالا، وأسن بغا الأربغون شاهى، وبغداد الأحمدي، وأرسلان السيفى اللفاف، وأحمد الأربغونى، وجرباش الشيخى، وألطنبغا شادى، وأروس بغا المنجكى، وإبراهيم بن طشتمر العلالى، وقراسك السيفى، بإمرة طبلخاناه، نقلوا إليها من إمرة العشرة. وأنعم على كل من السيد الشريف بكتمر الحسنى والى القاهرة - كان - وفتح باى الأحمدي بإمرة عشرين. وعلى كل من سيف الدين بطا الطولو عمرى، ويلغا السودونى، وسودن اليباوى، وتانى بك اليباوى، وأربغون شاه البيدمرى وأقبغا الجمالى الهذبانى، وقوزى الشعبانى، وتعزى بردى، وبكبلات السونجى وأردبغا العثمانى، وشكر باى العثمانى، وأسنبغا السيفى، بإمرة عشرة، وكانوا من جملة الممالك.

وفيه قدم البريد من قطيا بأن الأمير أينال اليوسفى، والأمير أينال أمير أخور، وإياس أمير أخور، دخلوا إلى غزة فى عسكر، فاشتد الاضطراب، وكثر الخوف، وبدا على السلطان سيماء الزوال. وفى يومه استدعى السلطان القضاة والأعيان وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى.

وبعث الأمير سودن الطرُنطاي والأمير قُرُقُماس الطشتمرى، فأحضرا الخليفة المتوكل على الله، فقام إليه السلطان وتلقاه وأجلسه، وأشار إلى القضاة فحلفوا كلا منهما للآخر، فحلفا على الموالاة والمناصحة، وخلع على الخليفة، وقيد إليه حجرة شهباء^(١) بسرج وكنبوش وسلسلة ذهب، فركب ونزل من القلعة إلى داره، وبين يديه الأمير بجاس النوروزى، وغيره، فى موكب جليل إلى الغاية، فكان يوما مشهودا. وأعيدت إقطاعاته ورواتبه، وأخلى له بيت بالقلعة ليسكنه، فنقل إليه حرمه، وسكنه، وصار يركب وينزل لداره، ويسير حيث شاء، من غير ترسيم، إلا أنه لا يبيت إلا بمنزله من القلعة وأفرج فيه أيضا عن الأمير أسنبغا السيفى ألباوى من خزانة شمایل، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وخيل وجمال وثياب وسلاح كبير.

وفيه عرض السلطان الممالك، وهم لابسين آلة الحرب، وقد ركبوا على خيولهم، وتفقد ما يحتاجون إليه، وأنعم عليهم به.

وفى يوم الجمعة: ثالثه قدم الأمير شهاب الدين أحمد بن بقر، أمير عرب الشرقية - ومعه هجان الأمير جركس الخليلى، وحدث السلطان بتفصيل وقعة الأمراء مع

(١) هى الأنتى من الخيل. انظر القاموس المحيط.

الناصرى، وأنه فر مع الأمير يونس الدوادار فى خمس نفر، فعارضه الأمير عتقاء بن شطى أمير آل مرا بالقرب من الخربة ^(١)، وأخذ يونس الدوادار وقتله، وبعث برأسه إلى الناصرى، ووقع الأمير أينال اليوسفى بيد حسن بن باكيش بالقرب من غزة، فبعث به إلى الكرك مقيدا. ففت ذلك فى عضد السلطان، واشتد قلقه، وانحط قدره، وزالت مهابته، واستشعر كل أحد ذهاب ملكه منه.

وفى رابعة: نودى فى القاهرة ومصر بإبطال سائر المكوس، فتفرق الكصاب وأرباب الشرط من مقاعدهم التى كانوا يجلسون بها لأخذ المكوس.

وفى سادسه: ركب الخليفة المتوكل على الله والأمير سودن الشيخونى - نائب السلطنة - وقضاة القضاة، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى، فكان الموكب للخليفة وبجانبه شيخ الإسلام وبين يديه النائب والحجاب والقضاة والأعيان، وداروا، ورجل على فرس أمامهم يقرأ من ورقة، أن السلطان قد أزال المظالم، وهو يأمر الناس بتقوى الله، ولزوم الطاعة، وأنا قد سألنا العدو الباغى فى الصلح، فأبى وقد قوى أمره، فاحفظوا دوركم وأمتعتكم، وأقيموا الدروب على الحارات والسكك، وقاتلوا عن أنفسكم وحرىمكم فتزايد خوف الناس وقلقهم، وشرعوا فى عمل الدروب وشراء الأقوات، والاستعداد للقتال والحصار. وكثر كلام العامة وانتقاصهم للدولة، وتجمع الزعر والدُّعَّار ينتظرون قيام الفتنة، لينتهبوا الناس. وألزم الوزير صاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام مباشرة جهات المكس بإحضار مكوس المبيعات، فاعتلوا بأن الناس امتنعوا من إعطاء المكس إعمادا على المنادة بإبطال المكوس، فالزمهم بمطالبة الباعة بمكس ما أبيع، فكثر بسبب ذلك اضطراب الناس، وتزايد طعنهم وهزؤهم بالدولة، وتناجوا فيما بينهم، وأكثروا من الجهر بقولهم: «السلطان من عكسه عاد فى مكسه». وبدا من الأمير قرا دمرداش وغيره تخذيل السلطان عن الحركة، وأنه يحصن القلعة، ويقاقل من ورائها. هذا وقد انقطعت الأخبار عن مصر، فإن مأمور نائب الكرك، وابن باكيش - نائب غزة - دخلا فى طاعة الناصرى. ومنعا أحدا أن يرد إلى مصر، فكثر الكلام إلى أن قدم أحد ممالك السلطان الذين حضروا الواقعة، وأخير بما أخبر به ابن بقر، وذلك فى سابعه، فزال الشك وتيقن كل أحد إدبار أمر السلطان.

وفى تاسعه: دمت طوائف من هواراة نجدة للسلطان، ونزلوا تحت القلعة ووقع الشروع فى حفر خندق القلعة، ومرة أسوارها، وتوعير طريق باب القلعة المعروف

بياب القرافة، وتوعير باب الحوش، وباب الدرفيل^(١) وسدت خوخة أيدغمش^(٢) حتى صار لا يدخل منها راكب فرس. ونودى بإبطال مكس النشا، ومكس النحاس، ومكس الجلود.

وفي عاشره - وهو يوم الجمعة: - دعى فى الخطبة بجوامع القاهرة ومصر، للخليفة المتوكل على الله قبل السلطان.

وفي ثاني عشره: اجتمع القضاة بالمشهد النفيسى لقراءة تقليد ولد الخليفة المتوكل بنظر المشهد المذكور، ثم توجهوا إلى رباط الآثار النبوية، وقرأوا صحيح البخارى، ودعوا الله تعالى للسلطان، وسألوه إحماد الفتنة.

وفي ثالث عشره: استقر قرا دمرداش أتابك العساكر، عوضا عن أَيْتَمَش البجاسى، وسودن باق أمير سلاح، وقرقماش الطشتمرى الخازندار دوادار عوضا عن يونس، وقرا بغا الأبو بكرى أمير مجلس، عوضا عن أحمد بن يلغا، وأقبغا الماردانى حاجب الحجاب، عوضا عن أيدكار، وعمرغا المنجكى أمير آخور، عوضا عن جركس الخليلى، وخلع عليهم كلهم.

وأنعم على صلاح الدين محمد بن محمد بن تنكز بإمرة طبلخاناه وعلى جليان الكمشبغاوى الخاصكى بإمرة طبلخاناة.

وفيه كثر الاهتمام بتحسين قلعة الجبل، ونقل الأحجار إليها؛ ليرمى بها فى المنجنيق، وأمر سكان القلعة بادخار القوت لشهرين، ورسم يجمع الحجارين لسد فم وادى السدرة بجوار الجبل الأحمر، وأن يبنى حائط بين باب الدرفيل وسور القلعة، وأن يبنى أيضا حائط من جوار باب الدرفيل إلى الجبل.

وفيه أيضا نودى بأن يركب من له فرس من أجناد الحلقة للحرب، ويخرج من ليس له فرس بنشاب يرمى به مع العسكر، أو يصعد إلى القلعة حتى يرمى من بين شرفاتها، فكثر الهرج، وشنع الكلام، وتزايد القلق، وصارت الشوارع كلها ملآنة بالخيول الملبسة آلة الحرب. وطلبت آلات القتال بكل ثمن، فكسب أربابها مالا جزيلا، وتحاكى الناس عدة منامات روأها، تدل على زوال دولة السلطان، ولهجوا بذلك.

وفي ثامن عشره: استقر الأمير قرا دمرداش الأتابك فى نظر المارستان المنصورى

(١) تقع هذه الأبواب الثلاثة فى سور القلعة الشرقى، تجاه جبل المقطم والخنديق. انظر المقرئزى، المواعظ والاعتبار ٢/٢٠٥.

(٢) هذه الخوخة فى حكم أبواب القاهرة. انظر المقرئزى، المواعظ والاعتبار ٢/٤٥.

بالقاهرة، وخلع عليه، ونزل إليه على العادة وتبعت عدة طرق تفضى إلى القلعة فسدت.

وفي سادس عشرينه: استقر فخر الدين عبد الرحمن بن مكناس بمفرده فى نظر الدولة من غير شريك، بعد وفاة رفيقه تاج الدين بن ريشة.

وفي سابع عشرينه: قدم الأمير علاء الدين الطشلاقى والى قطيا منهزما من عساكر الناصرى، فرسم للأمير حسام الدين حسين بن على بن الكورانى والى القاهرة، قسد الباب المحروق والباب الحديد - من أبواب القاهرة - وسد باب الدرفيل بجوار القلعة، والباب الجاور للقلعة المعروف قديما بباب سارية ويعرف اليوم بباب المدرج، تحت دار الضيافة. وسد عدة خوخ وأزقة، يتوصل منها إلى القلعة. وركب عند قناطر السباع ثلاثة دروب، أحدهما من جهة مصر، وآخر من طريق قبو الكرمانى، وآخر بالقرب من الميدان، وعمل عدة دروب آخر، وحفر خنادق كثيرة. هذا والموت بالطاعون فلتش فى الناس.

وأما الناصرى فإنه لما استقر بدمشق، نادى فى جميع بلاد الشام وقلاعها ألا يتأخر أحد عن الحضور إلى دمشق من النواب والأجناد، ومن تأخر - سوى من عين لحفظ البلاد - قطع خبزه، وسلبت نعمته. فاجتمع الناس إليه بأسرهم، وأنفق فيهم، وخرج من دمشق بعساكر كثيرة جدا، فى يوم السبت حادى عشر جمادى الأولى، وأقر فى نيابة دمشق الأمير جتتمر أخطاى وسار حتى نزل قطيا، ففر إليه من أمراء السلطان فى ليلة الثلاثاء ثامن عشرين جمادى الأولى سيف الدين طغتمنر الجركمى، وأرسلان اللفاف، وأرذبغا العثمانى، فى عدة من الممالك، ولحقوا بالناصرى بعد ما صدفوا الأمير عز الدين أيدمر أبو درقة - ملك الأمراء بالوجه البحرى - وقد سار لكشف الأخبار، فضربوه، وأخذوا جميع ما معه، وساقوه معهم، وفرت عنه مملكه.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: أنفق السلطان بالإيوان فى العسكر، فأخذ كل من الممالك السلطانية وممالك الأمراء الألوف وأجنادهم خمسمائة درهم فضة، واستدعاهم طائفة طائفة، وأعطى كل أحد بيده، وسار يخرضهم على القتال معه، وبكى بكاء كثيرا، وفرق جميع الخيول - حتى خيل الخاص - فى الأمراء والأجناد.

وفي أثناء ذلك كثرت الشناعة فى القاهرة بوصول الناصرى ومنطاش، فتزاحم الناس فى شراء الخبز، وغلقت الأسواق، ولبس جميع الأمراء آلة الحرب، وركبوا إلى القلعة،

ووقفوا بالرميلة^(١)، وحمل إلى الأمير أقبغا المارداني جملة مال من السلطان، ليفرق ذلك في الزعر وحملة السلاح من العامة؛ تقوية لهم ليقاتلوا مع العسكر، فاشتد خوف الناس من النهاية وصارت لهم اجتماعات وعصبيات. وافترقوا عدة أحزاب لكل حزب كبير وصاروا يخرجون إلى ظاهر القاهرة ويقتتلون بالحديد والمقاليع، ومن انفردوا من الناس أخذوا ثيابه، فتعطلت الأسواق وشغل كل أحد بما يترقبه من الخوف والنهب. واستعد الكافة للحصار، وأكثروا من شراء البقسماط والدقيق والدهن ونحو ذلك، ونقل من ذلك ومن الأغنام إلى القلعة شئ كثير جدا. وفي ليلة الأربعاء حضر بهادر وإلى العرب، وأخبر نزول الناصري إلى الصالحية، ومن معه من العساكر في جهده. وقد وقف لهم في الرمل عدة خيول، وأنه لما وجد الصالحية خالية من العسكر، سر بذلك وسجد لله شكرا، فإنه كان يحال لو تلقاه عسكر لما وجد فيمن معه منعة يلقي بها، وأن عرب العايد تلقاه بهم الأمير شمس الدين محمد بن عيسى وخدموا على العادة، وأحضروا الشعير وغيره من الإقامات. فرسم للأمير قرا دمرداش أن يتوجه لكشف الأخبار من جهة بركة الحبش؛ خشية أن يأتي أحد من قبل أطفيح، فسار لذلك. ورتب السلطان عسكره نوبتين، نوبة للحفظ بالنهار ونوبة للحفظ بالليل، وسير عدة من الأمراء إلى جهة مرج الزيات طليعة تكشف الخبر.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه: أنفق في ممالك أمراء الطبلخانة والعشراوات، فأعطى كل واحد أربعمائة درهم فضة، وأنفق في الحطيردارية والبزدارية والأرجاقية، وأعطاهم القسي^(٢) والنشاب^(٣)، ورتب كثيرا من الأجناد البطالين بين شرفات القلعة ومعهم القسي والنشاب وأنفق فيهم المال، واستدعى رماة قسي الرجل من الإسكندرية فحضرُوا، وأنفق فيهم، ورتبهم بالقلعة في يوم الأربعاء.

وفيه عاد الأمير سيف الدين قجماس ابن عم السلطان، ومن معه من مرج الزيات^(٤)، ولم يقفوا على خبر، فخرج ليلة الخميس الأمير سودن الطرنطاي في عدة من الأمراء إلى قبة النصر للحرس، وسارت طائفة أخرى إلى بركة الحبش. وبات السلطان بالإصطبل ساهرا لم ينم، ومعه النائب سودن وقرا دمرداش، وعدة من الممالك والأمراء.

(١) من قرى بيت المقدس. انظر معجم البلدان ٧٣/٣.

(٢) قسي مفردا قوس وهو آلة على هيئة هلال ترمى بها السهام ولها جمع آخر هو أقواس. انظر

الوجيز ٥١٩.

(٣) والنشاب النبل ومفردا نُشَابَة والنَّشَابُ صانع النَّشَاب. انظر المعجم الوجيز ٦١٥.

(٤) المرج والزيات ناحية بمركز شين القناطر بالقليوبية. القاموس الجغرافي ٣٩/١.

وفي يوم الخميس أول جمادى الآخرة: توجه الأمير قرا بغا الأبو بكرى إلى قبة النصر، وعاد ولم يقف على خير. وظل الأمراء نهارهم لابسين آلة الحرب، وهم على ظهور خيولهم بسوق الخيل تحت القلعة، ومعهم مماليكهم، ففر من ممالك السلطان اثنان، ومن ممالك الأمراء نحو الخمسين ولحقوا بالناصرى. ودارت النقباء على أجناد الحلقة، فحضرُوا إلى بيتى الأمير سودن النائب، والأمير أقبغا حاجب الحجاب، ففرقوا على أبواب القاهرة، ورتبوا بها لحفظها. ونذب الأمير ناصر الدين محمد بن الدوادارى - أحد أمراء الطبلخاناه - ومعه جماعة لحفظ قياصر القاهرة وأسواقها. وأغلق والى القاهرة باب البرقية، وأمر الناس بحفظ الدروب والخوخ، ورتبت النفطية على برج الطبلخاناه وغيره بالقلعة.

وقدم الخير بنزول طليعة ^(١) الناصرى بلبيس، ومقدمها الطواشى تُقْطَاى الطَشْتُمْرِى. وفي يوم الجمعة ثانيه نزلت عساكر الناصرى البير البيضاء ^(٢)، فتسلل إليه العسكر أولا بأول. فكان أول من يخرج إليه من القاهرة الأمير جبرائيل الخوارزمى، ومحمد بن يَيدُمُر نائب الشام، والأمير بجمان المحمدى نائب الإسكندرية، وغريب الخاصكى، وأحمد ابن أرغون الأحمدي اللالا.

فنصبت الصناجق السلطانية على برج القلعة، ودقت الكوسات الحربية، فاجتمع الأمراء والممالك السلطانية والأجناد. وركب السلطان والخليفة المتوكل على الله من القلعة بعد العصر، ووقف خلف دار الضيافة، وجميع من بقى من العسكر لابسون السلاح. واجتمع حوله من العامة ما لا يقع عليه حصر، ثم سار إلى الإسطبل، وجلس فيه. وصعد الخليفة إلى منزله بالقلعة وقد نزلت الذلة بالدولة، وظهر من جزع السلطان وبكائه ما أبكى الناس شفقة له ورحمة. فلما غربت الشمس صعد إلى القلعة.

وفي يوم السبت ثالثه: نزل الأمير يلبغا الناصرى بركة الجب ظاهر القاهرة، ومعه من الأمراء الأمير سيف الدين ثمر بغا الأفضلى المدعو منطاش، والأمير سيف الدين بزلار، والأمير سيف الدين كُمشبغا، والأمير أحمد بن يلبغا الخاصكى، والأمير مأمور، والأمير أيدكار، فى آخرين وتقدمت الطلائع إلى مرج الزيات وإلى مسجد تبر، ^(٣) فغلقت أبواب القاهرة كلها، إلا باب زويلة، وغلقت جميع الدروب والخوخ، وسد باب القرافة، وماج ^(٤) الناس، وانتشر الزعر وأهل الفساد فى أقطار المدينة، وأفسدوا.

(١) الطليعة وهى المقدمة من الجيش. انظر الوجيز ٣٩٣.

(٢) البئر البيضاء مركز من مراكز البريد بين سرياقوس وبلبيس انظر صبح الأعشى ٣٧٦/١٤.

(٣) مسجد تبر يقع هذا المسجد خارج القاهرة قريبا من المطرية بجوار سراى القبة حاليا، ويعرف بمسجد البئر والجميزة المقرئى المواعظ ٤١٣/٢.

(٤) ماج أى: اختلف القوم فى أمورهم واضطربت وماج الناس فى الفتنة. انظر الوجيز.

ونزل السلطان والخليفة من القلعة إلى تحت دار الضيافة، فقدم من الإسكندرية رماة قسى الرجل بالقسى محملة على الجمال، وهم نحو الثلاثمائة رام. ففرق فيهم مائة درهم لكل واحد، ورتبهم في عدة أماكن. ونودي في القاهرة ومصر بإبطال جميع المكوس^(١). وفرقت دراهم على العامة. وخرج كثير من العامة إلى بركة الحب، حتى شاهدوا عسكر الناصري وحدثوهم بما فعله السلطان من تحصين القلعة وغيرها.

وقدم الخبر بأن طليعة الناصري وصلت إلى الخراب طرف الحسينية فلقبهم كشافة السلطان وكسروهم، فسار الأمراء إلى قبة النصر، ونزل السلطان في بعض الزوايا عند دار الضيافة إلى آخر النهار، ثم عاد إلى الإسطبل وعاد إليه الأمراء والمماليك، والكوسات تدق، وهم جميعا على أهبة اللقاء، ومدافع النفوط^(٢) لا تفتقر، والرميلة قد امتلأت بالزعر والعامة ومماليك الأمراء، فلم يزالوا على ذلك حتى أصبحوا يوم الأحد، فإذا بالأمير علاء الدين أقبغا المارداني - حاجب الحجاب - والأمير جُمق بن الأمير أَيْتُمُش، والأمير صار الدين إبراهيم بن الأمير طشتمر الدوادر، قد فروا في الليل، ومعهم خمسمائة من ممالك السلطان، ومماليك الأمراء، ولحقوا بالناصرى.

وفي يوم الأحد رابعة: فر الأمير قُرُقْمَاس الطشتُمري الدوادر، والأمير قرا دمرداش الأحمدى، والأمير سودن باق، وصاروا في جملة الناصري، في عدة وافرة، بحيث لم يتأخر مع السلطان إلا طائفة من خاصكيتيه، من الأمراء، وابن عمه الأمير قَجْمَاس، وسودن الشيخونى نائب السلطنة، وسودن الطُرُنطاي، وتُمربغا المنجكى، وسيدى أبو بكر بن سُنُقُر، وبيبرس التمان تُمري، وشَنكَل المقدم، وشَيْخ الصفوى.

وفيه أغلق باب زويلة وجميع الدروب والخور^(٣)، وتعطلت الأسواق، وغصت القاهرة بالزعر، واشتد فسادهم، وتلاشت الدولة، واضمحل أمرها. وخاف والى القاهرة على نفسه، فقام من خلف باب زويلة، وسار بمن معه إلى منزله واختفى. وبقي الناس فوضى، فطمع المسجونون بخزانة شمائل، وكسروا قيودهم، وأتلفوا باب الخزانة، وخلصوا على حمية جملة واحدة، فتشبه بهم أهل سجن الديلم والرحبة، وخرجوا أيضا. واشتد الأمر حتى داخل الخوف كل أحد من الناس على نفسه وماله وأهله، وأمر السلطان من عنده من المماليك، فوقفوا تحت الطبلخاناه، ومنعوا العوام من التوجه إلى

(١) المكس: الضريبة يأخذها المكاس ممن يدخلون البلد من التجار، جمعها مكوس. انظر الوجيز.

(٢) النفوط وهو النفط مستخرج النفط من معدنه. انظر الوجيز.

(٣) الخوخ والخورجة كوة في البيت تؤدي إليه الضوء وباب صغير وسط باب كبير نصب حاجزًا

يلبغا الناصرى؛ لما بلغه من فعلهم بالأمس، فرجمهم العامة بالحجارة، فرماهم المماليك بالشباب، وقتلوا منهم عدة تزيد على العشرة.

وأقبلت طليعة الناصرى، فقاتلهم قجماس ابن عم السلطان، وكثر الرمي عليهم من فوق القلعة بالسهم والنفط والحجارة فى المقاليع^(١)، وهم يوالون الكر والفر، وأمر السلطان فى إدار، وأصحابه تتفرق عنه شيئا بعد شىء، وتصير إلى الناصرى. وكان السلطان قد فرق فى كل من الأمراء الكبار عشرة آلاف دينار، وفى كل من الطبلخاناه خمسة آلاف دينار، وفى كل من العشراوات ألف دينار، وأعطى الأمير قرا دمرداش فى ليلة واحدة ثلاثين ألف دينار، وحلفهم ألا يغدروا به، فما أغنى عنه ذلك شيئا، وفروا عنه، وصاروا مع عدوه عليه، ولم يتأخر عنده إلا من لا غنى فيه. وتكاثر الزعر يريدون نهب القاهرة لكثرة ما كان فيها من حواصل^(٢) الأمراء، فقاتلهم أهل الحارات والدروب، ومنعهم، فكان يوما فى غاية الشناعة. فلما كان آخر النهار أراد السلطان أن يسلم نفسه، فمنعه من بقى عنده، وهم قجماس ابن عمه، وسودن النائب، وسودن الطرنطاي، ومحمود الأستاذار، وبعض المماليك، وقالوا: «نحن نقاتل بين يديك حتى نموت». فلم يثق بذلك منهم، لكنه شكرهم على قولهم.

وقدم بعد العصر من عسكر الناصرى الطواشى طُقْطَاى الطَشْتُمَرى، والأمير بزلار العمرى، والأمير الطنبغا الأشرفى، فى نحو الألف وخمسمائة فارس، يريدون القلعة، فبرز إليهم الأمير بُطَا الخاصكى، والأمير شكريبه فى عشرين فارسا، فكسروهم إلى قبة النصر. فلم يغتر السلطان بذلك، وعلم أن أمره قد زال، فدبر لنفسه، وبعث الأمير المعروف بسيدى أبو بكر بن سُتْقَر الحاجب، والأمير بُيْدْمُر الجدى - شاد القصر - بالمنجاة إلى الناصرى؛ لياخذ له منه الأمان، فساروا فى خفية، واجتمعا بالناصرى خلوة، فأمنه على نفسه، وأمره بالاختفاء حتى يدبر له أمرا، فإن الفتنة الآن قائمة، والكلمة غير متفقة، فعادا إليه بذلك. فلما صلى العشاء الآخرة قام الخليفة إلى منزله بالقلعة، وبقي فى قليل من أصحابه، فأذن لسودن النائب فى توجهه إلى منزله، والنظر لنفسه، وفرق البقية، فمضى كل أحد لسبيله. واستقر حتى نزل من الإسطبل، فلم يعرف له خبر، وانفض ذلك الجمع من الأسوار وسكن دق الكوسات، ورمى مدافع النفط. ووقع النهب فى حواصل الإسطبل، فأخذوا منه نحو الألفى أردب من الشعير، ومائتى ألف درهم من الفلوس الجدد، وسائر ما كان فيه. ونهبوا أيضا ما كان فيه.

(١) المقاليع: مفردا مقلع وهو ما يرمى به الحجر. انظر الوجيز ٥١٣.

(٢) حواصل الأمراء: بقية الأمراء ومفردا حاصل. انظر الوجيز ١٥٦.

ونهبوا أيضا ما كان بالميدان من الغنم الضأن، وعدتها نحو الألفى رأس. ونبت طباق الممالك بالقلعة، واشتد بأس الزعر، وتخطفوا من مر بهم من الممالك والأجناد، وأخذوا ما عليه وأحاط أصحاب الناصرى بالقلعة، وأعلموا الناصرى بفرار السلطان، فثبت مكانه.

وزالت دولة الملك الظاهر كأن لم تكن، فكانت مدة تحكمه منذ قبض على الأمير طشتمر الدوادار فى تاسع ذى الحجة سنة تسع وسبعين وسبعمائة، إلى أن جلس على تخت الملك وتلقب بالملك الظاهر فى تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة، أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام.

ويقال له فى هذه المدة الأمير الكبير أتابك العساكر. ومن حين تسلطن إلى أن اختفى ست سنين، وثمانية أشهر، وسبعة عشر يوما فىكون مدة حكمه أميرا وسلطانا إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوما. وترك ملك مصر وله نحو الألفى مملوك اشتراهم، سوى المستخدمين. وكانت له فى مدته هذه آثار فاضلة، منها: إبطاله ما كان يؤخذ من أهل البرلس، وشورى^(١)، وبلطيم من أعم المصر شبه الجالية^(٢) فى كل سنة، وهو مبلغ ستين ألف درهم فضة، وما كان يؤخذ على القمح بثغر دمياط من المكس، وما كان يؤخذ من معمل الفراريج بالبحرية وأعمال الغربية بديار مصر، وما كان يؤخذ على الملح من المكس بعين تاب، وما كان يؤخذ على الدقيق بالبيرة من المكس، وما كان يؤخذ فى طرابلس عند قدوم النائب إليها من قضاة البر وولاية الأعمال، عن كل واحد مبلغ خمسمائة درهم، فى ثمن بغلة، ويقال لذلك «مقرر النائب»، وما كان يحمل فى كل سنة من الخيل والجمال والبقر والغنم من أهل الشرقية بديار مصر إلى من يسرح إلى العباسية؛ وما كان يؤخذ من مكس الدريس والحلفاء خارج باب النصر من القاهرة، وضمان المغانى بالكرك والشوبك من البلقاء^(٣) ومنية بنى خصيب، وزفتى^(٤) بديار مصر. وأبطل رعى الأبقار عند فراغ عمل الجسور على أهل النواحي. وأنشأ من العمائر المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة. ولم يعمر داخل

(١) شورى إقليم من البرلس قرب بلطيم معجم البلدان ج٣.

(٢) الجالية وجمعها حوالى وهى ما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية النوير نهاية الأردب ٢٣٦/٨.

(٣) البلقاء: مدينة بالشام من عمل دمشق سميت بالبلقاء بن سورية من بنى عييل بن لوط وهو

بناها. انظر معجم البلدان ٤٨٩/١، والروض المعطار ٩٧، وصبح الأعشى ١٠٦/٤.

(٤) زفتا بكسر أوله وسكون ثانيه وتاء مثناه من فوقها بلد بغرب الفسطاط من مصر ويقال له

منية زفتا. انظر معجم البلدان ١٤٤/٣.

القاهرة مثلها، ولا بأرض مصر والشام نظيرها، بعد مدرسة السلطان حسن، ولا أكثر معلوما منها، بعد خانكة شيخو. وله أيضا السبيل من الصهريج^(١) بقلعة الجبل من أحسن المباني، والسبيل تجاه الإيوان بالقلعة، والطاحون بالقلعة أيضا، وجسر الشريعة على نهر الأردن^(٢)، وطوله مائة وعشرون ذراعا فى عرض عشرين ذراعا. وجدد خزائن السلاح بالإسكندرية، وسور دمنهور^(٣) بالبحيرة. وعمر الجبال الشرقية بالفيوم، وزريرة البرزخ بدمياط، وقناة بالقدس. وبنى بحيرة برأس وادى بنى سالم، قريبا من المدينة النبوية.

وكان حازما، مهابا، محبا لأهل الخير والعلم، إذا أتاه أحد منهم قام إليه، ولم يعرف قبله أحد من ملوك الترك يقوم لفقيه، وقل ما كان يمكن قام إليه، وقل ما كان يمكن أحد من تقبيل يديه، إلا أنه كان محبا لجمع المال. وحدث فى أيامه تجاهر الناس بالبراطيل، فلا يكاد أن يلى أحد وظيفة ولا عملا إلا بمال، فترقى للأعمال الجليلة والرتب السنية الأراذل، وفسد بذلك كثير من الأحوال. وكان مولعا بتقديم الأسافل، وحط ذوى البيوتات، وغير ما كان للناس من الترتيب، وعادى أكابر التركمان والعربان ببلاد الشام ومصر والحجاز.

واشتهر فى أيامه ثلاثة أشياء قبيحة: إتيان الذكران، حتى تشبه البغايا لبوارهن بالغلمان، لينفق سوق فسوقهن، وذلك لاشتهاره بتقريب الممالك الحسان، وتهمة وأمراته بعمل الفاحشة فيهم. والتظاهر بالبراطيل^(٤) التى يستأديها، واقتدى الولاية به فى ذلك، حتى صار عرفا غير منكر ألبة.

وكساد الأسواق وقلة المكاسب، لشحه وقلة عطائه. وبالجملة فمساوئه أضعاف حسناته. ولقد بعث العبد الصالح جمال الدين عبد الله السكسيوى المغربى يخبر أبى - رحمهما الله - أنه رأى فى منامه أن قردا صعد منبر الجامع الحاكمى، وخطب ثم نزل، ودخل المحراب ليصلى بالناس الجمعة، فثار الناس عليه فى أثناء صلاته بهم، وأخرجوه من المحراب. وكانت هذه الرؤيا فى أخريات سلطنة الملك الأشرف شعبان ابن

(١) الصهريج حوض كبير للماء جمع صهاريج.

(٢) نهر الأردن اسم البلد وإن كن معربات. انظر معجم البلدان ١٤٧/١.

(٣) دمنهور بفتح أوله وثانية بلدة بينها وبين الاسكندرية يوم واحد فى طريق مصر متوسطة.

معجم البلدان ٤٧٢/٢.

(٤) البراطيل مفردا برطيل هو الحديد أو حجر طويل صلب خلقة تقريبهما الرحي، وحجر عظيم

مستطيل بقدر الذراع يبنى به. وأيضاً بمعنى الرشوة.

حسين^(١)، وفي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة. فكان تقدمه على الناس وسلطنته تأويل هذه الرؤيا، فإنه كان متخلقا بكثير من أخلاق القردة، شحا وطمعا وفسادا ورذالة، ولكن الله يفعل ما يريد.

* * *

السلطان الملك الصالح المنصور حاجي

ابن الملك الأشرف بن حسين بن محمد بن قلاون

ولما اختفى الملك الظاهر برقوق^(٢) في الليل، سار الأمير منطاش بكرة يوم الإثنين خامس جمادى الآخرة إلى باب القلعة، فنزل إليه الخليفة، وسار معه إلى الأمير يلبغا الناصري بقية النصر خارج القاهرة، وقد انضمت أوغاد العامة وزعرانها إلى التركمان من أصحاب الناصري، وتفرقوا على بيوت الأمراء وحواصلهم، فانتهبوا ما وجدوا، وشعثوا^(٣) الدور، وأخذوا أبوابها وكثيرا من أخشابها، وتطرقوا إلى منازل الناس خارج القاهرة، فانتهبوا كثيرا منها.

وقدم ناصر الدين محمد بن الحسام أستاذار أرغون هزكه وإلى البهنسا^(٤)، كان من قبل الناصري على أنه وإلى القاهرة، فوجد باب النصر مغلقا، فدخل بفرسه راكبا من الجامع الحاكمي إلى القاهرة، وفتح بابي النصر والفتوح.

واقترح كثير من عسكر الناصري المدينة، وعاثوا فيها، ومعهم من الزعر وأراذل^(٥) العامة عالم عظيم، وحاصروا الدروب والحارات والأزقة^(٦) ليدخلوا إليها وينهبوها،

(١) شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاون أبو المعالي، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاونية بمصر والشام ولي السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجي ٧٦٤هـ وقام بأمر الدولة في أيامه أتاكب العسكر الأمير يلبغا. انظر مورد الطاقة لابن تغري بردي ٨٧ وابن إياس ١: ٢١٢ وحسن المحاضرة ٢: ١٠٤ والدرر الكامنة ٢: ١٩٠ وللبداية والنهاية ٣٠٢/١٤ ٣٢٤ والأعلام ٣/ ١٦٤.

(٢) برقوق بن أنص - أو أنس - العثماني أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة وتلقب الملك الظاهر وانتادت إليه مصر والشام وقام بأعمال من الإصلاح وبنى المدرسة البرقوقية بين القصرين - بمصر - وخلع سنة ٧٩١هـ. انظر ابن إياس ١: ٢٥٨ و٢٩٠ والضوء اللامع ٣: ١٠ والأعلام ٢/ ٤٨.

(٣) شعت بفتحيتين انتشار الأمر. المصباح المنير ٢٣٩، وأيضا الشعت ما تفرق من الأمر.

(٤) البهنسا مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل وتضاف إليها كورة كبيرة وليست على ضفة النيل وهي عامرة كبيرة كثيرة الدخول انظر معجم البلدان ١/ ٥١٧.

(٥) الأراذل الدون الخسيس أو الرديء وجمعها أراذل. انظر المعجم الوجيز ٢٦٢.

(٦) الأزقة مفردا زقاق هو الطريق الضيق نافذا أو غير نافذ. انظر الوجيز ٢٨٩.

فمنعهم الناس وقتلواهم جهدهم، فغلب الزعر وأشباههم على حواصل الأمير محمود الأستادار، بالقرب من الجامع الأزهر، وأخذوا منه شيئا كثيرا، وغلبوا على عدة حوانيت للتجار بشارع القاهرة، ونهبوها، فقاتلهم الناس، وقتلوا منهم أربعة. فمر بالناس من الأحوال ما لا يوصف. وبلغ الخير الناصرى، فندب سيدى أبو بكر أمير حاجب وتنكر بغا رأس نوبة إلى حفظ القاهرة، فدخلها، ونودى بالأمان، وأن من ينهب شيئا، فلا يلومن إلا نفسه، ونزل تنكر بغا عند الجملون وسط شارع القاهرة، ونزل سيدى أبو بكر عند باب زويلة، فسكن الحال. وعندما أقبل الخليفة إلى وطاق الناصرى، قام إليه، وتلقاه، وأجلسه بجانبه، وحضر قضاة القضاة والأعيان للهناء. وأمر الخليفة فصار إلى خيمة، وأخرج القضاة إلى خيمة أخرى.

واجتمع عند الناصرى من معه من الأمراء لتدبير أمرهم، وإقامة أحد فى السلطنة، فأشار بعضهم بسلطنة الناصرى، فامتنع من ذلك، وانفضوا بغير طائل، فتقدم الناصرى بكتابة مرسوم عن الخليفة، وعن الأمير الكبير يلبغا الناصرى، بالإفراج عن الأمراء المعتقلين بالإسكندرية، وهم أَلطنبغا الجوبانى، وقردم الحسنى، وأَلطنبغا المعلم، وإحضارهم إلى قلعة الجبل وسار البريد بذلك، وأمر بالرحيل من قبة النصر، وركب فى عالم كبير من العساكر القادمين معه، وعدتهم فيما يقال نحو الستين ألفا، وأن عليق^(١) جماله فى كل ليلة ألف وثلاثمائة أردب. وسار إلى القلعة، فنزل بالإسطنبول السلطاني ونزل الخليفة بمنزله من القلعة، ونزلت الأمراء فى منازل أمراء الظاهر برقوق، وفى الحال حضر إلى الناصرى الوزير صاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام وموفق الدين أبو الفرج ناظر الخصاص، وجمال الدين محمود ناظر الجيش، وفخر الدين عبد الرحمن بن مكانس ناظر الدولة، والأمير ناصر الدين محمد ابن الحسام شاد الدواوين، وبدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، وسائر أرباب الوظائف وقاموا بخدمته، فتقدم إلى ابن الحسام بتحصيل الأغنام لمطابخ الأمراء. وإذا بالناس تصرخ تحت القلعة، وتشكوا من كثرة نهب التراكمين والزعر، فأمر الناصرى الأمير منكلى الحاجب، وسيدى أبو بكر حاجب الحجاب، وأقبغا الماردانى، وبلوط، فنزلوا إلى القاهرة ونودى بأن من نهب من الترك والتركمان والعامة فاقتلوه. ووقف ابن الحسام متولى القاهرة عند باب زويلة لمنع من يدخل إلى القاهرة، وقبض على ثلاثة من التركمان، وسجنوا بخزانة شمايل، فخفف الأمر. ونزل أيضا طائفة من الأمراء لحراسة القاهرة وظاهرها. ورسم للأمير تنكر بغا رأس نوبة بتحصيل ممالكك الظاهر برقوق، فأخذ فى تتبعهم.

(١) العليق ما تعلفه الدابة من شعر ونحوه. انظر المعجم الوجيز ٤٣١.

وأصبح الناس يوم الثلاثاء فى هرج ومرج وقلات كثيرة فى الظاهر برقوق. واستدعى الناصرى الأمراء وشاورهم فيمن ينصب فى السلطنة، حتى استقر رأى على إقامة الملك الصالح حاجى بن الأشرف، فإنه خلعه برقوق بغير موجب، فصعدوا من الإصطبل^(١) إلى الحوش بالقلعة واستدعوه، وأركبوه بشعار السلطنة من الحوش إلى الإيوان، وأجلسوه على تخت الملك به، ولقبوه بالملك المنصور، وقلده الخليفة أمور الناس على العادة، وقبل الأمراء الأرض بين يديه. ودقت البشائر، وقام إلى القصر وسائر أرباب الدولة بين يديه. ونودى فى الحال بالقاهرة بالأمان والدعاء للملك المنصور، والأمير الكبير بلبغا الناصرى، وتهديد من نهب، فاطمأن الناس.

ورتب الناصرى عند الملك المنصور بالقصر من الأمراء علاء الدين الطنبغا الأشرفى، وأرسلان اللفاف، وقراكسك، وأردبغا العثماني.

ورسم بمنع الأتراك والتركمان من دخول القاهرة. ونزل سيدى أبو بكر بن سنقر الجمالى، وتنكر بغا رأس نوبة، ونودى بين أيديهما بتهديد من نهب شيئا، وأقام تنكر بغا عند الجمالون وسط القاهرة، وأبو بكر بن سنقر عند باب زويلة، وأخرجوا من كان فى القاهرة من المماليك والتركمان.

وطلب الأمير حسين بن الكوراني، وخلع عليه عند الناصرى باستمراره على ولاية القاهرة، ونزل وقد سر الناس ولايته، فنادى بالأمان، والبيع والشراء، والدعاء للسلطان والأمير الكبير وتعين صاحب كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس مشير الدولة، وتعين أخوه فخر الدين عبد الرحمن لنظر الدولة على عادته، وأخوهما زين الدين نصر الله فى ديوان الأمير الكبير بلبغا الناصرى. فاستدعى الفخر ابن مكانس مباشرة الجهات، وأعاد جميع المكوس التى أبطلها الملك الظاهر، فأخذت من الناس على العادة. ونودى بأمان الجراكسة، وأن جميع المماليك والأجناد على حالهم لا يغير على أحد منهم شىء مما هو فيه، ولا يخرج عنه إقطاعه.

وفى يوم الأربعاء سابعه: قدم الجوباني وقردم وألطنبغا المعلم من الإسكندرية على البريد إلى الأمير الكبير، ونودى بأن من ظهر من المماليك الظاهرية فهو باق على إقطاعه، ومن اختفى بعد هذا النداء حل ماله ودمه للسلطان. ورسم لسودن النائب بلزوم بيته بطلا. وصار الأمير محمود الأستاذار إلى ابن مكانس المشير، وترامى عليه، فأصلح حاله على مال يحمله إلى الأمير الكبير، وجمع بينهما، فأمنه الأمير الكبير.

وفى ثامنه: اجتمع الأمراء وغيرهم فى القلعة للخدمة السلطانية، فأغلق باب القلعة، وقبض على تسعة من الأمراء المقدمين وهم الأمير سودن الفخرى الشيخونى نائب السلطنة، وسودن باق، وسودن الطرنطاي، وشيخ الصفوى، وقجماس الصالحى ابن عم الظاهر برقوق، وأبو بكر بن سنقر الحاجب، وأقبغا الماردىنى حاجب الحجاب، وبجاس النوروزى، ومحمود بن على الأستاذار، وقبض من أمراء الطبلخاناه على عبد الرحيم بن منكلى بغا الشمسى، وبورى الأهدى، وثمرغا المنجكى، ومنكلى الشمسى الطرخانى، ومحمد جمق بن الأمير أيتمش، وطوجى، وقرمان المنجكى، وحسن خجاء، وبيرس التمان تمرى، وأحمد الأرغونى، وأستبغا الأرغون شاهى، وقنق باى السيفى الجاى، وجرباش الشىخى، وبغداد الأهدى، ويونس الرماح الأسعردى، وأروس بغا الخليلى، وبطا الطولوتمرى، وقوص المحمدى، وتنكز العثمانى، وأرسلان اللفاف، وتنكز بغا السيفى، وألطنبغا شادى، وأقبغا اللاشينى، وبلاط المنجكى، وبجمان المحمدى، وألطنبغا العثمانى، وعلى بن أقتمر عبد الغنى، وإبراهيم بن طشتمر العلای، وخليل بن تنكزبغا، ومحمد بن الدوادارى، وسليمان بن يوسف الشهرزورى، وحسام الدين حسين بن على الكورانى الوالى، وبلبل الرومى الطويل، والطواشى صواب السعدى شنكل المقدم، ومقبل الدوادارى الزمام. ومن أمراء العشراوات أزدمر الجوكانى، وقمارى الجمالى، وجليان أخو مامق، وقلم طای ابن ألباى اليوسفى، وأقبغا توز الشىخونى وصلاح الدين محمد بن محمد بن تنكز، وعبدوق العلای، ويمنشاه الشىخونى، وطولو بغا الأهدى، ومحمد بن أرغون الأهدى، وإبراهيم بن الشىخ على ابن قرا، وغريب ابن حاجى، وأستبغا السيفى، وأحمد بن حاجى بك بن شادى، وأقبغا الجمالى الهذبانى، وأمير زاه بن ملك الكرج، وجليان الكمشبغاوى، وموسى بن أبى بكر بن سلار أمير طبر، وقنق باى الأهدى، وأمير حاج بن أيدغمش وكمشبغا اليوسفى، ومحمد بن أقتمر الصاحبى الحنبلى النائب، وأقبغا الناصرى حطب، ومحمد بن سنقر المحمدى، وبهادر القجاوى، ومحمد بن طغای تمر النظامى، ويونس العثمانى، وعبد الرحمن بن منكلى بغا الشمسى، وعمر بن يعقوب شاه، وعلى بن بلاط الكبير، ومحمد بن أحمد بن أرغون النائب، ومحمد بن بكتمر الشمسى، وألبغا الدوادار، ومحمد ابن يونس الدوادار، وخليل بن قرطای شاد العماير، ومحمد بن قرطای نقيب الجيش، وقطلوبك أمير جندار. وقبض على جماعة من المماليك.

وسفر قجماس ابن عم الظاهر برقوق إلى طرابلس على البريد. وأفرج عن شنكل المقدم، ومقبل الزمام، وشيخ الصفوى، ومحمد بن يونس الدوادار، وإبراهيم بن طشتمر

الدوادر، وعبد الرحيم وعبد الرحمن ابني منكلى بغا، ومحمد بن الدوادارى، و خليل
ومحمد ابني قرطاي، ويمن شاه، وقمارى، وحسين بن الكوراني، وعلى بن أقتمر عبد
الغنى، وتنكرز بغا، ويجمان، وبورى، وأقبغا اللاشيني، و خليل بن تنكرز بغا، وسليمان بن
يوسف الشهرزورى، وأزدمر الجوكاني، وجامان، وقمارى الجمالى، وابن ألبجى
اليوسفى، وابن أقتمر الحنبلى، وابن أيدغمش، وأحمد بن حاجى بك، وموسى أمير طبر.
وسجن البقية بالزردخانه.

وفيه نودى بالقاهرة ومصر وظواهرهما من أحضر السلطان برقوق وكان عاميا خلع
عليه، وأعطى ألف دينار، وإن كان جنديا أعطى إمرة عشرة، وإن كان أمير عشرة
أعطى طبلخاناة، وإن كان أمير طبلخاناة، أعطى إمرة مائة، ومن أخفاه بعد النداء شتى،
وحل ماله للسلطان، فكثر كلام العامة فى ذلك.

وفى ليلة الجمعة: حمل الأمراء المسجونون فى الحرايق إلى سجن الإسكندرية خلا
الأمير محمود. وعدتهم تسعة وعشرون أميراً، ونفى الممالك.

وفى يوم الجمعة تاسعه: قبض على ابن بقر، وابن عيسى العايدى، وابن حسن
السلطاني، وطولبوا بمال قرر عليهم، ثم أطلقوا.

وفى عاشره: أفرج عن أقبغا الماردانى بشفاعة صهره أحمد بن يلبغا، فأعيد من الحراقة
ومعه محمد بن تنكرز، ورسالن اللفاف.

وورد الخبر باجتماع طائفة كبيرة من الممالك الظاهرية بناحية أطفيح، فتوجه إليهم
الأمير منطاش، وعاد ولم يلقيهم.

وفيه نودى ثانيا على الملك الظاهر، وهدد من أخفاه، فكثر الدعاء من العامة له،
وعظم الأسف على فقدته وثقلت وطأة أصحاب الناصرى على الناس، ونفروا منهم،
فصار العامة يلهجون كثيرا، بقولهم: «راح برقوق وغزلانه وجاء الناصرى وثيرانه».

وفيه قبض على الأمير محمود وولده محمد، وقيد ب قيد زنته أربعون رطلا، وقوائمه
عشرة أرتال. وجعل فى عنقه ثلاث باشات (١).

وفى حادى عشره: استقر الشريف بكتمر بن على الحسينى فى كشف الجيزة، وابن
الطشلاقى فى ولاية قطيا على عادته. وقبض على الطواشى بهادر الشهابى مقدم
الممالك، كان. وقد حضر مع الناصرى، وختم على حواصله. وذلك أنه اتهم بأنه
أخفى السلطان الملك الظاهر، وأخرج منفيا إلى قلعة المرقب، هو وأسنبغا الجنون.

(١) الباشا لقب من ألقاب الشرف استعمل فى تركيا والبلاد التى خضعت لها. انظر الوجيز ٣٣.

وفي ثانی عشره: سجن الأمير محمود بالزردخاناه، وهو مقید. وقبض على شیخ الصفوی، وسجن. وألزم حسین بن الکورانی الوالی بطلب الممالیک الظاهرية، فنادی علیهم بالقاهرة ومصر، وهدد من أخفاهم.

وفیه أمر الوالی تجار القاهرة بنقل قماشهم من الحوانیت ^(١)، وخوفهم من النهب، فاضطرب الناس، وكثر كلامهم، وتوهموا اختلاف الدولة، وقیام الفتنة، وأخذوا فی الاحتراز.

وفیه كثر فساد التزکمان، وأخذوا النساء من الطرقات، ومن بعض الحمامات، وسلبوا من انفردوا به ثیابه، من غیر أن يتجاسر ^(٢) أحد علی منعهم. وكثر أيضا ضرر الزعر وإخافتهم الناس.

وفیه أمر العسكر بنزع السلاح، وكانوا فی هذه الأيام لا يزالوا بالسلاح علیهم وعلى خيولهم، فلا ترى أمیرا ولا مملوكا ولا جنديا إلا لابس آلة الحرب.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره: غُمز علی الملك الظاهر برقوق. وذلك أنه لما نزل من الإسطبل فی الليل مختفيا مضى إلى بیت أبی یزید - أحد أمراء العشراوات - واختفى بداره، فلم يعرف خبره، والطلب له يشتد، وهجم علی عدة بیوت بسبیه، فلم يوجد. ونكر النداء علیه، فخاف أن يؤخذ بالید، فلا یبقى علیه، فأعلم الأمير الطنبغا الجوبانی بمكانه، فصار إليه، وقيل إنه نزل من الإسطبل ومعه أبو یزید لا غیر، فتبعه نعمان مهتار الطشت خاناه إلى الرمیلة، فرده. ومضى هو وأبو یزید إلى أن أخلی له مكانا اختفى فيه. وأخذ الناصری يتتبع أثره حتى سأل المهتار نعمان عنه، فأخبره أنه نزل ومعه أبو یزید، وإنه لما تبعه رده، فأمر حينئذ حسین بن الکورانی بإحضار أبی یزید، فشدد فی طلبه، وهجم بیوتا كثيرة، فلم یقف له علی خبر، فقبض جماعة ممن يعرفه وقررههم، فلم يجد عندهم علما به. وما زال یفحص حتى دله بعضهم علی مملوك أبی یزید، فقبض علی امرأة المملوك وعاقبها، فدلته علی أبی یزید، وعلى الملك الظاهر، وأنهما فی بیت رجل خیاط بجوار بیت أبی یزید، فمضى إلى البیت، وبعث إلى الناصری یعلمه، فأرسل إليه الأمراء. وقيل إنه لما نزل من الإسطبل كان نحو نصف ليلة الإثنين، فسار إلى النیل وعدی إلى الجيزة، ونزل عند الأهرام، وأقام ثلاثة أيام ثم عاد إلى بیت أبی یزید، فأقام عنده إلى يوم الثلاثاء ثالث عشره، حضر مملوك أبی یزید إلى

(١) الحانوت: الحانة والدكان جمعها حوانیت. انظر المعجم الوجیز ١٧٦.

(٢) يتجاسر والجسور هو الشجاع وجمعها جُسُرٌ. انظر معجم الوجیز ١٠٥.

الناصرى، وأعلمه بأن الظاهر فى داره أستاذة، فأحضر أبا يزيد وسأله، فاعترف أنه عنده، فأخذته الأمير الطنبغا الجوبانى، وسار به إلى حيث الظاهر، فأوقف الجوبانى من معه، وصعد إليه وحده. فلما رآه الظاهر قام له، وهَمَّ أن يقبل يده، فاستعاذ بالله من ذلك. وقال: «يا خوند أنت أستاذنا، ونحن ممالكك». ثم ألبسه عمامة وطيلسة، ونزل به وأركبه وشق به الصليبة نهارا، حتى مر فى الرملة، إلى أن صعد به إلى الناصرى فى الإصطبل، فحبس بقاعة الفضة من القلعة. وألزم أبو زيد بإحضار ما للظاهر عنده، فأحضر كيسا فيه ألف دينار، فأنعم به عليه، وخلع عليه، وخلقى عنه. ورتب لخدمة الظاهر مملوكان وغلّامه المهتار نعمان، وقيد بقيد ثقيل.

وفى خامس عشرة: أفيض على الخليفة المتوكل تشريف جليل. وخلع على بدر الدين محمد بن فضل الله عند قراءة عهد الملك المنصور، وألبس الأمراء الذين قدموا مع الناصرى أقبية مطرزة بذهب. واستقر حسام الدين حسن بن على الكجكنى فى نيابة الكرك، عوضا عن مأمور القلمطاوى. وأنعم على مأمور بإمرة مائة، بديار مصر.

وفى سابع عشرة: توجه حسن لنيابة الكرك.

وفى تاسع عشرة: قدم البريد من دمشق بأن الأمير أقبغا الصغير، والطنبغا استادار جَنَّتْمُر، اجتمع عليهما نحو الأربعمئة من الممالك الظاهرية ليركبوا على جَنَّتْمُر نائب دمشق، ويملكوا منه البلد. فلما بلغ جَنَّتْمُر ذلك، ركب وكبسهم على حين غفلة، فلم يفلت منهم إلا اليسير، وفيهم أقبغا الصغير.

وفيه أنعم على من يذكر من الأمراء، وخلع عليهم وهم: الأمير سيف الدين بزلار العمرى استقر فى نيابة دمشق، والأمير سيف الدين كمشبغا الحموى فى نيابة حلب^(١)، وسيف الدين صندق السيفى نائب طرابلس، وشهاب الدين أحمد بن محمد ابن المهندس فى نيابة حماة.

وفى حادى عشرينه: عرض الأمير الطنبغا الجوبانى الممالك الظاهرية، وأخرج من المستخدمين مائتين وثلاثين لخدمة المنصور، وسبعين من المشتروات، نزلهم بالطباق من القلعة وفرق من عداهم من الأمراء.

وكان الغرض بالإصطبل، وأنعم على كل من أقبغا الجمالى الهذبانى أمير أخور

(١) حلب بلدة عظيمة قديمة ذات قلعة مرتفعة حصينة وبها مقام إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ولها بساتين قلائل ويمر بها قويق وهى على مدرج العراق وهى بين جبل قنسرين . انظر تقويم البلدان ٢٩٩، والروض المعطار ١٩٦، ١٩٧، وصبح الأعشى ١١٦/٤.

ويلبغا السودونى، وتانى بك الیحیای، وسودن الیحیای، بإمرة عشرة فى حلب، ورسم بسفؤهم مع النائب.

وفى ليلة الخميس ثانى عشرينه: رسم بسفر الملك الظاهر بروق إلى الكرك^(١) فأخرج من قاعة الفضة ثلث الليل إلى باب القرافة - أحد أبواب القلعة - ومعه الأمير ألطنبغا الجوبانى، فأركبه هجينا، وعين معه من ممالیکه ثلاثة ممالیک صغار وهم: سوذن، وقطلوبغا، وأقبای. وسار به إلى قبة النصر خارج القاهرة، وأسلمه إلى الأمير شمس الدين محمد بن عيسى العائدى، فتوجه على عجرود إلى مدينة كرك الشوبك، وسلمه إلى الأمير حسام الدين حسن الكجكنى نائبها، فأنزله بالقلعة فى قاعة النحاس. وكانت ابنة الأمير يلبغا العمرى - امرأة مأمور - بالكرك، فقامت له بما يحتاج إليه من الفرش والآلات. وقدمت له أسمطة تليق به واعتنى حسن الكجكنى بخدمته أيضا، وكان الناصرى قد أوصاه له، وقرر معه إن رابه أمر من شىء يبلغه عن منطاش فليفرج عن الظاهر، فاعتمد ذلك، وصار يتلطف به ويعده بالتوجه معه إلى التركمان، فإن له فيهم معارف. وحسن القلعة، وصار لا يرح عنه، ويأكل معه، حتى أنس به، وركن له، واطمأن إليه.

وفى يوم الخميس: خلع على نواب الشام خلع السفر.

وفيه استقر سيف الدين قطلوبغا الصفوى فى نيابة صفد، وسيف الدين بغاجق السيفى فى نيابة ملطية^(٢).

وفيه نودى بالقاهرة ومصر أن الممالیک الظاهرية يخدموا مع نواب الشام، وألا يقيم أحد منهم بديار مصر، ومن تأخر بعد النداء حل دمه وماله، ونودى بذلك من الغد.

وفى رابع عشرينه: برز النواب بالريدانية خارج القاهرة للسفر.

وفى سادس عشرينه: أخلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر أتابك العساكر، وعلى الأمير ألطنبغا الجوبانى واستقر رأس نوبة النوب، وعلى الأمير سيف الدين قرا دمرداش الأحمدي، واستقر أمير سلاح، وعلى الأمير شهاب الدين أحمد بن يلبغا واستقر أمير مجلس، وعلى الأمير سيف الدين تمرباى الحسنى، واستقر حاجب الحجاب.

(١) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمئة قرية. انظر معجم البلدان ٤/٥٣، والروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) ملطية بلدة من بلاد الروم مشهور فى الشام وهى للمسلمين. انظر معجم البلدان.

وخلع على قضاة القضاة الثلاثة: جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكي، وشمس الدين محمد الطرابلسي الحنفى، وناصر الدين نصر الله الحنبلى. وخلع على صدر الدين محمد المناوى مفتى دار العدل، وعلى بدر الدين محمد بن على بن فضل الله العمرى كاتب السر، وعلى الوزير صاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وعلى موفق الدين أبى الفرج ناظر الخاص، وعلى جمال الدين محمود القيصرى ناظر الجيش، وعلى فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس ناظر الدولة، وعلى ناصر الدين محمد بن الحسام شاد الدواوين، وعلى مقدمى الدولة والخاص، باستمرارهم على وظائفهم.

وفيه أعيد السيد الشريف شرف الدين على بن السيد فخر الدين إلى نقابة الأشراف. وصرف السيد جمال الدين عبد الله الطباطبى. واستقر كُمشبغا الأشرفى الخاصكى نائب قلعة الروم. ولم يخلع على قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن بنت ملىق، لتوعكه وانقطاعه.

وفيه رحل النواب من الريدانية، وسافروا إلى البلاد الشامية، وسافر معهم كثير من التركمان وأجناد الشام وأمرائها.

وفيه نودى ألا يتأخر بديار مصر أحد من الممالك الظاهرية، إلا أن يكون فى خدمة السلطان أو الأمراء، ومن تأخر شُنق.

وفيه أخذ قاع النيل، فجاء خمسة أذرع وعشرون أصبعًا. ونودى فى يومى الأربعاء والخميس أن التركمان والعربان يرجعوا إلى الشام.

رأخلع يوم الخميس تاسع عشرينه على قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن بنت ملىق، وعلى بدر الدين محمد بن شيخ الإسلام البلقينى قاضى العسكر وعلى أخيه جلال الدين عبد الرحمن مفتى دار العدل، وعلى شهاب الدين أحمد الدفري مفتى دار العدل المالكي، وعلى نجم الدين محمد الطنبدى محتسب القاهرة، وعلى همام الدين العجمى محتسب مصر، وعلى شمس الدين محمد الدميرى ناظر الأحباس، وعلى بقية أرباب الوظائف، باستمرارهم على وظائفهم. وأخلع أيضا على الأمير علاء الدين أقبغا الجوهري واستقر أستاذار السلطان، وعلى الأمير آلبغا العثمانى واستقر دوادارًا كبيرًا، وعلى الأمير علاء الدين الطنبغا الأشرفى واستقر رأس نوبة ثانيا، وعلى الأمير سيف الدين جُلبان العلاى واستقر حاجبا، وعلى سيف الدين بىلاط العلاى واستقر حاجبا، وعلى سيف الدين قطلوبك السيفى واستقر أمير جاندار بإمرة طبلخاناه، وعلى ابن شهرى واستقر نائب دُوركى.

وفيه قدم البريد بوصول الأمير نعيم بن حيار بن مهنا أمير العربان ^(١) إلى دمشق، قاصداً رؤية الملك المنصور. ولم يحضر قط في الأيام الظاهرية.

وفيه قدم فتح الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن الشهيد، كاتب سر دمشق وفي سلخه: فرق الناصري المثالات ^(٢) على الأمراء، وجعلهم أربعة وعشرين تقدمة. ونودي في القاهرة ومصر بالأمان، ومن ظلم أو غبن، أو قهر من مدة عشرين سنة فعليه بباب الأمير الكبير يَلْبَغَا أو حاجب الحجاب، حتى يأخذ حقه. وفيه كُبت بيوت الأسرى، وأخذ منها جرار الخمر، وكسرت تحت القلعة. وفي يوم السبت أول شهر رجب: زعق زامر على باب السلسلة تحت الإسطبل - حيث سكن الأمير الكبير - فاجتمع الأمراء والمماليك، ولم يعهد هذا الزمر قط بمصر، وذكروا أنها العادة في بلاد حلب، فلما اجتمع العسكر ركب الأمير الكبير يلبغا وسار إلى جهة البحر وعاد.

وفيه عقد مجلس بالمدرسة الصالحية بين القصرين، وحضر القضاة والفقهاء، وجرىء بابن سبع من السجن. وقد شهد عليه بأشياء شنيعة، وأرد أخصامه إراقة دمه عند القضاة المالكية، فكثرت سعيه بالمال حتى فوض أمره للقضاة الشافعية، ليحكموا بحرق دمه، ثم أعيد إلى السجن.

وفي ثلثه: استقر الأمير حسام الدين حسين بن باكيش في نيابة غزة على عادته، وسيف الدين بوري الأحمدي لالا السلطان، وبهاء الدين أرسلان اللفاف السيفي، وسيف الدين قراكسك، وسيف الدين أردبغا العثماني، رعوس نوب، وأخلع عليهم. وفيه رسم أن يكون رعوس نواب السلحدارية والسقاة والجمدارية ستة لكل طائفة، على ما كانوا أولاً، قبل أن يستقر الملك الأشرف شعبان بهم ثمانية، في سنة ست وسبعين، بزيادة اثنين في كل طائفة. واستقر قُطْلُوبُك السيفي في ولاية قلعة الجبل، عوضاً عن بَجَاس. واستقر زين الدين فرج السيفي أمير جاندار بإمرة طبلخاناه. وولى شهاب الدين أحمد بن زين الدين عمر ^(٣) القرشي الواعظ قضاء القضاة بدمشق، عوضاً عن سري الدين محمد بن المسلاتي، وأضيف إليه نظر الجامع الأموي، وخلع على الجميع.

(١) العربان من العرب أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام المعجم الوجيز ٤١٢.

(٢) المثالات ومفردها مثال أول ما يكتب من الأوراق الرسمية إيذاناً بإعطاء أحد المماليك إقطاعاً من الإقطاعات الحالية.

(٣) أحمد بن عمر بن أبي الرضى أبو الخير، شهاب الدين [..... ٧٩١هـ = ١٣٨٩م] قاضي من أهل حماة بسورية ولى القضاء بحلب ثلاث مرات وكان عالماً بالقراءات، له فيها نظم سماه «عقد البكر» وله منظومات.

وفى خامسه: قدم الأمير نُعَيْرُ، وخرج الأمير الكبير إلى لقائه، ومعه سائر الأمراء، وقدم سرى الدين المسلاتى معه.

وفى سادسه: صعد الأمير نُعَيْرُ إلى القلعة، وقبل الأرض بحضرة السلطان فخلع عليه، وأنزل بالميدان الكبير تحت القلعة.

وفيه أخلع على الأمير ألابغا الدوادار، واستقر فى نظر الأحباس، وعلى قُرُقْماس الطَشْتُمُرَى، واستقر خازندارا.

وفيه عُقد عند الأمير الكبير مجلس بسبب ابن سبع، وحضر القضاة والفقهاء، وكثر الكلام إلى أن قال قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد بن خلدون للأمير الكبير: «يا أمير، أنت صاحب الشوكة، وحُكْمُك ماضٍ فى الأمة، ومهما حكمت به نُفذ». فحكم الأمير الكبير بحقن دمه وإطلاقه، فأفرج عنه، ولم يعهد قط أن أحدا من أمراء الترك ولا ملوكهم حكم فى شيء من الأمور التى من عادة القضاة الحكم فيها، إلا أن قضية ابن سبع هذا كانت قد شُنِعت ^(١) وطال أمرها، وكثر التعصب فيها، فقوم يريدون قتله، وقوم يريدون إطلاقه، وجبَّ القضاة عن إمضاء شيء من ذلك، حتى عُمل ما ذكر، وهى من غريب ما وقع.

وفى ثامنه: أخلع على الأمير نعيم خلعة السفر.

وفى ثالث عشره: أنعم على الطواشى صواب السعدى شنكل بإمرة عشرة، وأخذت منه إمرة الطبلخاناه. ولم يقع مثل ذلك، أن يكون مقدم الممليك بإمرة عشرة قط. وقبض على الأمير سيف الدين بهادر الأعسر القجاوى المهندار، ونفى إلى غزة.

وفيه أخلع الملك المنصور على شخص، وعمله خياط السلطان، فطلبه الأمير الكبير وأخذ منه الخلعة وضربه ضربا مبرحا، وأسلمه إلى شاد الدواوين، ثم أفرج عنه بشفاعة أحمد بن يلبغا، فشق ذلك على المنصور وقال: «إذا لم ينفذ مرسومى فى خياط، فما هذه السلطنة؟» وسكت على مضض ^(٢).

وفى خامس عشره: قبض على الأمير سيف الدين قراكلشك، ونفى.

وفى سابع عشره: رُسم بالإفراج عن الأمراء المسجونين بثغر الإسكندرية، لشفاعة الأمير نُعَيْرُ فيهم.

(١) شُنِعَ شناعة أى: اشتد قبحه فهو شنيع وهى شنعاء. انظر معجم الوجيز ٣٥٢.

(٢) مضض: التألم ويقال قبله على مضض انظر الوجيز ٥٨٤.

وفى ليلة الثلاثاء ثامن عشره: توجه أربعون أميراً من المقدمين والطبلخاناه والعشراوات إلى الشرقية للكبس على العريان الزهيرية^(١)، وقد كثر عبتهم، وعظم فسادهم فى الريف، وصارت لهم جموع. يذبح لهم فى بعض الأوقات أربعمائة رأس من الغنم و البقر، حتى يكفيهم أكلة واحدة من كثرتهم.

فسار الأمراء، وفيهم الأمير الطنبغا الجوبانى، ومنطاش، وقرا دمرداش، وشنوا الغارات فى السباخ وبلاد أشموم^(٢) الرمان، وقتلوا جماعة، وأخذوا نحو الثلاثمائة رجل وألف فرس، وعادوا بهم، فسمر منهم فى خامس عشرينه نحو الثمانين رجلا، وطيف بهم على الجمال ومشاة، ثم أفرج عنهم.

وفى سابع عشرينه: استقر طغنجى فى نيابة البيرة^(٣)، وسافر، واستقر بدر الدين محمود الكلستانى السراى فى قضاء العسكر، عوضا عن سراج الدين عمر العجمى. واستقر إمام الدين محمد بن العلاف - وكان مؤدب أطفال مصر ثم اتصل بالناصرى بحلب، فصار إمام الأمير الكبير - فى حسبة مصر، عوضا عن همام الدين.

وفى أول شعبان: أمر المؤذنون بالقاهرة ومصر أن يزدوا فى الآذان لكل صلاة بعد الفراغ منه «الصلاة والسلام عليك يا رسول الله» عدة مرار.

وسبب هذا أن رجلا من الفقراء المعتقدين سمع فى ليلة الجمعة بعد آذان العشاء الآخرة «الصلاة على النبى ﷺ»؛ فأعجبه ذلك، وقال لأصحابه: «أتحبون أن يعمل هذا فى كل آذان؟». قالوا «نعم» فبات وأصبح، وقد زعم أنه رأى رسول ﷺ فى منامه يأمره أن يقول لنجم الدين الطنبدى المحتسب يأمر المؤذنين أن يصلوا عليه عقيب كل آذان، فمضى إلى الطنبدى - وكان فى غاية الجهل - فسرّه قول هذا الرأى، وأمر بذلك، فاستمر إلى يومنا من سنة عشرين وثمانمائة.

وفى يوم الإثنين ثانى شعبان: استقر علاء الدين على البيرى الحلبى - موقع الأمير

(١) الزهيرية منسوب إلى بنى زهير وهم بطن من حزام من القحطانية القلقشندى. نهاية الأرب ص ٢٥٦.

(٢) بلاد أشموم اسم لبلدة بمصر وهى قرب دمياط وهى مدينة الدقهلية. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

(٣) البيرة: من كور الأندلس جليلة القدر جند دمشق من العرب وكثير من موالى الإمام عبد الرحمن بن معاوية، وهو الذى أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك. انظر معجم البلدان ٥٢٦/١، والروض المعطار ٢٨، ٢٩، والعذرى ٨٨. بلد قرب شُميساط بين حلب والفرغور الرومية وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان.

الكبير - فى توقيع الدست، وأخلع عليه. واستقر قطلوبك النظامى، نائب الوجه القبلى، عوضا عن مبارك شاه. واستقر أرسبغا المنجكى كاشف الوجه القبلى، عوضا عن أبو درقة. واستقر قطلوبغا التركمانى والى الفيوم^(١) عوضا عن شاهين العلاى. واستقر تمرز العلاى والى البحيرة، عوضا عن أيذمر الشمسى أبو زلطة.

وفيه نودى على النيل ثلاثين أصبعا.

واستقر مقبل الطيبى والى قوص، عوضا عن أبى بكر بن موسى بن الدينارى. وقبض على أقبغا اللاجينى ونفى إلى الشام. واستقر أمير مَلَك - قريب جنتمر أخى طاز - فى نيابة الرحبة، بتقدمة ألف.

وفيه أنزل بالممالك السبعين، الذين رتبوا فى الطباق بالقلعة، وفرقوا على الأمراء. ورُسم أيضا بإبطال المقدمين والسواقين والطواشية ونحوهم، وأنزلوا من القلعة، فاتضع أمر الملك المنصور.

وفيه حضر من الإسكندرية الأمير أبو بكر بن سنقر، ومنكلى الطرخانى وطرجى الحسنى، وعبد الرحمن بن منكلى بغا، فسفر الطرخانى وطرجى إلى الشام بغير خبز. ولزم أبو بكر وعبد الرحمن منزلهما بطالين.

وفى خامسه: استقر أقبغا الفيل فى ولاية الشرقية^(٢)، عوضا عن قُطلوبك السعدى.

وفى سادسه: نودى بوفاء النيل ستة عشر ذراعا، وهو سادس مسرى أيضا، ففتح الخيخ على العادة.

وفى ثانى عشره: أخلع على الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس، واستقر مشير الدولة. وعلى أخيه زين الدين نصر الله لنظر الإسطبل، واستقر صاحب ديوان الأمير الكبير، ونزلا وبين أيديهما زامر يزمر، ولم يعهد مثل هذا بمصر قط.

وفيه أشيع أن منطاش تنكر مع الأمير الكبير، وتأخر عن الخدمة، وأظهر أنه متضعف؛ ففطن الأمير الكبير بأنه يريد عمل مكيدة، ولم ينزل لعيادته.

وبعث إليه الأمير أَلطُنْبغا الجوبانى فى يوم الإثنين سادس عشره، فدخل عليه وقضى

(١) الفيوم وهى بلدة بمصر فهى ولاية غربية بينها وبين القسوطا أربعة أيام.

(٢) الشرقية مدينة شرقى مدينة المنصورة لأنها فى الجانب الشرقى. انظر معجم البلدان

حق العيادة، وهم بالقيام، فقبض عليه، وعلى عشرة من مماليكه، وضرب قُرْقماس دواداره، فمات من ذلك بعد أيام. وركب منطاش حال مسكه الجوباني فى أصحابه إلى باب السلسلة، وأخذ جميع الخيول التى كانت واقفة هناك. وأراد اقتحام الباب ليأخذ الناصرى على غفلة، فلم يتمكن من ذلك، وأغلق الباب. ورمى عليه ممالك الناصرى من أعلى السور، فعاد ومعه الخيول إلى داره وهى قريب من الرميلى، ^(١) يجوار مدرسة السلطان حسن، ونهب بيت الأمير أقبغا الجوهرى، وأخذ خيله وقماشه، وأصعد إلى مدرسة السلطان حسن الأمير تنكزيغا رأس نوبة، والأمير أزدُمُر الجوكانى دوادار الظاهر برقوق فى عدة ممالك، وحمل إليها النشاب والحجارة، فرموا على من فى الرميلى من أصحاب الناصرى من أعلى المأذنتين وجوانب القبة.

وألبس الناصرى ممالكه السلاح، وتلاحقت الممالك الأشرفية والظاهرية بمنطاش، وصار فى فارس، بعد ما كانت عدة من معه أولا نحو السبعين فارسا. وأتاه من العامة عالم كبير، فترامى الفريقان واقتتلا.

ونزل الأمير حسام الدين حسين بن الكوراني والى القاهرة، والأمير مأمور الحاجب، من عند الأمير الكبير. ونودى فى الناس بنهب ممالك منطاش والقبض على من قدروا عليه، وإحضاره إلى الأمير الكبير، فخرج عليهما طائفة من المنطاشية، وضربوهما وهزموا من معهما، فعادوا إلى الناصرى. ولحق الوالى بالقاهرة، وأغلق أبوابها. واشتدت الحرب، وتقرب منطاش من العامة ولاطفهم، وأعطاهم، فتعصبوا له، وتزاحموا على التقطع النشاب الذى يرمى به أصحاب الناصرى على منطاش، وأتوه به، وبالغوا فى المخاطرة معه، حتى كان الواحد بعد الواحد منهم يثب فى الهواء، ويختطف السهم وهو مار، ويأتى به منطاش.

ولا يزالون فى نقل الحجارة إلى مأذن مدرسة حسن. وأقبل الليل وهم على ذلك، فبات منطاش ليلة الثلاثاء على باب مدرسة حسن، والرمى لا يبطل، وأتاه طوائف من الظاهرية حتى أصبح يوم الثلاثاء، وقد زادت أصحابه على الأف فارس، فأتاه ممالك الأمراء وغيرهم شيئا بعد شيء، حتى خشن جانبه، واشتد بأسه. فبعث الناصرى بالأمير يجمان والأمير قرأبغا الأبو بكرى فى طائفة كبيرة، ومعهم المعلم أحمد بن الطولونى، وكثير من الحجارين، لينقبوا بيت منطاش من ظهره حتى ينحصر. فبعث إليهم عدة من

(١) الرميلى وهو منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد قرية نحو مكة وهى أيضا قرية بالبحرين لبنى محارب. والرميلى من قرى بيت المقدس. انظر معجم البلدان ٧٣/٣.

جماعته قاتلوهم، وأخذوا بجمان والأمير قرايغا وهزموا من معهما، فرتب الناصري عدة رماة على الطبلخانة، وعلى مدرسة الأشرف، فرموا على منطاش بالمدافع والنشاب، فقتل عدة من العوام، وجرح كثير، ونزل الأمير أحمد بن يلبيغا والأمير جحق بن أيمش في جمع كبير، وطرردوا العامة، وقتلوا منهم وجرحوا عددا كبيرا، فحملت العامة في فرسان منطاش عليهم حملة واحدة، وهزموهم أقبح هزيمة.

واستمر ذلك بينهما حتى انقضى النهار، وأقبل إلى منطاش الأمير أقبغا المارداني بطلبه، وصار من جماعته، فتسلل الأمراء عند ذلك واحدا واحدا بعد ذلك، وأتوه. وكل من يأتيه من الأمراء يוכל به من يحفظه، ويبحث به إلى داره، ويأخذ مماليكه، يقاتل بهم. فلما رأى حسين الكوراني جانب الناصري قد انهضم، خاف واختفى، فطلب منطاش ناصر الدين محمد بن ليلى نائب حسين بن الكوراني، وولاه ولاية القاهرة، وألزمه بتحصيل النشاب. ونزل إلى القاهرة وحمل إليه كثيرا من النشاب. ونادى في القاهرة بالأمان والبيع والشراء وإبطال المكوس والدعاء للأمير منطاش بالنصر، فبعث الناصري الخليفة المتوكل إلى منطاش، فحدثه في الصلح وإخماد الفتنة، فقال: «أنا في طاعة السلطان، وموافقة الأمراء. لكن الناصري غريمي، فإنه حلف لي وأنا بسيواس، وحلف لي بحلب ودمشق، أننا نكون شيئا واحداً، وأن السلطان يتحكم كيف يشاء. فمنع السلطان من التصرف واستبد هو بالأمر، وأخرج بزلار إلى الشام، وبعثنى إلى قتال الفلاحين، ولم يعطني شيئا من المال، سوى مائة ألف درهم. وأخذ لنفسه أحسن الإقطاعات، وأعطاني أضعفها، تعمل في السنة ستمائة ألف درهم. ووالله ما أنا براجع عنه حتى أقتله أو يقتلني، أو يقيم سلطانا يستبد بالأمور».

فقام الخليفة وأعاد الجواب على الناصري، فركب بمن معه ونزل في جمع كبير لقتال منطاش، فبرز إليه وقاتله وكسره، ففوى. وأتاه من الأمراء عبد الرحيم بن منكلي بغا، وصلاح الدين محمد بن تنكز ومعه خمسة أحمال نشاباً، وثمانون حمالا عليها المأكول، وعشرون ألف درهم، فنزل الأمير قرا دمرداش وأحمد بن يلبيغا، وألطنبغا المعلم، ومأمور، في جمع موفور لقتال منطاش، فقاتلهم، واشتد الرمي عليهم من أعلى مدرسة حسن، فرجعوا خائبين. وأتاه العوام بنشاب كثير مما التقطوا من الرميعة، فترقق لهم، وقال أنا واحد منهم ونحو ذلك، وهم يذلون نفوسهم في خدمته. وهذا الرمي شديد من القلعة على مدرسة حسن، ومنها على القلعة. وظفر منطاش بحاصل لجر كس الخليلي، وبحاصل ليكليش، فأخذ منهما نشابا كثيرا، تقوى به.

ونزل إليه الأمير مأمور، وكشلى، وجُمُتْ بن أيتمش فى عدة كبيرة، فبرز إليهم العامة، وأكثروا من رميهم بالحجارة حتى كسروهم مرتين، إلا أن الرمى من القلعة اشتد على من بأعلى المدرسة، وأصاب حجر من حجارة المدافع القبة، خرقتها، وقتل مملوكا من المنطاشية، فبعث منطاش من أحضر إليه ناصر الدين محمد بن الطرابلسى، وكان أستاذًا فى الرمى بمدافع النفط. فلما جاءه جرده من ثيابه ليوسطه من أجل تأخره عنه، فاعتذر إليه، ومضى فى طائفة من الفرسان، وأحضر الآلات، وصعد أعلى مدرسة حسن، ورمى على الإسطبل حيث سكن الناصرى، حتى أحرق جانبًا من الخيمة، وفرق ذلك الجمع، وفر السلطان والناصرى إلى موضع امتنع فيه.

ولم يمض النهار حتى بلغت فرسان منطاش نحو الألفين، وبات الفريقان لا ييطان الرمى، حتى أصبحا فى يوم الأربعاء وقد جاء كثير من ممالك الأمراء إلى منطاش، وأتاه الأمير تُمرباى الحسنى حاجب الحجاب، والأمير قُرْدُم الحسنى فى جماعة من الأمراء، وصاروا فى جملة. وانتدب لقتاله الأمير قرا دمرداش وأحمد بن يلغا فهزمهما مرارا عديدة. وفى كل ساعة يتسلل طائفة من أصحاب الناصرى إلى منطاش، وتبعث العامة بالأتراك، وصاروا من وجدوه منهم قالوا «ناصرى أو منطاشى؟» فإن قال «منطاشى» تركوه وأتوه به إلى منطاش، وإن قال «ناصرى» أنزلوه عن فرسه وأخذوا ما عليه وسجنوه حتى يأتوا به إلى منطاش. وتكاثروا على بيت الأمير أيدكار حتى أخذوا أيدكار وساقوه إلى منطاش، فأكرمه وأتاه الأمير الطنبغا المعلم أيضا، فعين لهما جهة يقفا بها ويقاتلا هناك. وبعث إليه الأمير قرا دمرداش يستأذنه فى الحضور إليه طائعا فلم يأذن له وأتاه الأمير بُلُوط الصرغتمشى بعدما حاربه عدة مرار، وحضر أيضا جمق بن أيتمش طائعا فاعتذر فقبل عذره. فلما أذن العصر اختل أمر الناصرى وصار فى عدد قليل، فلم يثبت وفر هو وقرا دمرداش، وأقبغا الجوهرى، وابن يلغا، والأبغا الدوادار، وكشلى، فى نفر من الممالك، بعد ما أغلق باب الإسطبل. وصعد إلى القلعة وخرج من باب القرافة، فبعث أهل القلعة إلى منطاش بذلك، فسار بمن معه وصعد إلى الإسطبل، ووقع النهب فيه، فأخذ منه من الخيل والقماش والمال شىء كبير جدا. وتفرق الزعر والعامة إلى دور المنهزمين يريدون نهبها، فأخذوا ما قدروا عليه، ومنعهم الناس من عدة مواضع.

وبات منطاش بالإسطبل. وأصبح يوم الخميس تاسع عشره، فصعد القلعة إلى السلطان، وأعلمه أنه فى طاعته، وممثل سائر ما يرسم به، وتقدم إلى رعوس النوب بجمع الممالك وإنزالهم فى الطباق على العادة. ونزل إلى الإسطبل، فأحضر إليه بالأمير أحمد

ابن يلبغا، والأمير مأمور، فحبسهما بقاعة الفضة. وأخرج الأمير يجمان الحمدي إلى الإسكندرية، فسجن بها. وكتب بإحضار الأمير سودن الفخري النائب. واستدعى الوزير صاحب كريم الدين بن الغنام، وبقيّة المباشرين، وأرباب الدولة، فأتوه. وقبض على كريم الدين بن مكانس، فوكل به من يحفظه، وقبض على الأمير يلبغا الناصري من ناحية سرياقوس، فسجن بقاعة الفضة من القلعة.

وفي العشرين منه: قبض على الأمير قرا دمرداش.

وفيه استقر الأمير سيف الدين دمرداش القشتمري في نيابة الكرك، وخلع عليه، ثم انتقض ذلك من يومه. وقبض أيضا على الأمير الطنبغا المعلم، وكشلى القلمطاوى، وأقبغا الجوهري، والطنبغا الأشرفي، وألابغا العثماني، وتمرباي السيفي، وتمرباي الأشرفي، وفارس الصرغتمشي، وكمشبغا شيخ اليوسفي، وعبدوق العلای، وبعثهم بأجمعهم إلى الإسكندرية.

وفي حادي عشرينه: أنعم على الأمير إبراهيم بن قطلو أقتمر أمير جاندار بإمرة مائة، واستقر أمير مجلس.

وفيه سار البريد بإحضار الأمير قطلوبغا الصفوى نائب صفد، والأمير أسندمثر الشرفي بن يعقوب شاه، والأمير تمان تمر الأشرفي، وعين لكل منهم إمرة مائة. وفيه ضرب كريم الدين بن مكانس، وعصر مرتين بخزانة شمایل، فحمل مالا كبيرا من حاصل لجر كرس الخليلي.

وفي ثاني عشرينه: قبض على الأمير تمرباي الحسنی حاجب الحجاب، ويلبغا المنجكي، وإبراهيم بن قطلو أقتمر، أمير مجلس.

وفيه استقر ناصر الدين محمد بن لیلی فی ولاية القاهرة، وخلع عليه، وأخرج الطواشي تقطای الطشتمري إلى الشام، على إمرة طبلخاناه.

وفي ثالث عشرينه: قبض على الأمير أرسلان اللفاف، وقرأكسك السيفي، وأيدكار العمری، وفرزد المارداني، وعدة مماليك.

وفي خامس عشرينه: ظهر فخر الدين بن مكانس ناظر الدولة، والتزم بحال، فخلی عنه، واستمر على وظيفته، وقبض على الطواشي مقبل الدواداري الزمام، وجوهر اليلبغاوى لالا الملك المنصور.

وفيه أنعم على الطنبغا دوادار الناصري بإمرة في صفد، وعلى بكتمر دواداره أيضا بإمرة في طرابلس، وعلى رأس نوبته بإمرة في حلب.

وفي سادس عشرينه: نقل قُطْلُوْبَكَ النظامى من نيابة الوجه القبلى إلى نيابة صفد، عوضا عن قُطْلُوْبغا الصفوى، وأعيد الأمير مبارك شاه إلى نيابة الوجه القبلى. وأنعم على إبراهيم بن قُطْلُوْ أتمتر أمير جانداز بإمرة مقدمة فى حلب، وأخرج إليها من يومه. وأخرج قراكسك إلى طرابلس على إمرة.

وفيه عذب الطواشى زين الدين صندل المنجكى على ذخائر الملك الظاهر، وعصر مرارا حتى دل عليها. واستقر شمس الدين بن الرويهب فى نظر الدولة، رفيقا للفخر بن مكانس؛ وخلع عليهما.

وفيه ألزم كتاب الدولة بمال فوزع على كل أحد بحسبه. وأعيد همام الدين إلى حسبة مصر، عوضًا عن إمام الدين. وأعيد سراج الدين عمر العجمى إلى قضاء العسكر.

وفي ثامن عشرينه: وصل الأمير سودن النائب من الإسكندرية، فأمر بلزوم داره. وقدم من الشام الأمير منكلى الشمسى الحاجب، وطوحى الحسنى، فأخرجوا إلى مدينة قوص^(١) منفيين. وحبس الأمير أَلْطَنْبغا الجوبانى فى قاعة الفضة بالقلعة.

وفيه أنفق الأمير منطاش على من قاتل معه، فأعطى مائة منهم ألف دينار لكل واحد، وأعطى جماعة عشرة آلاف لكل منهم، ودونهم لكل واحد خمسة آلاف درهم، ودونهم طائفة لكل منهم ألف درهم، وطائفة لكل واحد خمسمائة درهم، وطائفة لكل منهم مائتى درهم.

وفي تاسع عشرينه: خلع على زين الدين نصر الله بن مكانس، واستمر على نظر الإسطبل بمال يحمله.

وفي يوم الثلاثاء ثانى شهر رمضان: استدعى منطاش المماليك الظاهرية وأغلق عليهم باب السلسلة، وقبض على نحو مائتى منهم. وبعث بالأمير جلبان الحاجب، والأمير بلاط الحاجب، فقبضا على كثير من الظاهرية.

وأخذ منطاش خيولهم، وقيدوا الجميع، وسجنوا فى اليرج بالقلعة ونودى « من أحضر مملوكا من ممالك برقوق فله كذا »، وهدد من أخفى أحدا منهم، وتبعت أسبابهم وأتباعهم وألزموا بهم. وقبض أيضا على الأمير أقبغا الماردانى، وقيد بعد ما خلع عليه بولاية الوجه القبلى، عوضا عن مبارك شاه، ثم عصر حتى يقر على المماليك الظاهرية.

(١) مدينة قوص مدينة قبطية وهى كبيرة عظيمة واسعة. قصبة صعيد مصر بينها وبين القسوطاط.

وفي ثالثة: قبض على الأمير سودن النائب وألزم بمال يحمله، وقبض على الأمير قردم الحسيني بعد ما أفرج عنه، وقبض على بوري الأحمدي، وأرغون السلامي، وشاهين أمير أخور، وبهادر فطيس أمير أخور، وجماعة من المماليك، واشتد الطلب على الظاهرية.

وفي رابعة: ضرب الأمير أقبغا المارداني، وضرب عبد الرحيم ابن الصاحب كريم الدين بن مكائس فحمل مالا. وألزم سودن النائب بحمل ستمائة ألف درهم، أنعم عليه بها في الأيام الظاهرية.

وفيه نودي بتجهيز الناس للحج مع الأمير أبي بكر بن سنقر.

وفيه وقف الناس تحت القلعة، وطلبوا إعادة حسين بن الكوراني إلى الولاية، فإن الزعر اشتدت شوكتهم، وشنع ضررهم، فإن منطاش كان قد استدعاهم، وأنفق فيهم ستين ألف درهم، وجعل عليهم عرفاء.

فأجابهم إلى ذلك، وبعث إليه أمانا، فحضر إليه من اختفائه، واستقر في الولاية، وخلع عليه فنزل في موكب عظيم.

وفي خامسة: نودي على الظاهرية، وهدد من أخفى أحدا منهم، وقبض حسين الوالي على جماعة منهم، وقيدهم، وسجنهم. وتتبع أيضا الزعر^(١) وأخذ ثمانية من كبارهم، ثم أخذ ستة أيضا، وقطع أيديهم في يوم الأحد سابعه، وشهرهم. وأحضر خفراء الحارات وألزمهم بإحضار الزعر، فأخذوا من كل موضع، وسجنوا بخزانة شمائل، فسكن شهرهم.

وفيه قبض على عدة من الظاهرية والناصرية وسجنوا.

وفي ثامنة: قدم الأمير قطلوبغا الصفوي نائب صفد، والأمير أسندمر الشرفي بن يعقوب شاه، فأنعم عليهما بالإمرة.

وفيه قبض على من كان في خدمة الأمراء من الناصرية، ومن كان بطالاً، فأخذوا بأجمعهم من البيوت والإصطبلات، وحبسوا بخزانة شمائل في القيود.

وفيه ظفر منطاش بذخيرة للظاهر، كانت بجوار الجامع الأزهر من القاهرة.

وفيه أفرج عن الأمير محمود الأستاذار، وخلع عليه، وخلي لسبيله.

وفي تاسعة: قبض على الشريف عنان بن مغامس، وحبس مقيداً.

وفيه ورد البريد بخروج الأمير نُعير عن الطاعة، غضبا للأمير يلغا الناصري، واتفق هو وسولى بن دلغادر التركمانى، ونهبوا عدة من البلاد الحليية، وأن الأمير بزلار نائب دمشق خرج عن الطاعة أيضا.

وفيه استقر أبو بكر بن المزوق فى ولاية الشرقية، وعزل آقبا الفيل.

وفى عاشره: قدم من الإسكندرية فى النيل إلى بولاق ساحل القاهرة عدة من الأمراء المسجونين، فرسم الأمير منطاش بأن يتوجه منهم ألطنبغا العثمانى، وبطا الطولوتمُرى، وألطنبغا شادى، وعبدوق العلاى، إلى دمياط. ويتوجه منهم تمرُغا المنجكى، وقرمان المنجكى، وقُنق بآى السيفى، وبيرس التمان تُمرى، وطوجسى الحسنى، وقوصون المحمدى، وحسن خُجا، ومُقبل الرومى، وبغداد الأحمدى، ويونس الأسعردى، وبلاط المنجكى، وطولوبغا الأحمدى، وتمة خمسة عشر، إلى قوص.

وفيه حمل الأمير سوذُن النائب مالا، واستمر الطلب عليه.

وفى حادى عشره: قبض على الأمير أرغون البجمقدار العثمانى، بعد ما كان أخص الناس بمنطاش، وقيد وعُصر.

وفى ثالث عشره: أخرج الطواشى صواب السعدى شَنكل من القلعة، وأعيد الطواشى جوهر إلى مقدمة الممالك عوضه، واستقر صارم الدين إبراهيم بن بلرغى فى ولاية القلعة، عوضا عن جُلبان أخى مامق.

وفيه أنعم على كل من يذكر بإمرة مائة وتقدمة ألف وهم: قُطلوبغا الصفوى، وناصر الدين محمد بن الأمير منطاش، وأسندمُر بن يعقوب شاه وتَمَّان تُمُر الأشرفى، وأيدكار العمرى، وأسندمر الشرفى - رأس نوبة منطاش -، وجنتمر الأشرفى، ومنكلى بيه الأشرفى، وتكا الأشرفى، ومنكلى بغا خازندار منطاش، وصراى تُمُر دوادار منطاش. وتُمُرُغا الكرىمى، وألطنبغا الحلبى، ومبارك شاه.

وأنعم على كل من يذكر بإمرة طبلخاناه وهم: الشريف بَكْتُمُر بن على الحسنى، وأبو بكر سُنقر الجمالى، ودمرداش القَشْتُمُرى، وعبد الرحمن بن منكلى بغا، وجُلبان السعدى وأروس بغا سلنغر السيفى، وإبراهيم بن طَشْتُمُر، وصُرُغا الناصرى، وتنكز الأعور الأشرفى، وصراى تُمُر الأشرفى، وآقبا المنجكى، وتَلَكْتُمُر المحمدى، وقرايغا السيفى، وقُطلوبغا الزينى، وتُمُرُغا المنجكى، وأرغون شاه السيفى، ومُقبل السيفى، ومنطاش أمير سلاح، وطَيرس السيفى رأس نوبة، وبَيرم خُجا الأشرفى، وألطنبغا

الجربغاوى، ومنجك الزينى، ويزلار الخليلى، ومحمد بن أسندثر العلاى، وطاش بغا السيفى، وإلياس الأشرفى، وقطلوبغا السيفى، وشيخو الصرغتمشى وجلبان السيفى وألطنبغا الطازى، وإسماعيل السيفى، وحسين بن الكورانى.

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرين، وهم: غريب خطاى، ويائنجى الأشرفى، ومنكلى بغا الجوبانى، وقرابغا الأحمدى، وآق كبك السيفى، وفرج شاد الدواوين، ورمضان السيفى، ومحمد بن مغلطاي المسعودى والى مصر.

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرة وهم: صلاح الدين محمد بن محمد بن تنكز، وخضر بن عمر بن بكتمر الساقى، ومحمد بن يونس الدوادار، وعلى الجركتمرى، ومحمد بن رجب بن محمد التركمانى، ومحمد بن منكوتمر عبد الغنى، وجوهر الصلاحى، وإبراهيم بن يوسف بن بلرغى، ولؤلؤ العلاى، وتنكز العثمانى، وصراى تمر الشرفى، ومنكلى بغا المنجكى وشيخون الأرغون شاهى، وأقسنقر الأشرفى، وتمربغا النظامى، وطاز الأشرفى وجركس القرا بغاوى، وأسنبغا التاجى، وسنقر السيفى، وكزل الجوبانى، وقربغا الشهابى، وقطلوبغا الزينى، وألطنبغا أمير سلاح، وبك بلاط الأشرفى، وكمشبغا الطشتمرى، ويبيغا العلاى، ويلبغا التركمانى، ورشباغ الأشرفى، وحاجى اليلبغاوى، وأرغون الزينى، ويلبغا الزينى، وتمر الأشرفى وجنبغا الشرفى، وجمق السيفى، وأرغون شاه البكلمشى، وألطنبغا الأشقر، وصراى تمر السيفى، وألطنبغا الإبراهيمى، وآقبغا الأشرفى، وألبغا السيفى.

وفى خامس عشره: نودى على الزعر، من حمل منهم سيفاً، أو سكيناً، أو شالق بحجر، ووسط، وتتبعوا، فقطع الوالى فى ثامن عشره أيدى ستة منهم.

وفى تاسع عشره: قدم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء من دمشق.

وفيه استقر عمر بن خطاب فى ولاية الغربية، عوضاً عن أمير فرج بن أيدمر، بحكم انتقاله إلى كشف الوجه البحرى: وقبض على الأمير محمود.

وفى عشريته: قدم البريد بأن الأمير بزلار نائب دمشق قبض عليه الأمير جنتمر أخو طاز.

وفيه نزع الأمير منطاش عنه آلة الحرب، وأمر العسكر والأمراء بنزعها فنزعوها. وفى هذه المدة كلها كانوا بأجمعهم لابسين آلة الحرب.

وفى حادى عشريته: قبض على جمق بن أيتمش، وبيرم العلاى رأس نوبة أيتمش.

وفيه قدم سيف بَزَلار نائب دمشق. وكان من خيره أن منطاش لما غلب على الأمر، كتب يستدعيه في ثلاثة سروج على البريد، فأجاب: «لا أحضر إليه إلا في ثلاثين ألفاً» فكتب إلى الأمير جَتْمَر، بولاية دمشق أن اقبض عليه. ثم سير إليه التشريف والتقليد، وكتب إليه بأن يكون محمد شاه بن بيدمر أتابك دمشق، وجيرائيل حاجب الحجاب، فتعاون الجماعة عليه وقبضوه، ففر دواداره وأظهر الخلاف، وانضم إليه طائفة كبيرة خارج دمشق.

وفيه قدم البريد من غزة بأن الملك الظاهر برقوق خلص من السجن، واستولى على مدينة الكرك، ووافقه حسن الكجكني النائب، وقام في خدمته وقد حضر إليه ابن خاطر أمير بنى عقبة - عرب الكرك - ودخل في طاعته، فاضطرب منطاش.

وكان من خبر الظاهر أن منطاش لما تحكم بمصر بعث شخصاً يعرف بالشهاب البريدي إلى الكرك، ومعه كُتُب إلى الأمير حسام الدين حسن الكجكني بقتل الظاهر. وكان هذا الشاب من أهل الكرك، وتزوج بابنة عماد الدين أحمد بن عيسى المقيري قاضى الكرك، ثم شجر بينهما، فما زال به حتى طلقها، وزوجها بغيره. وكانت جميلة، فشق عليه فراقها، وخرج من الكرك. وضرب الدهر ضرباته، فكان من قيام منطاش ما قد ذكرنا، فاتصل به، ووعدته بأنه يقتل له الملك الظاهر برقوق. فكتب معه إلى الأمير حسن الكجكني بمعاونته على قتل الظاهر، وأن ينزله بالقلعة، فمضى على البريد ونزل بالمقير، بلد القاضى عماد الدين. ولم يكرم ما في نفسه من الحقد، وقال: «والله لأخوين دياره، وأزيد في أحكار أملاكه، وأملاك أقاربه بالمقير، فأوحش قلوب الناس منه». وقام في الليل يريد دخول مدينة الكرك، وبعث إلى النائب من يصيح به من تحت السور، فمنعه من ذلك وأحس بالشر. فلما أصبح، أحضره إلى دار السعادة، وقرأ كتاب السلطان، وكتاب الأمير منطاش بأمور آخر. فلما انفض الناس أخرج إليه الكتاب بقتل الظاهر، فقام من فوره ودخل على الملك الظاهر بعد أن أنزل الشهاب في مكان بالقلعة - اختاره قريباً من الموضع الذى فيه الظاهر - وأوقفه على الكتاب، فكاد أن يهلك من الجزع^(١)، فحلف عند ذلك بكل يمين أنه لا يسلمه أو يموت. وما زال به حتى سكن روعه.

هذا، وقد اشتهر في المدينة بجيء الشهاب، وكثر الكلام فيه، وثقل على الناس، وخافوا شره. وأخذ يلج في العجلة بقتل الظاهر، والنائب يدافعه إلى أن قال له: «هذا ما أفعله بوجه حتى أكتب إلى مصر بما أعرفه».

(١) جزع الشيء جزعاً جزأه وقطعه. انظر المعجم الوجيز ١٠٤.

وبعث البريد بأنه لا يدخل في هذا الأمر، ولكن يحضر إليه من يتسلمه منه، ويفعل فيه ما يرسم له به.

وكان في خدمة الظاهر غلام من أهل الكرك يقال له عبد الرحمن، فنزل إلى جماعة من أوغاد^(١) المدينة، وأعلمهم أن الشهاب حضر لقتل الملك الظاهر، فأنفقوا من ذلك، وقاموا إلى القلعة، وهجموا على الشهاب وقتلوه، وجروه برجله إلى باب القاعة التي فيها الظاهر، فلم يشعر - والنائب عنده، وقد ابتدأوا في الإفطار ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان - إلا وجماعة قد اقتحموا عليه، وهم يدعون له بالنصر، وأخذوه بيده حتى أخرجوه، وقالوا: «دس بقدمك على رأس عدوك». وأروه الشهاب مقتولا، ونزلوا به إلى المدينة، فدهش النائب ولم يجد بدا من القيام في خدمته، وتجهيزه. وتسامع به أهل البلاد، فأتوه من كل ناحية.

وفي ثاني عشرينه: استقر محمد بن أسندير العلای في نيابة الإسكندرية، عوضا عن أمير حاج بن مغلطای، واستقر ابن مغلطای أحد الأمراء المقدمين بالقاهرة.

وفيه استقر تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميرى في قضاء القضاة المالكية بالقاهرة ومصر، بعد وفاة جمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن خير الإسكندراني.

وفيه بلغت زيادة ماء النيل إلى ثمانية أصابع من عشرين ذراعا، وهو يوم عيد الصليب.

وفي خامس عشرينه: قبض منطاش على الأمير قرقماس الطشتمرى الخازندار، وعلى الأمير شاهين الصرغتمشى أمير أخور، وقطلوبك أستاذار الأمير أيتمش، وعلى عدة من المماليك الظاهرية. وقبض على الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام شاد الدواوين، وضربه ضربا كثيرا.

وفيه استقر جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر^(٢) البلقينسى في قضاء العسكر، بعد وفاة أخيه بدر الدين محمد.

(١) أوغاد مفردا وغد وهو الأحقق الدنىء الرذل. معجم الوجيز ٦٧٥.

(٢) عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكنانى العسقلانى الأصل ٧٦٣- ٨٢٤هـ - ١٣٢٦م ثم البلقينى المصرى، أبو الفضل جلال الدين من علماء الحديث بمصر. انتهت إليه رئاسة الفتوى بعد وفاة أبيه وولى القضاء بالديار المصرية وله مناسبات أبواب تراجم البخارى خ. انظر شذرات الذهب ١٦٦:٧ والبعثة المصرية ٢٠، وكشف الظنون ٩٣٠ والضوء اللامع ١٠٦:٤ والأعلام ٣/٣٢٠.

وفي تاسع عشرينه: نودى على المماليك الظاهرية، وهدد من أخفى أحدا منهم.

ونودى أيضاً بسفر أجناد غزة من القاهرة إليها.

وفي سلخه: أحضر حسام الدين حسن بن باكيش مملوكاً وبدويّاً، حضرا إليه من الكرك تجهيز الإقامات للملك الظاهر وملاقاته، فسجنا بجزاة شمايل.

وفي يوم الأربعاء أول شوال: - وهو عيد الفطر - نزل الملك المنصور وصلى صلاة العيد بالميدان، وحمل الأمير قطلو أقمتر القبة على رأسه.

وفي ثالثه: أفرج عن كريم الدين بن مكانس بعد أن حمل أربعمئة ألف درهم فضة، وانساق حاصل الأمير منطاش على ثلاثمئة ألف دينار، وخمسة وثلاثين ألف دينار مصرية، سوى الدراهم وغير ما أنفقه.

وفي خامسه: سُمّر الذين أحضرهما ابن باكيش من الكرك، ونودى ألا يسافر أحد إلى الحجاز من الخاص والعام إلا بورقة فيها إذن الأمير الكبير منطاش.

وفي سادسه: رُسم بسفر أربعة آلاف فارس إلى غزة، وأربعة أمراء هم: أسندمر اليوسفى، وقطلوبغا الصفوى، ومنكلى بيه الأشرفى، وتُمّر بُغا الكرىمى، وأنفق فى كل أمير مائة ألف درهم.

وفيه استقر ناصر الدين محمد بن العادلى فى ولاية منوف، وعمر بن قادوس والى أشموم الرمان، وعزل على بن المقدم.

وفيه عين مائة مملوك للسفر صحبة أمير الركب إلى الحجاز.

وفي سابعه: خلّع بحضرة الملك المنصور على الأمير منطاش، وفوض إليه تدبير الأمور، وصار أتاك العساكر. وعلى قطلوبغا الصفوى واستقر أمير سلاح. وعلى تَمّان تَمّر الأشرفى، واستقر رأس نوبة النوب. وعلى أسندمر بن يعقوب شاه، واستقر أمير مجلس. وعلى أَلطنبغا الحلبي، واستقر دواداراً. وعلى تكّا الأشرفى، واستقر رأس نوبة. واستقر إلياس الأشرفى أمير أخور يامرة طبلخاناه، وأرغون شاه السيفى رأس نوبة أيضاً، وتُمّر بغا المنجكى رأس نوبة رابعا، وقطلوبغا الأرغونى أستاذاراً، وجقمق السيفى شاد الشراب خاناه.

وفي ثامنه: خلّع على الأمير تَمّان تمر رأس نوبة لنظر المارستان المنصورى، وعلى الأمير أَلطنبغا الحلبي الدوادار لنظر الأحباس.

وفيه بطل أمر التجريدة خوفا من المماليك أن يخامروا ويذهبوا إلى الملك الظاهر.

وفي تاسعه: استقر الأمير أيدكار العمرى حاجب الحجاب، والأمير أمير حاج بن مغلطاي حاجبا ثانيا.

وفيه استدعى صاحب شمس الدين عبد الله المقسى، وعرض عليه الأمير الكبير منطاش الوزارة ونظر الخاص، وأحضر التشريف ليليسه فامتنع، واعتذر بأن يديه ورجليه قد بطلت من ضربان المفاصل، وكان قد عصبهما، ولم يحضر إلا محمولا، فقبل عذره وخلّى عنه. واستدعى الوزير صاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وقرر عليه مال، وخلع عليه بالاستمرار. وخلع أيضًا على موفق الدين أبى الفرج ناظر الخاص، وألزم بمال يحمله.

وفيه سُمِر أربعة من الأمراء وهم: سوذن الرماح أمير عشرة رأس نوبة والطنبغا أمير عشرة. وأميران من الشام، ووسطوا.

وفي عاشره: أفرج عن ناصر الدين محمد بن الحسام، شاد الدواوين.

وفي حادى عشرة: ضرب نجم الدين محمد الطنبدى محتسب القاهرة عند الأمير الكبير، وألزم بمال يحمله.

وفي ثانى عشرة: أعيد سراج الدين عمر إلى حسبة القاهرة.

وفيه حمل جهاز خوند بنت الملك الأشرف وأخت الملك المنصور إلى القلعة، لتزف على الأمير الكبير منطاش - وقد عقد عليها - فكان على خمسمائة حمال، وعشرة قطر بغال. ومشى الحجاب والعسكر معه، فخلع عليهم كلهم. وبنى عليها من ليلته، واهتم للعرس اهتماما زائدا. وعندما زفت إليه خوند، علق بشربوشها دينارا زنته مائتا مثقال، ثم دينارا زنته مائة مثقال. وفتح للقصر بابا من الإسطبل بجوار باب السر.

وفي ثالث عشرة: استقر شمس الدين محمد السلاوى الدمشقى فى قضاء المدينة النبوية، عوضا عن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى شيخ الحديث.

وقدم البريد بدوادر بزلار نائب دمشق الثائر بها، ومعه أمير آخر، فسجننا.

وفيه استقر تنكر الأعور نائب حماة، عوضا عن طغاي تَمُر القبالوى.

وأخرج عدة من الظاهرية إلى قوص. وعزل عمر بن قُرط عن ولاية أسوان^(١)، واستقر عوضه أبو درقة.

(١) أسوان: فى الصعيد آخر بلاد مصر، وفى بلادهم من الجبال والأوعار التى تحول بينهم وبين النوبة، وأسوان مدينة صغيرة كثيرة الخنطة وسائر أنواع الجيوب. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، والإدريسى ٢١، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٣/٤٠.

وفيه قدم البريد بأن الأمراء المقيمين بمدينة قوص خرجوا عن الطاعة، وقبضوا على الوالى، فندب إلى الخروج كثر بعا الناصرى، وبيرم خجا، وأروس بعا، من أمراء الطبلخاناه.

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى تسعة عشر ذراعاً وثمانية عشر أصبعاً، ولم يسمع بمثل ذلك إلا فى النادر. وثبت إلى تاسع بابه، ثم انخط.

وفى ثالث عشرينه: قبض على نور الدين على الحاضرى وضرب، وعُصر وسجن، بسبب تحدته بمجىء كتب الملك الظاهر، وأنه هو الذى ينتصر.

وفيه قدم البريد بخروج الأمير كمشبغا الحموى نائب حلب عن الطاعة، وأنه حارب إبراهيم بن قطلو أقتمر أمير جاندار، وقبض عليه ووسطه - هو وشهاب الدين أحمد بن عمر^(١) بن أبى الرضا الشافعى قاضى حلب - بعد أن قاتلوه ومعهم أهل بانقوسا.^(٢) فلما ظفر بهم قتل عدة كبيرة منهم.

وفيه استقر الأمير آق كبك السونجة أمير علم يامرة طبلخاناه.

وفى خامس عشرينه استقر فى نظر الخاص الوزير صاحب كريم الدين بن الغنالم، عوضاً عن موفق الدين أبى الفرج. واستقر عوضه فى الوزارة موفق الدين أبو الفرج، وخلع عليهما.

وفيه قدم البريد بأن الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزة، جمع العشير وسار لمحاربة الملك الظاهر.

وقدم البريد بقوة شوكة الأمراء الخارجين بالصعيد، فخرج الأمير أسندمر بن يعقوب شاه فى نحو الخمسمائة فارس، وسار فى ثامن عشرينه.

وفى سادس عشرينه: أفردت بلاد من الخاص، وتحدث فيها ناصر الدين محمد بن الحسام، فحنق من ذلك صاحب كريم الدين بن الغنالم، واستعفى، فقبض عليه وسجن بقاعة صاحب من القلعة، وأخذ خطة بثلاثمائة ألف درهم فضة، وقبض على بعض حواشيه.

(١) أحمد بن عمر بن أبى الرضا [٧٩١هـ - ١٣٨٩..] أبو الخير، شهاب الدين: قاض، من أهل حماة (بسورية) ولى القضاء بحلب ثلاث مرات، وكان عالماً بالقراءات وله فيها نظم سماه «عقد البكر» وله منظومات أخرى فى موضوعات متعددة. انظر الدرر الكامنة ١/٢٢٧ وجمع اللغة بدمشق ٣٢٩/٤٨ والأعلام ١/١٨٧.

(٢) بانقوسا: قرية من قرى حلب إلى الشمال منها. انظر معجم البلدان.

وفيه استقر أمير على بن القرماني في ولاية الجيزة ^(١) وعزل قراجا العلاى. واستقر طشبيغا القشتمرى إلى دمياط.

وفيه ورد الخبر باتفاق الولاة مع الأمراء بالصعيد. وكان من خبرهم أنه لما استقر أبو درقة في ولاية أسوان سار إلى ابن قرط، واتفقا على المخامرة، وسارا إلى قوص وأفرجا عن الأمراء، وعدتهم زيادة على ثلاثين أميراً في عدة كبيرة من المماليك. فلما بلغ ذلك الأمير مبارك شاه نائب الوجه القبلى - وقد اجتمع معه نحو الثلاثمائة من الظاهرية - وافقهم على المخامرة، واستمال عرب هواره، وعرب ابن الأحذب، فواقوه واستولوا على البلاد. فلما خرجت التجريدة الأولى من قلعة الجبل، انتهت إلى أسيوط ^(٢)، فقبض عليهم مبارك شاه، وأفرج عمن كان معهم من المماليك الظاهرية، فخرج ابن يعقوب شاه، كما تقدم ذكره، وسار في الشرق.

وفي سابع عشرينه: أضيف نظر الخاص إلى الوزير موفق الدين أبى الفرج، وأفرج عن صاحب كريم الدين بن الغنام، واستقر في نظر الإسطبلات.

وفيه عين خمسة أمراء من مقدمة الألف، وثلاثمائة مملوك. ليسيروا إلى الكرك.

وفي ثامن عشرينه: استقر أمير على بن المكللة في ولاية منفلسوط ^(٣)، وعزل محمد أشقتمر.

وفيه ورد الخبر بأن الأمير أسندمر بن يعقوب شاه عمن معه وصل أحميم، فلقبهم الخارجون عن الطاعة وكسروهم، فرسم بخروج نجدة من المماليك وأجناد الحلقة، ثم عوقوا.

وفي سلخه: استدعى القاضى صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى - مفتى دار العدل - واستقر في قضاء القضاة بديار مصر، عوضاً عن الشيخ ناصر الدين محمد ابن بنت الملق، وخلع عليه، فنزل ومعه الأمير الدوادار والحجاب إلى المدرسة الصالحية على العادة، وسر الناس بولايته.

وخرج الأمير بلوط الصرغتمشى، والأمير غريب؛ لكشف أخبار الملك الظاهر.

(١) ولاية الجيزة بليدة في غربى فسطاط مصر قبالتها، ولها كورة كبيرة واسعة وهى من أفضل كور مصر. انظر معجم البلدان ٢/٢٠٠.

(٢) أسيوط: مدينة على الضفة الغربية من نيل مصر وهى كبيرة عامرة أهلة جامعة لضروب المحاسن كثيرة الجناات والبساتين واسعة الأرضين جميلة حسنة بينها وبين أحميم صاعدًا من النيل نصف مجرى. انظر معجم البلدان ١/١٩٣، والروض المعطار ٥٨، والإدريسى ٤٨.

(٣) ولاية منفلسوط بلدة بالصعيد في غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل ٥/٢١٤.

وفي يوم السبت ثانى ذى القعدة: استقر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن عمر القرشى. واستقر قاضى القضاة سرى الدين محمد بن المسلاتى خطيب الجامع الأموى، وشيخ الشيوخ بدمشق واستقر موفق الدين بن العجمى فى قضاء الحنفية بحلب، عوضا عن محب الدين محمد بن محمد بن محمد الشحنة. واستقر بدر الدين محمود السراى الكُستانى فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن نجم الدين الكفرى.

وفي ثالثه: توجه قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى إلى مدينة مصر، فى موكب جليل على العادة.

وفي سادسه: حضر الأمير حسين بن أخى قرط طائعا، واعتذر، فقبل عذره، وخلع عليه لولاية قوص، عوضا عن مقبل الطيبى.

وفي عاشره: قرئ تقليد قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى، فكان الجمع موفورا.

وفي ثانى عشره: أحضر بالأمير مبارك شاه الكاشف مقيدا، فسجن بخزانة شمايل.

وفي هذا الشهر: كثرت الإشاعات، وقويت الأراجيف، واختلفت الأقوال فى الملك الظاهر برقوق، وكان من خبره أنه لما قتل الشهاب بالكرك، وأنزل عوام البلد الملك الظاهر من قلعتها، وقاموا بخدمته، أته العربان وصار فى طائفة، فلم تجد أكابر مدينة الكرك ^(١) بدا من الموافقة، إلا أنهم قد سقط فى أيديهم، وخافوا سوء العقابة. فلما كثر جمع الظاهر عزم على الخروج من المدينة، وبرز أنقاله. فاجتمع الأعيان عند العماد أحمد بن عيسى المقيرى، قاضى الكرك، وأجالوا الرأى، وخشوا من السلطنة بمصر، فاتفقوا على القيام عليه، وقبضه، وإعلام أهل مصر بذلك، وأنه لم يخرج إلا باجتماع السفهاء منهم، ليكون ذلك خلاصا لهم من معرة معاداة الدولة. وبعثوا ناصر الدين محمد أخا القاضى، فأغلق باب المدينة، وصار الظاهر وقد حيل بينه وبين أنقاله وعامة أصحابه فلما قام ليركب ويخرج، بلغه ذلك.

وكان علاء الدين على - أخو القاضى - مباشر الإنشاء بالكرك، فكتب للظاهر فى مدة خروجه وخدمه. فلما رأى ما نزل بالظاهر، عندما بلغه اتفاق أهل المدينة فى بيت أخيه على قبض الظاهر، حدثه وقوى جأشه، وسار به، حتى وصل باب المدينة، فإذا به

(١) الكرك اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحي البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس، وأيضا قرية كبيرة قرب بعلبك. انظر معجم البلدان ٤/٥٣.

مغلق، وأخوه ناصر الدين قائم عنده، فما زال به حتى فتح الباب وخرج بالظاهر من المدينة، والتحق ببقية أصحابه من المماليك الذين وصلوا إليه، والعربان التي اجتمعت عليه، وأخلط أهل مدينة الكرك. فأقام بالثنية خارج الكرك يومين، ورحل في ثامن عشرين شوال، وسار بهم يريد دمشق - وبها الأمير جنتمر أخو طاز، متولى نيابتها - وقد وصل إليه الأمير أَلطُنْبغا الحلبي الدوادار من مصر نائبا على حلب بحكم عصيان كمشبغا الحموي. فاستعدا لقتال الظاهر، وتوجه إليهما الأمير حسام الدين حسين بن باكيش - نائب غزة - بعساكرها وعشيرها.

وأقبل الظاهر بمن معه، فخرجوا إليه وقاتلوه بشقحب - قريبا من دمشق - قتالا شديدا، كسروه فيه غير مرة، وهو يعود إليهم ويقاتلهم، إلى أن كسره، وانهزموا منه إلى دمشق. وقتل منهم ما ينيف على الألف، فيهم خمسة عشر أميرا، وقتل من أصحابه نحو الستين، ومن أمرائه سبعة. وركب أقفية المنهزمين، فامتنع جنتمر بالقلعة، وتوجه بالقلعة، وتوجه من أمراء دمشق ستة وثلاثون أميرا، ومعهم نحو الثلاثمائة وخمسين فارسا، قد أثنخوا بالجراحات. وأخذوا نائب صفد، وقصدوا ديار مصر. فلم يمض غير يوم واحد حتى وصل ابن باكيش بجمائعه، فقاتله الظاهر وهزمه، وأخذ جميع ما كان معه، فقوى به قوة كبيرة. وأتاه عدة من مماليكه، ومن أمراء الشام، فصار في عسكر كبير، وأقبل إليه الأمير جبرائيل حاجب الحجاب بدمشق، وأمير على بن أسندمر الزيني، وجقّمق، ومقبل الرومي، طائعين له، فصاروا في جملة.

ونزل السلطان برقوق على قبة يلغا ظاهر دمشق، وقد امتنع أهلها بها، وبالغوا في تحصينها، فحصرها، وأحرق القبيبات ^(١)، وخربها، وأهلك في الحريق خلقا كثيرا. وجد أهل المدينة في قتاله، وأفحشوا في سبه، وهو لا يفتّر عن قتالهم، فأمدّه الأمير كمشبغا من حلب بثمانين فارسا من المماليك الظاهرية، فأخرج إليهم الأمير جنتمر خمسمائة فارس من دمشق؛ ليحولوا بينهم وبين الظاهر، فقاتلوه، فكسره الظاهرية، واستولوا على جميع ما معهم.

وأتوا إلى الظاهر، فأقبل الأمير نعيم بربانسه، يريد محاربته، فحاربه وكسره فانهزم عنه، وتقوى بما صار إليه في هذه الوقائع. وصار له برك ^(٢) ويرق، بعدما كان بهيئة رثة، لا يكتنه من المطر إلا خيمة صغيرة، ومماليكه في أخصاص كل منهم هو الذي يتولى خدمة فرسه بنفسه.

(١) القبيبات حلة جليلة بظاهر دمشق. انظر معجم البلدان.

(٢) برك أناخ في موضع لزمة انظر معجم الوجيز ٤٦.

واستمر الظاهر برقوق على حصار دمشق وقتال أهلها، فورد الخير بذلك إلى منطاش في خامس عشر ذى القعدة، فتقدم في سابع عشره إلى صاحب موفق الدين أبي الفرج بتجهيز الملك المنصور للسفر، فلم يجد في الخزان ما يجهزه به، واعتذر بأن المال انتهب وتفرق في هذه الوقائع، فقبل ذلك، واستدعى القضاة، وسأل قاضي القضاة صدر الدين محمد المناوي أن يقرضه مال الأيتام، فامتنع من ذلك ووعظه، فلم تنجح فيه المواعظ، وختم في يومه على موادع الأيتام، وكانت إذ ذاك عامرة بالأموال.

ورسم لحاجب الحجاب وناصر الدين بن قرطاي - نقيب الجيش - بفرقة النقباء على أجناد الحلقة، وحثهم على التجهيز للسفر بعد العرض.

وفي تاسع عشره: قدم اليريد بكسرة ابن باكيش، وأخذ الملك الظاهر جميع ما كان معه، فاشتد اضطراب الناس، وكثر الإرجاف^(١)، ووقع الاجتهاد في الحركة للسفر، وأزعج أجناد الحلقة. واستدعى الأمير منطاش الخليفة المتوكل على الله، وقضاة القضاة، وشيخ الإسلام، وأعيان أهل العلم، فرتبوا صورة فتيا في أمر الملك الظاهر، وانفضوا من غير شيء.

وفيه قدم اليريد بواقعة صفد، وكان من خيرها أن مملوك من المماليك الظاهرية - يعرف بيلغا السالمى - أسلمه الملك الظاهر للطواشى بهادر الشهابى مقدم المماليك، فرتبه خازن داره. واستمر على ذلك إلى أن نفى المقدم كما تقدم ذكره، فخدم يلبغا الطواشى، صواب السعدى شنكل المقدم، وصار دواذره الصغير. فلما قبض الناصرى على شنكل، خدم يلبغا عند الأمير قطلوبك النظامى صفد دواذرا، وسار معه إلى صفد، فتحبب إلى الناس بالإحسان إليهم وملاطفتهم، إلى أن قدم إلى صفد خير مسير الملك الظاهر من الكرك إلى دمشق. وجمع النظامى العسكر ليصير إلى نائب دمشق. وقام يلبغا في طائفة من المماليك الذين استمالهم، وأفرج عن الأمير أينال اليوسفى، الأمير قجماس ابن عم الظاهر، ونحو المائتين من المماليك الظاهرية من سجن صفد. ونادى بشعار الملك الظاهر يريد القبض على النظامى. فلم يثبت وفر من صفد في مملوكين، فاستولى يلبغا بمن معه على مدينة صفد وقلعتها، وصار الأمير أينال قائما بأمر صفد، ووقف يلبغا في خدمته، وقد تقووا بثقل النظامى وبركة. فلما ورد هذا الخبر، عظم اضطراب الأمير منطاش، وزاد قلقه، وكثرت قالة الناس، وتوالت الأخبار ذلك.

(١) الإرجاف الخبر الكاذب المثير إلى الفتن والاضطراب وجمعها أراجيف. انظر معجم الوجيز

وفي حادى عشرينه: استقر الشريف بكتُّمُ فى ولاية البحيرة^(١) ونقل تماراز العلای إلى كشف الوجه البحرى، ورسم لهما بجمع عرب البحيرة لقتال الظاهر.

وفيه قدم الخير بوصول نائب صفد ونائب حماة، وحمد بن بيدمر أتابك دمشق، فى تمة خمسة وثلاثين أميرا، وجمع كثير من الممالك، وقد انهزموا من الظاهر، فرسم بدخولهم.

وفيه استدعى الخليفة والقضاة والفقهاء بسبب الفتيا، فكتب ناصر الدين محمد بن الصالحى - موقع الحكم - فنيا تتضمن السؤال عن رجل خلع الخليفة والسلطان، وقتل شريفا فى الشهر الحرام والبلد الحرام وهو محرم، واستحل أخذ أموال الناس وقتل الأنفس، وجعلها عشر نسخ.

وفي ثالث عشرينه: قدم سواق من سواقى البريد، وبدوى، وبشرا منطاش بأن الظاهر بعد ما ملك دمشق كبس فى الليل، وهرب، فمشى ذلك عليه، وأنعم عليهما. وفيه رسم بفتح سجن قديم بالقلعة، وقد ارتدم، وسجن به عدة ممالك وسجن كثير منهم بأبراج القلعة، وضيق عليهم.

وفيه وجدت ذخيرة بالقاهرة، فى بيت عماد الدين إسماعيل بن المشرف أستاذ جركس الخليلي، فيها ستمائة ألف درهم، ونحو الخمسين ألف درهم، فأخذها الأمير منطاش، وأخذ لابن جركس الخليلي أيضا نحو ثلاثمائة ألف دينار مصرية.

وفيه قدم الأمراء والممالك المنهزمون من الظاهر، وهم: قطلوبك النظامي نائب صفد^(٢)، وتنكز الأعور نائب حماة^(٣)، وحمد بن بيدمر أتابك دمشق، وبلغا العلای أحد المقدمين بدمشق، وأقبای الأشرفى نائب قلعة المسلمين، ومن أمراء الطبلخانة دمرداش الأطروش والى الولاية، وشكر أحمد، وجوبان الخاصكى، وقطلوبغا جبَّحَق، وجيرائيل. ومن العشرينات آقبغا الوزيرى، وأزدمر الأشقتمرى، وقُنُق الزينى، ومنكلى بغا الناصرى، ويبيغا، وطومان، وأقبغا الإينالى، وأحمد بن يانوق.

(١) ولاية البحيرة موضع من ناحية اليمامة عن الحفص بالفتح ثم الكسر. انظر معجم البلدان. ٣٥٢/١.

(٢) صفد مدينة فى جبال عاملة مطلة على حص بالشام وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٣) حماة: من كور حص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى وهى كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأثمان يحيطها صور محكم. انظر معجم البلدان ٣٠٠/٢، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ١٤٠/٤.

ومن العشراوات بيبغا العلاى، وطغاي ثمر الأشرفى، ومصطفى البيدمرى، ويوسف الأطروش، وأقتمر الأشقتمرى، وأرغون شاه - دوادار يلبغا المنجكى - وألطنبغا البيدمرى، وقرابغا السيفى.

ومن أمراء صفد تغرى بردى الأشرفى، ومنجك الخاصكى، وقجقار السيفى.

ومن أمراء حماة جتتمر الأسعدى، وألطنبغا الماردىنى، وبكلمش الأرغونى، وطيبغا القرمى، وأسنبغا الأشرفى، وحسين الأيتمشى.

ومن المماليك عدة مائتين وأحد وعشرين.

وفيه أفرج عن الأمير قرقماش الطشتمرى، واستقر خازندارا على عادته.

وأفرج عن شيخ الصفوى الخاصكى، وأرغون السلامى، ويلبغا اليونسى، ونزلوا إلى دورهم.

وفيه رسم على مباشرى الأمراء المنفصلين ليجهزوا الأمراء المستجدين للسفر، فلم يسمع بمثل هذا.

وفيه نودى أن الفقهاء والكتاب لا يركب أحد منهم فرساً عربياً، وأن الكتاب الكبار أرباب الوظائف السلطانية، وكتاب الأمراء يركبون البغال.

وفيه أخذت أكاديش الحمالين المعدة للحمل عليها، وأخذت خيول الطواحين الجياد، وتبعت الممالك الجراكسة، وطلبهم حسين والى القاهرة، وأخذهم من كل موضع، فقبض منهم على رجل شيخ يقال له يُلوا الأهمدى، وضرب، وأخذ منه مبلغ خمسين ألف درهم فضة، وأفرج عنه وعن طرنطاي الخطيرى، وطولو بغا الأهمدى، وأقبغا البشتكى، ومسافر؛ لأجل أن لكل منهم فى مصر نحو الستين سنة.

وفيه خشبت أيدي المماليك المسجونين، وأرجلهم.

وفى خامس عشرينه: اجتمع الأمراء وأهل الدولة مع الأمير الكبير منطاش، واتفقوا على استبداد السلطان الملك المنصور، وأثبتوا رشده بحضرة القضاة والخليفة. فرسم السلطان بتعليق الجاليش بالطلبخانة؛ ليعلم الناس بالسفر إلى الشام، وأفرج عن الأمير محمود الأستاذار، وأمر بعرض أجناد الحلقة والممالك السلطانية، ونودى أن العامة لا يركب أحد منهم فرساً أصيلاً وأن المكارية لا تحمل على أكديش حملاً.

وفيه أحضرت نسخ الفتوى فى الملك الظاهر، وزيد فيها: «واستعان بالكفار على

قتال المسلمين»، وحضر الخليفة المتوكل وقضاة القضاة الأربع وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني وولده جلال الدين عبد الرحمن قاضي العسكر، وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء، وولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون المالكي، وسراج الدين عمر بن الملقن الشافعي، وعدة دون هؤلاء؛ بالقصر الأبلق من القلعة بحضرة الملك المنصور والأمير الكبير منطاش، وقدمت إليهم الفتوى، فكتبوا عليها بأجمعهم وانصرفوا.

وفيه نودي على أجناد الحلقة بالعرض، وهدد من تأخر منهم.

وفيه كتب لعرب البحيرة بالحضور للسفر مع العسكر إلى الشام.

وفيه استقر الأمير قُطلوبغا الزيني أمير جاندار، شريكا لطوغان العمري.

واستقر أمير حاج بن مُغلطاي الحاجب أستاذار السلطان. وأنعم على كل من أرغون شاه السيفي، وقطلوبغا السيفي بإمرة مائة. وأنعم على الأمراء القادمين من الشام بفرس بقماش ذهب، وخمسين ألف درهم فضة لكل أمير مائة، ولمن عداهم من الأمراء بأقبية مفرية. ورتب لهم اللحم والجرايات ^(١) والعليق ^(٢) وفيه أعيد مبارك شاه إلى نيابة الوجه القبلي وخلع عليه.

وفي سابع عشرينه: أخليت خزانة الخاص بالقلعة، وسدت شبابيكها وبابها، وفتح من سقفها طاق، وعملت سحنا.

وفي يوم السبت أول ذي الحجة: قدم البريد من الصعيد بأن العسكر المجرد مع الأمير أسندمر بن يعقوب شاه واقع الأمراء الخارجين عن الطاعة بمدينة قوص، وقبضوا عليهم كلهم، فدقت البشاير ثلاثة أيام بالقلعة.

وفيه قبض على صاحب كريم الدين بن الغنام، وألزم بحمل ثلاثمائة ألف درهم فضة، وخمسين فرسا.

وفيه أنفق على كل من الأمراء الألو ف مائة ألف درهم فضة، وعلى كل من أمراء الطبلخانة خمسون ألف درهم.

وفيه سد باب الفرج - أحد أبواب القاهرة - وخوخة أيدغمش، وغير ذلك.

وفي ثالثه: قبض على متى بطرك النصاري، وألزم بمال، وقبض على رئيس اليهود، وألزم بمال. فتقرر على البطرك مائة ألف درهم، وعلى رئيس اليهود خمسون ألف درهم جبوها وحملوها.

(١) الجرايات الوكالة والجاري من الرواتب جمعها جرايات وهو نظام يحدد ما يستهلكه كل فرد.

انظر الوجيز ١٠٣.

(٢) العليق ما تعلقه الدابة من شعر ونحوه. انظر المعجم الوجيز ٤٣١.

وفيه طلب الشيخ شمس الدين محمد الركاكى المالكى، وألزم بالكتابة على الفتوى فى الملك الظاهر، فامتنع، فضرب مائة ضربة، وسجن بالإصطبل.

وفى رابعه: أفرج عن ابن غنام.

وفى سادسه: فتحت خوخة أَيْدُغْمُش.

وفيه خرجت تجريدة إلى الصعيد خوفا من أخذ العرب الأمراء المماليك الظاهرية المقبوض عليهم.

وفى سابعه: دقت البشائر لكذبة ثمقت، وهى أن إينال اليوسفى سار من صفد. بمن معه، فقاتله أهل دمشق، وقتلوه، وجرح الملك الظاهر.

وفى ثالث عشره: تولى الأمير تمان تمر الأشرفى رأس نوبة عرض المماليك السلطانية، وكثرت فى أمر الظاهر والأرجاف، تارة بنصرته وتارة بهزيمته، وتحدث كل أحد على مقتضى غرضه.

وفى خامس عشره: عرض الأمير تمان تمر أجناد الحلقة، مَنْ إقطاعه عيرة أربعمائة دينار فما فوقها، وعين جماعة منهم للسفر، وجماعة لحراسة القلعة، وجماعة لحراسة القاهرة وجماعة لحراسة مصر، وعرض مقدمى المماليك، وعرض البحرية والمفاردة.

وفيه برز الأمراء الشاميون بظاهر القاهرة، للتوجه إلى الشام.

وفيه قبض على الخليفة المخلوع زكريا، وأخذ منه العهد الذى عهده إليه أبوه بالخلافة، وأشهد عليه أنه لا حق له فى الخلافة.

وفيه قدمت التجاريد من بلاد الصعيد بالخارجين عن الطاعة فى القيود، فغرق جماعة من المماليك فى النيل ليلا، وأخرج بستة من الحب بالقلعة، موتى.

وفى سادس عشره: أحضر بالقاديين من الصعيد مع الأمير أسندمر بن يعقوب شاه إلى القلعة، وهم: تمرباى الحسنى، وقرابغا الأبو بكرى، وبجمان المحمدى، ومنكلى الشمسى، وفارس الصرغتمشى، وتمرغا المنجكى، وطوجى الحسنى، وقرمان المنجكى، وبيبرس التمان تمرى، وقراكسك السيفى، وأرسلان اللفاف، ومقبل الرومى، وطوغاى تمر الجركتمرى، وجرباش الشيخى، وبغداد الأحمدي، ويونس الأسعردى، وأردبغا العثمانى وتنكرز العثمانى، وبلاط المنجكى، وقراجا السيفى، وكمشبغا اليوسفى، وأقبغا حطب، وقرابغا المحمدى، وعيسى التركمانى، وبك بلاط السونجى، فأوقفوا فى القيود

زمانا ثم سجنوا. وأُفرج عن جماعة ممن حضر وهم: قُنُقُ بيه اللالا، وأقبغا السيفي، وتمرباي الأشرفي، وسمر الصرغتمشي، وخلع عليهم. وأُفرج أيضا عن بك بلاط السونجي.

وفيه سجن بخزانة الخاص الأمير محمود، والأمير أقبغا المارداني، وأيدمر أبو زلطة، وشاهين الصرغتمشي أمير أخور، وجُمُق بن أَيْتمش، وبطا الطولوتمري، وبهادر الأعسر، وعدة كبيرة من الأمراء والمماليك.

وفيه ألزم سائر مباشري الدواوين بأن يحمل كل واحد خمسمائة درهم ثمن فرس، وقرر ذلك على الوظائف لا على الأشخاص، على أن من كان له عشر وظائف في عدة دواوين تحمل كل وظيفة خمسمائة درهم، فنزل بالناس ما لم يعهدوه، فتوزعوا ذلك بعد أن جبي^(١) منهم عدة خيول، فجاء جملة الحمل من المباشرين خيلا وعينا ألف فرس.

وفيه أحضر من ألزم بالسفر من أجناد الحلقة، وأعفوا من السفر، على أن يحضر كل منهم فرسا جيدا، فأحضروا خيولهم، فأخذ جيادها، ورد ما عداها. وألزم من لم يحضر فرسا بألف درهم عن ثمن فرس، فتضرروا من ذلك، فاستقرت خمسمائة درهم جيبت منهم. وألزم رعوس نوب الحجاب بحمل كل منهم خمسين ألف درهم، وعدتهم أربعة، ثم استقر على كل واحد أربعة عشر ألف درهم، حملها وأُفرج عنه.

وفيه أنفق على ممالك الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير منطاش، لكل واحد ألف درهم.

وفي يوم الإثنين سابع عشره: نزل الملك المنصور والأمير الكبير منطاش من قلعة الجبل بالعساكر إلى الريدانية خارج القاهرة. واستدعى قاضي القضاة صدر الدين محمد المناوي إلى الريدانية، وألزم بالسفر فامتنع وسأل الإعفاء، فأعفى. واستقر قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء على أنه يعطي مال الأيتام ويحمل من ماله مائة ألف درهم فضة، ثم خلع عليه وعبر إلى القاهرة من باب النصر.

وفيه استقر عبيد الله العجمي في قضاء العسكر، وعزل سراج الدين عمر.

وفيهما اعتقل الخليفة المخلوع زكريا، والأمير سودن النائب، بقاعة الفضة من القلعة.

وفيه تقرر على سائر المماليك البحرية والمفاردة وأولاد الأمراء المقيمين بالقاهرة

(١) جبي الخراج والمال. انظر الوجيز ٩٢.

- ممن تعين لحفظها وحفظ القلعة ومصر فى مدة غيبة السلطان - خيولا يحملونها إلى الريدانية، وتقرر على موقعى الإنشاء أيضا خيولا، وعلى بقية أرباب الوظائف من المتعممين، وأزعجوا بسبب ذلك، فمنهم من قاد العشرة أرعوس، ومنهم من قاد دونها، على قدر ما لزمه، كما تقدم فى الكتاب، فاشتد غم الناس، وكثرت حركاتهم، ونزل بهم ما لم يروا مثله.

وفى تاسع عشره: ركب الأمير ثمان تمر رأس نوبة فى عدة ممالك إلى الرملة تحت القلعة، وقبض على كل من رآه راكبا على فرس من المتعممين وغيرهم، وأخذ خيولهم ومضى بها إلى داره.

وفيه اشتد الطلب على الأجناد وغيرهم بسبب جباية الخيول وأثمانها، وسلم كثير منهم للأمير حسام الدين حسين بن الكورانى - الوالى - ليخلص ذلك منهم بالعقوبة.

وفيه نزل الوزير موفق الدين أبو الفرج والأمير ناصر الدين محمد بن الحسام إلى خان مسرور بالقاهرة، حيث مودع الأيتام، وأخذوا منه ثلاثمائة ألف درهم، وألزم أمين الحكم بالقاهرة أن يحمل تنمية خمسمائة ألف درهم، وألزم أمين الحكم بمصر أن يحمل مائة ألف درهم، وألزم أمين الحكم بالحسينية ^(١) أن يحمل مائة ألف درهم قرضا، حسب إذن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء فى ذلك.

وفيه استدعى قضاة القضاة الأربع إلى الريدانية بكرة النهار، فأجلسوا فى خيمة، وتركوا بغير أكل إلى قريب العصر. ثم طلبوا إلى عند السلطان، فعقدوا عقده على خوند بنت أحمد بن السلطان حسن، بصادق مبلغه ألف دينار وعشرون ألف درهم، وعقدوا عقد الأمير قطلوبغا الصفوى على ابنة الأمير أيدمر الدوادار.

وفى عشرينه: رحل طليعة العسكر أربعة أمراء وهم: أسندمر بن يعقوب شاه، والكريمى، وثمان تمر رأس نوبة، وقطلوبغا الصفوى.

وفى ثانى عشرينه: رحل الأمير منطاش فى عدة من الأمراء، ثم رحل السلطان والخليفة والقضاة وبقية العسكر، وقد أقيم نائب الغيبة بالقلعة الأمير تكا، ومعه الأمير دمرداش القشتمرى، وبالإسطنبول الأمير سراى تمر، وبالقاهرة الأمير قطلوبغا الحاجب، وجعل أمر العزل والولاية إلى الأمير سراى تمر.

وفيه نقل الأمير سودن النائب إلى بيت بالقلعة.

(١) الحسينية منسوب إلى الحسن بلد فى شرق الموصل على يومين بينهما وبين جزيرة ابن عمر انظر. معجم البلدان ٢/٢٦٠.

وفيه ألزم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء الشافعى بإحضار عشرة أروس من الخيل. وطلب من كل الأمراء من المقدمين المقيمين عشرة أروس، ومن كل أمير طبلخاناة أربعة أروس، ومن كل أمير عشرة فرسان، فأخذ ذلك من الجميع. وكلب من سائر الولاة المستقرين بأعمال ديار مصر والمغزولين، الخيل. وقرر على كل واحد منهم بحسب حاله، وطلب من سائر الخدام الطواشية خيول، ثم أعفوا.

وفيه استقر الأمير حسام الدين حسين بن الكورانى فى ولاية مصر، مضافة إلى ولاية القاهرة، فاستتاب فى مصر ابن أخيه أمير عمر بن ممدود.

واستقر ناصر الدين محمد بن ليلى فى ولاية الجيزة، عوضا عن قرطاي التاجى بحكم انتقاله لكشف التراب ^(١) بالجيزة.

وفى ثالث عشره: استقر قُطلوبغا السيفى أمير حاجب ثانيا، عوضا عن أمير حاج ابن مغلطاي. ورسم لفراج السيفى بإمرة عشرة. وأنعم على كل من قراكسك، وأرسلان اللفاف، وبك بلاط السونجى بقاء بفرو، وشق.

وفيه قدم نجاب من الحجاز بموت الطواشى مئثال الساقى الزمام، ببدر.

وفيه رحل السلطان من العكرشا إلى بلبيس، فتقنطر عن الفرس، فتطير الناس من ذلك بأنه يرجع مقهورا، وكذا كان.

وفى سلخه: سد الأمير صراى تمر باب القصر الذى بالإصطبل، وسد شبابيك الشراب خاناة.

وانقضت هذه السنة والناس فى مصر والشام بشر كبير.

واتفق أيضا فى هذه السنة. وقوع حادثة عظيمة ببلاد خراسان، ^(٢) وهى أنه هبت بمدينة نيسابور رياح عاصفة فى شهر صفر، ارتجت الأرض من شدة هبوبها، وحدثت زلزلة مهولة، تحركت الأرض منها حركة عنيفة، حتى كان الإنسان وغيره يرتفع عن موضعه قامتين وأكثر، وصارت الأرض تنتقل من موضع إلى موضع، فلم يبق شىء فى

(١) كشاف التراب تعينهم الدولة من الأمراء مقدمى الألوف مرة فى كل سنة وكان لكل إقليم أمير. انظر زيدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) خراسان: قطر معروف، قال الجرجاني: معنى خر: كل، واسان معناه سهل، أى كل بلا تعب، وقال غيره: معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس، وهو عمل كبير وإقليم جليل معتبر. انظر معجم البلدان ٢/٣٥٠، والروض المعطار ٢١٤، ٢١٥.

جميع أقطار المدينة من البيوت والأسواق والمدارس ونحوها إلا واهتز اهتزازا عظيما، واستمر الحال كذلك إلى ضحوة نهار اليوم الرابع، فسكنت الزلزلة، وأمن الناس واطمأنوا، وإذا بريح عظيمة هبت في الحال، ثم تحركت الأرض أقوى مما تحركت قبل ذلك، وانقلبت بأهلها، فصار عاليها سافلها، وخربت المدينة، وهلك أهلها، فلم يسلم منهم إلا النادر. وسلم سكان الفوقانيات، وهلك سكان التحتانيات، وسلم قوم كانوا في بعض الحمامات، وقد خرجوا إلى الدهاليز فاحتوى من بقى من الأراذل على أموال من قد هلك من الأماثل، وترأسوا بعدهم. ثم بعد أشهر عمر من بقى عمارات بالقرب من المدينة التي هلكت، وعملوا عاليها من الخشب والخيام.

ومن غريب ما وقع في هذه الحادثة أن قرية انتقلت من مكانها إلى مكان قرية أخرى، فصارت فوقها بحيث لم يبق للتي كانت أولا أثر يعرف، فكانت بين أهل القريتين عدة خصومات ومحاربات.

واتفق أيضا أن رجلا كان في بيته، فسقط البيت إلا الموضع الذي فيه الرجل فإنه لم يسقط، وسلم الرجل. وكانت امرأة في الحمام، وقد أخذت لقمة وضعتها في فمها، فسقط الحمام عليها، فهلكت فيمن هلك، فلما نبش عنها، وجدت واللقمة في فيها لم تبلعها، وولدها في حضنها، ومتررها في وسطها، وقد أدخلت إحدى رجليها في داخل الحمام، ورجلها الأخرى من خارج، لم تهمل حتى تدخلها بل هلكت قبل ذلك، وسلم مع ذلك الوقاد في أتون الحمام، فإنه ممن ألقته الأرض عنها، فحدفته إلى العلو، وصار بالبعد عن موضعه، فسلم. وقد اشتهر عند أهل نيسابور ^(١) أنها خربت بالزلازل سبع مرات، فكانت هذه المرة أشنع مما مضى؛ لأنها تركت المدينة عاليها سافلها. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

ومات في هذه السنة

عالم كبير بالطاعون والسيف، فممن له ذكر من الأعيان:

(١) نيسابور: سميت بذلك لأن سابور مرَّ بها، فلما نظر إليها قال: هذه تصلح لأن تكون مدينة فأمر بها فقطع قصبها ثم كبس ثم بنيت فقبل لها نيسابور، وهى بلاد خراسان، وهو بلد واسع افتتحه عبد الله بن عامر بن كرز في خلافة عثمان رضى الله عنه سنة ثلاثين، وهى أرض سهلة ليس بها ماء جار إلا نهر يخرج إليهم فضله في السنة ولا يدوم ماؤه وهو فضل ماء هراة، وهى مدينة يكون قدرها قدر نصف مرو. انظر معجم البلدان ٣٣١، والروض المعطار ٥٨٨، ٥٨٩

الأمير صارم الدين إبراهيم بن الأمير سيف الدين قُطْلُو أَقْتَمُر العُلاي، أمير جاندار بحلب، قتله الأمير كُمُشْبُغا الحموي، وقد عصى كمشبغا. وقام إبراهيم بنصرة منطاش، واستمال جماعة وحارب كُمُشْبُغا، فانتصر عليه ووسطه في شوال.

ومات شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن أبي الرضا قاضي القضاة الشافعي بحلب. ثار على كمشبغا نائب حلب، وجمع أهل بانقوسا ^(١) وقاتله، وظفر بهم كمشبغا وقتل كثيرا منهم، وفر ابن أبي الرضا، فأخذ قريبا من المعرة. وقتل وعمره زيادة على أربعين سنة. وكان إماما في عدة علوم، شهما، صارما، مهابا، محبا للحديث وأهله.

ومات برهان الدين إبراهيم بن علي المعروف بابن الحلواني، الشامي الأصل، المصري، الواعظ بالقاهرة، في عاشر صفر، ولم يُر بعده من يعمل المواعيد مثله في حسن أدائه، وكان لا يعظ إلا من كتاب.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي يزيد بن محمد، ويعرف بمولانا زاده السرائي العجمي، في يوم الأربعاء حادي عشرين المحرم بالقاهرة. وكان فاضلا في عدة علوم، وهو أول من ولي درس الحديث بالظاهرية المستحقة بين القصرين.

ومات الأمير أرنبغا، مقدم البريدية، وأحد أمراء العشراوات بالقاهرة، في صفر.

ومات الأمير تلكنمر، أحد أمراء الطبلخاناه، وكاشف الجسور. مات بالطاعون في جمادى الأولى.

ومات الأمير جركس الخليلي، أمير أخور. قُتل في محاربة الناصري خارج دمشق، يوم الإثنين حادي عشرين ربيع الآخر. وكان مهابا، عارفا، خبيرا بالأمر، حسن السياسة، عاقلا، خيرا. وله بالقاهرة خان ^(٢) يعرف به وقفه على بر يعمل بمكة.

ومات الأمير سيف الدين بزlar العمري نائب دمشق. كان من ممالك الناصر حسن. ربي مع أولاده وتأدب ومهر في الكتابة، وشارك في العلوم، سيما الفلكيات وعلم النجوم. وتقدم في الفروسية، وأتقن أنواع الثقافة، وكان ذكيا فطنا شجاعا، ولي نيابة

(١) بانقوس بالقاف: جبل في ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال. ٣٣١/١ معجم البلدان.

(٢) أحمد بن عمر بن أبي الرضا، أبو الخير شهاب الدين: [.....٧٩١هـ = ١٣٨٩م] قاضي من أهل حماه بسوريه ولي القضاء بحلب ثلاث مرات، وكان عالما بالقراءات، له فيها نظم سماه عقد البكر وله منظومات. انظر الدرر الكامنة ١: ٢٢٧، وجمع اللغة بدمشق ٤٨: ٣٢٩، والأعلام ١٨٧/١.

الإسكندرية، وتنقل في الرتب. ثم نفى إلى طرابلس. وقدم مع الأمير يلبغا الناصري إلى القاهرة، وولى نيابة دمشق. ثم قبض عليه واعتقل بقلعتها حتى مات، وقد أناف على الخمسين.

ومات الأمير حسام الدين حسن بن الأمير علاء الدين على ابن الأمير سيف الدين قشتمر، أحد العشراوات. مات بالطاعون في القاهرة.

ومات الشيخ حسين الخباز، الواعظ المعتقد. سحب الشيخ ياقوت الشاذلي، وتلقن منه، وتزوج ابنته، وترك بيع الخبز، وانقطع بزاورته خارج القاهرة، وجلس للوعظ، فاشتهر، وصار له عدة أتباع، حتى مات في حادى عشرين ربيع الآخر، ودفن بالقرافة

ومات الأمير سودن المظفرى، مقتولا بحلب. وكان مشكورا، فيه خير وبر ومحبة للفقراء، وملازما للعبادة، وقلة الكلام مع المعرفة، وأصله من مماليك الأمير قطلوبغا المظفرى، أحد أمراء حلب. وبها نشأ وترقى إلى أن صار خازن دار الأمير جرجى الإدريسى نائب حلب. ثم صار أحد الحجاب، وانتقل إلى نيابة حماة، ثم ولى نيابة حلب، وعزل منها، وصار أتابك حلب، إلى أن قتل، وقد أناف على الستين.

ومات الأمير سراى الطويل الرجبى أحد المماليك اليلبغاوية، والأمراء الطبلخاناه. مات خارج القاهرة، ثالث عشر ربيع الأول.

ومات قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن خير السكندرى المالكى، فى يوم الأربعاء سابع عشر رمضان.

نشأ بالإسكندرية، وبرع فى الفقه، واشتهر بحسن السيرة، فطلب لقضاء المالكية بديار مصر، وباشره أحسن مباشرة.

ومات جمال الدين عبد الله بن الشيخ علاء الدين مغلطاي فى ثامن عشرين ربيع الآخرة، بالقاهرة.

ومات الشيخ شرف الدين عثمان بن سليمان بن رسول ابن أمير يوسف بن خليل بن نوح الكراني التركمانى الحنفى، المعروف بالأشقر. قدم إلى القاهرة، واتصل بالأمير الكبير برقوق، وحظى عنده، وصار يؤاكله، فلما ولى السلطنة رتبته إماما يؤم به فى الصلوات. ثم ولاه مشيخة الخانقاة الركنية ببيرس، وقضاء العسكر حتى مات، فى رابع عشرين ربيع الآخر بالطاعون.

ومات الأمير أشقتمر الماردينى نائب حلب، مات بطالا بالقدس^(١).

(١) القدس بلد بالشام قرب حمص من فتوح شرحبيل بن حسنة. انظر معجم البلدان ج٤.

ومات علم دار بن عبد الله الناصري بدمشق. وكان خيرا، له آثار جميلة بمصر والشام.

ومات الطواشي سابق الدين مثقال الجمالي الساقى زمام الدور. كان من خدام المجاهد صاحب اليمن، فلما حج نهب وأبيع، فاشتراه حسين بن الناصر محمد، فترقى فى الخدم، وصار من الحمدارية. ثم ولى شد الأحواش. فلما مات سابق الدين مثقال الآنوكى، نقل اقتحار الدين ياقوت الزمام إلى تقدمه المالك، وولى مثقال هذا زمام الدور عوضه، ثم صرف بمقبل الدوادرى فسافر إلى الحجاز وجاور بالحرمين حتى مات ببدر، ليلة الجمعة تاسع عشر ذى القعدة.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن بزلار، أحد العشراوات. مات بالطاعون فى القاهرة.

ومات الشيخ بدر الدين محمد بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقينى الشافعى، قاضى العسكر، فى يوم الجمعة سابع عشرين شعبان، ودفن بمدرسة أبيه من حارة بهاء الدين بالقاهرة، وكان مفتيا فى عدة علوم، حاد المزاج، مفرط الذكاء، منهمكا فى اللذات التى تهواها النفوس، متمتعا بالجاه والمال.

ومات الشيخ شمس الدين بن محمود بن عبد الله النيسابورى، المعروف بابن أخى جارا لله الحنفى، فى سابع عشرين جمادى الأولى، عن قريب من خمسين سنة. ولى إفتاء دار العدل ومشيخة الخانكاة الصلاحية سعيد السعداء، وعدة تداريس، وكان خيرا.

ومات الشيخ منهاج الدين العجمى فى رابع عشر ربيع الأول. درس فقه الحنفية بالجامع الطولونى، وبمدرسة أم الأشرف. وكان قليل العلم جدا، لا يزيد فى الدرس على سماع ما يقرأ عليه.

ومات الشيخ حب الدين أحمد السبتي المعتقد، فى العشرين من صفر.

ومات الأمير علاء الدين مغلطى والى القاهرة، فى المحرم.

ومات شهاب الدين أحمد بن موسى بن على^(١)، عرف بابن الوكيل الشافعى المكى، بالقاهرة فى نصف صفر.

ومات الأمير سيف الدين نوغاي، أحد أمراء العشرينات، وأمير علم.

(١) شهاب الدين أحمد بن موسى بن على [٧٠٠-٧٩٢هـ = ١٣٠١-١٣٩٠م] فقيه يمانى عالم بالفرائض له مصنفات. انظر العقود اللؤلؤة ٢/٢١٨ والأعلام ١/٢٦١.

ومات القاضي تاج الدين ابن ريشة ناظر الدولة فى سادس عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير شرف الدين يونس النوروزى الدوادار، أصله من مماليك الأمير جرجى الإدريسى نائب حلب. واستقر من جملة المماليك اليلغاوية، وصار دوادار الأمير الكبير أسندمر الأتابك. فلما ملك الظاهر برقوق جعله داودارا كبيرا. وكان أخص أمرائه حتى خرج إلى محاربة الناصرى وانهزم، فقتله عنقاء بن شطى أمير آل مرا، قريبا من خربة اللصوص، فى يوم الثلاثاء ثانى عشرين ربيع الآخر، عن نيف وستين سنة. وكان خيرا، كثير المعروف، صاحب نسك من صوم كثير وصلاة فى الليل، مع وفور الحرمة، وقوة المهابة، والإعراض عن سائر الهزل، ومحبة أهل العلم والدين وإكرامهم. وله بالقاهرة قيسارية وربع، وله تربة بقبة النصر، وتربة خارج باب الوزير، ومدرسة خارج دمشق، وخانا جليلا خارج غزة، وعدة أحواض سبيل بديار مصر والشام.

وماتت خوند شقراء ابنة الملك الناصر حسن زوجة الأمير أروس، فى ثامن عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير قرا محمد صاحب الموصل قتيلا.

ومات الأمير زامل بن مهنا أمير آل فضل فى السنة المذكورة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الإثنين، وديار مصر والشام من الفرات إلى أسوان فى غاية الاضطراب وترقب الشر.

وفى ثانيه: وصل السلطان الملك المنصور إلى مدينة غزة بعساكر مصر، وجميعهم ملبسين السلاح، أبدانهم وخيولهم.

وفى سادسه: عدى الأمير صراى تَمُر نائب الغيبة بحر النيل إلى بر الجيزة، وأحاط بخيول الناس المرتبطة على البرسيم للربيع، وأخذها كلها - ولم يكن بذلك الكبير - وأدخلها فى الجشرات^(١) السلطانية. وتبعت الخيول، فأخذت خيول الأمراء وأولاد الناس، وخيول عربان البحيرة والغربية والشرقية.

وشرع الناشب فى تجهيز الشعر والزاد إلى العسكر لغلاء السعر معهم.

وفى سابعه: دقت البشائر بالقلعة وأبواب الأمراء ثلاثة أيام، لكذب أشاعوه من فرار الملك الظاهر، وتابعوا الإشاعات بذلك. ورسم بزيينة القاهرة ومصر، فزيتنا فى ثامنه.

وفيه استقر قُرطاي التاجى فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنساوية والأطفيحية، عوضا عن أمير حاج بن أيدمر.

وفى حادى عشره: قبض على ستة ممالك بالريقة من القاهرة، وقد لبسوا السلاح وأعدوا عندهم كثيرا من السلاح، فأقروا أن معهم جماعة من ممالك نائب الغيبة، وممالك غيره من الأمراء، قد اتفقوا على أنهم يثوروا يوم الجمعة ثانى عشره، وتأخذ كل طائفة أميرا، ويملكوا الإصطبل والقلعة.

فأمسك الأمير صراى تَمُر نائب الغيبة من ممالكه خمسة وثلاثين رجلا، وقبض الأمير تكا على عشرين، وقبض الأمير مقبل أمير سلاح على سبعة. وضرب الجميع فأقروا على جماعة، قبض منهم يونس من أمراء العشراوات، وناصر البدرى الأستاذار، وقطلوبك، وفراج. ونزل والى القاهرة حسين بن الكورانى، والأمير قطلوبغا الحاجب إلى الدار البيسرية بالقاهرة، وبها أخوات الملك الظاهر، فأخذوا بييرس ابن أخت الظاهر

(١) الجشرات الحشر قوم يبيتون مكانهم فى مرعى الإبل لا يرجعون إلى بيوتهم. الوجيز ١٠٦.

برقوق وأفحش حسين الوالى فى سب أخوات الظاهر، وبالع فى إهانتهم، وذم الظاهر، حتى ألبأهم إلى الخروج حاسرات مع الجنادرية^(١)، يسحين فى طول القاهرة، حتى قدم مرسوم نائب الغيبة بردهن من باب زويلة، فكان هذا أعظم الأسباب فى هلاك حسين، كما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيه استقر عمر بن خطاب فى ولاية المنوفية^(٢) عوضا عن محمد بن العادلى.

وفى ثانى عشره: قلعت الزينة.

وفيه نزل قطلوبغا الحاجب، وفتش البيسرية، فلم يجد فيها أحدا من المماليك الظاهرية فدخل المدرسة الظاهرية برقوق، وفتش سائر بيوت فقهاؤها فلم يجد أحدا، فقبض على رجلين من التجار العجم، أحدهما خواجه إسماعيل، وعملهما فى الحديد، وسار بهما إلى القلعة.

وفيه ألزم أرباب المراكب ألا يعدوا بفرس من بر الجيزة إلى بر مصر والقاهرة.

وفيه نودى على المماليك الظاهرية أن من أحضر منهم مملوكا، أخذ ألفى درهم.

وأما الملك المنصور والأمير منطاش فإن الأخبار أتهمها بأن الأمير كُشِبغا لم يزل يبعث من حلب يمد الملك الظاهر بالعساكر والأزواد والآلات وغير ذلك، حتى صار له برك كبير، ثم إنه قدم لنصرته بعساكر حلب، وقاتل معه، فجد الملك المنصور من غزة فى المسير، وبلغ ذلك الملك الظاهر فترك قتال أهل دمشق، وأقبل نحوهم، فنزل العسكر المصرى على قرية المليحة - وهى عن شقحب بنحو بريد - وأقاموا بها يومهم. وبعثوا كشافتهم، فوجدوا الظاهر برقوق على شقحب، فكان اللقاء يوم الأحد رابع عشره، وقد وافاهم الظاهر برقوق، فوقف الأمير منطاش فى الميمنة، وحمل على ميسرة الظاهر، فحمل أصحاب الميمنة الظاهر على ميسرة المنصور، وبذل كل من الفريقين جهده، وكانت حروب شديدة، انهزمت فيها ميمنة الظاهر وميسرته، وتبعهم منطاش بمن معه، وثبت الظاهر فى القلب، وقد انقطع عنه خير أصحابه، وأيقن بالهلاك. ثم حمل على المنصور بمن بقى معه، فأخذ المنصور والخليفة المتوكل والقضاة والخزائن، ومالت الطائفة التى ثبتت معه على الأثقال، فأخذتها عن آخرها، وكانت شيئا يخرج عن الحد فى الكثرة، ووقع الأمير قُجماس ابن عم الظاهر فى قبضة منطاش، ومر فى أثر المنهزمين

(١) يقصد بالجنادرية حملة السلام أى الحراس.

(٢) المنوفية وهى من قرى مصر القديمة فى فتوح مصر ويضاف إليها كورة فيقال كورة رمسيس

ومنوف. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

حتى وصل إلى دمشق، وبها يومئذ الأمير جتئمر أخو طاز، فقال له: «قد كسرنا برقوق، وفي غد يقدم الملك المنصور، فاخرج إلى ملاقاته». فمشى ذلك عليه واستعد، وخرج في يوم الإثنين خامس عشره والأمير منطاش ومن معه.

وأما الظاهر وأصحابه، فإن الأمير كمشبغا نائب حلب كان ممن انهزم على شقحب، فتم في الهزيمة إلى حلب، وتبعه الأمير حسام الدين حسن الكجكنى نائب الكرك، ومن بقى من عساكر حلب، فاستولى عليها، وانهزم أهل الكرك إليها، فلم يصلوا حتى مرت بهم شدائد. ولم يتأخر مع الظاهر إلا نحو الثلاثين، وقد تمزقت عساكره وعساكر مصر، فلم يقصد إلا المنصور، فأخذه بمن معه، وجرح قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء الشافعى، وقاضى القضاة شمس الدين محمد بن الطرابلسى الحنفى. وسلب النهاية جميع القضاة والمتعممين، ماعدا قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلى، فإنه كان لم يركب وقت الحرب، فسلم من النهب، هو وولده برهان الدين إبراهيم. وقتل خلق كثير. ومضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، وأخوه عز الدين حمزة، وجمال الدين محمود ناظر الجيش، وشمس الدين محمد بن صاحب موقع الإنشاء، وتاج الدين عبد الرحيم - ابن الوزير فخر الدين بن أبى شاكر صاحب ديوان منطاش، فى طائفة كبيرة إلى دمشق. ووقف الظاهر تحت العصائب السلطانية، والمنصور والخليفة بجانيه، فتلاحق به عدة من أصحابه. وبات ليلته على ظهر فرسه.

ووكل بالمنصور والخليفة من يحفظهما، وهو فى قتل من خالفه، ولم من غاب من أصحابه، أو أطلعه من عسكر مصر، حتى أصبح فى نهار يوم الإثنين وقد صار فى عسكر كثيف. وأقبل منطاش فى عالم كبير من عوام دمشق وعساكرها ومن كان معه، فدارت بينه وبين الظاهر فى هذا اليوم منذ شروق الشمس إلى آخره حروب لم يعهد بمصر والشام فى هذه الأعصر مثلها، وبعث الله ريحا ومطرا فى وجه منطاش ومن معه، فكانت من أكبر أسباب خذلانه. ولم تغرب الشمس حتى فنى من الفريقين خلق كثير من الفرسان والعامّة. وانهزم منطاش إلى دمشق. وعاد الظاهر إلى منزلته فأقام بها سبعة أيام. وعزت عنده الأقوات، حتى أبيع البشماطة بخمسة دراهم فضة، وأبيع الفرس بعشرين درهما، والجمل بعشرة دراهم لكثرة الدواب وقلة العلف. ثم طُلب من يشتري الجمال فلم يوجد، وغنم أصحاب الظاهر أموالا جزیلة، استغنى به منهم عدة، بعد فقرهم.

وفى أثناء إقامته، أمر الظاهر فجمع كل من معه من الأعيان، وأشهد على المنصور حاجي أنه خلع نفسه، وحكم بذلك القضاة. ثم بويع الظاهر، وأثبت القضاة بيعته. فولى الظاهر الأمير فخر الدين إياس الجرجاوى نيابة صفد، والأمير سيف الدين قديد القمطاي الكرك، والأمير علاء الدين أقبغا الصغير غزة. ورحل الظاهر، فأتاه عند رحيله منطاش بعسكر الشام، ووقف على بعد، فاستعد الظاهر إلى لقائه فولى عنه، وعاد إلى دمشق.

وسار الملك الظاهر بمن معه يريد ديار مصر، وبعث إلى غزة يأمر منصور الحاجب بالقبض على حسام الدين حسن بن باكيش، فقبض عليه، واستولى على غزة. وبعث بابن باكيش إلى السلطان الظاهر برقوق فضربه بالمقارع وهو بالرملة. وسار [الظاهر] إلى غزة، فضربه بها ضربا مبرحا، يوم دخلها مستهل صفر.

وأما أمر ديار مصر، فإنه أشيع كسرة الظاهر لمنطاش، فى رابع عشر المحرم يوم الوقعة.

وفيه استقر الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام أستاذار الأمير منطاش، قرره فى ذلك الأمير صراى تمر، وخلع عليه.

وفى خامس عشره: أفرج عن الأمير ناصر الدين ناصر البدرى، وصراى تمر الشرفى، ويبرس ابن أخت الظاهر، فى جماعة آخر.

وفيه قدم من الفيوم محضر - يقال إنه مفتعل - بأن حائطاً سقط على الأمراء المحبوسين بالفيوم، قتلهم، وهم: كُمر باى الحسنى، وقربغا الأبو بكرى، وطغاي تمر الجركتمرى، ويونس الأسعدى، وقازان السيفى وتنكز العثمانى، وأردبغا العثمانى، وعيسى الزكمانى.

وفى ثانى عشرينه: قدم المحمل والحاج، وكانوا ركبا واحدا.

وفى خامس عشرينه: قدم سواق بكتب مزورة، تتضمن أن الملك المنصور ملك دمشق، وفر الظاهر، فدقت البشائر ثلاثة أيام، وعمل الأمير حسين بن الكورانى وليمة عظيمة، وأظهر فرحا زائدا، فلم يمش هذا على أكثر الناس.

وفى ثامن عشرينه: كثرت الإشاعات بكسرة منطاش، واستيلاء الظاهر على المنصور والخليفة، وأنه متوجه إلى القاهرة.

وفى يوم الأربعاء أول صفر: قدم البريد من غزة وعلى يده كتاب مفتعل، بدخول المنصور دمشق، وهرب الظاهر. هذا والفتنة قائمة بين الأمير صراى كُمر نائب الغيبة، وبين الأمير تكا المقيم بالقلعة، وكل منهما ينافس الآخر، ويحتز منه، حتى اشتهر هذا.

واتفق أن الأمراء والمماليك الذين سجنوا بخزانة الخاص من القلعة زرعوا بصلا فى قصريتين فخار وسقوه، فنجب بصل إحدى القصريتين ولم ينجب الآخر، فرفعوا القصرية التى لم ينجب بصلها، فإذا هى مثقوبة من أسفلها، وتحتها حجر يخرج من شقوق ما بينه وبين حجر آخر هواء، ففكوا الطاقة ورفعوه فوجدوا تحته خلوا، فما زالوا به حتى اتسع، وأفضى بهم إلى سرداب، مشوا فيه حتى صعدوا الأشرفية، من قصور القلعة.

وكان منطاش قد سد بابها الذى ينزل منه إلى الإسطبل، فعاد الذين مشوا فى السرداب واعلموا أصحابهم، فقاموا بأجمعهم - وهم نحو الخمسمائة رجل - ومشوا فيه ليلة الخميس ثانى صفر. هذا وقد ترأس عليهم الأمير بطا الطولوتمرى، وحاولوا باب الأشرفية حتى فتحوه، فثار بهم الحرس الموكلون بحفظ الباب، وضربوا مملوكا يقال له تمرىغا قتلوه، فبادر بطا ليخرج فضربوه ضربة سقط منها إلى الأرض. ثم قام وضرب بقيده الرجل صرعه، وفر البقية، فصرخ المماليك صرخة واحدة، وخرجوا، وقد جعلوا قيودهم سلاحا يقاتلون به، وصار الحرس يصيحون فى هروبهم «تكا، يا منصور»، فانتبه الأمير صُرَيْتَمُرُ فزعاً، وهو لا يشك أن تكا ركب عليه ليأخذه، واستخفه الفزع، فنزل من الإسطبل، وصار إلى بيت الأمير قطلوبغا الحاجب - وكان قريباً من الإسطبل - فملك بطا الإسطبل، واحتوى على ما فيه من قماش صراى ثمر وأثاثه، وقبض على المنطاشية، وأفرج عن المعوقين به، وأخذ الخيول التى كانت هناك، وأمر فدقت الكوسات حربياً من نحو ثلث الليل الأول إلى أن أصبح الناس يوم الخميس، فرماهم الأمير تكا من الرفرف والقصر، وساعده الأمير مقبل أمير سلاح، ودمرداش القشْتَمُرُ فيمن معهم.

هذا، وقد تسامعت المماليك الظاهرية، وخرجوا من كل مكان، ولحقوا ببطا، وبعثوا إلى خزانة شمایل بالقاهرة، وكسروا بابها، وأخرجوا من كان فيها من المماليك الظاهرية واليلبغاوية وغيرهم. وكسروا أيضاً سجنى الديلم والرحبة، وأفرجوا عن المسجونين. فخاف الأمير حسين بن الكورانى وهرب. وركب الأمير صُرَاى ثمر، والأمير قطلوبغا الحاجب فى جمع لقتال بطا وأصحابه، فنزل إليهم وقاتلهم، وقد اجتمع معه من العوام خلق كثير لمعاونته، فخامر أكثر من معهما، وصاروا إلى بطا، فانكسرا ودخلا إلى مدرسة حسن. فلما رأى الأمير تكا جمع بطا يزداد، وصُرَاى ثمر قد انكسر، نزل من القلعة إلى الطبلخانة، ورمى على بطا، فمضى طائفة منهم، وملكوا بيت قطلوبغا الحاجب، ونقبوا منه حتى ملكوا المدرسة الأشرفية، ورموا على من فى الطبلخانة،

فانهزموا، وملكوا الطبلخاناة، وحاصروا مدرسة حسن، وكان بها طائفة من التركمان أعددهم منطاش لحفظها، فسألوا الأمان لشدة الرمي عليهم بمكاحل النفط، فانهزم عند ذلك من كان على باب القلعة من الرماة، فسارت الظاهرية إلى بيوت الأمراء ونهبوها، والناس في القاهرة مع هذا في أمن، لم يقع بها نهب ولا شر، مع عدم من يحميها. ولم يمض النهار حتى تجاوز عدد الظاهرية الألف، وأمدتهم ناصر الدين ناصر - أستاذار منطاش - بمائة ألف درهم فضة وأذن بطا لناصر الدين محمد بن العادلي أن يتحدث في ولاية القاهرة، فدخلها ونادى بالأمان، والدعاء للملك الظاهر برقوق، فسر الناس سيورا زائدا، بزوال الدولة المنطاشية.

وفي بكرة يوم الجمعة - ثالثه - سلم الأمير تكا قلعة الجبل إلى الأمير سودن النائب.

وفيه أقام الأمير بطا منجك المنجكي في ولاية القاهرة، عوضا عن ابن العادلي، فدخلها ونادى بالأمان.

وفيه نزل الأمير سودن النائب من قلعة الجبل، ومعه تكا ودمرداش القشتمري، ومقبل السيفي إلى عند الأمير بطا فقبض عليهم، وقيدهم. وبالف في إكرام الأمير سودن، وبعثه إلى الأمير صُراي تمر، فما زال به حتى كف عن الرمي. ونزل هو وقُطلوبغا الحاجب إليه، فتكاثرت العامة تريد قتلها، والأمير سودن يمنعهم من ذلك أشد المنع، فلم يلتفتوا إليه، ورجوهما رجما متتابعًا، كاد يهلك الجميع، فاحتاجوا إلى الرمي بالنشاب عليهم، وضربهم بالسيوف، فقتل منهم جماعة. وصار سودن بهما وبمن كان معهما إلى الإسطنبول، فقيدهما بطا، وسجنهما، وأمر بمن في المدرسة من المقاتلة، فأنزلوا كلهم، وأذهب الله الدولة المنطاشية من مصر. وركب الأمير سودن النائب، وعبر إلى القاهرة، والمنادي بين يديه ينادي بالأمان والاطمئنان، والدعاء للسُلطان الملك الظاهر. وبعث إلى خطباء الجوامع، فدعوا في خطبة الجمعة.

وفيه أفرج الأمير بطا عن الخليفة المخلوع زكريا والشيخ شمس الدين محمد الركراكي المالكي، وسائر من كان بالقلعة من المسجونين، وتبع المنطاشية.

وفيه قدم أحمد بن شكير الدليل، وأشاع في القاهرة أن الملك الظاهر قادم إلى القاهرة.

وقدم أيضا جلبان العيسوى الخاصكى، وأخير برحيل الملك الظاهر من غزة^(١) يوم الخميس ثانى صفر، فدقت البشائر، وتخلق الظاهرية بالزعران.

وكتب بطا إلى السلطان يخبره بما اتفق لهم، وأنهم ملكوا ديار مصر، وأقاموا الخطبة باسمه، واستولوا على القلعة والإسطنبول، وقبضوا على سائر الأمراء المنطاشية. وبعثوا به الشريف عنان بن مغامس ومعه أقبغا الطولو تمرى، المعروف باللكاش - أحد المماليك الظاهرية - فسارا ليلة السبت رابعة.

وفيه استقر ناصر الدين محمد بن لىلى فى ولاية القاهرة، عوضا عن منجك، فنزل القاهرة بخلعته، ونادى بالأمان والدعاء للملك الظاهر، وكتب بطا إلى ولاة الأعمال بإحضار المنطاشية، والإفراج عن الظاهرية، وتجهيزهم إلى قلعة الجبل.

وفيه طلب الأمير حسين بن الكورانى إلى الإسطنبول. فلما حضر أراد المماليك الظاهرية قتله لقبيح ما فعله فيهم، فشفع فيه الأمير سودن النائب.

وفيه قبض على الطنبغا الطازى كاشف الجيزية، وقيده، واستقر الأمير مبارك شاه عوضه.

وفى خامسه: خلع بطا على الأمير حسين بن الكورانى، وأعيد إلى ولاية القاهرة، وأمره أن يحصل المنطاشية كما حصل الظاهرية، فنادى: «من أحضر مملوكا من الأشرفية أو من ممالك منطاش، فله كذا».

وفيه قبض بطا على الأمير قطلوبغا اللالا، والأمير بيدمر شاد القصر والأمير بورى صهر منطاش، والأمير صلاح الدين محمد بن تنكز وسجنهم بالقلعة.

وفيه حُصنت القلعة والإسطنبول، ومدرسة حسن، ومدرسة الأشرف تحصينا زائداً، ورتب الرماة والمقاتلة والنفطية^(٢)، حتى ظن الناس أن بطا يمنع الملك الظاهر من القلعة، وكثر الكلام فى هذا.

وفيه أمر الأمير بَطَا فخر الدين بن مكائس ناظر الدولة بعمل السماط^(٣) بالإسطنبول، فصارت الأمراء والمماليك بأجمعهم تحضر السماط فى كل يوم عند الأمير بَطَا، ورتب لهم على الدولة اللحوم وغيرها.

(١) غزة مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان

(٢) النفطية مستخرج النفط من معدنه. انظر الوجيز ٦٢٨.

(٣) السماط ما يمد ليوضع عليه الطعام فى المآذب. انظر الوجيز ٣٢١.

وفيه أفرج بطا عن الصارم بن بلرغى والى القلعة، وأعادته إلى ولايته.

وفيه قدم الأمير سيف الدين بن محمد بن عيسى العائدى بكتاب الملك الظاهر إلى الأمير بطا، بتجهيز الإقامات، والإخبار بما من الله عليه، وأن يواصل الأخبار فى كل يوم.

وفى سادسه: حضر زيد بن عيسى العائدى، وأخير بتفصيل الوقعة.

وقدم البريد من قطيا بكتاب الملك الظاهر إلى الأمير علاء الدين الطشلاقى والى قطيا، بحفظ الدرب، والقبض على من انهزم، وإعلامه بالنصرة على منطاش، وفراره. وكل هذا ولم تطمئن النفوس، ولا ارتفع الشك، بل كان بطا يخشى أن يكون هذا من مكاييد منطاش، وهو ينتظر جواب كتابه.

وفى سابعه: استقر الأمير بطا بالصارم إبراهيم الباشقردى فى ولاية البهنسا، عوضا عن محمد بن الأعسر.

وفى ثامنه: استقر بالأمير بَكْتَمُر الطرخانى فى ولاية الأشمونين، عوضا عن أبى بكر بن بدر، واستقر بأحمد السيفى فى ولاية قوص.

وفيه قدم أقبغا اللكاش، وقد ألبسه الملك الظاهر خلعة سنية، شق بها القاهرة، وكتب على يده كتابًا إلى الأمير بطا، فتحقق الناس نصرة السلطان الملك الظاهر، ونودى فى الناس بالأمان، ومن ظلم أو قهر فعليه بالأمير بطا.

وفيه قبض على الأمير حسين بن الكورانى، وقيد بقيد ثقيل جدا، ونهبت داره. واستقر الصارم عوضه فى ولاية القاهرة. وفى غده سلم إلى الصارم، فأخذه فى الحديد، كما تؤخذ اللصوص، وضربه وعصره، ثم نقل من عند الصارم الوالى إلى الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص - شاد الدواوين - فعاقبه أشد العقوبة.

وفى تاسعه: قدم البريد بكتاب السلطان إلى الأمراء والماليك بالسلام عليهم، فتزايدت مسرات الناس بنصرة الملك الظاهر، وكثر فرحهم، حتى قل بيت لم يداخل أهله السرور بذلك.

وفيه قدم تانى بك - المعروف بتنم الحسنى - من الإسكندرية ^(١)، المتوجه برسالة بطا إلى الإسكندرية، وقد امتنع نائبها من الإفراج عن الأمراء إلا بكتاب السلطان.

(١) الإسكندرية: مدينة عظيمة بديار مصر بناها الإسكندر بن فيلبش فنسبت إليه، وهى على ساحل البحر الملح وقال عنه قوم أنه أرم ذات العباد التى ذكرت فى القرآن الكريم فى [سورة الفجر آية ٧] انظر معجم البلدان ١/ ١٨٣، والروض المعطار ٥٤، والاستبصار ٩١ وما بعدها.

وفيه أُلزم الفخر بن مكانس ناظر الدولة بتجهيز الإقامات السلطانية، وتجهيز الشقق الحرير، لتفرش تحت فرس السلطان عند قدومه.

وفيه قدم من دمياط الأمير شيخ الصفوى، وقُنق بآى السيفى، ومقبل الرومى الطويل، وأطبغا العثماني، وعبدون العلاى، وطوجى الحسنى، وأربعة آخر.

وفى عاشره: شد العذاب على حسين بن الكورانى، وأُلزم بمائة ألف درهم فضة، ومائة فرس، ومائة لبس حربى.

وفى حادى عشره: استقر قتلوا شاه - نائب والى الجيزة - فى ولاية الجيزة، واستقر بورى القَنجَقى فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنساوية والأطفيحية، عوضا عن قرطاي التاجى.

وقدم البريد بنزول السلطان إلى الصالحية ^(١) فخرج الناس إلى لقائه.

وفى ثانى عشره: ورد مرسوم السلطان على حسين بن الكورانى، بعمل شىء من الأمور السلطانية، ظناً أنه مستمر على ولاية القاهرة، فأمر الأمير بطا بالإفراج عنه، فخرج لسييله.

وفيه نودى بزينة القاهرة ومصر وظواهرهما، فاستهم الناس فى الزينة، وتناظروا فى التفاخر بها، رغبة منهم فى الدولة الظاهرية، حتى لم نعهد زينة نظيرها.

وفى ثالث عشره: نزل السلطان بالعكرشا، قريبا من سرياقوس.

* * *

الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برفوق ابن أنص

الجر كسى رحمه الله تعالى سلطنته الثانية

فى بكرة نهار يوم الثلاثاء رابع عشر صفر، نزل الملك الظاهر بالريداية خارج القاهرة، فخرج إلى لقائه الأشرف، مع السيد على نقيب الأشراف، وخرجت طوائف الفقراء بصناجقها، وخرجت العساكر بلبوسها الحربية.

وكانت العساكر منذ خرج بطا وأصحابه لابسة السلاح ليلا ونهارا. وخرجت اليهود بالتوراة، والنصارى بالإنجيل، ومعهم شموع كثيرة مشعلة. وخرج من عامة

(١) الصالحية قرية قرب الرها من أرض الجزيرة اختطها عبد الملك بن صاع الهاشمى. انظر معجم

الناس رجالهم ونسأؤهم ما لا يحصيه إلا الله، وعندهم من الفرح والسرور شيء زائد، وهم يضحون^(١) بالدعاء للسلطان، حتى لقوه وأحاطوا به، وقد فرشت الشقق الحرير من الترب إلى باب السلسة. فلما وصل إليها تنحى بفرسه عنها، وقدم الملك المنصور حاجي بن الأشرف حتى مشى بفرسه عليها، ومشى بجانبه، فصار كأن الموكب للمنصور، فوق هذا من الناس موقعا عظيما، ورفعوا أصواتهم بالدعاء والابتهاال له لتواضعه مع المنصور في حال غلبته وقهره له، وأنه معه أسير، وعد هذا من فضائله. وصارت القبة والطير أيضا على رأس المنصور الخليفة راكب بين أيديهما، وقضاة القضاة بين يدي الخليفة. فإذا تقدم الفرس عن شقة إلى أخرى تناهبا العامة من غير أن يمنعهم أحد. وكانت العادة أن الشقق الحرير لجمدارية السلطان، لكنه قصد بذلك التحجب للعامة، فإنه صاحب كيد ودهاء. وكذلك لما نثر عليه الذهب والفضة تناهبا العامة. وعندما وصل إلى باب القلعة نزل عن فرسه، ومشى راجلا تجاه فرس المنصور - وهو راكب - حتى نزل، فأخذ يعضده وأنزله، فحسن هذا منه إلى الغاية. وأخذ في المبالغة في تعظيمه ومعاملته بما يعامل به الأمراء سلطانهم، إلى أن أدخله داره بالقلعة ثم تفرغ لشأنه. واستدعى الخليفة وشيخ الإسلام وقضاة القضاة وأهل الدولة، وهو بالإصطبل. وجدد عقد السلطنة وتجديد التفويض الخلفيتي، فشهد بذلك القضاة على الخليفة ثانيا، وأفيضت التشاريف^(٢) الخليفية على السلطان، ثم أفيضت التشاريف السلطانية على الخليفة. وركب السلطان من الإصطبل، وصعد القلعة، وتسلم قصوره، وقد عاد إليها حرمه وجواريه، فدقت البشائر. واستمرت التهاني والأفراح بالقلعة ودور الأمراء وأهل الدولة، ونودي بالأمان والدعاء للسلطان، فسر الناس في هذا اليوم مسرة^(٣) كبيرة جدا.

وفي يوم الأربعاء خامس عشره: خلع السلطان على الفخر عبد الرحمن بن مكناس ناظر خلعة الدولة خلعة الاستمرار. واستدعى كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز صاحب ديوان الجيوش، واستقر به في نظر الجيش، عوضا عن جمال الدين محمود العجمي القيصرى. وخلع على الوزير صاحب موفق الدين أبى الفرج، واستقر به في الوزارة ونظر الخاص. وخرج البريد إلى الإسكندرية بإحضار الأمراء المسجونين بها.

(١) يضحون هو الجلب وصاح من مشرفة أو جزع ونحوهما.

(٢) التشاريف نال الشرف. انظر الوجيز ٣٤١.

(٣) مسرة والسرور ضد الحزن ومسرة كمسيرة. انظر المصباح المنير ٢٩٥.

وفي سادس عشره: خلع على الأمير حسام الدين حسين بن الكوراثي، وعلى الأمير ناصر الدين محمد بن آقبا آص شاد الدواوين خلعة الاستمرار.

وأنعم على الأمير بٹا بإمرة مائة، وعين للدوادارية. واستقر الأمير قرقماس الطشتمرى أستاذارا. واستقر شمس الدين محمد بن عبد العزيز في صحابة ديوان الجيش.

وفي سابع عشره: وصل الأمراء من الإسكندرية إلى بر الجيزة فباتوا به، وعدوا في ثامن عشره إلى القلعة، وهم سبعة عشر أميرا: يلبغا الناصري، وألطنبغا الجوباني، وألطنبغا المعلم، وقرا دمرداش الأحمدى، وأحمد بن يلبغا العمرى، وقُرْدُم الحسنى، وسوْدُن باق، وسوْدُن الطرنطاي، وآقبا المارداني، وآقبا الجوهرى، وكَشْلَى القلمطاوى، وبَحَّاس النوروزى، ومأمور القلمطاوى، وألطنبغا الأشرفى، ويَلْبغا المنجكى، ويونس العثماني، وآلبغا العثماني، فقبلوا الأرض وعادوا إلى منازلهم من غير أن يؤاخذ أحد منهم بفعله، فعد هذا من جميل الأفعال.

وفي تاسع عشره: أعيد الشريف جمال الدين عبد الله الطباطبى إلى نقابة الأشراف، وصرف الشريف على.

وفي يوم الإثنين عشرينه: جلس السلطان بالإيوان المعروف بدار العدل من القلعة، في الموكب السلطاني، وحضر أهل الدولة للخدمة على العادة، فأخلع على الأمير سودن الفخرى الشيخونى، واستقر نائب السلطنة على عادته وعلى الأمير كُمشبغا الأشرفى الخاصكى، واستقر أمير مجلس. وعلى الأمير إينال اليوسفى، واستقر أميرا كبيرا أتابك العساكر. وعلى الأمير يلبغا الناصري واستقر أمير سلاح. وعلى الأمير الجوباني، واستقر رأس نوبة النوب. وعلى الأمير بطا، واستقر دوادارا. وعلى الأمير طوغان العمرى، واستقر أمير جاندار. وعلى الأمير سودن النظامى واستقر إلى القلعة، فكان يوما عظيما.

وفي حادى عشرينه: أعيد نجم الدين محمد الطنبدى إلى حسبة القاهرة، وصرف سراج الدين عمر العجمى، واستقر الأمير بَكَلْمَش العلاى أمير آخور، وسكن بالإسطنبول السلطاني.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه: قرئ عهد السلطان بدار العدل، وخلع على الخليفة المتوكل على الله، وكان حاضر القراءة.

وفيه استقر علاء الدين على بن عيسى المقيرى الكركى فى كتابة السر، عوضا عن بدر الدين محمد بن فضل الله. واستقر الأمير سيف الدين بُدْخَاص السودونى - نائب صفد - حاجبا ثانيا.

وفى رابع عشرينه: قدم من دمياط جماعة مُحْتَفَظ بهم، كان منطاش بعثهم فى بحر الملح من جهة طرابلس - قبل وقعة شقحب - إلى غزة، خوفا من أخذهم فى البر، حتى إذا وصلوا غزة ركبوا البريد إلى القاهرة، ومعهم كتب بقتل الأمراء المسجونين عن آخرهم. فلما وصلوا غزة بلغهم نصرة السلطان، فساروا فى البحر يريدون طرابلس^(١)، فألقاهم الريح بدمياط^(٢)، فسجنوا.

وفى سادس عشرينه: قبض على حسين بن الكورا وعُذِب.

وفيه عرض السلطان المماليك.

وفيه قدم البريد من صفد بفرار الأمير طُغَاى ثمر القبلاوى من دمشق إلى حلب فى مائتين من المنطاشية. وقدم منهم إلى صفد ثلاثمائة مملوك، وشكوا من سوء حال أهل دمشق بمنطاش.

وفى سابع عشرينه: استقر الأمير جمال الدين محمود بن على الأستاذار، مشير الدولة.

وفيه سلم الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس إلى الأمير بَكْلَمِش أمير أخور، فضربه بالمقارع^(٣)، وألزمه بما أخذ من دواوينه فى أيام الناصرى، وأطلقه بعد ما ضمن عليه.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشرينه: جلس السلطان بالميدان تحت القلعة للنظر فى المظالم والحكم بين الناس على عادته، فهرع الناس إليه، وأكثروا من الشكايات، فكثر خوف الأكابر وفزعهم، وترقب كل منهم أن يشكى إليه.

(١) طرابلس: مدينة بالشام عظيمة، عليها سور من صخر منيع، ولها ضياع جليلة، وطرابلس أيضاً مدينة من مدن إفريقية وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر، وتفسير طرابلس ثلاث مدن، أو مدينة الناس وسماها اليونانيون طرابلسية. انظر معجم البلدان ٢٥/٤، والروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، نزهة المشتاق ١١٧.

(٢) دمياط: - أو ذمياط - مدينة فى البلاد المصرية على ساحل البحر قرية من تنيس إليها ينتهى ماء النيل، وبها تعمل الثياب الرفيعة وغيرها مما يقارب الثياب التنيسية. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢٠، والروض المعطار ٢٥٧، ٢٥٨، الإدريسى ١٥٧، وابن الأثير ٣٢٠/١٢، ٣٣١، وابن حلكان ٨٠/٥، ٩٠، ٩١، ٢٥٨/٦، وخطط المقرئى ٢١٥/١ وما بعدها، ومرآة الزمان ٦١٥، ٦١٨.

(٣) المقارع كل ما يقرع به. انظر الوجيز ٤٤٩ ومفردها مقرع وجمعها مقارع.

وفي يوم الثلاثاء خامس ربيع الأول: قدم الأمير أسبغا التاجي، ونحو العشرين مملوكا، ومعهم عدة من المباشرين فروا من دمشق.

وفي حادى عشره: هرب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس عندما طلب، فلم يوقف له على خير، فأخذ كثير من أقاربه وحواشيه وقبض على أخويه فخر الدين عبد الرحمن ناظر الدولة، وزين الدين نصر الله.

وفي ثانى عشره: استقر نور الدين على بن عبد الوارث البكرى فى حسبة مصر، عوضا عن همام الدين.

وفي ثامن عشره: استقر شمس الدين محمد الركاكى فى قضاء القضاة المالكية، عوضا عن تاج الدين بهرام الدميرى.

وفيه استقر سعد الدين أبو الفرج بن تاج الدين موسى - المعروف بابن كاتب السعدى - فى نظر الخاص، عوضا عن صاحب موقف الدين، وانفرد الموفق أبو الفرج بالوزارة.

وفيه عزل شرف الدين محمد بن الدمانى عن حسبة الإسكندرية، بجمال الدين بن خلاص. ونقل الشيخ علاء الدين على بن عصفور الشامى المكتب من توقيع الدرج إلى توقيع الدست.

وفي خامس عشرينه: استقر الأمير علاء الدين ألتنبغا الجوبانى - رأس نوبة النوب - فى نيابة دمشق، والأمير سيف الدين قرا دمرداش الأحمدى نائب طرابلس، ورسم لهما محاربة منطاش. واستقر علاء الدين على الكرعى كاتب السر فى نظر المدرسة الظاهرية المستجدة، ونظر الخانكاة الشيخونية.

وفي ثامن عشرينه: طلب صاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وفخر الدين عبد الرحمن^(١) بن مكانس إلى القصر السلطانى، وضربا بالمقارع، فضرب ابن الغنام سبعة شيوب، وضرب ابن مكانس نحو الخمسين شييا.

وفي يوم السبت أول ربيع الآخر: استقر الأمير مأمور القلمطاوى فى نيابة حماة، وأرغون العثمانى فى نيابة الإسكندرية، وآلابغا العثمانى حاجب الحجاب بدمشق، وأسندمُ السيفى حاجب الحجاب بطرابلس.

(١) عبد الرحمن بن مكانس بن عبد الرزاق بن إبراهيم، أبو الفرج، فخر الدين، المعروف بابن مكانس وزير، حنفى المذهب أصله قبطى. انظر الدرر الكامنة ٣٣٠/٢ وابن الفرات ٣٢٢/٩ وآداب اللغة ١٢٤/٣ والفهرس التمهيدى ٣٠١ والكتبخانة ٣١٣/٤ والأعلام ٣١٠/٣.

وفيه أنعم على كل من: أَلطَبغا الأشرفى، وسوْدُن باق، وَبَجْمان المَحمَدى بِإِمرَة فى دمشق، ورسم أن يَخرِجوا مع النواب.

وفى ثالثه: استقر شرف الدين مسعود فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن عمر القرشى.

وفى رابعه: استقر الشريف عنان بن مغامس ^(١) الحسنى شريكا لعلى بن عجلان فى إمارة مكة.

وفى ثامنه: استقر جمال الدين عبد الله السكسيوى المغربى فى قضاء المالكية بدمشق.

وفى عاشره: قدم جماعة من المنطاشية فارين من دمشق.

وفى سادس عشره: قبض على الوزير موفق الدين أبو الفرج.

وفى سابع عشره: استقر فى الوزارة سعد الدين سعد الله بن البقرى، واستقر صاحب علم الدين عبد الوهاب سن إبرة فى نظر الدولة بمفرده، عوضا عن الفخر ابن مكانس، وشمس الدين بن الرويهب.

وفى ثامن عشره: عوقب صاحب موفق الدين أبو الفرج.

وفى عشرينه: استقر تاج الدين عبد الله بن صاحب سعد الدين سعد الله بن البقرى فى نظر البيوت، مع ما بيده من استيفاء الصحة.

وفى رابع عشرينه: قبض على الأمير يدكار العمرى، وسُرْبغا الظاهرى، وتَلَكَّمَر الدوادار، وطاش بغا الحسنى، وقرْبغا، وأرغون الزينى.

وفيه استقر الأمير الدين جُلْبان الكمشبغاوى رأس نوبة كبيرا، عوضا عن حسن خجا بعد وفاته.

وفى خامس عشرينه: قدم البريد بأن تجريدة خرجت من دمشق لمحاصرة صفد، مع الأمير قطلوبغا الصفوى، فدخلوا بأجمعهم فى الطاعة، وتوجهوا إلى مصر، فصدق البشائر بالقلعة.

(١) عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نعى شريف حسنى من أمراء مكة ولها للظاهر برقوق بعد مقتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان سنة ٧٨٨هـ ثم عزله الظاهر سنة ٧٨٩هـ انظر الإكليل ١٠/١٣٥، ١٥٨ والأعلام ٩٠/٥.

وفي سابع عشرينه: استقر الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادى الهويدي نقيب الجوندارية فى مقدمة الدولة، عوضا عن المقدم عبيد البازدار، شريكا للمقدم ثنيتين، ولبس عبيد البزدار بالتركى، وخدم أستاذار بعض الأمراء.

وفيه قتل ابن سبع الذى كان شهد عليه بالكفر، قتله بعض عبيده بالحمام، فأوقع الأمير قرقماس الأستاذار الحوطة على موجوده، فوجد له من النقد ألف ألف وستون ألف درهم، ما بين ذهب وفضة وفلوس، ووجد له من الجمال والبقر والجاموس والأغنام ثمانون ألف رأس، غير عدة دواليب.

وفيه خلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر مقدم العساكر المتوجهة لقتال منطاش، وخلع على نواب الشام خلع السفر، وأنعم على جماعة بإمريات فى الشام، ورسم لجماعة من أمراء مصر للسفر مع النواب، وألزم من له إقطاع فى شىء من بلاد الشام بالسفر مع العسكر.

وفي عاشره: برزت أطلاب نواب الشام والأمراء إلى الريدانية خارج القاهرة.

وفي ثالث عشره: قدم الأمير قطلوبغا الصفوى بمن معه، فكان يوما مشهودا.

وفيه قدم الريد من صفد بأن منطاش لما بلغه مخامرة الصفوى ومن معه قبض على الأمير جتتمر أخى طاز وولده، وألطنبغا أستاذاره، أحمد بن جرجى، وأحمد بن جبجق، وكمشيبغا المنجكى نائب بعلبك، وشهاب الدين أحمد بن عمر القرشى قاضى دمشق، وعلى عدة من الأمراء والأعيان، وأن طرنطاي بن ألبجى قدم فى سبعين فارسا إلى صفد، راغبا فى الخدمة السلطانية.

وفيه قدم زيادة على عشرين من ممالك الأمير يلبغا الناصرى، فارين من دمشق.

وفي عشرينه: قدم طرنطاي بن ألبجى بمن معه، ثم قدم أيضا نحو المائتى مملوك.

وقدم الريد بأن منطاش أخذ بعلبك^(١) بعد أن حاصرها محمد بن بيدمر أربعة أشهر، وأنه وسط ابن حنش وأربعة معه.

وفي ثانى عشرينه: توجه الشريف عنان إلى مكة، وقد استخدم عدة أتراك.

(١) بعلبك: مدينة بالشام بينها وبين دمشق فى جهة الشرق مرحلتان، وهى حصينة فى سفح جبل وعليها سور حصين بالحجارة سبعة عشرون شبرا وفيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أباطين. انظر معجم البلدان ٤٥٣/١، والروض المعطار ١٠٩، ونزهة المشتاق ١١٦، وصبح الأعشى ١٠٩/٤. بعلبك مدينة قديمة.

وفي ثامن عشرينه: ألزم شمس الدين محمد الدميرى ناظر الأحباس بعمل حساب الأمير قجماس ابن عم الظاهر، فإنه كان شاهد ديوانه.

وفي تاسع عشرينه: استقر الأمير جمال الدين محمود بن على المشير، فى أستاذارية السلطان، على عادته، عوضا عن الأمير قرقماس، بعد وفاته.

وفي يوم الثلاثاء أول جمادى الأولى: قدم اليريد من صفد بنزول إبراهيم بن دُلغادر بجمائع التركمان على حلب، وأنه كسر ثمان تمر الأشرفى.

وفي ثانيه: قدم رسول الأمير محمد شاه بن بيدمتر متزاميا على السلطان، يسأله العفو عنه، فأجيب إلى ذلك، وجُهِز إليه أمان وتشريف.

وفي ثامنه: قدم اليريد من صفد بأن الأمير قَشْتَمُر الأشرفى حضر على عسكر من قبل منطاش، فقاتله أهل صفد، فانكسروا منه، ثم إن جماعة من المنطاشية حضروا إلى صفد طائعين وقاتلوا مع عسكر صفد، فأنكر قَشْتَمُر، وقُتِل كثير ممن معه، وأخذت أنقاهم.

وفي ثانى عشره: عزل شمس الدين محمد الدميرى عن نظر الأحباس، واستقر عوضه القاضى تاج الدين محمد بن محمد بن محمد المليجى.

وفيه استقر تاج الدين بن الرملى فى نظر الأسواق.

وفي رابع عشره: أنعم على الأمير قطلوبغا الصفوى بإمرة مائة وتقدمة ألف، عوضا عن الأمير قرقماس الطَشْتَمُرَى، وأنعم بإقطاعه على الأمير سودن الطرنطای.

وفي سادس عشره: قدم اليريد من صفد بأن نواب الممالك لما وصلت بالعساكر إلى بحيرة قَدَس^(١)، حضر إليهم ولد الأمير نُعير وعدة من الأمراء المنطاشية.

وفي سابع عشره: قدم اليريد من دمشق بأن منطاش لما بلغه قدوم العساكر برز من دمشق، وأقام بقبة يلبغا، ثم رحل نصف ليلة الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة بخواصه، وهم نحو الستمائة فارس، ومعه نحو السبعين حملا ما بين ذهب ودراهم وقماش، وتوجه نحو قارا والنبك، بعد أن قتل الممالك الظاهرية، والأمير ناصر الدين محمد بن المهمندار، وأن الأمير الكبير أيتمش خرج من سجنه بقلعة دمشق وأفرج عمن بها، وملك القلعة، وبعث إلى النواب يعلمهم، وسير كتابه إلى السلطان بذلك، فسار النواب إلى دمشق

(١) بحيرة قَدَس بحيرة قرب حمص طولها اثنا عشر ميلا فى عرض أربعة أميال وهى بين حمص وجبل لبنان. انظر معجم البلدان ٣٥٢/١.

وملكوها بغير حرب، ففرح السلطان فرحا زائدا، وتخلق^(١) لأمراء وأهل الدولة، ونودى بذلك فى القاهرة ومصر، وأن تزين الأسواق وغيرها. ودقت البشائر ثلاثة أيام بالقلعة، وتباهى الناس فى تحسين الزينة إلى الغاية، وأقامت القاهرة ومصر مزيتين عشرة أيام.

وفى تاسع عشره: قدم البريد من دمشق بثلاثة عشر سيفاً من سيوف الأمراء المنطاشية الذين قبض عليهم بدمشق.

وفى حادى عشرينه: قدم البريد بثمانية سيوف أيضاً.

وفيه أمر الناس بتقوية الزينة، فبالغوا فيها، ونصبوا عدة قلاع تزيد على عشرين قلعة، وكثر اللعب، وتوالى الأفراح، وأنفق الناس مالا كبيراً.

وفيه قدم أيضاً البريد بسبعة سيوف، منهم سيف الأمير ألطنبغا الحلبي، وسيف الأمير دمرداش اليوسفى. وذلك أن منطاش كان قد بعث بإحضار عسكر طرابلس ليقاتل بهم العساكر المصرية، فقبل حضور عسكر طرابلس فر من دمشق، وقدم العسكر بعد ذلك من غير أن يعلم بفراجه، فقبض عليه بكماله.

وفى ثانى عشرينه: قدم البريد بأن الأمير محمد بن أيتال اليوسفى حضر إلى الطاعة بدمشق ومعه من عسكر منطاش نحو المائتى فارس، وأن منطاش توجه إلى الأمير نعيم، ومعه عنقا بن شطى أمير آل مرا.

وفى ثالث عشرينه: قدم البريد بأن الأمير نعيم بن حيار قبض على منطاش، فزينت القلعة، ودقت البشائر؛ ثم تبين كذب هذا الخبر.

وفى سابع عشرينه: حضر الأمراء المقبوض عليهم بدمشق، وهم إرسال اللفاف، وقرا دمرداش، وألطنبغا الجربغاوى، وطنبرق رأس نوبة منطاش، وأسنبغا الأرغون شاهى. فأخرج عن أسنبغا، وحُبس البقية.

وفى تاسع عشرينه: قُلت الزينة.

وفى يوم الخميس ثانى رجب: قدم عماد الدين أحمد بن عيسى قاضى الكرك وقد خرج الأعيان إلى لقائه، وصعد إلى القلعة، فقام السلطان عند رؤيته ومشى إليه، وعانقه، وأجلسه، وتحدثا ساعة. ونزل إلى دار أعدت له بالقاهرة.

وفيه أخذ قاع النيل، فجاء خمسة أذرع وثمانية أصابع.

(١) تخلق الأمراء: أى تعطروا بالرائحة العطرة المسماة خلوق. انظر القاموس المحيط.

وفي ثاني عشره: حضر من دمشق بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى كاتب السر، وجمال الدين محمود القيصرى ناظر الجيوش، ونزلا فى بيوتهما من غير أن يجتمعا بالسلطان.

وفي ثالث عشره: استقر عماد الدين أحمد بن عيسى الكركى فى قضاء القضاة بديار مصر، عوضا عن بدر الدين محمد أحمد بن أبى البقاء؛ ونزل بالتشريف فى موكب جليل إلى الغاية.

وفي رابع عشره: استقر علاء على بن الطيلاوى شاد المارستان المنصورى فى ولاية القاهرة، عوضا عن الصارم، واستقر علم الدين سليمان والى القرافة فى ولاية مصر، عوضا عن محمد بن مغلطاوى.

وفي سادس عشره: دار الحمل على العادة، فحجب الوزير صاحب سعد الدين سعد الله بن البقرى، قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى لخصوصيته بالسلطان، ولم تكن العادة، إلا أن الوزير يكون هو صاحب الموكب والقضاة بين يديه.

وفيه استقر شرف الدين موسى بن العماد أحمد بن عيسى فى قضاء الكرك، عوضا عن أبيه.

وفيه قدم البريد من حلب بأن الأمير كمشبغا الحموى لما انهزم من شقحب، دخل حلب وأقام بها، فجهز إليه منطاش من دمشق - بعد توجه السلطان إلى ديار مصر - عسكريا، عليه الأمير ثمان تمر الأشرفى، فدخل إليه واجتمع عليه أهل بانقوسا، وقد امتنع كمُشْبِغا بالقلعة، فحصره ثمان تمر أربعة أشهر ونصف، وأحرق الباب والجسر، ونقب القلعة من ثلاثة مواضع فنقب كمُشْبِغا أحد النقب (١) حتى خرقة، ورمى على المقاتلة من داخل النقب بمكاحل (٢) النفط، واختطفهم بالكلايب الحديد، وصار يقاتلهم من النقب فوق السبعين يوما، وهو فى ضوء الشمع، بحيث لا ينظر شمسا ولا قمرا ولا يعرف الليل من النهار، إلى أن بلغ ثمان تمر فرار منطاش من دمشق، فضعف وفر، فثار عليه أهل بانقوسا ونهبوه. وحضر حجاب حلب إلى الأمير كمشبغا وأعلموه بذلك، فعمر الجسر فى يوم واحد، ونزل وقاتل أهل بانقوسا يومين، وقد أقاموا رجلا يعرف بأحمد بن الحرامى. فلما كان اليوم الثالث وقت العصر انكسر أحمد بن الحرامى وقُبِض عليه وعلى أخيه، ونحو الثمانمائة من الأتراك والأمور والبانقوسية، فوسطوا

(١) النقب مفردا نقب والنقب هو الخرق فى الجدار. انظر الوجيز ٦٢٩.

(٢) مكاحل مفردا المكحلة الوعاء الذى فيه الكحل جمعها مكاحل.

بأجمعهم، وخربت بانقوسا حتى صارت دكا، ونهب جميع ما كان بها، وأن كمشبغا بالغ فى تحصين حلب وعمارة قلعتها، وأعد بها مؤنة عشر سنين. وأنه جمع من أهل حلب مبلغ ألف ألف درهم، وعمر سور مدينة حلب، وكان منذ خربه هولاء خرابا، فجاء فى غاية الإلتقان، وعَمَلَ له بابيين، وفرغ منه فى نحو الشهرين وبعض الثالث، وكان أكثر أهل حلب تعمل فيه، وأن الأمير شهاب الدين أحمد بن محمد بن المهمندار، والأمير طُغنجى نائب دوركى كان لهما بلاء كبير فى القتال لأهل بانقوسا. ويقال إنه قتل فى هذه الواقعة بحلب عشرات الآلاف من الناس، حيث لم يمكن عددهم لكثرتهم.

وفيه أُلزم أمير حاج بن مغلطاي بلزوم بيته بطالا.

وفى ثامن عشره: خرج البريد بإحضار الأمير كمشبغا من حلب.

وفيه قدم الأمير طغاي قمر القبلاوى، نائب حماة.

وفيه كثرت القالة بأن الأمير بطا الدوادار يريد إثارة فتنة، فتحرز الأمراء وأعدوا للحرب، إلى أن كان يوم الإثنين: عشرينه جلس السلطان بدار العدل على العادة، وصار بعد انقضاء الخدمة إلى القصر ومعه الأمراء، فتقدم الأمير بطا، وقال للسلطان: «قد سمعت ما قيل عنى وها أنا»، وحل سيفه وعمل فى عنقه منديلا كالمستسلم للموت، فشكره السلطان، وسأل الأمراء عما ذكره الأمير بطا، وأظهر إنه لم يسمع شيئا من ذلك، فذكروا أن الأمير كُمشبغا رأس نوبة تنافس مع الأمير بَكْلمش أمير أخور، وجرى أيضا بين الأمير بطا والأمير محمود الأستاذار مخاشنة، فأشاع الناس ما أشاعوا، فجمعهم السلطان وحلفهم وحلف الممالك أيضا، وطيب خواطر الجميع بلىين كلامه ودهائه. وأحضر مملوك اتهم إنه هو الذى أشاع الفتنة، فضرب ضربا مبرحا، وسمر على جمل وشهر ثم سجن بخزانة شمایل، فلم يعرف له خبر. وقبض على بَكْبغا - أحد العشراوت - وسمر وشهر أيضا، ونودى عليه «هذا جزاء من يرمى الفتن بين الأمراء». فسكنت الفتنة بعد أن كادت الحرب أن تقوم.

وفيه قدم البريد بأن منطاش ونعيرا جمعا جمعا كبيرا من العربان والأشفية والتركمان، وساروا لمحاربة النواب، فخرج الأمير يلبغا الناصرى والأمير الطنبغا الجوبانى بالعساكر من دمشق إلى سليمة.

وفى حادى عشرينه: قدم البريد من طرابلس بأن ابن أيمان التركمانى توجه إلى طرابلس من قبل منطاش فى ثمانية آلاف فارس، وحاصرها حتى ملكها.

وفي سلخه: رسم لأمير حاج بن مغلطاي بالمشى فى الخدمة مع الأمراء، فواظب الركوب للخدمة.

وفيه نفى تنكز بغا السيفى - كاشف التراب بالبهنسا - إلى قوص.

وفي ثانى شعبان: اجتمع البيدُمرية والطازية والجنتمرية فى طوائف من العامة بدمشق، يريدون أخذها، فصرح الأمير الكبير أيتمش الطائر من القلعة إلى سليمة يعلم الأمير يلغا الناصرى بذلك، فركب ليلا فى طائفة من العسكر، وقدم دمشق وقتلهم ومعه آلابغا العثمانى حاجب الحجاب بدمشق، فقتل بينهما خلق كثير من الأتراك والعوام وكسرهم، وقبض على جماعة ووسطهم تحت قلعة دمشق وحبس جماعة، وقطع أيدي سبعمائة رجل، وعاد إلى سليمة. وافترقت جماع منطاش وعساكر الشام ثلاث فرق، وتولى الأمير يلغا الناصرى محاربة الأمير نعيم، فكسره، وقتل جمعا من عربانه، وركب قفا نعيم إلى منزله. وحارب الأمير قرا دمرداش منطاش ومن معه من التركمان، فضرب كل منهما الآخر، فوقعت الضربة بكف منطاش، جرحته وقطعت أصابع قرا دمرداش. وخامر^(١) جماعة من الأشرفية على منطاش وصاروا فى جملة الأمير ألبغا الجوبانى، فأحسن إليهم وقربهم، فلما وقعت الحرب اتفق الأشرفية المذكورون مع بعض مماليكه وقتلوه، وقبضوا على الأمير مأمور ووسطوه، وقتلوا الأمير ألبغا الجوهري وعدة من الأمراء، فكانت حروبا شديدة، قتل فيها بين الفرق الثلاث خلق لا يحصى عددهم إلا خالقهم - سبحانه وتعالى - ونهبت العرب والعشير جميع ما كان مع العسكريين.

وقدم البريد بذلك فى ثامنه، وأن منطاش انكسر، فأقام الأشرفية بدله ألبغا الأشرفى. فحضر منطاش من الغد وأراد قتله، فلم تمكنه الأشرفية من ذلك، وأن الناصرى لما رجع من محاربة نعيم جمع العساكر وعاد إلى دمشق، ثم خرج بعد يومين وأغار على آل على، ووسط منهم مائتى نفس، ونهب كثيرا من جمالهم، وعاد إلى دمشق.

وفي ثانى عشره: نودى على الممالك والأجناد البطالين بالحضور لأخذ النفقة، والسفر لقتال نعيم، ومنطاش.

وفي رابع عشره: طرحت الغلال على التجار، وأرباب الأموال، وتفرقت الأعوان فى طلبهم.

(١) خامر الشيء ماره وخالطه يقال خامر الداء وخامر الشك.

وقدم البريد بأن الأمير جبق السيفى خرج من دمشق لكشف أخبار طرابلس، فأخذه العرب، وحملوه إلى منطاش فقتله، وأنعم بإقطاعه على الأمير سودن الطرنتاى.

وفيه سار الأمير أبو يزيد على البريد بتقليد الأمير يلبغا الناصرى دمشق، عوضا عن الطنبغا الجوبانى، ومعه التشريف ومبلغ عشرين ألف دينار برسم النفقة فى العساكر، وتوجه معه الشيخ شمس الدين محمد الصوفى لكشف الأخبار.

وفى حادى عشرينه: أو فى النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج على العادة.

وفى ثالث عشرينه: أنعم على الأمير بجاس النوروزى بإقطاع سودن الطرنتاى.

وفيه قدم البريد من حلب بنزول نعيم على سمرين ليقسم مغلها، وأن الأمير شهاب الدين أحمد بن المهندار، والأمير طغنجى قاتلاه فى عسكر كبير من التركمان وأهل حلب، وأسروا ولده عليا فى نحو المائتى رجل، وقتلوا جماعة كبيرة وهزموه، وساقوا أبنه وأصحابه إلى حلب، فقتلهم كمشبغا النائب، وسجن ابن نعيم وجماعة.

وفيه سار الأمير ناصر الدين عند بن الحسام الصقري إلى الصعيد، ليحضر الخيل والجمال والرقيق وغير ذلك من العربان وأهل البلاد.

وفى يوم السبت ثامن رمضان: عزل الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص من شدّ الدواوين، وألزم بحمل مائتى ألف درهم فضة، واستقر عوضه الأمير ناصر الدين محمد ابن رجب بن كلفت.

وفيه قدم البريد من الصعيد أن ابن التركية خرج على ابن الحسام، وأخذ جميع ما حصّله، فخرجت إليه التجريدة.

وفى خامس عشره: استقر الأمير الطنبغا المعلم نائب الإسكندرية، عوضا عن أرغون البجمقدار العثمانى، واستقر على بن غلبك والى منفلوط، عوضا عن أبى بكر ابن الكنانى.

وفيه قدم البريد بنزول عدة مراكب للإفرنج على طرابلس، فعندما أشرفوا على الميناء بعث الله عليهم ريحا غرقت مركبا، وفرقت البقية، وكانت نحو السبعين، فردوا خائبين.

وفى سابع عشره: استقر مجد الدين أبو الفدا إسماعيل بن إبراهيم الحنفى فى قضاء الحنفية، عوضا عن شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى.

ونزل معه الأمير شيخ الصفوى - القائم بالسعى له - فى عدة من الأمراء إلى

المدرسة الصالحية على عادة القضاة، ثم عاد إلى معتكفه بالمدرسة الطيرسية (١) بجوار الجامع الأزهر. ولم يول أحدًا من نواب الحنفية ولا عقّاد الأنكحة، ووعدهم إلى العيد، فثقل عليهم ذلك.

وفي العشرين: منه أعيد صاحب موفق الدين أبو الفرج إلى الوزارة، وقبض على ابن البقرى وولده، وأوقعت الحوطة (٢) على دورهما، وجميع حواشيها.

وفي حادى عشرينه: قدم البريد من دمشق بأن الأمير قَشْتَمُرُ الأشرفى، الحاكم بطرابلس من جهة منطاش، سلمها من غير قتال، وأن حماة وحمص أيضا استولت العساكر السلطانية عليهما.

وفي ثانى عشرينه: قدم محمد بن على بن أبى هلال بهدية أبى العباس المتوكل على الله بن الأمير أبى عبد الله محمد بن أبى يحيى بن أبى بكر بن أبى حفص صاحب تونس (٣)، ومعه كتابه يتضمن الهداء بالعود إلى المملكة، فخرج الأمير محمود الأستاذار إلى لقائه بالجيزة، وأحضر بين يدى السلطان فى سادس عشرينه، فأكرمه السلطان، وأمر به فأنزل بدار، ورتب له فى كل يوم مائة درهم.

وفي يوم الإثنين أول شوال: قدم البريد من حلب بعبد الرحمن حاجب الأمير نعيم، ومعه كتابه يعتذر عما وقع منه ويسأل الأمان، فكتب إليه الأمان، فجهز إليه تشريف وتقليد بعوده إلى إمرة آل فضل على عادته.

وفي ثانيه: قدم البريد من دمشق بفرار منطاش عن أرض حلب، ومعه عنقاء بن شطى، خوفا على نفسه من نعيم، وأنه توجه فى نحو سبعمائة فارس من العرب، أخذهم على أنه يكبس التركمان ويأخذ أعناقهم، فلما قطع الدربند أخذ خيول العرب، وسار إلى مرعش (٤)، وترك العرب مشاه، فعادوا.

وفيه قدم الخير من الإسكندرية بأن الفرنج الذين مزقت الريح مراكبهم على طرابلس، ساروا إلى إفريقية (٥) وحاصروا المهديّة، وبها ولد أبى العباس صاحب تونس، فكانت حروبا شديدة، انتصر فيها المسلمون على الفرنج، وقتلوا كثيرا منهم.

(١) المدرسة الطيرسية: تقع هذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر من القاهرة وهى غربية الجهة البحرية أنشأها الأمير علاء.

(٢) الحوطة حفظه وتعهده، أى أدركه من جميع النواحي. انظر الوجيز ١٧٨.

(٣) تونس مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم. انظر ٦٠/٢.

(٤) مرعش: مدينة من ثغور أرمنية، وبينها وبين زبطرة تسعة فراسخ، وهى مدينة حصينة عليها سور حجارة. فتحها خالد بن الوليد رضى الله عنه، وهو بمنبج. انظر معجم البلدان ١٠٧/٥، والروض المعطار ٥٤١.

(٥) إفريقية اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية وينتهى آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس. انظر معجم البلدان ٢٢٨/١.

وفيه ضرب الأمير الطنبغا الجربغاوى بالمقارع، على مال أخذه لجركس الخليلي، وأعيد بعد الضرب إلى السجن بالبرج.

وفي عاشره: قدم فقيه المغرب أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفه المالكي، يريد الحج.

وفي ثالث عشره: قدم البريد بأن أسندمُ اليوسفى - وجماعة من المنطاشية - دخلوا فى الطاعة.

وفي ثالث عشرينه: رحل الحاج من بركة الحجاج، وأميرهم عبد الرحمن بن منكلى بغا الشمسى. وحج الأمير محمد بن أبى هلال الرسول، والفقيه محمد بن عرفه، وخلق كثير جدا، وحملت خوند أم بيبرس وهى عائشة أخت السلطان، كسوة للحجرة النبوية، بالغت فى تحسينها، وعملت بابها مطرزا بالذهب. ولما وصل الحاج عجرود، أصابهم عطش شديد، بحيث أبيعت قربة الماء بنحو المائة درهم، ورجع كثير من الحجاج.

وفي سابع ذى القعدة: ركب السلطان للصيد فى بركة الحجاج، وشق القاهرة فى عوده إلى القلعة من باب النصر، وخرج من باب زويلة، ونزل عند الأمير بطا الدوادار، وأقام عنده داره ساعة.

ثم صعد إلى القلعة من يومه، فكان من الأيام المشهودة. ثم ركب فى عاشره إلى مطعم الطيور خاج الريدانية تحت الجبل الأحمر^(١) فقدم عليه من مماليكه الذين كانوا يجلب نحو الأربعين مملوكا.

وفي سابع عشره: قدم البريد من حلب بأن منطاش سار إلى عين تاب، وقاتل نائبها ناصر الدين محمد بن شهرى وأخذ المدينة فامتنع ابن شهرى بقلعتها وكبسه ليلا، وقتل ستة من أمرائه ونحو المائتى فارس.

وفي ثانى عشرينه: قدم الأمير محمد شاه بن بيدمر، فلم يؤاخذه السلطان وأنزله عند الأمير محمود.

وحضر أيضا الأمير أسندمر اليوسفى رأس نوبة منطاش فى عدة من الأمراء المنطاشية، فلم يؤاخذهم أيضا، وخلع على أسندمر.

(١) الجبل الأحمر اسم جبل مشرق على قعيقعات مكة كان يسمى فى الجاهلية الأعراف. انظر معجم البلدان ١١٧/١.

وفي يوم الخميس أول ذى الحجة: رسم الأمير قرا دمرداش نائب طرابلس نيابة حلب، وجهاز إليه التشريف والتقليد على البريد مع الأمير تنم الحسنى.

وفي خامسه: استقر إينال من خجا على، فى نيابة طرابلس، واستقر الأمير أقبغا الجمالى، أنابك حلب، والأمير ناصر الدين محمد بن سلالر، حاجب الحجاب بحلب. وكُتب لسولى نيابة الأبلستين، وجهازت الخلعة إليه.

وفي يوم عيد النحر: خرج الأمير تنبك المحمدى لإحضار الأمير كمشبقا الحموى من حلب.

وفي تاسع عشره: برز أينال - نائب طرابلس - إلى الريدانية، وسار إلى طرابلس فى ثالث عشرينه.

وفيه سار الأمير تمرغا المنجكى بمال كبير ينفق فى عساكر الشام وتجهيزهم إلى عين تاب، لقتال منطاش.

وفيه نودى فى القاهرة ومصر: لا يركب أحد من المتعممين فرسا سوى الوزير، وكاتب السر وناظر الخاص فقط، ومن عداهم فإنه يركب البغال، وأن طحانا لا يترك عنده فرسا صحيحا، ولا يركب فقيه ولا جندار ولا عامى فرسا، ولا تحمل المكارية أكديشا.

وفي سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحاج ورخاء الأسعار معهم، وأنه لم يحضر حاج اليمن.

وفيه استقر الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام الصقرى وزيرا، عوض الموفق أبى الفرج، ورسم له بإعادة بلاد الدولة على قاعدة الوزير شمس الدين إبراهيم كاتب أربلان، و ألا يكون معه مشير يشاركه فى التحدث والتصرف، بل ينفرد بالولاية والعزل وتنفيذ الأمور، وأن يستخدم جميع الوزراء المنفصلين فى المباشرات تحت يده، فخرج بتشريف الوزارة إلى قاعة الصاحب بالقلعة، واستدعى بالوزراء المصروفين، فقرر شمس الدين المقسى فى نظر الدولة، وعلم الدين سن إبرة شريكا له، وسعد الدين بن البقرى فى نظر البيوت واستيفاء الدولة، وموفق الدين أبى الفرج فى استيفاء الصحبة. وقرر الفخرى بن مكانس فى استيفاء الدولة، شريكا لابن البقرى، وركبوا فى خدمته، وصار ذلك دأبهم دائما، ولم يسمع بمثل ذلك. ومن العجيب أن ابن الحسام هذا كان أولا دوادار ابن البقرى، أيام كان فى نظر الخاص لا يبرح ليلا ونهارا قائما بين يديه،

يصرف أمره ونهيه، كآحاد خدمه، فصار ابن البقرى يقف بين يدى ابن الحسام فى وزارته هذه ويتصرف بأمره ونهيه، وربما أهانه، فسبحان محيل الأحوال.

وفى هذا اليوم: أعيد ناصر الدين محمد بن آقبا آص إلى شدّ الدواوين، عوضا عن ناصر الدين محمد بن رجب. واستقر ابن رجب شاد دوايب الخاص، عوضا عن خاله الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام.

وأصاب الحاج فى عودهم مشقات لسوء سيرة ابن منكلى بغا ورذالته وفساده، إلا الركب الأول، فإن أميرهم بيسق الشيخونى أمير آخور كان مشكور السيرة، ومع ذلك فنزل بالجمال وباء كثير، فنى كثير منهم.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

ومات أمير حاج ابن السلطان فى ثامن جمادى الآخرة، ودفن بالمدرسة الظاهرية المستجدة، وكان أحد الأمراء، وهو صغير.

ومات الأمير علاء الدين أقبغا الجوهري، أحد اليلبغاوية، مقتولا فى وقعة حمص، عن بضع وخمسين سنة، وكان عارفا يذاكر بمسائل فقهية وغيرها، مع حدة خلق، وسوء معاملة.

ومات الأمير أردبغا العثمانى، أحد أمراء الطبلخاناه، قتيلا.

ومات الأمير علاء الدين الطنبغا الجوبانى قتيلاً، وقد قارب الخمسين سنة، وكان حشماً فخوراً.

ومات الأمير تنكز العثمانى، أحد أمراء الطبلخاناه، قتيلا.

ومات الأمير تمر الأشرفى، نائب قلعة بهنسا.

ومات الأمير تمرباى الأشرفى الحسنى، حاجب الحجاب بديار مصر.

ومات الأمير جُبِق الكمشبغاوى، أحد الأمراء الألف بديار مصر.

ومات الأمير حسن خجا رأس نوبة.

ومات الأمير طغاى تمر الجر كتمرى أحد أمراء الطبلخاناة.

ومات الأمير طولوبغا الأحمدى أحد أمراء العشراوات.

ومات عيسى التركمانى أحد العشراوات.

ومات الأمير قرايغا الأبو بكرى أمير مجلس.

ومات الأمير قرقماس الطشتمرى، فى يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير قازان اليرقىشى، أحد أمراء الطبلخاناة.

ومات الأمير مأمور القلمطاوى، حاجب الحجاب، وأحد اليلغاوية، قتل على حمص، وهو يلى نيابة حماة.

ومات الأمير مقبل الطيبى نائب الوجه القبلى.

ومات الأمير يونس الرماح الأسعدى، أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات الأمير على سلطان الطائفة الجعيدية ^(١) بديار مصر، مات فى سادس عشر جمادى الأولى، ولم يقم بعده مثله.

ومات الشيخ المعتقد على المغربلى، فى خامس جمادى الأولى، ودفن بزاويته خارج القاهرة بحكر الزراق.

ومات الشيخ المعتقد محمد الفاوى، فى ثامن عشر جمادى الأولى، ودفن فى خارج باب النصر.

ومات الأديب الشاعر شمس الدين محمد بن إسماعيل الأفلاقى المالكى فى سادس جمادى الأولى.

ومات الشيخ المقرئ شمس الدين محمد بن أحمد الرفاء، فى سابع جمادى الأولى.

* * *

(١) الجعيدية بنى جعدة بطن من لخم منازلهم ساحل أطفح من البر الشرقى من صعيد مصر. انظر نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب، ص ٢٠٠.

سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

أهل الحرم يوم الجمعة.

ففى ثانيه: عَزَلَ السلطان أكثر ولاية أعمال مصر، ورسم ألا يولى أحد ممن باشر الولاية، وأن يُعين الأمير سودن النائب جماعة من مقدمى الحلقة، فأحضر مقدمى الحلقة واختار منهم ثلاثة وهم: شاهين الكلفتى استقر فى الغربية، وطُرُقجى فى ولاية البهنسا، وقجماس السيفى فى المنوفية، وأخلع عليهم فى رابعه.

وفى سادسه: قدم الريد من دمشق بأن الأمير يلبغا الناصرى تنافس هو والأمير الكبير أيتمش، فأظهر الخروج عن الطاعة، ولبس السلاح، وألبس حاشيته. ونادى بدمشق من كان من جهة منطاش فليحضر، فصار إليه نحو الألف ومائتى فارس من المنطاشية، فقبض عليهم كلهم وسجنهم، وكتب إلى السلطان يُعرِّفه بذلك، فأجابه بالشكر والثناء.

وفى سادس عشره: قُبِضَ على الصاحب موفق الدين أبى الفرج، وألزم بحمل ستين ألف درهم، وقُبِضَ على الصاحب علم الدين سن إبرة، وألزم بعشرين ألف درهم، وعلى الصاحب سعد الدين بن البقرى، وألزم بسبعين ألف درهم.

وفى ثامن عشره: ولى شيخ الحديث زين الدين عبد الرحيم^(١) بن الحسين العراقى تدريس الظاهرية العتيقة ونظرها، بعد وفاة القاضى صدر الدين عمر بن عبد المحسن بن رزين، ونقل القاضى فخر الدين محمد القاياتى إلى مكانه بإيوان المدرسة الصالحية، للحكم بين الناس.

وفيه نودى لا يركب متعمم فرسا إلا أزياب الوظائف الكبار، ومن وجَدَ عنده فرس أخذت منه.

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى [٧٢٥ - ٨٠٦ هـ = ١٣٢٥ - ١٤٠٤ م] بحاث، من كبار حفاظ الحديث أصله من الكرد ومولده أزنان من أعمال إربل. تحول صغيراً مع أبيه إلى مصر فتعلم وتبع فيها وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين وعاد إلى مصر فتوفى فى القاهرة. ومن كتبه [المغنى عن حمل الأسفار فى الأشعار - ط] (ونكت منهاج البيضاوى). انظر الضوء اللامع ١٧١/٤ وذيل طبقات الحفاظ وغاية النهاية ٣٨٢/١ ومعجم المطبوعات ١٣١٧ وحسن المحاضرة ١: ٢٠٤ والأعلام ٣/ ٣٤٤.

وفي يوم الأحد ثامن صفر: هُدمت سلام باب مدرسة السلطان حسن، والسلام التي تصعد إلى السطح، والمناراتان منها، وفتح بابها من شبك بالرميلة تجاه باب السلسلة، وصار يتطرق إليها منه، ويقف المؤذنون عنده ويؤذنون في أوقات الصلاة، واستمر الأمر على ذلك.

وفي تاسعه: قدم الأمير سيف الدين كُمُشْبُغا الحموى من حلب، فخرج الأمير سودُن النائب إلى لقائه، ومعه الحجاب وعدة من الأمراء. وصار به إلى القلعة، فقبِل الأرض وجلس فوق الأمير إينال اليوسفى أتابك العساكر، ونزل إلى دار أعدت له، وبعث إليه السلطان ثلاثة أروس من الخيل بقماش ذهب، وعدة بُقج قماش. وبعث إليه كل من أمراء الألوف فرسا بقماش ذهب، وقدم إليه أمراء الطبلخاناه وغيرهم عدة تقادم من جند وغير ذلك.

وحضر مع الأمير كُمُشْبُغا الأمير حسام الدين حسن الكجكنة - نائب الكرك - فى عدة من الأمراء.

وفي حادى عشرة: قدم البريد بأن العساكر وصلت إلى مدينة عينتاب، ففر منطاش إلى جهة مرعش، وحضر عدة من جماعته إلى الطاعة.

وفيه حضر الأمير أقبغا الماردىنى نائب الوجه القبلى، فقبض عليه وسجن بخزانة شمائل فى صورة أنه كُثر ظلمه وعسفه. وهذه عادة السلطان، أنه يصير على أعدائه فلا ينتقم منهم لنفسه حتى يتهيا له فيهم ما يوجب العقوبة فيأخذهم بذلك الذنب، ولا يظهر أنه انتقم لنفسه، وذلك من حسن ملكته وثباته، واستقرى هذا، تجده كما قلت لك.

وفي خامس عشرة: أحضر الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزة من السجن، وضُرب بالمقارع بين يدى السلطان، واحضر أقبغا الماردىنى وضرب على أكتافه. وأمر والى القاهرة بتخليص حقوق الناس منه.

وفيه استقر الأمير مبارك شاه كاشف الجيزية، عوضاً عن محمد بن لىلى.

وفي تاسع عشرة: استقر الأمير يلبغا الأحمدي المجنون نائب الوجه القبلى، عوضاً عن أقبغا الماردىنى، واستقر اسنبغا السيفى فى ولاية الفيوم وكشف البهنسا والأطفيحية، عوضاً عن يلبغا الأحمدي، واستقر تَقْطَاى الشهابى والى الأشونين، عوضاً عن اسنبغا السيفى.

وفي حادى عشرينه: استقر دمرداش السيفى نائب الوجه البحرى، عوضا عن الشريف بكتمر.

وفي تاسع عشرينه: أحضر القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحبال، قاضى الخنابلة بطرابلس، وضرب بين يدى السلطان، بسبب قيامه مع منطاش وأخذ طرابلس، وقتل من قتل بها، وأن ذلك كان بفتواه لهم.

وفيه وسط من الزهور المقبوض عليهم من الوجه البحرى نحو السبعين، بعد تسميرهم وإشهارهم بالقاهرة، وكانوا قد أكثروا من الفساد وقطع الطريق على المسافرين، وأخذ أموالهم.

وفيه سار الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبى هلال رسول صاحب تونس بجواب كتابه وهدية سنية.

وفي سابع شهر ربيع الأول: استقر الأمير يوم القشتمرى نائب الكرك، عوضا عن قديد.

وفي ثامنه: أنعم بإقطاع أرغون البجمقدار العثمانى نائب الإسكندرية على الأمير حسن الكجكنى، وأخرج أرغون منفيا إلى الإسكندرية.

وفيه خرج البريد بإحضار الأمير الكبير أيتمش من دمشق، فسار الأمير قنقباى الأحمدى رأس نوبة لذلك.

وفي عاشره: قدم الأمير أبو يزيد والشيخ شمس الدين محمد الصوفى على البريد من الشام.

وفي ثالث عشره: شدد العذاب على ابن باكيش لإحضار المال، وقبض على الشريف بكتمر بسبب إهماله مستخرج تزوجه، ثم أفرج عنه على أن يحمل مائة ألف درهم.

وفيه استقر الأمير علاء الدين بن الطشلاقى فى ولاية قطيا، والتزم فيها بحمل مائة ألف وثلاثين ألف درهم، فى كل شهر.

وفيه توجه يلبغا السالى على البريد بتقليد الأمير نعيم الإمرة على عادته.

وفي يوم الأحد أول شهر ربيع الآخر: استقر برمش الكمشبغاوى حاجب الحجاب بطرابلس. واستقر الحاج محمد بن عبد الرحمن مقدم الخاص فى مقدمة الدولة، عوضا عن عبيد البازدار بعد موته، فصار مقدم ديوانى الخاص والدولة.

وفى تاسع عشره: قبض على الأمير شاهين أمير آخور، ونفى إلى الصعيد.

وفى يوم الإثنين رابع جمادى الأولى: قدم الأمير الكبير أيتمش من دمشق على البريد، فتلقيه الأمير سوّدن النائب، وقدم معه عدة من الأمراء منهم: آلبغا العثماني الدوادار حاجب دمشق، والأمير جتتمر أخو طاز، وأمير ملك ابن أخت جتتمر المذكور، وألطنبغا أستاذار جتتمر، ودمرداش اليوسفي، وألطنبغا الحلبي، وكثير من المماليك السلطانية، فمَثَل بالخدمة السلطانية، وقبل الأرض، وجلس بالميسرة تحت الأمير سوّدن النائب واحضر بالأمراء القادمين معه، وعدتهم ستة وثلاثون أميراً، وبشهاب الدين أحمد بن عمر القرشي قاضي دمشق، وبفتح الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن الشهيد كاتب السر بدمشق، وابن مشكور ناظر الجيش بدمشق، وكلهم في القيود. فوبخ السلطان الأمير ألطنبغا الحلبي، والأمير جتتمر، وابن القرشي وأطال الحديث معهم، وكانوا قد قاتلوه في محاصرته لدمشق، وأفحشوا في أمره فحشاً زائداً، حتى أن ابن القرشي كان يقف على الأسوار وينادي إن قتال برقوق أوجب من صلاة الجمعة، ويجمع العامة ويحرضهم على محاربتهم. ثم أمر السلطان بهم فسجنوا، وأسلم ابن مشكور لشاد الدواوين، فعصر والتزم بحمل سبعين ألف درهم، وأفرج عنه. ونزل الأمير أيتمش إلى داره، وبعث إليه السلطان بإنعام كثير، وقدم إليه جميع الأمراء على قدر حالهم.

وفى ثالث عشره: وقع الهدم في أملاك تجاه باب حارة الجوانبة بالقاهرة، وشرع الأمير محمود في عمارة وكالة.

وفيه أحضر من الزهور ستة وثلاثون رجلاً، وقدم الأمير جيرائيل الخوارزمي فاراً من منطاش، فلم يؤاخذه السلطان، ورسم له بالثني في الخدمة مع الأمراء.

وفى ثامن عشرينه: استقر جمال الدين محمود بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن الحافظ في قضاء الحنفية بحلب، عوضاً عن محب الدين محمد بن محمد بن الشحنة، واستقر جمال الدين محمود بن العديم في قضاء عسكر حلب، عوضاً عن ابن الحافظ؛ والشريف حمزة «الجعفرى» في وكالة بيت المال بحلب ونظر جامعها، واستقر المعري في قضاء الشافعية بطرابلس، عوضاً عن شهاب الدين أحمد السلاوى، واستقر علم الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الفقصي في قضاء المالكية بدمشق، عوضاً عن السكسيوى، وهى ولايته الخامسة، ثم عزل بالبرهان أبى سالم إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى. وولى ابن المنجا قضاء الحنابلة بدمشق، عوضاً عن شرف الدين عبد القادر. وولى جمال الدين أبو الثناء محمود بن قاضى العسكر حافظ الدين محمد بن إبراهيم بن سنبكى قضاء الحنفية بحلب، عوضاً عن على بن الشحنة.

وبرهان الدين إبراهيم التادلى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن القفصى. وبدر الدين محمد بن شرف الدين مرسى بن الشهاب محمود فى نظر الجيش بجلب، وخلع على الجميع.

وفيه أفرج عن أقبغا الماردى من خزانة شمائل، وعن طاش بغا السيفى.

وفى يوم الإثنين ثانى جمادى الآخرة: قبض على أسندمر الشرفى، وإسماعيل التركمانى، وكزل القرمى، وأقبغا البجاسى، وصربغا، وتسلمهم والى القاهرة.

وفى تاسعه: قبض أيضا على أحد عشر أميراً وهم: قطلوبغا الطشتمرى الحاجب، وتقطاى الطشتمرى، وآلابغا الطشتمرى، وقرابغا السيفى، وأقبغا السيفى، وبيغا السيفى، وطبيغا السيفى، ومحمد بن بيدمر نائب الشام، وجبرائيل الخوارزمى، ومنجك الزينى، وأرغون شاه السيفى.

وفيه سُمِر أسندمر الأشرفى رأس نوبة ^(١)، وأقبغا الظريف البجاسى، وإسماعيل التركمانى أمير البطالين فى أيام منطاش، وكزل القرمى، وصربغا، وشهروا بالقاهرة، ثم وسطوا بالكوم، ولم يعهد مثل هذا يفعل إلا بقطاع الطريق.

وفيه أحضر الأمير أَلْطُنْبُغَا الحلبى، وأَلْطُنْبُغَا أستاذار جتتمُر إلى مجلس قاضى القضاة شمس الدين محمد الركراكى المالكى، وأدعى عليهما بما يقتضى القتل، فسجنهما بخزانة شمائل مقيدين.

وفى ثانى عشره: قبض على الأمير صَنْجَقْ.

وفى خامس عشره: شكَا رجل شهاب الدين أحمد بن عمر القرشى للسلطان فأحضر من السجن، واستدعى عليه غريمه بمال له فى قلبه، وبدعاوى شناعة، فضرب بالمقارع وسلم إلى والى القاهرة ليخلص منه مال المدعى الذى أقرَّ به؛ فوالى ضربه وعصره مرارا، وسجنه بخزانة شمائل.

وفى تاسع عشره: استقر الأمير قُطْلُوبْغا الصفوى حاجب الحجاب، واستقر الأمير بدخاص حاجب الميسرة، واستقر الأمير قديد نائب الكرك حاجبا ثالثا، واستقر الأمير على باشا حاجبا رابعا.

واستقر يلغا الأشتُمَرى أمير أخور فى نيابة غزة؛ وناصر الدين محمد بن شهرى فى نيابة ملطية.

(١) رأس نوبة: بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر وهم نصارى. انظر معجم البلدان ٣٠٩/٥.

وفى ثلثي عشرينه: وقف شخص وادعى أن أمير ملك - ابن أخت جتتمر - أخذ له ستمائة ألف درهم، وأغرى به منطاش حتى ضربه بالمقارع، فأحضر وادعى عليه غريمه فضرب بالمقارع ضرباً مبرحاً، وتسلمه والى القاهرة، فمات ليلة خامس عشرينه.

وفى يومه استقر أرغون شاه الإبراهيمى الخازندار حاجب الحجاب بدمشق، عوضاً عن آلبغا العثمانى. واستقر آلبغا فى نيابة حماة، وخرج البريد بتقليده.

وفيه أنعم على كل من قاسم ابن الأمير الكبير كُمشبغا الحموى، ولأجين الناصرى، وسودُن العثمانى النظامى، وأرغون شاه الأقبغاوى، وسودُن باشاه الطائى تُمرى، وشكرباى العثمانى، وقجقار القرمُشى بإمرة طبلخاناه. وعلى كل من قطلوبغا الطقتمُشى، وعبد الله أمير زاه بن ملك الكرج^(١) وكُزل الناصرى، وآلان الياوى، وكُمشبغا الإسماعيلى طاز، وقلمطاي العثمانى بإمرة عشرة.

وفيه قدم أقبغا الصغير نائب غزة بطلب.

وفيه قبض على ممالك الأمير بركة، والممالك الذين خدموا منطاش، وتبعوا من سائر المواضع، وأخذوا من كل مكان.

وفى ثلثي عشرينه: عرضهم السلطان، وأفرج عن جماعة منهم.

وفى خامس عشرينه: ضرب ابن القرشى نحو مائتى شيب بالمقارع، عند الوالى.

وفى سادس عشرينه: استقر الصارم والى القاهرة فى ولاية الأشمونين، عوضاً عن تقطاي الشهاى.

وفى أخريات هذا الشهر: ظهر كوكب طوله نحو ثلاثة أرماع، قليل النور، يُرى فى أول الليل ويغيب نصف الليل، أقام ليالى واختفى.

وفى أول شهر رجب: قدم منطاش دمشق، وسار إليها من مرعش على العمق، حتى قارب من حماة، فانهزم منه نائبها إلى جهة طرابلس من غير لقاء، ودخلها منطاش، ولم يحدث حدثاً. وتوجه منها إلى حمص، ففر منه أيضاً نائبها إلى دمشق، ومعه نائب بعلبك، فخرج الأمير يلبغا الناصرى يريد لقائه من طريق الزبدانى، فنار أحمد شكر بجماعة البيدمرية، ودخل دمشق من باب كيسان^(٢)، وأخذ ما فى الإصطبلات من الخيول،

(١) الكرج وهو جبل من الناس نصارى كانوا يسكنون فى جبال القيق وبلد السرير فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة نعليس. انظر معجم البلدان ٤٥/٤٤٦.

(٢) باب كيسان أحد أبواب سور دمشق فى الجهة الشرقية الجنوبية وهو منسوب إلى كيسان مولى معاوية. [خطط الشام فى الجمع بين رجال الصحيحين ج ٦ ص ١٥٧]

وخرج فى يوم الأحد تاسع عشرين جمادى الآخرة. وقدم منطاش فى يوم الإثنين أول رجب من طريق أخرى، ونزل القصر الأبلق، ونزل جماعته حوله. وقد أحضر إليه أحمد شكر من الخيول التى نهبها ثمانمائة فرس، وندبه ليدخل المدينة ويأخذ من أسواقها المال، فبينما هو كذلك إذ قدم الناصرى بعساكر دمشق فاقتتلا قتالاً كبيراً مدة أيام.

وفى ثلثه: استقر أمير بن الدمر فى ولاية الغربية، عوضاً عن شاهين الكلفتى.

وفى خامسه: ورد البريد من حلب بدخول منطاش إلى دمشق، ومحاربة الناصرى له، كما ذكر.

وفى تاسعه: ضرب الشهاب أحمد بن عمر القرشى حتى مات بخزانة شمائل، وأخرج من وقف الطرحاء.

وفى حادى عشره: اجتمع القضاة والأمير بدخاص الحاجب بشباك المدرسة الصالحية بين القصرين من القاهرة، وأحضر الأمير ألطنبغا دوا دار جنتمر، وأوقف تحت الشباك فى الطريق، وادعى عليه بما اقتضى إراقة دمه، وشهد عليه به، فضرب عنقه، وشهد أيضاً على الأمير ألطنبغا الحلبي، فضرب عنقه وحملت رءوسهما على رحمين. ونودى عليها فى القاهرة.

وفى سادس عشره: أخذ قاع النيل، فجاء أربعة أذرع، وعشرون أصبعاً وفى رابع عشرينه قدم على ابن الأمير نعيم، فقبض عليه.

وفى خامس عشرينه: خلع على نجم الدين الطنبدى خلعة استمرار.

وفى سابع عشرينه: قدم البريد من دمشق باستمرار الحرب بين الناصرى ومنطاش، وأن منطاش انكسر، وقتل كثير ممن معه، وفر معظم التركمان الذين قدم بهم، وصار محصوراً بالقصر الأبلق.

وفيه استقر الصارم إبراهيم الباشقردى فى ولاية أسوان، عوضاً عن الصارم الشهابى. وفيه أحضر أنواط - كاشف الوجه البحرى - سبعين رجلاً من العرب الزهور وخبولاً كثيرة، فوسط منهم ستة وثلاثون رجلاً.

وفى الأول من شعبان: رسم بتجهيز الأمراء للسفر إلى الشام، وشرع الوزير وناظر الخاص فى تهيئة بيوتات السلطان، وعمل ما يحتاج إليه فى السفر.

وفى خامسه: قدم البريد من صفد بأن منطاش فر من دمشق، وتبعته العساكر، فسر السلطان والأمراء بذلك.

وفيه قتل حسام الدين حسين بن باكيش، وسببه أن الخبر ورد بأن ولده جمع كثيراً من العشير، ونهب الرملة^(١) وقتل عدة من الناس.

وفي سادسه: ضرب حسين بن الكوراني بالمقارع.

وفي عاشره: نصب جاليش السفر، ورسم للقضاة بالتهى إلى السفر.

وفي حادى عشره: تسلم الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى: الأمير صراى عمر داودار منطاش، وتكا الأشرفى، ودمرداش اليوسفى، ودمرداش القشتمرى، وعلى الجر كتمرى، فقتلوا، إلا على الجر كتمرى فإنه عصر، وقُتل بعد ذلك هو وقطلوبك نائب صفد.

وفي ثانى عشره: عرض السلطان الحاييس من المنطاشية، وأفرد منهم جماعة للقتل، فقتل فى ليلة الأحد ثالث عشره منهم: الأمير جتتمر أخو طاز وابنه، وألطنبغا الجر بغاوى، والطواشى تقطاى الطشتمرى، وفتح الدين محمد بن الشهيد، ضربت أعناقهم بالصحراء.

وفي خامس عشره: صرف مجد الدين إسماعيل عن قضاء القضاة الحنفية، واستقر عوضه جمال الدين محمود العجمى القيصرى، ونزل معه بعدما خلع عليه الأمير بطا الدوادار، والأمير جُلبان رأس نوبة فى عدة من الأمراء، وسائر القضاة، فكان يوماً مشهوداً. وكتب له فى توقيعه «الجناب العالى»، كما كتب للعماد أحمد الكركى، وهما أول من كُتب به ذلك من قضاة القضاة ولم يُكتب هذا لأحد من المتعممين إلا للوزير فقط، ويكتب للقضاة «الجلس العالى»، فكتب للعماد الكركى «الجناب العالى»، وتشبه به الجمال محمود، فكتب له ذلك، واستمر لمن بعدهما.

وفي سابع عشره: أخرج أمير حاج بن مُغلطاي إلى دمياط، وأخرج الأمراء البطالون إلى ثغر الإسكندرية، وأفرج عن تَلَكْتَمَر الدوادار، وصراى دوادار يونس الدوادار، ونزلا إلى بيوتهما.

وفي ثامن عشره: قبض على عدة من الأمراء، وسجنوا، وأمض من الغد فيهم قضاء الله، الذى لا يرد.

وفيه تعين لنيابة الغيبة بديار مصر الأمير الكبير كُشْبُغا الحموى، وتحول إلى

(١) الرملة: بالشام، سمتها الرملة لما غلب عليها الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً، ومدينة الرملة وسط بلاد فلسطين. انظر معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، والمقدسى ١٦٤، ١٦٥، وناصر خسرو ١٩، وصبح الأعشى ٩٩/٤.

الإصطبل السلطاني. وتحول الأمير سُودن النائب إلى قلعة الجبل، ومعه الأمير بجاس النوروزي، وأقام بالقلعة ستمائة مملوك عليهم تغرى بردى رأس نوبة، والأمير الطواشى صواب السعدى. وتعين للإقامة بالقاهرة الأمير قُطْلُوبغا الصفوى، حاجب الحجاب، والأمير بدُخاخص السودونى أمير حاجب، وقديد، وطغاي ثمر باشاه، وقرايغا الحاجب، فى عدة من أمراء العشراوات.

ورسم لشيخ الإسلام سراج الدين^(١) عمر البلقينى وقضاة العسكر، ومفتيين دار العدل، وبدر الدين محمد بن أبى البقاء الشافعى، وبدر الدين محمد بن فضل الله العمرى بالسفر، فتجهزوا لذلك. ونزل السلطان بعد صلاة الظهر من القلعة، وسار إلى الوطاق بالريدانية خارج القاهرة، وتلاحقت الأمراء والعساكر وأرباب الدولة به.

وفى ثمانى عشرينه: قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص بالريدانية، وضرب على إحضار أربعمائة ألف درهم فضة. ورسم للأمير علاء الدين على بن سعد الدين عبد الله بن محمد الطيلاوى الوالى بالتحدث فى شد الدواوين، عوضا عن ابن آقبغا آص، وسلم إليه، فشدد فى عقوبته ووجد له سبعون فرسا وأربعون جملا، وأربعة وعشرون مركبا فى النيل، وقماش كثير.

وفى ثالث عشرينه: استقر شمس الدين محمد بن الجزرى المقرئ فى قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن شرف الدين مسعود، بمال قام به، وأخرج بسائر من فى خزانة شمائل إلى الريدانية، وعرضوا على السلطان، فأفرد منهم سبعة وثلاثين رجلا للقتل، منهم: محمد بن الحسام أستاذار أرغون أسكى، وأحمد بن النقوعى، ومقبل الصفوى، فغرّقوا فى النيل. وسمّر منهم سبعة وهم: شيخ الكرىمى، وأسندمر والى القلعة، وثلاثة من أهل الشام، واثنان من التركمان، ثم وسطوا.

وفى رابع عشرينه: استقر ناصر الدين محمد بن رجب بن تَلَفْت فى شد الدواوين. وأنعم على الأمير سيدى أبى بكر بن نقر الجمالى بإمرة طبلخانة، ورسم به بإمرة الحاج.

(١) سراج الدين عمر البلقينى [٢٤ - ٨٠٥هـ = ١٣٢٤ - ١٤٠٣م] عمر بن رسلان بن نصر ابن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث من العلماء بالدين ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة من كتبه «التدريب - خ» فى فقه الشافعية لم يتم وتصحيح المنهاج - خ. انظر الضوء اللامع ٨٥:٦ وشذرات الذهب ٥١:٧ والأعلام ٤٦/٥ والخزانة التيمورية ٣٨:٣ والتاج ١٤٣:٩.

وفي سادس عشرينه: رحل السلطان من الريدانية.

وفيه نودى بالقاهرة أن يتجهز الناس للحج، على العادة.

وفي ليلة الثلاثاء تاسع عشرينه: قتل اثنا عشر من الأمراء، منهم الأمير أرغون شاه السيفي، وآلبغا الطشتمرى، وأقبغا السيفي، وبزلار الخليلي.

وفي ليلة الأربعاء سلخه: قتل من الأمراء سنجق الحسنى، وقربغا السيفي، ومنصور حاجب غزة.

وفي يوم الأربعاء: قدم البريد من السلطان بكسرة منطاش وفراره فى سادس عشره، ومعه عنقاء بن شطى، فدقت البشائر، وتخلّق الأمراء والمماليك، ونودى بذلك فى القاهرة.

وفي رابع شهر رمضان: قدم بريد السلطان بنزوله قطيا، وأن الأخبار صحت بفرار منطاش من دمشق فى خمسين فارسا.

وفيه قدم الأمير ناصر الدين محمد بن رجب بمشال سلطاني إلى الأمير جمال الدين محمد الأستاذار؛ فإذا هو يتضمن مسكه، وإلزامه بحمل مائة وستين ألف درهم، فقبض عليه، وأخذ منه سبعين ألف درهم.

وفي سادس شهر رمضان: زينت القاهرة.

وفيه أخرج الأمير كُمُشْبُغا مائى فارس من أجناد الحلقة إلى كاشف الوجه البحرى، تقوية له.

وفيه وُسط أحمد بن علاء الدين على بن الطشلاقى، والى قطيا.

وفي ثامنه: قلعت الزينة من القاهرة، ولم يكن للزينة سبب يقتضى ذلك.

وفيه استقر بهاء الدين محمد بن البرجى موقع الدست فى حسبة القاهرة، عوضا عن نجم الدين محمد الطنبدى. عمال قام به للأمير كُمُشْبُغا.

وفي عاشره: نودى على النيل بعد توقفه أياما، وكان عاشر مسرى - وقد ارتفعت الأسعار - فتوالت الزيادة فى نهاره، حتى أوفى النيل ستة عشر ذراعا؛ وكسر الخليج وخرج شرف الدين بن أبى الرّدّاد على البريد ببشارة الوفاء.

وفيه قبض على بكتمر - دوادار الجوبانى - فهرب، ولم يوقف له على خبر.

وفي ثاني عشرينه: دخل السلطان إلى دمشق وقد زينت له، وخرج الأمير يلبغا الناصري إلى لقائه بمنزلة اللجون^(١)، فكان يوما مشهودا.

وفيه نودي بدمشق بالأمان. وصلى يوم الجمعة ثالث عشرينه بدمشق صلاة الجمعة في جامع بني أمية. وعندما انقضت الصلاة نادى الجاويش في الناس بالأمان، «والماضى لا يعاد، ونحن من اليوم تعارفنا»، فضج الناس بالدعاء للسلطان، وقد كانوا مترقبين بلاء كبيرا ينزل بهم منه، لسوء ما فعلوا معه في السنة الماضية، وكثرة مبالغتهم في سبه، وإعلانهم بفاحش القول له، وهم يقاتلونه.

وفي ثاني عشرينه: استقر الأمير كمشبغا نائب الغيبة بشاهين الكلفتى في كشف الوجه البحري، وعزل أنواط السيفي، وقبض عليه.

وفي ليلة الأحد خامس عشرينه: قتل خارج القاهرة أمير على الجركمري القازاني، المهمندار في أيام منطاش.

وفي تاسع عشرينه: نودي في القاهرة بمنع النساء من الخروج يوم العيد إلى الترب، ومن خرجت وسطت هي والمكاري^(٢) والحمار؛ وألا يركب أحد في مركب للتفرج على النيل، وهدد من فعل ذلك بإحراق المركب، فلم يتحاصر أحد يخرج في العيد إلى القرافة، ولا إلى ترب القاهرة.

وفي ثاني شوال: قدم البريد بدخول السلطان إلى دمشق.

وقدم البريد بنزول خوندكار أبي يزيد بن عثمان ملك الروم إلى قيصرية وأخذها.

وفيه استقر قطلوبغا الصفوي في ولاية قليوب، وعزل تنكز البريدي.

وفي سابعه: خرج السلطان من دمشق، يريد حلب.

وفيه استقر فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس في وزارة دمشق، وعزل ابن الجزري عن قضاء دمشق قبل أن يدخل إلى دمشق، وأعيد مسعود.

وفي تاسع عشرة: قدم البريد إلى القلعة بتوجه السلطان إلى حلب، وأنه ورد عليه دواidar الأمير سولي بن دلغادر بهدية، فيها مائة بقجة قماش، ومائتا فرس، وهو يعتذر عن أخذ سيس، وبعث مفاتيحها، وسأل تعيين من يتسلمها منه، وأن نغير ومنطاش نزلا الرحبة وجعير.

(١) اللجون بفتح أوله وضم ثانيه وتشديده بلد بالأردن بينه وبين طرية عشرون ميلاً. انظر معجم البلدان.

(٢) المكاري مكرى الدواب ويغلب على الحمار والبغال. انظر القاموس الوجيز ٥٣٣.

٣١٢ سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

وفيه استقر محمد بن صدقة بن الأعسر فى ولاية الأشمونين ^(١) وعزل الصارم، واستقر محمد بن قراغا فى ولاية دمياط، وعزل صديق.

وفى ثالث عشرينه: نودى بالقاهرة ألا تلبس امرأة قميصا واسعا، ولا تزيد على تفصيل القميص من أربعة عشر ذراعا. وكان النساء بالغن فى سعة القمصان، حتى كان يفصل القميص الواحد من اثنين وتسعين ذراعا من البندقى الذى عرضه ثلاثة أذرع ونصف، فيكون مساحة القميص زيادة على ثلاثمائة وعشرين ذراعا. وفحش هذا حتى تشبه عوام النساء فى اللبس بنساء الملوك والأعيان.

وفى ليلة الأحد رابع عشرينه: أحضر الأمير محمد شاه بن بيدمر من الإسكندرية، فقتل خارج القاهرة ليلة الإثنين خامس عشرينه.

وفى سادس عشرينه: صرف نور الدين على بن عبد الوارث عن حسبة مصر بالشريف أحمد بن محمد بن حسن بن حيدرة، المعروف بابن بنت عطا، قاضى الحنفية بثمر الإسكندرية.

وفى سلخه: قدم البريد بدخول السلطان إلى حلب فى ثانى عشرينه، وأن بدر الدين محمد بن على بن فضل الله العمرى، أعيد إلى كتابة السر، وعزل علاء الدين على بن عيسى الكركى لضعفه.

وفى يوم الأحد أول ذى القعدة: دقت البشائر، واستمرت ثلاثة أيام.

وفى ثانيه: ندب الأمير كُشْبُغا نائب الغيبة جماعة نزلوا إلى أسواق القاهرة وشوارعها، وقطعوا أكمام النساء الواسعة، فامتنع النساء من يومئذ، أن يمشين بقمصان واسعة مدة نيابة الأمير كمشبغا، ثم عدن إلى ذلك بعد عود السلطان.

وفيه ورد الخير بالقبض على منطاش، ولم يصح ذلك.

وفى ثالثه: قدم البريد بموت ناصر الدين محمد بن على بن الطوسى، واستقرار ناصر الدين محمد بن حسن الفاقوسى موقع الدرج عوضه فى توقيع الدست، وموت قاضى القضاة شمس الدين محمد الرركراكى المالكى فأذن الأمير كمشبغا لنوابه بالحكم بين الناس على عادتهم.

وفى ثامنه - وهو عاشر بابة: - انتهت زيادة النيل إلى أصبع من عشرين ذراعا.

(١) أشمون مدينة قديمة أزلية عامرة أهلة إلى هذه الغاية وهى قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل ذات بساتين. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

وفي سادس عشرينه: قدم البريد من حلب بأن الخبر ورد بقبض سالم الذكرى على منطاش، وأن صاحب ماردين قبض على جماعة من المنطاشية حضروا إليه، فبعث السلطان قرا دمرداش نائب حلب على عسكر، والأمير يلبغا الناصرى نائب دمشق على عسكر، والأمير أينال اليوسفى أتاك العساكر على عسكر، فساروا لإحضار منطاش ومن معه، فنودى فى القاهرة بالأمان، وقد حُصل غريم السلطان، فدقت البشائر ثلاثة أيام.

وفيه استقر الأمير أيدمر الشمسى أبو زلطة فى نيابة البحيرة، وعزل دمرداش السيفى.

وفى سابع عشرينه: قدم البريد من حلب بأن الأمير قرا دمرداش وصل بعسكر حلب إلى أبيات سالم الذكرى، وأقام أربعة أيام يطالبه بتسليم منطاش وهو يماطله، فحنق منه وركب بمن معه، ونهب بيوته، وقتل عدة من أصحابه. ففر سالم بمنطاش إلى سنجار، وامتنع بها. وأن الأمير يلبغا الناصرى حضر بعساكر دمشق بعد ذلك، فأنكر على قرا دمرداش ما وقع منه، وأغلظ فى القول، وهم بضربه، فكادت تكون فتنة كبيرة، وعادا، وأن الأمير أدينال وصل بعسكر مصر إلى رأس عين^(١)، وتسلم من صاحب ماردين الذين قبضهم من المنطاشية، وكبيرهم قشتمر الأشرفى، وحضر بهم وبكتاب صاحب ماردين، وهو يعتذر، ويعد تحصيل غريم السلطان.

وفى يوم الإثنين أول ذى الحجة: خرج السلطان من حلب يريد دمشق.

وفى سادسه: قدم البريد بأن السلطان لما بلغه ما جرى من قرا دمرداش وما وقع بينه وبين الناصرى من الفتنة، وأنهما عادا بغير طائل، غلب على ظنه صحة ما نقل عن الناصرى من أن قصده مطاولة الأمر مع منطاش، وأنه لم يحضر إلى دمشق إلا بمكاتبتة له بذلك، وأنه قصر فى أخذه بدمشق، وأن سالم الذكرى لم يرحل بمنطاش إلى سنجار إلا بكتاب الناصرى إليه بذلك. فلما قدم إلى حلب قبض عليه وعلى شهاب الدين أحمد بن المهمندار نائب حماة، وكشلى أمير أخور الناصرى، وشيخ حسن رأس نوبته، وقتلهم فى ليلة قبضهم.

(١) رأس عين: وبعضهم يقول رأس العين، واسمها عين الورد، من كور الجزيرة ومقربة من نصيبين، وبينها وبين الفرات أربعة فراسخ، وهى كلها بين الجزيرة والشام، وهى مدينة كبيرة عليها سوران. انظر معجم البلدان الجزء الرابع، والروض المعطار ٢٦٤، ٢٦٥، وابن جبير ٢٤٢، ٢٤٤، ومعجم ما استعجم ٢/٢٦٣ وابن حوقل ٢٠٠، والكرخى ٥٣.

وما برح يلبغا الناصرى من مبدأ أمره سىء رأى والتدبير، حتى قيل عنه أنه ما كان مع قوم فى أمر من الأمور إلا وانعكس عليهم أمرهم بواسطته.

وولى الأمير بطا الدوادار نيابة دمشق، والأمير جُلبان الكمشيفاوى، رأس نوبة نيابة حلب، والأمير فخر الدين آياس الجرجاوى فى نيابة طرابلس، والأمير دمرداش المحمدى فى نيابة حماة. وأنعم على قرا دمرداش نائب حلب بإقطاع الأمير بَطَا، وأنعم على الأمير أبى يزيد بن مراد الخازن بالدوادارية، عوضاً عن بطا بإمرة طبلخانة، وأنعم على الأمير تانى بك الياحاوى بإقطاع جُلبان. ثم سار من حلب فى أول ذى الحجة، فنودى بتبويض حوانيت قصبه القاهرة، فشرع الناس فى ذلك.

وفى سادس عشره: قدم البريد بأن السلطان عاد إلى دمشق فى ثالث عشره، وأنه قتل من الأمراء آلبغا العثمانى، وسودن باق السيفى، وسمر ثلاثة عشر أميراً منهم: أحمد ابن بيدمر، ومحمد بن أمير على الماردينى، ويلبغا العلاى، وبغا جُحى السيفى نائب ملطية^(١) وكُمُشْبغا السيفى نائب بعلبك، وغريب الخاصكى، وقرا بغا العمرى.

وفى ثالث عشرينه: توجه السلطان من دمشق يريد القاهرة.

وفى رابع عشرينه: أعيد نور الدين على بن عبد الوارث البكرى إلى حسبة مصر.

وفى تاسع عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بالسلامة والأمن وانقضت السنة وديار مصر قد ساسها الأمير كمشبغا أحسن سياسة، ولم يجسر أحد أن يتظاهر فى مدة تحكمه بمنكر، ولا بحمل سلاح.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

ممن له ذكر، سوى من قتل من الأمراء المذكورين.

ومات قاضى القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ زين الدين أبو حفص عمر بن مسلم بن سعيد بن بدر بن مسلم القرشى، الواعظ، الفقيه، الشافعى، قاضى دمشق، بخزانة دمشق، بعد عذاب شديد، فى ليلة الأربعاء تاسع رجب.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الكبير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار. ولد بالقاهرة، ثم أعطاه الملك الناصر محمد بن^(٢) قلاون إمرة طبلخاناه فى

(١) ملطية: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين.

(٢) الناصر محمد بن قلاون بن عبد الله الصالحى، أبو الفتح (٦٨٤٦-٧٤١هـ = ١٢٨٥ -

١٣٤١) من كتاب ملوك الدولة القلاونية له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال. =

حياة أبيه، وما زالت بيده إلى الأيام الناصرية حسن، فأعطاه إمرة مائة، وبقي عليها إلى عاشر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وسبعمائة. ولى نيابة غزة، عوضاً عن طشبيغا المظفرى، فسار إليها وباشرها قليلاً.

وأعيد إلى القاهرة على إمرة أربعين، وعمل من جملة الحجاب، فاستمر إلى اثني ربيع الأول سنة تسع وتسعين، فاستعفى من الإمرة، وتركها، ولبس عباءة، وركب حماراً، ومشى بالأسواق، وتقنع بما يتحصل من أوقاف أبيه، وأقبل على عبادة الله، حتى مات يوم الأحد ثاني عشرين جمادى الآخرة.

ومات القاضى ولى الدين أبو العباس أحمد بن قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن ابن محمد بن خير السكندرى المالكى، فى ثاني عشرين جمادى الآخرة. وقد برع فى الفقه والأصول والنحو، وأفتى ودرس.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن الأنصارى الشافعى شيخ الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء، فى عاشر ذى القعدة. وكان مقتصدًا فى ملبسه، يجلس بمحانوت اليهود، ويتكسب من تحمل الشهادات، فأثرى^(١) وكثر ماله لقللة مؤنه، فإنه لم يتزوج. وأوقف ربعا على مدرس شافعى عنده عشر طلبة بالجامع الأزهر. ثم سعى بالأمير سودن النائب حتى ولى مشيخة سعيد السعداء، فلم يتناول سوى نصيب واحد، وأنشأ بها منارا يؤذن عليه، وعمر أوقافها وبالف فى الضبط مع إساءة ملكة، حتى مقته الجميع.

ومات الأمير حسام الدين حسين بن على الكورانى، والى القاهرة مخنوقاً، فى عاشر شعبان.

ومات الشيخ جلال الدين رسولا بن أحمد بن يوسف العجمى التبانى الحنفى قدم إلى القاهرة وأخذ عن القوام الأتقانى الفقه، وسمع الحديث على علاء الدين^(٢) على

= انظر مورد الطاقة لابن تغرى بردى ٤٤ والنجوم الزاهرة ٤١: ٨، ١١٥ وانظر ديوان صفى الدين الحلى ٥٥-٦٢ و٢٤٢ وفوات الوفيات ٢/٢٦٣ والأعلام ١١/٧.

(١) فأثرى (فأثرا) ترك فيه أثر. انظر معجم الوجيز.

(٢) على بن عثمان الترمكمانى [٦٨٣-٧٥٠هـ = ١٢٣٤-١٣٤٩م]

على بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردىنى أبو الحسن قاضى حنفى من علماء الحديث واللغة من أهل مصر وله كتب، منها [المنتخب] فى علوم الحديث. انظر فوات الوفيات ٥٧/٢ والأعلام ٣١١/٤.

التركماني. وأخذ العربية عن الجمال بن هشام، وعن ابن عقيل^(١)، والبدر ابن أم قاسم. وبرع في الفقه والأصول والنحو، وتصدى للتدريس والإفتاء عدة سنين، ودرس بمدرسة الأمير ألبجاء، والمدرسة الصرغتمشية وغيرها.

وكان منجمعا عن الناس، عرض عليه قضاء القضاة فامتنع. وشرح كتاب المنار في أصول الفقه. واختصر شرح البخاري لمغلطاي، وشرح مختصر ابن الحاجب^(٢) في الأصول، ونظم كتابا في الفقه وشرحه، وكتب التعليق على البزدوي، وكتب مختصرا^(٣) في ترجيح مذهب أبي حنيفة، رحمه الله، وكتب على مشارق الأنوار في الحديث، وعلى تلخيص المفتاح،^(٤) وله رسالة في زيادة الإيمان ونقصانه، ورسالة في أن الجمعة لا يجوز إقامتها في مصر واحد.

ورسالة في الفرق بين الفرض العلمي والواجب. وتوفي خارج القاهرة يوم الجمعة ثالث عشر رجب. والتباني نسبة إلى موضع خارج القاهرة يقال له التبانة، كان يقف فيه سوق للتبن.

ومات الحاج عبيد بن البازدار مقدم الدولة، في يوم السبت رابع عشر صفر.

ومات شرف الدين عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الحنبلي النابلي، قاضي الحنابلة بدمشق، في يوم الأضحى؛ وقدم القاهرة غير مرة.

ومات الشيخ المعتقد على الروبي، في رابع عشرين ذى الحجة.

ومات صدر الدين عمر بن عبد المحسن بن رزين الشافعي، في ليلة الأحد سادس عشر المحرم، وكان من أجل خلفاء الشافعية بديار مصر.

(١) عبد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي، بهاء الدين ابن عقيل [٦٩٤-٧٦٩هـ = ١٢٩٤-١٣٦٧م]. من أئمة النحاة من نسل عقيل بن أبي طالب ومولده ووفاته في القاهرة وله ألفية ابن مالك - ط، في النحو. انظر الدرر الكامنة ٢/٢٦٦ وبغية الوعاة ٢٨٤ والبدر الطالع ١/٣٨٦ وشذرات الذهب ٦/٢١٤.

(٢) مختصر ابن الحاجب هو مختصر منهج السؤال والأمل في علم الأصول والجدول. كشف الظنون ٢/١٦٥٢.

(٣) يقصد كتاب تلخيص الفتاح في المعاني والبيان للشيخ الجليل جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق المتوفى سنة ٧٣٩هـ. كشف الظنون الجزء الأول ٤٧٣.

(٤) يقصد مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية تأليف شرف الدين محمد بن عبد الله الأرزنجانى الرومى المتوفى سنة ٧٨٤هـ. كشف الظنون ٤/٤٨٤.

ومات الشيخ زين الدين عمر بن مسلم بن سعيد بن عمر بن بدر بن مسلم القرشى
الدمشقى الشافعى الواعظ؛ لم يجلس للوعظ حتى حفظ أربعين مجلسا.

وبرع فى الحديث والفقه والتفسير. وقدم القاهرة ووعظ بها، وحصل له القبول
التام. ومولده فى شعبان سنة أربع وعشرين وسبعمائة. ومات بدمشق فى الاعتقال،
بسبب ولده القاضى شهاب الدين أحمد.

ومات فتح الدين أبو بكر محمد بن عماد الدين أبى إسحاق إبراهيم^(١) بن جلال
الدين أبى الكرم محمد المعروف بابن الشهيد الدمشقى الشافعى، كاتب السر بدمشق.
كان وافر الفضيلة، عالما بالفنون، عارفا فى الأدب، مشاركاً فى عدة علوم، مليح
الكتابة، صحيح الفهم، رئيساً، على الرتبة، رفيع المنزلة، له محاضرة لا تمل، نشأ بدمشق،
وأخذ عن مشايخ عصره، وكتب فى الإنشاء، ثم ولى كتابة السر بدمشق، ومشىخة
الشيوخ، وتدرىس الظاهرية، ونظم كتاب السيرة النبوية لابن هشام، وله نظم ونثر
وتواليف مفيدة. مات بدمشق فى ليلة التاسع والعشرين من شعبان.

ومات أخوه نجم الدين محمد فى يوم الجمعة سادس ذى القعدة، ودفن على أخويه
فتح الدين محمد، وشمس الدين محمد. وباشر توقيع الدست وكتابة سر طرابلس،
وسيس^(٢) وحماة. وأقام بسيس نحو عشرين سنة، ثم قدم إلى القاهرة حتى مات بها، عن
نحو تسعين سنة.

ومات ناصر الدين محمد بن على الطوسى، موقع الدست، فى ثانى عشرين شوال،
بجلب.

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن محمد الزيلعى الحنفى، الرجل الصالح،
فى ثانى عشرين المحرم.

ومات أمين الدين محمد بن الحسن الأنفى المالكى، المحدث الفاضل. ومولده فى
شوال سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، وسمع من البنديجى^(٣) وغيره.

(١) فتح الدين أبو بكر محمد بن عماد الدين أبى إسحاق إبراهيم [٧٢٨-٧٩٣=١٣٢٨-
١٣٩١] الملقب بابن الشهيد كاتب السر بالشام له علم بالتفسير والأدب ونظم ونشر، أصله من
نابلس (فلسطين) ومولده بالرملة. اشتهر فى دمشق وكتب بها فى ديوان الإنشاء. انظر الدرر الكامنة
٢٩٦/٣ ومطالع البدور ١٠/١ وشذرات الذهب ٣٢٩/٦ والأعلام ٢٩٩/٥.

(٢) سيس أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة. انظر معجم البلدان
٣٩/٥.

(٣) البنديجى ناحية بالعراق قرب بغداد خرج منها جماعة من العلماء المحدثين والشعراء الفقهاء
والكتاب. انظر: معجم البلدان ٢.

ومات قاضى القضاة شمس الدين محمد بن يوسف الركاكى المالكى، بجمص، فى رابع عشر شوال.

ومات الشيخ تقى الدين محمد بن أحمد بن محمد بن حاتم، شيخ الحديث، فى أول ذى القعدة.

ومات الشيخ المقرئ شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد العسقلانى؛ إمام جامع أحمد بن طولون، فى حادى عشر المحرم، أخذ عن التقى الصايغ.

ومات المهتار ناصر الدين محمد بن على الشىخى، فى ليلة الثلاثاء أول ربيع الأول.

* * *

سنة أربع وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الأربعاء:

فيه قدم البريد بأن السلطان يدخل إلى غزة في ثلثه.

وفي حادى عشره: قدم البريد بنزول السلطان قطيا.

وفيه قدم الحريم السلطاني مع الطواشى بهادر المقدم، فدقت البشائر، ونودى بالزينة، فشرع الناس فيها، وفي تبيض ظاهر البيوت بشارع القاهرة، وفي نصب القلاع^(١).

وفي ثالث عشره: قدم البريد بالخروج إلى لقاء السلطان على بلبس، فخرج الأمير كمشيفا، والأمير سودن النائب، وبقية الأمراء.

وفي يوم الأربعاء خامس عشره: نزل السلطان بالعكرشا، وأقام بها إلى ليلة الجمعة، ثم رحل، فخرج سائر الطوائف في يوم الجمعة إلى لقائه، وأقبل في موكب جليل حتى صعد قلعة الجبل، فكان يوما مشهودا، خلع فيه على جميع الأمراء، وأرباب الوظائف بأسرهم.

وفي عشرينه: استقر أوناظ في كشف الوجه البحرى على عادته، وعزل شاهين الكلبكى.

وفي ثانى عشرينه: استقر دمرdash السيفى نائب الوجه البحرى على عادته، وعزل أبو زلطة، واستقر طُرُقجى فى ولاية منوف على عادته، وعزل على بن محمد بن طاجار الشامى.

وفي خامس عشرينه: قدم البريد بموت الأمير بطا الطولوتى، نائب دمشق.

وفي سابع عشرينه: استقر الأمير سودن الطرنطاي فى نيابة دمشق، واستقر شهاب الدين أحمد بن عبد الله التحريرى - قاضى طرابلس - فى قضاء القضاة المالكية بالقاهرة ومصر، عوضا عن الركراكى.

وفيه مات الأمير وزير الوزراء ناصر الدين محمد بن الحسام لاجين الصقرى، بعد مرض طويل.

(١) القلاع مفردا قلعة يقصد بها أقواس النصر أو الزينة التي تقام بعرض الطريق على ألواح من خشب ليمر من تحتها موكب السلطان. انظر [سعيد عاشور: العصر المملوكى فى مصر والشام ص ٤٤٠].

٣٢٠ سنة أربع وتسعين وسبعمائة

وفيه طلب السلطان الولاة المعزولين وهم: الأمير أيذر الذي يقال له أبو زلطة، وشاهين الكلفتى، وناصر الدين محمد بن حسن بن ليلى، وعلى بن محمد بن طاز، وأسنبغا، وضرب أيذر بالمقارع، وسلمهم كلهم إلى والى القاهرة، ليدفعهم على حمل المال.

وفى يوم الإثنين ثانى عشر صفر: قبض على الأمير قرا دمرداش نائب حلب، وعلى الأمير ألطنبغا المعلم نائب الإسكندرية، وسجنا بالبرج.

وخرج البريد بطلب تاج الدين عبد الرحيم بن الصاحب فخر الدين عبد الله بن الصاحب تاج الدين موسى بن أبى شاكر من الوجه القبلى، وقد توجه ليحضره، حتى يولى الوزارة، فلم يتم ذلك.

واستقر الأمير ركن الدين عمر بن الأمير ناصر الدين محمد بن قايماز، أستاذار الأمير بيبرس - ابن أخت السلطان - فى الوزارة، وخلع عليه فى يوم الأربعاء رابع عشره.

واستقر تاج الدين بن شمل فى نظر الدولة، رفيقا لشمس الدين المقسى.

وفى خامس عشره: قبض على الأمير قردم الحسنى.

وفيه خلع على الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن صدر الدين حمزة الحسينى، بنظر القدس والخليل.

وفى تاسع عشره: أخرج الأمير قردم إلى غزة، بإمرة عشرة بها.

وفيه استقر الأمير العثمانى أمير جاندار، بعد موت قطلوبغا الطقتمشى، وأفرج عن الأمير قطلوبغا الطشتمرى الحاجب.

وفى ثانى عشرينه: استقر ناصر الدين محمد بن الأمير جمال الدين محمود الأستاذار فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ألطنبغا المعلم. وقدم البريد بأن خمسة عشر من المماليك أتوا إلى باب قلعة دمشق مشاة، وشهروا سيوفهم وهجموا على القلعة، وأغلقوا بابها، وأخرجوا المنطاشية والناصرية من الحبس، وهم مائة رجل، وقتلوا نائب القلعة وجماعة معه، وأن الحاجب ركب بالعسكر وقاتلهم ثلاثة أيام حتى اقتحم عليهم القلعة، وأخذهم كلهم، إلا خمسة أنفس منهم، فإنهم فروا، ووسط الجميع.

وفى يومه: استقر صديق الكركى فى ولاية الفيوم، وعزل أسنبغا السيفى.

وفى يوم الإثنين ثالث ربيع الأول: برز الأمير سودن الطرنطاي نائب دمشق إلى الريدانية، بعدما لبس قباء السفر. ولبس أيضا الأمير ناصر الدين محمد بن محمود الأستاذار قباء السفر، وتوجه إلى الإسكندرية.

وفيه سار الأمير حسن الكجكنى إلى بلاد الروم بهدية، لخوند كار أبى يزيد بن عثمان.

وفى سادسه: استقر القاضى جمال الدين محمود العجمى فى مشيخة الخانكة الشيخونية ونظرها بعد وفاة الشيخ عز الدين يوسف الرازى.

وفى ثامنه: قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن عبد الله بن بكتمر الحاجب - صهر الأمير بطا - على مال يحمله.

وفيه رحل الأمير سودن نائب دمشق، ومعه الأمير بكتمر شاد الشراب خاناه، ليقلده بدمشق.

وفى رابع عشرة: تزوج السلطان بنت المعلم شهاب الدين أحمد الطولونى المهندس. وفى خامس عشرة: عزل قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى نوابه، واقتصر منهم على خمسة فقط. وكان قد استكثر من النواب حتى زادوا على العشرين، فأنكر عليه السلطان ذلك، فصرفهم.

وفيه نقل علاء الدين على البيرى مواقع الأمير يلبغا الناصرى، وعجب الدين محمد بن محمد بن الشحنة قاضى الحنفية بحلب، من بيت الأمير جمال الدين محمود الأستاذار إلى دار الأمير علاء الدين على بن الطبلأوى والى القاهرة، وكان قد قبض عليهما بالشام، وحضرا مع السلطان فى الترسيم، وأنزلا بدار الأمير محمود، فأكرمهما، وقام لهما بما يليق بهما.

وفى سادس عشرة: عزل قاضى القضاة شهاب الدين أحمد التحريرى المالكى نوابه، وترك منهم خمسة على حالهم.

وفى سابع عشرة: استقر زين الدين أمير فرج الحلبي فى شد الدواوين، وكان والى القاهرة يتحدث فى شد الدواوين منذ قبض على ناصر الدين محمد بن أقبغا أص.

وفى يوم السبت ثانى عشرينه: سافر إلى بلاده أبو الحجاج يوسف بن على بن غانم، أمير العرب ببلاد المغرب، ^(١) بعد ما حج، وأقام بالقاهرة أشهرا. واجتمع بالسلطان وألبسه كاملية حرير بطرز ذهب.

وفى رابع عشرينه: استقر الفخر عبد الرحمن بن مكائس وزيرا بدمشق.

وفيه قتل علاء الدين على البيرى، ودفن خارج باب النصر.

(١) بلاد المغرب بلاد واسعة كثيرة. قال بعضهم: مدينة مليانة وهما آخر حدود إفريقية. انظر

وفى خامس عشرينه: أفرج عن الحب بن الشحنة.

وفى سادس عشرينه: أفرج عن ناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب، على أن يحمل مائتى درهم فضة.

وفى يوم السبت سابع ربيع الآخر: استقر تاج الدين عبد الرحيم بن الصاحب فخر الدين عبد الله بن أبى شاكر فى نظر الديوان المفرد. واستقر منجك السيفى والى أشموم الرمان، وعزل ناصر الدين محمد بن الطويل. واستقر يلغا مملوك مبارك شاه والى الأشمونين، عوضا عن محمد بن الأعسر. واستقر شرف الدين أبو البركات موسى بن محمد بن جمعة الأنصارى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضا عن ناصر الدين محمد ابن الخطيب شمس الدين محمد بن خطيب نقيرين. وأنعم على الأمير قديد بتقديم ألف، عوضا عن قُطْلُوغُبا الصفوى بعد موته. وأنعم على بلاط المنجكى بإمرة عشرة، واستقر يَلْبُغا الظاهرى نائب الوجه القبلى على عادته.

وفى سادس عشرة: أعيد نظر الجامع الطولونى إلى قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى، وكان قد استقر فيه الأمير قطلوبغا الصفوى مدة.

وفى ثانى عشرينه: استقر الأمير قطلوبغا الأسنقجاوى أبو درقة فى ولاية أسوان، عوضا عن الصارم إبراهيم الباشقردى.

وفى ثالث عشرينه: قتل الأمير أيدكار العمرى، وقرأ كسك، وأرسلان اللفاف، وصنحق، وأرعون شاه.

وفى خامس عشرينه: أعيد النجم محمد الطنبدى إلى حسبة القاهرة، وصرف بهاء الدين محمد بن البرجى.

وفيه رسم السلطان للأمير أبى يزيد الدوادار، والقاضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، بالتحدث فى أوقاف الحرمين، وأن يستزفع حسابها شمس الدين نصر الله ابن شظية - مستوفى ديوان المرتجع - فَوُكِّلَ بمباشرة أوقاف الحرمين، وألزموا برفع حساب عشر سنين، وألزم مباشرى موادع الحكم بعمل حساب الأيتام، وذكر الترك المهمة، ورسم على أمناء الحكم وجبة الأوقاف.

وفيه أضيف إلى الأمير مبارك شاه كشف الفيوم والبهنسا والأطفيحية^(١)، مع كشف الجزيرة.

(١) الأطفيحية بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقه. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

وفي أول جمادى الأولى: أحضرت عدة رعوس من المسجونين بالإسكندرية من الأمراء. واستقر أبو بكر بن بدر فى ولاية البهنسا، عوضا عن شرف الدين بن طىّ الدهروطى.

وفي تاسع عشره: استقر الأمير كُشْبُغا الحموى أتابك العساكر بعد موت الأمير الكبير أينال اليوسفى، وتحدث فى نظر المارستان المنصورى على العادة. واستقر الأمير أَيْتمش البجاسى رأس نوبة النوب.

وفي ثالث رجب: قدم البريد بقتل منطاش، ولم يصح.

وفي حادى عشره: تجمع عدة من المماليك السلطانية على الأمير جمال الدين محمود الأستاذار عند نزوله من القلعة، وسبّوه، ورجمه بعضهم من أعلا القلعة بالحجارة، وشهروا دبابيسهم ليقتلوه، وكان قريبا من بيت الأمير أَيْتمش. فلما بلغه ذلك ركب بنفسه ليخلصه، ففر أكثر المماليك منه، وثبت بعضهم. فمازال بهم يدافعهم عنه بالرفق حتى انصرفوا عنه. وسار به إلى بيته حتى سكنت الفتنة، وشيعه فى مملكته إلى داره.

وفي يوم الخميس رابع عشره: استقر تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاکر فى الوزارة، عوضا عن الركن عمر بن قايماز. واستقر ابن قايماز أستاذارا، عوضا عن الأمير محمود، بعدما أنفق من ماله ستمائة ألف درهم فى تكفية ديوان الوزارة، ذهبت عليه ولم يتعوض عنها، واستقر الأمير محمود على امرته، وخلع على الثلاثة.

وفي ثامن عشره: أعيد الشهاب الفرجوطى إلى ولاية قوص، وغزل محمد بن العادلى.

وفي ثالث عشرينه: استقر كريم الدين عبد الكريم ابن المعلم أفسح فى نظر الإسطبلات، بعد أن تعطلت مدة من ناظر.

وفي خامس عشرينه: استقبل الصارم إبراهيم الباشقردى فى ولاية منوف.

وفي تاسع عشرينه: بُشِّر بزيادة النيل، وأن القاع سبعة أذرع، وعشرون إصبعا.

وفيه حضر الشريفان عنان بن مغامس وعلى بن عجلان - أميرا مكة - باستدعاء، ودخلا على السلطان فى يوم الإثنين ثانى شعبان. فأجلس السلطان ابن عجلان - مع صغر سنه - فوق عنان، مع شيخوخته.

وفي ثانى عشره: قبض على صاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس من داره بدلالة بعض النصارى عليه، وسلم لوالى القاهرة، فوكل به من يحفظه فى داره.

٣٢٤ سنة أربع وتسعين وسبعمائة

وفى ثالث عشره: استقر الغرس خليل الشرفى والى أشموم الرمان، وصُرف منجك.

وفى ثامن عشرينه: ابتدأ بالسلطان مرض لزم منه الفراش.

وفى يوم الإثنين أول شهر رمضان: استقر الأمير كُمشبغا الخاصكى الأشرفى نائبا بدمشق، بعد موت سودن الطرنطاي.

وفى خامسه: نودى بزينة القاهرة لعافية السلطان من مرضه، فزينت.

وفى سادسه - وهو ثالث مسرى: - أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، فنزل السلطان إلى المقياس وفتح الخليج على العادة.

وفى عاشره: ورد البريد بمحاربة عسكر حلب لمنطاش، وفراره، وأنه عدى الفرات، وقبض على عدة من أصحابه.

وفى حادى عشره: خلع على الشريف على بن عجلان، واستقر أميراً بمكة وحده من غير شريك له، وخلع على الشريف عنان والشريف على بن مبارك، خلعتى إنعام. ولبس كمشبغا نائب دمشق قباء السفر، وسار وطُلبه بتجمل عظيم، قاد فيه سبعين جنياً^(١) من الخيل.

وفى ثالث عشره: قُلت الزينة.

وفى خامس عشره: نزل السلطان من القلعة إلى القاهرة، وصعد إلى مدرسته بخط بين القصرين، وزار أباه، وعاد.

وفيه أنعم على الأمير تغرى بردى من يشبغا بتقدمة ألف، وأنعم بطبلخاناته على الأمير قلمطاي العثماني. وأنعم على شادى خجا بإمرة عشرين.

وفيه أعيد الأمير محمود إلى الأستاذارية، عوضاً عن الركن عمر بن قايماز.

واستقر ابن قايماز من جملة أمراء الطبلخاناه.

وفى سادس عشره: استقر بدر الدين محمد بن الطوخى فى الوزارة بدمشق، عوضاً عن الفخر عبد الرحمن بن مكانس. وخرج البريد بإحضاره من دمشق فى الترسيم، هو وابنه مجد الدين فضل الله وأخوه نصر الله.

وفى ثانى عشرينه: قدم البريد بوقوع الحريق فى دمشق، يوم السبت حادى عشرين شعبان، بجوار جامع بنى أمية، تلف فيه شىء كثير جداً.

(١) الجنيية الدابة تقاد واحدة الجنائب وكل طائع منقاد جنيب. لسان العرب.

وفي هذا الشهر: وقع وباء فى البقر، حتى أُبيعت البقرة بعشرين بعد ما كانت تباع بمئتين درهم. ثم فحش الموت فيهن، فأبيعت البقرة بخمسة دراهم، وترك الناس أكل لحم البقر، استقذارا له. وعم الوباء فى البقر أرض مصر كلها، ففنى منها ما لا يقع عليه حصر.

وفي يوم الإثنين سادس شوال: استقر ناصر الدين محمد الضانى فى ولاية منفلووط، وعزل على بن غلبك.

وفي سابعه: استقر أحمد الأرغونى فى ولاية دمياط، وعزل أبو بكر بن بدر.

وفي ثامن شوال: استقر القاضى بدر الدين الأقفهى فى نظر الدولة، وعزل ابن شيخ. واستقر ناصر الدين مؤمن فى ولاية قليوب، وعزل قطلوبغا الصفوى. واستقر علاء الدين على الطشلاقى والى قطيا. وعزل حسام الدين حسن المؤمنى أمير آخور.

وفيه أنعم على الشريف على بن عجلان^(١) أمير مكة بأربعين فرسا، وعشرة ممالك من الأتراك، وثلاثة آلاف أردب قمحا، وألف أردب شعيرا، وألف أردب فولا، وحمل على فرش بقماش ذهب، ورسم له أن يستخدم مائة فارس من الترك، يسير بهم إلى مكة.

وفيه قبض على تاج الدين بن شمل، وسلم لشاد الدواوين على مال يحمله.

وفي خامس عشره: عزل شيخ الشيوخ المعروف بشيخ الإسلام أصلم بن نظام الدين الأصفهانى، وسلم لشاد الدواوين على حمل مائتى ألف درهم.

وذلك أن السلطان لما اختل أمره بحركة الأمير يلبغا الناصرى ومسيره الى القاهرة، همَّ الملك الظاهر بالهرب، وأعطى شيخ الشيوخ هذا خمسة آلاف دينار، وواعده أن ينزل إليه ويختفى عنده، فلم يف له بذلك، وغيب عنه فاخفى السلطان عند أبى يزيد كما ذكر. فلما عاد إلى الملك طلب منه الخمسة آلاف دينار على لسان الدوادار، فقال «تصدقت بها على الفقراء». فلما ألح الدوادار فى مطالبته قال: «اعلم السلطان أنى أجمع الفقراء من الزوايا والربط وألزمهم بإعادة ما تصدقت به عليهم، وأقول لهم إن السلطان قد عاد فى صدقته فإنه لم يدفع هذا المال إلى إلا لأتصدق به، لا أنه ودعة عندى».

(١) على بن عجلان [٧٩٧هـ - ١٣٩٥م] على بن عجلان بن رميثة بن أبى نعى الحسنى أبو الحسن نور الدين: من أمراء مكة وليها بعد عزل عنان بن مغامس سنة ٧٨٩هـ. انظر ابن الفرات ٤٢٠/٩ وشذرات الذهب ٣٥٠/٦ وابن إياس ٣٠٤:١ وخلاصة الكلام ٣٦ ج الأعلام ٣١٢/٤.

فلما أعاد الدوادار على السلطان هذا القول أسرها فى نفسه، وصير كعادته حتى وقف إليه من ادعى أن تاجرا ترك عند شيخ الشيوخ عدة أحمال، فيها ثياب ليسافر بها من غير مكس^(١) فأمر بطلبه من خانكاه سرياقوس. فلما وقف مع غريمه اعتذر، فقال بعض من حضر أنه مكتوب فى يده سحر يسحر به السلطان، فعزله من المشيخة، وتسلمه شاد الدواوين.

وفى سادس عشره: استقر ناصر الدين محمد بن ليلى فى نقابة الجيش، وعزل أسندمر.

وفى تاسع عشره: استقر الشريف فخر الدين ناظر المارستان فى مشيخة الشيوخ بخانكاه سرياقوس.

وفى عشرينه: استقر جمال الدين محمود العجمى فى نظر الجيش، عوضا عن كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز، مع ما بيده من قضاء القضاة الحنفية، ومشيخة الشيخونية، ولم يقع مثل ذلك بدولة الأتراك فى مصر.

واستقر قطلوبغا القشتمرى الحاجب فى كشف الوجه البحرى، وعزل قطلوبغا وعزل أوناط.

وفى خامس عشرينه: سار الشريف على بن عجلان بعسكره إلى مكة، ومنع الشريف عنان من السفر، ورتب له فى كل يوم ما يقوم به.

وفى سادس عشرينه: نودى بزيادة النيل ثلاثة أصابع من عشرين ذراعا.

وفى سابع عشرينه: استقر الأمير تانى بك اليحياوى أمير أخور، عوضا عن الأمير بكلمش العلاى، واستقر بكلمش أمير سلاح.

وفى سلخه: نودى بخروج القطعان الذين قطعت أيديهم فى السرقات، والبرصان، والجذماء، من القاهرة وظواهرها، وهدد من أقام منهم بالتوسيط.

وفى يوم الجمعة أول ذى القعدة - وهو ثالث عشرين توت - انتهت زيادة النيل إلى اثنى عشر أصبعا من عشرين ذراعا، وثبت إلى سابع بابة، ثم انحط بعد ما بلغ عشرين أصبعا من عشرين ذراعا.

وفى رابعه: أعيد مبارك شاه إلى نيابة الوجه القبلى، وعزل يلبغا الأهمدى. واستقر حسام الدين المؤمنى أمير أخور فى ولاية الجيزة.

(١) مكس: ضريبة يأخذها المكاس ممن يدخلون البلد من التجار، جمعها مكوس. انظر الوجيز.

وفى سابعه: أعيد بهاء الدين محمد البرجى إلى حسبة القاهرة، وعزل النجم محمد الطنبدى، وأذن له فى الحكم عن قاضى القضاة الشافعى.

وفى تاسعه: سار السلطان إلى سرحة سرياقوس، ونزل بالقصور على العادة.

وفى عاشره: عفى عن القطعان ^(١) من النفى.

وفى ثالث عشره: قدم ناصر الدين أحمد التنسى من الإسكندرية باستدعاء، واستقر فى قضاء القضاة المالكية. وعزل الشهاب أحمد الحريرى، ودخل إلى القاهرة من سرياقوس بالتشريف.

وفى سادس عشره: قبض بسرياقوس على ستة مماليك، وحملوا فى الحديد إلى والى القاهرة، من أجل أنهم ارتكبوا الفاحشة بصبى حتى مات.

وفى ثامن عشره: عزل المقدم محمد بن عبد الرحمن وألزم بحمل مائتى ألف درهم، واستقر عوضه فى مقدمة الدولة تنتين. واستقر محمد بن عبد الرحمن فى مقدمة الخاص، وشرع فى حمل ما قرر عليه للوزير.

وفيه قتل الأمير قرا دمرداش، والأمير طغای ثمر - نائب سويس - فى عدة من الأمراء. وفيه استقر تقي الدين أبو محمد بن قاضى القضاة جمال الدين أبى المحاسن يوسف ابن قاضى القضاة شرف الدين أبى العباس أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى، فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن نجم الدين محمود بن الكشك. واستقر البرهان إبراهيم التادلى فى قضاء المالكية بدمشق، واستقر عمر بن إلیاس أخى قرط فى ولاية منفلوط.

وفى خامس عشرين ذى الحجة: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بالسلامة والأمن، وتسلم على بن عجلان مكة، وأنه غرق بجدة نحو الثلاثين مركبا من ریح عاصف. واستقر شرف الدين مسعود فى قضاء الشافعية بطرابلس، عوضا عن ناصر الدين محمد ابن كمال الدين المعرى.

وفى سابع عشرينه: أمر قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى الشافعى بلزوم بيته، وألا يحكم.

وفى هذه السنة: ضرب الأمير محمود الأستاذار بالإسكندرية فلوسا ناقصة العيار عن الفلوس التى يتعامل بها الناس فى ديار مصر.

(١) القطعان المفرد قطيع: الطائفة من القيم والنعم وغيرها وجمعها قطعان. انظر الوجيز ٥٠٨.

وفيهما استقر الأميران شمس الدين محمد بن الأمير زين الدين قارا بن مهنا، وزين الدين رقية بن الأمير ركن الدين عمر بن موسى بن مهنا الشهير بعمر المصمغ.

وفي هذه السنة: خرج جماعة من بلاد المغرب يريدون أرض مصر لأداء فريضة الحج، وساروا في بحر الملح، فألقتهم الرياح إلى جزيرة صقلية^(١)، فأخذهم النصارى وما معهم، وأتوا بهم إلى ملك صقلية، فأوقفهم بين يديه وسألهم عن حالهم، فأخبروه أنهم خرجوا يريدون الحج، فألقاهم الرياح إلى هنا، فقال: «أنتم غنيمة قد ساقكم الله إلي»، وأمر بهم أن يقيدوا حتى يباعوا ويستخدموا في مهنهم، وكان من جملةهم رجل شريف، فقال له على لسان ترجمانه: «أيها الملك إذا قدم عليك ابن ملك ماذا تصنع به؟» قال: «أكرمه» قال: «وإن كان على غير دينك». قال: «وما كرامته إلا إذا كان على غير ديني، وإلا فأهل ديني واجب كرامتهم». قال: «فإني ابن أكبر ملوك الأرض». قال: «ومن أبوك؟» قال: «على بن أبي طالب رضى الله عنه». قال: ولم لا. قلت: أبى محمد - ﷺ - قال: «خشيت أن تشتموه». قال: «لا نشتمه أبدا». قال: «يئن لي صدق ما ادعيت به»، فأخرج له نسبته - وكانت معه في رق - فأمر بتخليته وتخليته من معه لسبيلهم، وجهزهم. ثم بلغه أن بعض النصارى من أجناده بال على هذا الشريف، فأمر به فأحرق، وشهر في بلده. ونودى عليه: «هذا جزاء من يشتم الملوك»، فإنه كان شتم أبا الشريف أيضا.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

سوى من قتل من الأمراء:

شهاب الدين أحمد الدفري، أحد نواب القضاة المالكية بالقاهرة، في ثاني عشر ذي القعدة.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي الدنيسري، المعروف بابن العطار، الشاعر، في سادس عشرين ربيع الآخر.

ومات الأمير الكبير أينال اليوسفي، أحد المماليك اليلبغاوية، في رابع عشر جمادى الآخرة. كان أينال شرش الأخلاق، شجاعا.

(١) جزيرة صقلية من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية. انظر معجم البلدان ٤١٦/٣.

ومات الأمير سيف الدين بَطَا الطولونى، أحد المماليك الظاهرية برقوق، ونائب الشام فى حادى عشرين المحرم بدمشق.

ومات الأمير سيف الدين تلىكمى. تنقل فى الخدم حتى أنعم عليه الملك الأشرف شعبان بن حسين، وبعد واقعة الأمير أسندمُر بإمرة مائة. واستقر رأس نوبة كبيراً فى تاسع عشر صفر سنة تسع وستين وسبعمائة. ثم صار أمير مجلس فى خامس عشر رمضان منها، ثم نقل من ذلك وصار أستاذاراً فى حادى عشر المحرم سنة إحدى وسبعين، عوضاً عن علم دار الحمدي. ثم أخرج إلى صفد فى ثالث ربيع الآخر منها، واستقر نائبها. ثم أحضر إلى القاهرة بعد قليل، وأنعم عليه بإمرة مائة. فلما كان فى صفر سنة خمس وسبعين، استقر حاجب الحجاب مدة، ثم تعطل ولزم داره، حتى مات فى حادى عشرين ربيع الآخر.

ومات الأمير سوذُن الطرنطاي نائب دمشق بها، فى شعبان.

ومات الشيخ المعتقد طلحة المغربى المجذوب، فى رابع عشر شوال بمدينة مصر. وكانت جنازته مشهورة، ودفن خارج باب النصر، وهو أحد من أوصى الملك الظاهر عند موته بدفنه تحت أرجلهم.

ومات صدر الدين عبد الخالق بن على بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات المالكي، موقع الحكم، أخذ الفقه عن الشيخ خليل، وكتب على غازى، وبرع فى الفقه والكتابة. ومات فى ثالث عشرين جمادى الآخرة.

ومات الشيخ عز الدين يوسف بن محمود بن محمد الرازى العجمى الحنفى الأصم، شيخ الخانكاة الركنية ببيرس، ثم شيخ الخانكاة الشيخونية، ومات فى ثالث عشرين المحرم، وقد أناف على السبعين.

ومات القاضى جمال الدين عبد الله بن الفيشى المالكي، أحد نواب القضاة المالكية بالقاهرة. وكان نقيباً للقضاة، ثم تولى الحكم، ورتب درسا بالجامع الأزهر، وأجرى عليه وقفا. ومات فى العشرين من ربيع الأول بعد أن ابتلى بالجذام عدة سنين، وهو يباشر الحكم.

ومات الشريف عبد الرحمن بن عبد الكافى بن على بن عبد الله بن عبد الكافى بن قريش بن عبد الله بن عياد بن طاهر بن موسى بن محمد بن قاسم بن موسى الجليس بن إبراهيم بن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب الطباطبى، المؤذن، فى ثامن شوال، وكان قد حظى عند السلطان وتمكن منه. حدثنى

٣٣٠ سنة أربع وتسعين وسبعمائة

شمس الدين محمد بن عبد الله العمرى - موقع الدست - قال: كنت فى خدمة جمال الدين محمود العجمى قاضى القضاة، وناظر الجيش، فركب يوما وأتى معه إلى دار الشريف عبد الرحمن هذا، فتلقيه وأدخله إلى داره، واستعظم بجيئه إليه، فبالغ محمود فى التأدب معه، وقال له: «يا سيد، أنا أستغفر الله مما وقع منى». فقال: «وما الخير يا سيدى؟» قال: «ما دخلت البارحة إلى السلطان، وجئت أنت وجلست فوقى، أنفت من هذا فى سرى، وقلت: كيف يجلس هذا فوقى؟، ومخلى من الدولة ما قد عرف، وشق علىّ ذلك، وقمت ولم يشعر أحد من خلق الله بشيء من ذلك، بل كان مما حدثت نفسى. فلما نمت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وهو يقول لى: «يا محمود تستقل ابنى أن تجلس تحته»، فاستغفرت مما وقع منى، وقد جئت لك ثانيا بما خطر لى، وأسألك الدعاء». قال: «فبكى الجميع»، وكانت ساعة عظيمة.

ومات الأديب الوزير فخر الدين عبد الرحمن بن شمس الدين عبد الرزاق بن علم الدين إبراهيم بن مكائس القبطى، ناظر الدولة بديار مصر، ووزير دمشق. مات فى خامس عشر ذى الحجة.

ومات علاء الدين على بن عيسى بن موسى بن عيسى بن سليم بن حميد الأزرقى المقيرى الكركى، كاتب السر، فى أول ربيع الأول، ودفن خارج باب النصر من القاهرة.

ومات علاء الدين على بن عبد الله بن يوسف البيرى الحلبي، الأديب، الشاعر، المنشئ، الكاتب، فى رابع عشرين ربيع الأول، مخنوقا.

ومات الأمير عنقاء بن شطى أمير آل مرا، قتله الفداوية فى رابع المحرم.

ومات الشريف على بن الشريف شجاع الدين عجلان أمير مكة.

ومات الأمير سيف الدين قطلوبغا الصفوى، حاجب الحجاب، فى أول ربيع الآخر.

ومات الأمير قطلوبغا الطقتمشى، أحد أمراء العشراوات فى عاشر صفر.

ومات الشيخ بدر الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله المنهاجى الزركشى، الفقيه الشافعى، ذو الفنون والتصانيف المفيدة، فى ثالث رجب. سمع الحديث وأفتى ودرس.

ومات الشيخ المعتقد أبو عبد الله محمد الرركراكى المغربى، فى ثانى عشر جمادى الأولى، وقد قارب المائة سنة. وهو ممتع حتى بالنساء.

ومات شمس الدين محمد بن إسماعيل أمين الملك الحلبي الحنفى الأعور أحد نواب
القضاة الحنفية بالقاهرة، فى رابع شوال.

ومات الشيخ المحدث بدر الدين محمد بن محمد بن مجير، المعروف بابن الصايغ، وابن
المشارف، فى ثالث ربيع الآخر.

ومات الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الأمير حسام الدين لاجين، الصقرى
المنجكى، فى ثانى عشر صفر بمرض طويل، من غير أن ينكب.

ومات جمال الدين محمود بن حافظ الدين محمد بن تاج الدين إبراهيم بن شنبكى بن
أيوب بن قراجا بن يوسف القيصرى، المعروف بابن الحافظ الحنفى، قاضى الحنفية
بحلب^(١)، وكان فاضلاً، جليل القدر، عفى عنه.

* * *

(١) حلب بلدة عظيمة قديمة ذات قلعة مرتفعة حصينة وبها مقام إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ولها
بساتين قلائل ويعمر بها قويق وهى على مدرج العراق وهى بين جبل قنسرين . انظر تقويم البلدان
٢٩٩، والروض المعطار ١٩٦، ١٩٧، وصبح الأعشى ١١٦/٤.

سنة خمس وتسعين وسبعائة

أهل الحرم يوم الأحد: ففى ثانيه أعيد صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى إلى قضاء القضاة الشافعية بديار مصر، عوضا عن العماد أحمد الكركى، ونزل بالتشريف من قلعة الجبل إلى المدرسة الصالحية على العادة، وبين يديه عالم عظيم، منهم الأمير أبو يزيد الدوادار، وبدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، ورأس نوبة، وحاجب الحجاب.

وفيه استقر علاء الدين على بن غلبك بن المكلفة فى كشف الفيوم^(١) والبهنسا^(٢) والأطفيحية^(٣)، عوضا عن طيغا الزينى.

وفى تاسعه: قبض على الوزير صاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاکر وتسلمه أمير فرج شاد الدواوين؛ ليعاقبه على المال. وأعيد موفق الدين أبو الفرج إلى الوزارة.

وفى حادى عشره: قرئ تقليد قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى بمدرسة السلطان.

وفى ثالث عشره: قدم البريد بموت الأمير كُمُشْبُغا الخاصكى نائب دمشق فاستقر عوضه تانى بك الأمير، المعروف بتنم الحسنى أتاكك دمشق، وأنعم بإمرته على فخر

(١) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظير كبير من قرى كثيرة، يقال إن فيه من القرى عدد ما فى قطر مصر كلها من القرى، وحجر اللهون بالفيوم من عجائب الدنيا، واللهون قرية كبيرة من قرى الفيوم، وهذا الحجر شاذروان بين طبقين من أحكم صنعة، مدرج على ستين درجة، فيها فوارات فى أعلاها وفى وسطها وفى أسفلها، فتسقى العليا الأرض العليا، والوسطى الأرض الوسطى، والسفلى الأرض السفلى، بوزن وقدر لا ينقص لأحد دون حقه ولا يزيده فوق حقه، وهو من أحكم البنیان وأتقنه، قيل: ومن ذلك الوقت عرفت الهندسة، قيل: وإنما سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار فى اليوم، والفيوم فى وسط بلاد مصر، فلا يوتى إلى كورة الفيوم من ناحية من النواحي لا من صحراء ولا مفازة. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقرئى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

(٢) انظر معجم البلدان ٥١٦/١.

(٣) الأطفيحية بالكسر فى أوله والفاء وناء ساكنة وحاء مهملة بالصعيد الأدنى من مصر على شاطئ النيل الشرقى. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

٣٣٤ سنة سبعمائة وخمس وتسعين

الدين إياس الجرجاوى نائب طرابلس^(١). ونقل دمرداش الحمدي نائب حماة^(٢) إلى نيابة طرابلس. واستقر أقبغا الصغير فى نيابة حماة.

وفيه استقر حسن المؤمنى والى الجيزة^(٣) فى ولاية قطيا، وعزل على الطشلاقى واستقر على بن قراجا فى ولاية الجيزة.

وفى يوم الخميس رابع صفر: استقر أسنبغا السيفى فى ولاية قوص^(٤).

وقدم الخير من الحجاز بأن جتتمر التركمانى أمير ركب الشام هجم على أشرف المدينة النبوية ليأخذ منهم صقرا يصطاد به، وفهدا، فدافعوه، وقتل منهم شريفين. وكادت الحرب تقع لولا ركب الأمير ثابت بن نعيم أمير المدينة، وكف عن القتال. وأن الشريف على بن عجلان^(٥) قبض على سبعين من بنى حسن بمكة. وفيه استقر محمد فى ولاية قطيا، وعزل حسن المؤمنى.

وفى تاسع عشرين جمادى الأول: قدم محمد بن قارا، ومملوك نائب دمشق على البريد، بأن منطاش ونعيم أمير العرب. وابن بزدغان التركمانى، وابن أينال التركمانى، حضروا فى عساكر كثيرة جدا إلى سلمية، فلقبهم محمد بن قارا على شيزر بالتراكمين، فقاتلهم، فقتل ابن بزدغان، وابن أينال وجرح منطاش وسقط عن فرسه، فلم يعرف لأنه حلق شاربه ورمى شعره، ثم أنه أدركه ابن نعيم وأردفه خلفه، وانهزم بعد أن قتل من الفريقين عالم كبير. وحُملت رأس بن بزدغان وابن أينال إلى دمشق، وعلقتا على قلعتها.

وفيه استقر يلبغا الزينى فى ولاية الأشمونين^(٦)، وعزل محمد بن الأعسر.

(١) انظر معجم البلدان ٢٦، ٢٥/٤.

(٢) حماة: مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق يحيط بها سور محكم. انظر معجم البلدان ٣٠٠/٢، وفى الروض المعطار حماة: من كور حصص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى، وهذا النهر عظيم عليه جسور يعبر عليها، وبينها وبين كفر كاب أربعون ميلاً، ومن حصص إلى حماة مثلها، وهى قديمة البناء. انظر الروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ١٤٠/٤.

(٣) الجيزة بليدة فى غربى فسطاط مصر قبلتها ولها كورة كبيرة واسعة وهى من أفضل كور مصر. انظر معجم البلدان ٢٠٠/٢.

(٤) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤١٣/٤.

(٥) على بن عجلان بن رميثة بن أبى نعى الحسنى، أبو الحسن نور الدين: من أمراء مكة. وليها بعد عزل عنان بن مغاس سنة ٧٨٩ هـ وأمضى أكثر أيامه فى حروب فلم يهنا له عيش إلى أن قتله جماعة من أقاربه من بنى حسن اغتالوه فى بطن مر (من نواحي مكة). انظر ابن الفرات ٩: ٤٢٠ وشذرات الذهب ٦/٣٥٠ وابن إياس ١: ٣٠٤ وخلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ٤/٣١٢.

(٦) الأشمون مدينة قديمة أزلية عامرة وهى قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل.=

وفي سلخه: استقر الحاج سلطان مهتار الركاب خاناه، وعزل المهتار خليل بن أحمد بن الشيخى.

وفي يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة: قبض على الشريف عنان^(١) بن مغامس، وسجن بالبرج فى القلعة.

وقدم الخير بموت الطواشى زين الدين مقبل الرومى الشهابى، شيخ الخدام بالمسجد النبوى، فكتب باستقرار الطواشى زين الدين مسرور الحبشى البشتكى الناصرى، عوضه.

وفي ثامنه: قدم البريد بأن نعيم بن حيار ومنطاش، كبسا حماه فى عسكر كبير، فقاتلهم نائبي حماه وطرابلس، فانكسرا، ونهبت حماه، وأن جلبان نائب حلب سار بعسكر إلى أبيات نعيم عندما بلغه ذلك، وأخذ ما قدر عليه من المال والخيول والجمال والنساء والأطفال، وأضرمت النار فيما بقى، وأكمن كميناً، فما هو إلا أن سمع نعيم نزل ببيوته رجع إليها بجماعته، فخرج الكمين وقتل من العربان وأسر كثيراً، وقتل من عسكر حلب نحو المائة فارس، وعدة من الأمراء.

وفي عاشره: أفرج عن الأمير الطنبغا المعلم، ونفى إلى دمياط، وأفرج عن الأمير قطلوبغا السيفى الحاجب فى أيام منطاش.

وفي رابع عشره: قدم البريد بموت الأمير يلبغا الأشقتمرى نائب غزة^(٢).

وفي خامس عشره: استقر الأمير علاء الدين الطنبغا العثمانى فى نيابة غزة

وفي تاسع عشرينه: استقر الحسام حسن صهر أبى درقة فى ولاية أسوان^(٣)، وعزل

بعد عزل عنان بن مغامس سنة ٧٨٩ هـ وأمضى أكثر أيامه فى حروب فلم يهنا له عيش إلى أن قتله جماعة من أقاربه من بنى حسن اغتالوه فى بطن مر (من نواحي مكة). انظر ابن الفرات ٩: ٤٢٠ وشذرات الذهب ٦/٣٥٠ وابن إياس ١: ٣٠٤ وخلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ٤/٣١٢.

(١) عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نعى: شريف حسنى، من أمراء مكة وليها للظاهر برقوق (صاحب مصر) بعد مقتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان ثم عزله الظاهر سنة ٧٨٩ هـ فرحل إلى مصر سنة ٩٤ هـ فأقام إلى أن توفى فيها. انظر الإكليل ١٣٥: ١٠، ١٥٨ والأعلام ٥/٩٠.

(٢) غزة: بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتح مدينته فى أقصى الشام من ناحية مصر وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٤/٢٠٢. وفى الروض المعطار غزة: موضع بديار جذام من مشارف الشام على ساحل البحر، وبها قبر هاشم بن عبد مناف. انظر الروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٣/٩٩٧.

(٣) أسوان: فى الصعيد آخر بلاد مصر، وفى بلادهم من الجبال والأوعار التى تحول بينهم وبين=

إبراهيم الشهابي.

وفي يوم الخميس ثالث رجب: استقر الأمير قَلَمْطَاى دوادارا، بعد وفاة أبى يزيد.
وفي رابع عشره: توجه أَلطُنْبغا العثماني إلى نيابته بغزة، وأنعم على تَمراز الناصري
رأس نوبة بطبلخاناه العثماني، وأنعم على شرف الدين موسى بن قمارى أمير شكار
بعشرة تمرّاز، زيادة على عشرته.

وفي عشرينه: ابتدأ بالسلطان وعك اشتد به، وأفرط عليه الإسهال الدموى، وكثر
الإرجاف إلى سادس عشرينه. وأبل من مرضه، فنودى بالزينة، فزينت القاهرة ومصر،
وجلس للحكم بين الناس فى يوم الأحد سابع عشرينه على عادته. وركب من الغد
وشق القاهرة من باب النصر، وخرج من باب زويلة إلى بيت الأمير الكبير أيتمش،
ودخل إليه يعوده من مرض به، وركب إلى القلعة.

وفيه قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن محمد بن آقبغا آص، كاشف الجيزة،
وضرب بالمقارع؛ لشكوى الفلاحين منه، وسلم لابن الطبلاوى والى القاهرة.

وفيه استقر الأمير يلبغا الأحمدي الظاهري - المعروف بالجنون - فى كشف الوجه
البحرى، وعزل قَطْلُوبُغا الطشتمرى، واستقر فى كشف الجيزة، عوضا عن ابن آقبغا
آص.

وفي رابع شعبان: نقل ابن آقبغا آص من بيت ابن الطبلاوى إلى الأمير جمال الدين
محمود الأستاذار ليأخذ منه مائة ألف درهم، فوقف عدة من الفلاحين إلى السلطان فى
يوم الأحد سابعه، وشكوا منه أمورا قبيحة من أخذ نسائهم، وأولادهم، وفجوره بهم،
وحاققه فى وجهه على ذلك، وعلى أموال أخذها منهم، فضرب بالمقارع وسلم إلى
والى القاهرة ليخلص منه أموال الفلاحين، فضربه أيضا بحضرة أخصامه.

وفي ثامنه: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع، واثنى عشر أصبعا.

وفيه استقر أوناط اليوسفى نائب الوجه البحرى، وكاشف البحيرة، وواليتها. وعزل
دمرداش السيفى، وأعيد محمد بن حسن بن لىلى إلى ولاية قطيا، بعد موت محمد بن
أشقتمر. واستقر أسندمر العمرى نقيب الجيش بعد أن كان فى ولاية بلبيس^(١)، وعزل
على بن الطشلاقى.

وفي ثانى عشرينه: استقر برهان الدين إبراهيم بن نصر الله فى قضاء القضاة الخنابلة
بالقاهرة ومصر، بعد وفاة أبيه قاضى القضاة ناصر الدين.

= ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٤٠/٣، الإدريسى ٢١.

(١) بلبيس بكسر الباءين وسكون اللام مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق
الشام. انظر معجم البلدان ٤٧٩/١.

وفي سابع عشرينه: قدم عامر بن ظالم بن حيار بن مهنا - ولد أخى الأمير نعيم - مغاضبا لعمه، فأقبل السلطان عليه وأجلسه، وخلع عليه.

وقدم البريد من دمشق بوصول أبى بكر وعمر ولدى نعيم، مفارقين لأبيهما، ومعهما عدة من أكابر عربانه.

وفي تاسع عشرينه: قدمت رسل القان طَقْتَمَش خان ملك الدشت^(١).

وفي يوم الإثنين ثالث رمضان: قدم البريد من حلب بقبض منطاش، وذلك أن الأمير جلبان نائب حلب لم يزل يبذل جهده فى أمر منطاش، حتى وافقه الأمير نعيم على ذلك. وكان فى طول هذه المدة مقيما عنده ويغزو معه، فبعث جلبان شاد شراب خاناته كمشبغا إلى نعيم فى خمسة عشر فارسا، بعدما التزم له بإعادة إمرة العرب إليه. فلما قرب من أبيات نعيم نزل وبعث يأمره بقبضه، فندب نعيم أحد عبيده إلى منطاش يستدعيه إليه، فأحس بالشر، وهم بالفرار، فقبض العبد عنان فرسه وأدركه عبد آخر، وأنزلاه عن فرسه وأخذ سيفه، فبدر إلى سكين معه ضرب نفسه بها أربع ضربات، وأغشى عليه، وحمل إلى كمشبغا ومعه فرسه وأربع جمال، فسار به إلى حلب فى أربعمائة فارس من عرب نعيم. فكان لدخوله يوما مشهودا، وسجن بقلعتها. فسر السلطان بذلك سرورا عظيما، وأنعم على كمشبغا الواصل بالبشرى بخمسة آلاف درهم، وقباء مطرز بذهب، وتقدم إلى سائر الأمراء بخلعهم عليه، ودقت البشائر، ونودى بالزينة فزينت القاهرة ومصر، ونودى من الغد بأن منطاش قد قبض عليه.

وفي خامسه: قرئ تقليد قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم الحنبلى على العادة.

وفيه توجه الأمير سيف الدين طولو من على باشا - أحد العشراوات - على البريد لإحضار منطاش، فسار إلى حلب، وعصره ليقر فلم يعترف بشىء، ثم ذبح، وحملت رأسه على رمح وطيف بها حلب، وسائر مدن الشام، حتى قدمت قلعة الجبل صحبة طُولُو فى يوم الجمعة حادى عشرينه، علقت على باب القلعة، ثم طيف بها - على رمح - القاهرة ومصر، وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام. ثم حطت وسلمت إلى زوجته أم ولده. فدفنت فى سادس عشرينه.

(١) الدشت: بفتح أوله، وسكون ثانيه قرية من قرى أصبهان منها القاضى أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسن بن جرير بن سويد الدشتى. انظر معجم البلدان ٤٥٦/٢.

وفيه قلعت الزينة، وخرج يَلْبِغًا السالمى على البريد إلى الأمير نعيم.

وفى هذا الشهر: هجم الفرنج على ناحية نَسْتَرَاوه^(١) فى أربعة غربان، وسبوا ونهبوا، وأقاموا ثلاثة أيام.

وفى تاسع عشرينه: أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، وافقه سادس عشر مسرى فركب السلطان إلى المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وقدم رسل متملك دهلك^(٢) بفيل وزرافة، وعدة من الجوارى والخدم، وغير ذلك.

وفى يوم الإثنين سادس عشر شوال: خرج المحمل إلى الحجاز مع الأمير سيف الدين فارس من قطلو شاه، أحد أمراء الطبلخاناه.

وفيه ابتدأ الناس فى العمارة على الكيش، فبنوا الدور والأصطبل.

وفى تاسع عشره: قدم رسول الملك الظاهر مَجْد الدين عيسى - صاحب ماردين - بأن تَيَمُّور لَنَك أخذ تيريز، وبعث إليه يستدعيه إلى عنده بها، فاعتذر بمشاوره السلطان مصر، فلم يقبل منه وقال: «ليس لصاحب مصر عليك حكم، ولأسلافك دهر بهذا الأقليم»، وأرسل إليه خلعة، وصكة ينقش بها الذهب والدنانير.

وفيه قدم رسول صاحب بسطام^(٣) بأن تيمور قتل شاه منصور متملك شيراز^(٤)، وبعث برأسه إلى بغداد، وبعث بالخلعة والصكة إلى السلطان أحمد^(٥) بن أويس متملك

(١) نستراوه بلدة كانت واقعة غربى الرلرس على الساحل الرملى الفاصل بين البحر المتوسط وبين بحيرة الرلرس التى كانت تسمى قديماً بحيرة نسترو.

(٢) دهلك: جزيرة بينها وبين بلاد الحبشة نصف يوم فى البحر، وطول هذه الجزيرة مسيرة يومين، وحواليها ثلاثمائة جزيرة معمورة أهلها مسلمون، وإذا أتت الحبشة لمناجزتهم صعدوا جبالاً عالياً يقابل جزيرة دهلك وأوقدوا فيه ناراً فيخرج المسلمون إليهم فى السفن، وإلى ساحل جزيرة دهلك هاجر أصحاب النبى ﷺ إلى النجاشى، وفى هذه الجزيرة مساجد جامعة وأحكام عادلة، وقد ولى القضاء فيها بعد الأربعمئة محمد بن يونس، مالكى من أهل الأندلس. انظر معجم البلدان. ٤٨٠/٢، والروض المعطار ٢٤٤، وابن خلكان ٣٠٠/٦، وتكوين البلدان ٣٧١.

(٣) بسطام بالكسر ثم السكون بلدة. كبيرة بقومس، على جاد الطريق إلى نيسابور بعد دامغان. بمرحلتين. انظر معجم البلدان ٢١٨/١، والروض المعطار ١١٤، والكرخى ١٢٤.

(٤) شيراز بالكسر ثم السكون من قرى سرخس شبيهة بالمدينة بينهما مسيرة يومين للجمال. انظر معجم البلدان ٣٨٢/٣.

(٥) أحمد بن أويس بن حسن الجلايرى غياث الدين آخر سلاطين الدولة الجلايرية فى بغداد. مغولى الأصل مستعرب. كان أسلافه من رجال جنكيزخان وهولاكو، وآل أمر العراق إلى حده =

بغداد، فلبس الخلعة وضرب الصكة. ثم أن تيمور مَلَكَ بغداد فى يوم السبت حادى عشرينه، وذلك أن ابن أويس كان قد أسرف فى قتل أمراء دولته، وبالع فى ظلم رعيته، وانهمك فى الفجور، فكتب أهل بغداد^(١) تيمور، بعد استيلائه على تبريز^(٢)، يحثونه على المسير إليهم، فتوجه إليها بعساكره حتى بلغ الدربند، وهو عن بغداد مسيرة يومين. فبعث إليه ابن أويس بالشيخ نور الدين الخراسانى، فأكرمه تيمور وقال: «أنا أترك بغداد لأجلك». ورحل يريد السلطانية، فبعث الشيخ نور الدين كتبه بالبشارة إلى بغداد، وقدم فى إثرها. وكان تيمور قد سار يريد بغداد من طريق آخر فلم يشعر ابن أويس - وقد اطمأن - إلا تيمور قد نزل غربى بغداد، قبل أن يصل إليها الشيخ نور الدين، فدهش عند ذلك ابن أويس وأمر بقطع الجسر، ورحل بأمواله وأولاده وقت السحر من ليلة السبت المذكور. وترك البلد، فدخل إليها تيمور، وأرسل ابنه فى إثر ابن أويس، فأدركه بالحلة^(٣)، ونهب ماله، وسبى حريمه، وقتل وأسر كثيراً ممن معه. ونجا ابن أويس فى طائفة، وهم عراة. فقصده حلب، وتلاحق به من تبقى من أصحابه.

وفى عشية يوم الجمعة عشريه - وهو أول توت - : أمطرت السماء بالقاهرة مطراً غزيراً، حتى خاض الناس فى المياه، وهذا من غريب ما يحكى.

=الشيخ حسن ونشأ هو فى تبريز. انظر تاريخ العراق ٣٠٥/٢ والضوء اللامع ٢٤٤١ والبدر الطالع ٢٢/١ والأعلام ١٠٢/١.

(١) بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد. قال ابن الأنبار أصل بغداد للأعاجم. انظر معجم البلدان ٤٥٦/١، ٤٦٧، وفى الروض المعطار بغداد: دار مملكة خلفاء بنى العباس، وفيها أربع لغات: بغداد بدالين مهملتين، وبغداد معجمة الأخيرة، وبغدان بالنون، ومغدان بالميم بدلاً من الباء، وتذكر وتونث. قالوا: وبغداد بالفارسية عطية الصنم لأن بغ صنم وداذ عطية، ولذلك كره الأصمعية هذه التسمية، وكانت قرية من قرى الفرس فأخذها أبو جعفر غصباً فبنى فيها مدينة وقال الجرجاني: باغ بالفارسية هو البستان الكثير الشجر، وداذ: معطى، فمعناه معطى البستان، وسميت مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادى السلام فقبل بغداد مدينة السلام، وكان بعضهم يسميها الصيادة لأنها تصيد قلوب الرجال. انظر الروض المعطار ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ومعجم ما استعجم ٢٦١/١، وابن حوقل ٢١٥، والكرخى ٥٨، وتاريخ بغداد ٢٥/١ - ١٢٧.

(٢) تبريز بكسر أوله وسكون ثانيه أشهر مدن أذربيجان وهى مدينة عامرة حسنة ذات أسوار محكمة. انظر معجم البلدان ١٣/٢، والروض المعطار ١٣٠.

(٣) الحلة: مدينة كبيرة منيفة على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقى وتمتد بطوله، وبها أسواق حافلة جامعة للمرافق المدنية والصناعات الضرورية، وهى قوية التجارة كثيرة الخلق متصلة حدائق النخل داخلياً وخارجاً. انظر معجم البلدان ٣٠٤/٢، والروض المعطار ١٩٧، ابن بطوطة ٢٢٠.

وفي يوم الخميس ثالث ذى القعدة: قدم البريد بأخذ تيمور بغداد.

وفي رابعه: قدم البريد بنزول ابن أويس الرحبة، في نحو ثلاثمائة فارس. وقدم كتابه وكتاب الأمير نعيم، فأجيب أحسن جواب، وكتب بإكرامه والقيام بما يليق به، وتوجه إليه الأمير نعيم، فعندما عاين ابن أويس نزل وقبل الأرض، وسار به إلى بيوته، وأضافه. ثم سيره إلى حلب، فقدمها معه أحمد شكر، ونحو الألفي فارس، فأنزله الأمير جُلبان نائب حلب بالميدان، وقام له بما يليق به. وكتب مع البريد إلى السلطان بذلك، وتشفع في الأمير نعيم، وفي شكر أحمد. وكتب أيضا ابن أويس يستأذن في القدوم، فجمع السلطان الأمراء للمشورة في أمر ابن أويس، فاتفقوا على إحضاره، وأن يخرج إلى محبته الأمير عز الدين أزدُمَر ومعه ثلاثمائة ألف درهم فضة وألف دينار، برسم النفقة على ابن أويس.

وفي رابع عشرينه: ركب السلطان إلى مطعم الطيور خارج القاهرة، وعاد من يومه.

وفي سادس عشرينه: توجه الأمير أزدمر على البريد؛ لإحضار ابن أويس.

وفيه سلم صاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاکر إلى والى القاهرة، فضربه بالمقارع، وبالعنف في إهانتته، وأخرجه نهارا على حمار، وفي عنقه الحديد، وثيابه مضمخة بالدماء، فترامى على الناس، وطرح نفسه على الأبواب، يسأل شيئا يستعين به في مصادرتة.

وفيه قدمت رسل أبى يزيد بيك، بن مراد بيك، بن عثمان، متملك الروم، مع الأمير حسام الدين حسن الكجكنى، بهدية سنية، منها باز أبيض، وسأل الرسل تجهيز طبيب من أطباء القاهرة إلى ابن عثمان ليداويه من مرض به، فتعين الطبيب شمس الدين محمد بن محمد الصغير، وجُهِز وأعطى من الأدوية والعقاقير ما يحتاج إليه ابن عثمان.

وأما تيمور فإنه لما ملك بغداد صادر أهلها ثلاث مرات في كل مرة منهم ألف تومان، وخمسمائة تومان وكل تومان مبلغ ثلاثين ألف دينار عراقية، والدينار العراقي بقدر درهم مصر الفضة، حتى أفقرهم كلهم. وكان جملة ما أخذ منهم نحو مائة ألف ألف وخمسة وثلاثين ألف درهم، بعد أن تنوع في عقوبتهم، وسقاهم الملح والماء، وشواهم على النار، ولم يبق لهم ما يستر عوراتهم. وصاروا يخرجون فيلثقطن الخرق من الطرقات حتى تستر عوراتهم وتغطي رءوسهم. ثم إنه بعث ابنه إلى الحلّة، فوضع في أهلها السيف يوما وليلة، وأضرهم فيها النار حتى احترقت، وفنى معظم أهلها. ويقال

إنه قتل فى العقوبة من أهل بغداد ثلاثة آلاف نفس. وبعث تيمور من بغداد العساكر إلى البصرة، فلقبهم صاحبها الأمير صالح بن جولان، وحاربهم وأسر ابن تيمور، وقتل منهم خلقاً كثيراً، فبعث إليه عسكرياً آخر فى دجلة، فظفر بهم صالح أيضاً.

وفيه قدم الخبر من الحجاز بأن جماز^(١) بن هبة حصر المدينة النبوية، فقاتله ابن عمه الشريف ثابت بن نعيم، وقتل بينهما جماعة.

وفى أول ذى الحجة: أفرج عن صاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاعر وقد بقى عليه مما ألزم به شىء، وكان الذى صودر عليه مبلغ خمسين ألف درهم.

وفى خامس عشرة: استقر فى نظر الإصطبلات.

وفى سادس عشرة: توجه السلطان إلى منزلة سرياقوس^(٢) على العادة.

وفيه قدم البريد بأن الأمير يونس نائب الكرك^(٣) ركب ليأخذ غنماً للعشير، فلما أحاط بها، وقبض على عشرة من العشير، ثاروا به وقتلوه. وكان قد خرج إليهم بغير عسكري، ليس معه إلا عشرة مماليك.

وفى ثامن عشرة: أخرج شكر باى العثمانى، أميراً بحلب.

وفى خامس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بالأمن والرخاء، وأنه لم يحضر أحد من حاج العراق^(٤).

وفى تاسع عشوينه: أمر فى القاهرة ومصر بتجهيز الناس للسفر لقتال تيمور لنك، فإنه قصد أخذ البلاد، وقتل العباد، وهتك الحرم، وقتل الأطفال، وأحرق الديار، فاشتد بكاء الناس، وعظم خوفهم، وكان من الأيام الشنعة.

وفيه قدم الخبر بأن أربعة من رهبان النصارى خرجوا بمدينة القدس، ودعوا الفقهاء لمناظرتهم، فلما اجتمع الناس لهم جهرتوا بالسوء من القول، وصرخوا بدم الملة

(١) جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسينى: أحد من تولوا إمارة المدينة المنورة فى عهد ولاية السلطان برقوق بمصر. جاءته المراسم منه وساءت سيرته فامتدت يده إلى قبة الحرم النبوى وأخذ بعض قناديلها واستولى على حاصل المدينة ورحل عنها فاغتاله بعض عربان مطير فكان عيرة للناس قتلوه وهو نائم. انظر رسائل فى تاريخ المدينة والأعلام ١٢٣/٢.

(٢) سرياقوس بليدة فى نواحي القاهرة. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٣) انظر معجم البلدان ٤٥٢/٤.

(٤) العراق. انظر معجم البلدان ٩٣/٤.

الإسلامية، والأزراء على القائم بها، وأنه كذاب وساحر وما الحق إلا فى دين عيسى، فقبض عليهم وقتلوا وحرقوا بالنار، فكان من الأيام المشهورة بالقدس.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الصارم إبراهيم بن طشتمر الدوادار، فى خامس رمضان، بالإسكندرية.

ومات القاضى شهاب الدين أحمد بن الضياء محمد بن إبراهيم المناوى الشافعى، شيخ الجاولية، وأحد نواب القضاة بالقاهرة، فى ثامن عشرين ربيع الآخر.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد بن مخلوف الحنفى، نقيب القضاة الشافعية، فى عشرين رجب.

ومات الأديب الشاعر زين الدين أبو بكر عثمان بن العجمى، فى سادس عشر ذى الحجة.

ومات الأمير زين الدين أبو يزيد بن مراد الخازن، دوادار السلطان، فى سلخ جمادى الآخرة، وحضر السلطان جنازته.

ومات الحاج صبيح الغواصى، مهتار الطشتخاناه، بعدما أسنَّ وطالت عطلته، فى ثامن عشرين ربيع الآخر.

ومات الوزير صاحب شمس الدين أبو الفرج عبد الله المقسى القبطى، فى رابع شعبان، ودفن بجامع المقس الذى جدده على الخليج.

ومات علم الدين عبد الله بن الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن شاكى بن الغنام، ناظر البيوت، فى ثامن ربيع الأول، وكان حشما.

ومات الأمير زين الدين أبو يزيد الأرنؤكانى الدوادار، وكان عفيفاً عاقلاً عارفاً يكتب الخط الملىح، ويشارك فى عدة علوم.

ومات شهاب الدين أحمد بن صالح الزهرى، الفقيه الشافعى، بدمشق.

ومات الشيخ علاء الدين على بن محمد الأقفهىسى، الفقيه الشافعى، فى ثانى عشرين شوال، قرأ على الكمال النشائى، وبرع فى الفقه، وأفتى ودرس بالجامع الخطيرى وغيره، وناب فى الحكم بالقاهرة.

ومات الشيخ علاء الدين على بن محمد بن سبع، الفقيه الشافعى، بعدما خرف وقارب المائة سنة، فى سادس عشرين رمضان، عن غير وارث.

ومات الأمير سيف الدين قُطلوبغا الأسنقجاوى، ويقال له أبو درقة، كاشف الوجه البحرى.

ومات الشيخ صلاح الدين محمد بن الأعمى الحنبلى فى ليلة الأربعاء سادس ربيع الآخر، وقد درس بالمدرسة الظاهرية المستجدة وغيرها، وأفتى وتعين لقضاء الخنابلة بالقاهرة.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير سيف الدين آقباغا آص شاد الدواوين، فى يوم الأربعاء ثامن عشرين شوال، وهو من بيت الإمارة، وأنعم عليه فى حياة أبيه - أيام الملك الأشرف^(١) شعبان بن حسين - بإمرة طبلخاناه. ثم لما سخط الملك الأشرف على أبيه وأخذت منه الإمرة، وتعطل، وعق أباه. وحكى عنه فى عقوبه أمور شنعاء، ثم سافر إلى اليمن وعاد إلى القاهرة، وولى شد الدواوين بإمرة عشرة، وصودر وعوقب عقوبة شديدة، وكان من شرار الخلق والمتجاهرين بالمنكر.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن أشقتمر الخوارزمى - والى قطيا - هو وأبوه، مات فى [.....]^(٢).

ومات الطواشى زين الدين مُقبل الرومى الشهابى شيخ الخدام بالحرم النبوى. أصله من خدام الملك الصالح عماد الدين إسماعيل^(٣) بن محمد بن قلاوون، وجانداره. وتنقل

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبو المعالى، تاج الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى السلطنة بعد خلع عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤ هـ وقام بأمر الدولة فى أيامه أتابك العسكر الأمير يلغا (قاتل عمه الناصر)، خلع ابن عمه محمد المنصور بن حاجى فى أيامه (سنة ٧٦٧ هـ) أغار الإفرنج بقيادة صاحب قبرص على الإسكندرية فى سبعين مركباً وظلوا زهاء أسبوع يقتلون الرجال، ويأخذون الأموال ويأسرون النساء والأطفال. انظر مورد اللطافة لابن تفرى بردى ٨٧ وجاء فيه ٨٠٨ من خطأ الطبع وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبدية والنهاية ٣٠٢/١٤ - ٣٢٤ والأعلام ٣/ ١٦٤.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) إسماعيل بن محمد بن قلاوون أبو الفداء، علاء الدين، الملقب بالملك الصالح بن الملك الناصر من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ببيع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد (أول سنة ٧٤٣ هـ) وكانت أمور الدولة مختلة فأصلحها وحسنت سيرته. قال ابن إياس: كان خيار أولاد الملك الناصر محمد له بر ومعروف على جهات الخير استمر إلى أن توفى عن نحو عشرين سنة بالقاهرة. انظر بدائع الزهور ١٨١/١ وروض المناظر - خ والبدية والنهاية ٢٠٢/١٤٠ - ٢١٦ والنجوم الزاهرة ٧٨/١٠ والدرر الكامنة ٣٨٠/١ والأعلام ٣٢٤/١.

٣٤٤ سنة سبعمائة وخمس وتسعين

فى الخدم، واختص بالأمر شيخو العمرى، وخدم السلطان حسن بن^(١) محمد. ثم حج وجاور بالمدينة النبوية، وخدم الحجرة الشريفة فى جملة الخدام، وصار ينوب عن الطواشى افتخار الدين ياقوت الرسولى الخازندار الناصرى شيخ الخدام، حتى مات، فولى بعده المشيخة إلى أن مات بالمدينة الشريفة فى [...] ^(٢)....

ومات قاضى القضاة ناصر الدين أبو الفتح نصر الله أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم الكنانى العسقلانى الحنبلى، ولد قريبا من سنة عشرين وسبعمائة، وبرع فى الفقه والحديث والعربية والأصول والميقات، وناب فى الحكم بالقاهرة عن الموفق عبد الله الحنبلى نحو العشرين سنة. ثم ولى قضاء القضاة بعده فى محرم سنة تسع وستين، حتى مات ليلة الأربعاء حادى عشرين شعبان، وكان من خيار المسلمين.

ومات نجم الدين محمد بن جماعة خطيب القدس، فى يوم الأربعاء تاسع ذى القعدة، بالقاهرة، ودفن خارج باب النصر.

ومات سعد الدين إبراهيم بن عبد الوهاب بن النجيب أبى الفضائل الميمونى القبطى، كاتب العرب، ومباشر ديوان الجيوش.

وتوفى الشيخ المسلك عبد الرحمن بن [...] ^(٣) الشريشى، أحد مريدى الشيخ يوسف العجمى^(٤) فى [...] ^(٥).

* * *

(١) حسن (الناصر بن محمد الناصر) ابن فلاوون أبو الحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بمصر، صغيراً، بعد مقتل أخيه حاجى المظفر، سنة ٧٤٨ هـ وكان اسمه قمارى الدولة الأمير فلما ولى السلطنة تسمى «حنا» وقام بأمور الدولة الأمير يلبغا أروس نائب السلطنة ووزعت العطايا باسم الناصر. انظر ١٩٠، ٢٠٢ والبداية والنهاية ١٤/٢٢٤ - ٢٧٨ و ٢٧٩ والأعلام ٢/ ٢١٦.

(٢) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

(٤) يوسف بن عبد الله بن عمر بن على بن خضر الكردي الكوراني ويعرف بالعجمي: متصوف كانت له زاوية مشهورة فى قراة مصر وعدة زاويا فى بلدان مختلفة وللناس فيه اعتقاد عظيم. له رسالة فى شرائط التوبة ولبس الخرقة، سماها «ريحانة القلوب فى التوصل إلى الخبواب - خ» و«بديع الانتفاث بشرح القوافى الثلاث - خ» فى جامعة الرياض. انظر الدرر الكامنة ٤/ ٤٦٣ وابن قاضى شهبه - خ ١٣١/٢، ٢٢٧/٧ وجامعة الرياض ٥: ١١٢ والأعلام ٨/ ٢٤٠.

(٥) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

سنة ست وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الإثنين: والسلطان بقصور سرياقوس، وعساكره معه، ففي رابعه عاد إلى القلعة.

وفي سادسه: قبض على فرج شاد الدواوين، وألزم بمال.

وفي سابعه: استقر في نياية الكرك الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على أحد أمراء دمشق.

وفي ثامنه: أفرج عن أمير فرج، وبقي في وظيفة شد الدواوين، بعد التزامه بمائتي ألف درهم فضة.

وفي تاسعه: عدى السلطان إلى بر الجيزة وتصيد، وعاد من يومه.

وفي عاشره: قدم الحاج محمد وزير ماردين على البريد بأن الأكراد قد دخلوا في طاعة تيمور لنك.

وفي حادى عشره: نفى الأمير قنقباى إلى القدس.

وفي ثانى عشره: نزل السلطان وعدى إلى بر الجيزة وتصيد، وعاد في يومه.

وفي سادس عشره: ركب إلى المطرية، وتصيد بطنان، وعاد.

وفي ثامن عشره: عدى إلى بر الجيزة، وعاد في الغد.

وفيه استقر خليل الجشارى في ولاية قطيا، وعزل أحمد الأرغونى.

وفي ثالث عشرينه: قدم المحمل بالحاج.

وفي خامس عشرينه: ركب السلطان وتصيد، وعاد من يومه، وركب من الغد،

وتصيد بالجيزة، وعاد في ثامن عشرينه، وكان البريد قد ورد بحضور رسل تيمور لنك

بهدية إلى أول حدود المملكة، فكذب بقتلهم، فلما كان سلخه، قدمت رسل النواب

بهدية تيمور لنك وهى: تسعة ممالك، وتسع جوارى وغير ذلك، فوجد من جملة

الممالك ابن وزير بغداد، وابن قاضيه، وابن محتسبها، وليس فيهم سوى مملوك واحد،

فتركهم لحالهم، وتزى ابن القاضى بزي الفقهاء.

وفي يوم السبت أول صفر: ابتداء الأمير سودن النائب بعرض أجناد الحلقة، ثم

أبطله.

وفي ثالثة: ركب السلطان للصيد ببركة الحاج، وعاد.

وفي خامسة: تولى الأمير قلمطاي الدوادر عرض أجناد الحلقة بدار الأمير سودن النائب، وألزم أرباب الأخباز الثقيلة العبرة، الكثيرة المتحصل، بالسفر إلى قتال تيمور، واستمر العرض أربعة أيام فى الأسبوع وهى: السبت والأحد والثلاثاء والأربعاء.

وفي سادسة: ركب السلطان وتصيد ببركة الحاج، ودخل إلى القاهرة من باب القنطرة، وخرج من باب زويلة إلى القلعة، وركب إلى الجيزة فى ثامن، وعاد فى عاشره.

وفيه استقر حسن بن قراجا فى ولاية قطيا، بعد وفاة الصارم إبراهيم الباشقردى.

وفي ثالث عشرة: ركب السلطان وتصيد بالبركة، وعاد وركب فى سابع عشرة إلى الجيزة. وعاد فى تاسع عشرة وركب فى ثانى عشرينه إلى الصيد بالبركة وعاد.

وفي رابع عشرينه: خرج المطبخ إلى لقاء ابن أويس.

وفي خامس عشرينه: استقر شمس الدين محمد^(١) بن الدميرى فى نظر الأعباس، بعد وفاة تاج الدين محمد المليجى، واستقر زين الدين طاهر بن حبیب الحلبي - موقع الدست - فى نظر الخزانة، عوضاً عن المليجى.

وفي سابع عشرينه: ركب السلطان للصيد بالبركة، وعاد. وركب فى تاسع عشرينه إلى الصيد بالجيزة، وعاد فى يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول.

وفي خامسة: عمل السلطان المولد النبوى على العادة.

وفي سابعة: ركب السلطان وتصيد بالبركة وعاد.

وفي حادى عشرة: انتهى عرض أجناد الحلقة.

وفي ثانى عشرة: نودى بالقاهرة ومصر أن من عرض على النائب والدوادر من أجناد الحلقة وتعين للسفر، فليحضر للعرض على السلطان فى يومى الخميس والإثنين.

وفيه طرحت البضائع على التجار، وأخرج القمح من الأهراء، لعمل البشمطاط برسم السفر.

(١) محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى، أبو البقاء باحث وأديب، من فقهاء الشافعية من أهل دميره (مصر) ولد ونشأ وتوفى بالقاهرة أقبل على العلم وأفتى ودرس وكان له (النجم الوهاج - خ). انظر الفوائد البهية ٢٠٣ وخطط مبارك ٥٩/١١ ومفتاح السعادة ١٨٦/١ وكشف الظنون ٦٩٦ والأعلام ١١٨/٧.

وفي ثالث عشره: نودى على أجناد الحلقة أيضا بالعرض على السلطان وفيه قدم البريد بأخذ تيمور لنك قلعة تكرت^(١)، وتخريبها وقتل من بها.

وفيه خرج عدة من الأمراء لملاقاة القان غياث الدين أحمد بن أويس.

وفي رابع عشره: استقر موسى بن على - شاد دواليب الخاص - فى ولاية البهنسا، وعزل قرطای.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره: نزل السلطان إلى لقاء ابن أويس فى جميع العساكر، وقعد بمسطة مطعم^(٢) الطيور من الريدانية خارج القاهرة إلى أن قرب منه ابن أويس، ونزل عن فرسه عدة خطوات، فمشى إليه الأمير بدخاص حاجب الحجاب، ومن بعده الأمراء للسلام عليه، والأمير بدخاص يعرفه اسم كل أمير ووظيفته، وهم يقبلون يده حتى أقبل الأمير أحمد بن يلغا، فقال للأمير بدخاص: «هذا ابن أستاذ السلطان». فعانقه ابن أويس، ولم يدعه يقبل يده. ثم جاء بعده الأمير بكلمش أمير سلاح فعانقه أيضا، ثم بعده الأمير الكبير أيتمش رأس نوبة فعانقه، ثم الأمير سودن النائب فعانقه، ثم الأمير كمشبا الحموى أتابك العساكر، فعانقه. وانقضى سلام الأمراء، فقام عند ذلك السلطان ونزل عن المسطة، ومشى نحو العشرين خطوة، وهول ابن أويس حتى التقيا، فأوماً ابن أويس لتقبيل يد السلطان فلم يمكنه وعانقه، وبكى ساعة. ثم مشيا، والسلطان يطيب خاطره، وبعده يعود به إلى ملكه، ويده فى يده، حتى صعدا إلى المسطة، وجلسا معا على البساط من غير كرسى وتحادثا طويلا. ثم قدم قباء من حرير بنفسجى بفرو فاقم، وطرز ذهب عريضة، فألبسه ابن أويس. وقدم له فرسا من الخيل الخاص، بسرج وكنفوش، وسلسلة من ذهب، فركبه من حيث يركب السلطان، وركب السلطان بعده. وسارا يتحادثان، والأمراء والعساكر سائرة ميمنة وميسرة، وتارة يتقدم السلطان حتى يحجب ابن أويس، إلى أن قربا من القلعة، وقد خرج معظم

(١) تكرت: بالعراق بين دجلة والفرات، وقيل هى من كور الموصل، من سر من رأى إلى تكرت، وهى مدينة قديمة كبيرة واسعة الأرجاء جميلة الأسواق كثيرة المساجد غاصة بالأهل، ودجلة منها فى خوفها ولها قلعة حصينة على الشط هى قصبتها المنيعه ويطيف بالبلد سور، وهى من المدن العتيقة وهى على شاطئ دجلة من الجانب الغربى ينزلها قوم يقال لهم الجرماقة وبها تجار مياسير، ومن تكرت يشق نهر دجيل - الآخذ من الدجلة - فيشق ربضها ويمر إلى سواد سر من رأى فيعبره إلى قرب بغداد. انظر الروض المعطار ١٣٣، ١٣٤.

(٢) يقصد مطعم طيور الصيد وكان يقع فى الشمال الشرقى لخانقاة السلطان برقوق فى صحراء الريدانية. انظر أبو الحاسن: حوادث الدهور ٣٨٠.

الناس لمشاهدة ابن أويس، فكان يوماً مشهوداً. وعندما ترجل العسكر على العادة، صار ابن أويس مواكباً للسلطان، حتى بلغا حد موضع الطبلخاناه، أوماً إليه السلطان بالتوجه إلى المنزل الذى أعده له على بركة الفيل، وجدد عمارته وزخرفته وملاه بالفرش والآلات، فسار إليه وجميع الأمراء فى خدمته، وصعد السلطان إلى القلعة. فلما دخل ابن أويس إلى منزله ومعه الأمراء، مد الأمير جمال الدين محمود الأستادار بين يديه سمطاً^(١) جليلاً فأكل وأكل معه الأمراء، وانصرفوا. فبعث إليه السلطان مائتى ألف درهم فضة، ومائتى قطعة قماش سكندرى، وثلاثة أفراس بقماش ذهب، وعشرين مملوكاً حسناً، وعشرين جارياً. فلما كان الليل قدم حريم ابن أويس وثقله.

وفى ثامن عشره: استقر محمد الضانى واليا بأشوم^(٢) الرمان، عوضاً عن محمد بن غرلوا.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: عمل السلطان الخدمة بالإيوان المعروف بدار العدل، على العادة. وصعد القان أحمد بن أويس إلى القلعة ليحضر الخدمة بالإيوان. وعبر من باب الجسر الذى يقال له باب السر، وجلس تجاه الإيوان حتى خرج إليه رأس نوبة، ومضى به إلى القصر فأخذه السلطان. وخرج به إلى الإيوان وأقعه رأس الميمنة فوق الأمير الكبير كمشبغا الأتابك. فلما قام القضاة ومد السمط قام الأمراء على عادتهم، فهم ابن أويس بالقيام معهم ووقف، فأشار له السلطان فجلس حتى فرغ الموكب. ولما انقضت خدمة الإيوان دخل مع السلطان إلى القصر، وحضر خدمة القصر أيضاً، ثم خرج، والأمراء بين يديه حتى ركب، وقدامه جاویشيته، ونقيب جيشه، فسار الأمراء بخدمته إلى منزله.

وفيه علق الجالیش بالطبلخاناه، إشارة للسفر، فشرع الناس فى التجهيز.

وفى حادى عشرينه: ركب السلطان ومعه ابن أويس إلى مدينة مصر، وعديا النيل إلى بر الجيزة، ونزلا بالخيام ليتصيدا.

وفيه قبض على الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الدولة، وعلى ولده تاج الدين عبد الله، وجماعة من المباشرين وسلموا لشاد الدواوين.

وفى رابع عشرينه: قدم البريد من حلب برجل تترى، يقال له دولات خجا، مقيد بالحديد، من أصحاب تيمور لنگ، قبض عليه سالم الذكر.

(١) السمط موائد الطعام. انظر المعجم الوجيز.

(٢) انظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

وفيه قدم السلطان من الصيد إلى القلعة.

وفي خامس عشرينه: عرض التترى على السلطان، فسأله عن أشياء فلم يعترف، فسلم لوالى القاهرة ليعاقبه، فأقر أن بالقاهرة عدة جواسيس، قبض على سبعة أنفس، ما بين تجار وغيرهم من العجم.

وفيه أفرج عن ابن البقرى وولده، على حمل خمسين ألف درهم، وعن بقية المباشرين على مائة ألف درهم.

وفي تاسع عشرينه: استقر محمد بن صدقة بن الأعسر فى ولاية منوف.

وفى سلخه: قدم البريد من حلب بتوجه الأمير ألطنبغا الأشرفى، والأمير دقماق بعسكر من حلب إلى الرها، ومواقعتهم طلائع تيمور لنك، وهزمتهم بعد أن قتل منهم خلق كثير، وأسر جماعة، وعودهم إلى حلب بمائة رأس من التمرية، وعدة من المأسورين.

وفيه استقر أسنبغا السيفى فى ولاية قليوب، وعُزل محمد بن مؤمن الشمسى.

وفيه ألزم سائر مباشرى ديوان الخاص والدولة ومباشرى الأمراء بإحضار البغال من كل منهم، أو أخذ ثمن البغلة على قدر حال كل أحد، فوقع الشروع فى ذلك.

وفيه أفرج عن المماليك المعتقلين فى البرج بالقلعة، ولم يتأخر سوى الشريف عنان ومملوك واحد من الجوبانية^(١)، يقال له أسنبغا.

وفى يوم الخميس ثالث ربيع الآخر: حمل الأمير جمال الدين محمود الأستاذار السلاح على ثمانمائة حمال، فيه ثلاثمائة لبس كامل للفارس وفرسه.

وفيه ابتدئ بالنفقة فى المماليك لكل واحد من المشتراوات مبلغ ألفى درهم، ولكل واحد من المستخدمين ألف وسبعمائة درهم، وعدتهم خمسة آلاف، فبلغت النفقة فى المماليك خاصة عشرة آلاف ألف درهم فضة، سوى النفقة فى الأمراء، وسوى ما حمل فى الخزائن، وما جهز به فضة، سوى النفقة فى الأمراء، وسوى ما حمل فى الخزائن، وما جهز به الإقامات.

وفيه قدم كتاب تيمور لنك يتضمن الإرعاد والإبراق، وينكر قتل رسله، ونصه: «قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا

(١) الجوبانية من قرى مرو ويسمونها كوبان نسبة إلى جماعة. انظر معجم البلدان ١٧٦/٢.

كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ^(١). اعلّموا أنا جند الله مخلوقون من سخطه، مسلطون على من حل عليه غضبه، لا نرق لشاكي، ولا نرحم باكي، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا، فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا، ومن جهتنا. فقد خربنا البلاد وأيتمنا الأولاد، وأظهرنا في الأرض الفساد، وذلت لنا أعزتها، وملكنا بالشوكة أزمته، فإن خيل ذلك على السامع وأشكل وقال إن فيه عليه مشكل، فقل له: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةَ﴾^(٢)، وذلك لكثرة عددنا وشدة بأسنا، فخيولنا سوابق، ورماحنا خوارق، وأستتنا بوارق، وسيوفنا صواعق وقلوبنا كالجبال، وجيوشنا كعدد الرمال، ونحن أبطال، وأقيال، وملكنا لا يرام، وجارنا لا يضام، وعزنا أبدا بالسؤدد مقام، فمن سالمنا سلم، ومن رام حربنا ندم، ومن تكلم فينا بما لا يعلم جهل، وأنتم فإن أطعتم أمرنا وقبلتم شرطنا فلکم ما لنا وعليکم ما علينا، وإن أنتم خالفتم وعلى بغيكم تماديتم فلا تلوموا إلا أنفسكم، فالحصون منا، مع تشييدها لا تمنع، والمدائن بشدتها لقتالنا لا ترد ولا تنفع ودعاؤكم علينا لا يستجاب فينا، ولا يسمع، وكيف يسمع الله دعاءكم وقد أكلتم الحرام، وضيعتم جميع الأنعام، وأخذتم أموال الأيتام، وقبلتم الرشوة من الحكام، وأعددتكم لكم النار، وبئس المصير، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾^(٣). فلما فعلتم ذلك وأردتم أنفسكم موارد المهالك. وقد قتلتم العلماء، وعصيتم رب الأرض والسماء، وأرقتم دم الأشراف، وهذا والله هو البغي والأسراف، فأنتم بذلك في النار خالدون، وفي غد ينادى عليكم ﴿فَالْيَوْمَ تُعْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٤) ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾^(٥) فأبشروا بالمذلة والهوان، يا أهل البغي والعدوان، وقد غلب عندكم أننا كفرة، وثبت عندنا أنكم والله الكفرة الفجرة. وقد سلطنا عليكم إله له أمور مقدرة، وأحكام مدبرة، فعزیزكم عندنا ذلیل، وكثیركم لدينا قليل؛ لأننا ملكنا الأرض شرقا وغربا، وأخذنا منها كل سفينة غصبا. وقد أوضحنا لكم الخطاب، فأسرعوا برد الجواب قبل أن ينكشف الغطاء، وتضرم الحرب نارها، وتضع أوزارها، وتصير كل عين عليكم باكية، وينادی منادی الفراق: هل ترى لهم من باقية؟، ويسمعكم صارخ الغناء، بعد أن يهزكم هزا، ﴿هَلْ تَحَسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ

(١) سورة الزمر آية ٣٩.

(٢) سورة النمل آية ٣٤.

(٣) سورة النساء آية ١٠.

(٤) سورة الأحقاف آية ٢٠.

(٥) سورة الأنعام آية ٩٣.

تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا^(١)، وقد أنصفناكم إذ راسلناكم، فلا تقتلوا المرسلين كما فعلتم بالأولين، فتخالفوا كعادتكم سنن الماضين، وتعصوا رب العالمين، فما على الرسول إلا البلاغ المبين. وقد أوضحنا لكم الكلام، فأسرعوا برد جوابنا، والسلام.

فكتب جوابه بعد البسملة: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ * وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ * وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ * وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾^(٢)، حصل الوقوف على ألفاظكم الكفرية، ونزعاتكم الشيطانية، فكتابكم يخبرنا عن الحضرة الجنائية، وسيرة الكفرة الملائكية، وأنكم مخلوقون من سخط الله، ومسلطون على من حل عليه غضب الله، وأنكم لا ترقون لشاك، ولا ترحمون عسيرة باك، وقد نزاع الله الرحمة من قلوبكم، فذاك أكبر عيوبكم، وهذه من صفات الشياطين، لا من صفات السلاطين، ويكفيكم هذه الشهادة الكافية وبما وصفتم به أنفسكم ناهية ﴿قُلِ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٍ﴾^(٣)، ففى كل كتاب لعنتم، وعلى كل لسان كل مرسل نعيمتم، وبكل قبيح وصفتم، وعندنا خيركم من حين خرجتم، إنكم كفرتم، ألا لعنة الله على الكافرين، من تمسك بالأصول فلا يبالى بالفروع، نحن المؤمنون حقاً، لا يدخل علينا عيب ولا يضرنا ريب، القرآن علينا نزل، وهو سبحانه بنا رحيم لم يزل، فتحققنا نزوله، وعلمنا ببركه تأويله. فالتار لكم خلقت، ولجلودكم أضمرت، إذا السماء انفطرت. ومن أعجب العجب تهديد الرتوت^(٤) بالتوت، والسباع بالضباع، والكمأة بالكراع. نحن خيولنا برقية، وسهامنا عربية، وسيوفنا يمانية، وليوثنا مصرية، وأكفنا شديدة المضارب، وصفتنا مذكورة فى المشارق والمغارب، إن قتلناكم فنعم البضاعة، وإن قتل منا أحد فبينه وبين الجنة ساعة. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ * وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ * أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥). وأما قولكم قلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، فالقصص لا يبالى بكثرة الغنم، وكثير الحطب يفنيه القليل من الضرم، ﴿فَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ

(١) سورة مريم آية ٩٨.

(٢) سورة آل عمران آية ٢٦.

(٣) سورة الكافرون آية ٤.

(٤) الرتوت ومفردها الرت هم الرؤساء من الرجال فى الشرف والعطاء فيقال هولاء رتوت

البلد. انظر لسان العرب.

(٥) سورة آل عمران آية ١٩٦.

اللَّهُ * وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ^(١). الفرار الفرار من الرزايا وحلول البلايا. واعلموا أن هجوم النية عندنا غاية الأمانة، وإن عشنا عشنا سعداء، وإن قتلنا قتلنا شهداء، ألا إن حزب الله هم الغالبون. أبعد أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين تطلبون منا طاعة؟ لا سمع لكم ولا طاعة، وطلبتكم أن نوضح لكم أمرنا قبل أن ينكشف الغطاء، ففى نظمه تركيك، وفى سلكه تلبيك، لو كشف الغطاء لبان القصد بعد بيان، أكفر بعد إيمان؟ أم اتخذتم إلهًا ثان؟ وطلبتكم من معلوم رأيكم أن تتبع ربكم، ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾^(٢)، قل لكاتبك الذى وضع رسالته، ووصف مقالته: وصل كتابك كضرب رباب، أو كطين ذباب. كلا سنكتب ما يقول، ونغد له من العذاب مدا، ونرثه ما يقول إن شاء الله تعالى. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٣). لقد لبكتم^(٤) فى الذى أرسلتم. والسلام.

وفى سادسه: عرض السلطان أجناد الحلقة الذين عينوا للسفر، واختار منهم أربعمئة فارس للسفر معه، وعرض رأس نوبة الأجناد البحرية، وعين منهم مائتى فارس للسفر.

وفى سابعه: خرجت مدورة^(٥) السلطان، ونصبت بالريمانية خارج القاهرة.

وفى يوم الأربعاء تاسعه: عقد السلطان على الخاتون تندى، بنت حسين بن أويس، ابنة أخى القان أحمد بن أويس، ومبلغ الصداق ثلاثة آلاف دينار، صرف الدينار يومئذ ستة وعشرون درهما، ونصف درهم، وبنى عليها فى ليلة الخميس عاشره.

وفيه نزل السلطان من القلعة إلى الإصطبل، وخرج من باب السلسلة بالرميلة^(٦)، وقد وقف القان أحمد بن أويس وجميع الأمراء وسائر العساكر، وقد لبسوا للحرب ومعهم أطلابهم، فسار السلطان وعليه قرقل^(٧) بغير أكمام، وكلفته على رأسه، وتحتة فرس بعرقية من صوف سمك إلى باب القرافة، والعساكر قد ملأت الرميطة، فرتب بنفسه أطلاب الأمراء، ومر فى صفوفهم عودا وبدءا، حتى ترتبت أحسن ترتيب،

(١) سورة البقرة آية ٢٤٩.

(٢) سورة مريم آية ٩٠.

(٣) سورة الشعراء آية ٢٢٧.

(٤) التبك: الأمر الذى اختلاط والتبس واللبك الخلط. انظر لسان العرب.

(٥) مدورة السلطان أى خيمته الكبيرة الخاصة به والتى تنصب له فى الأسفار.

(٦) الرميطة: من قرى بيت المقدس. انظر معجم البلدان ٧٣/٣.

(٧) القرقل: الثوب الذى لا أكمام له.

ومضى إلى قبر الإمام الشافعى فزاره، وتصدق على الفقراء. وسار إلى مشهد السيدة نفسية، فزاره وتصدق وعاد إلى الرملة. وأشار إلى الطلب السلطاني فसार إلى الريدانية فى أعظم قوة، وأبهج زى، وأفخر هيئة، وجر فيه مائتى جنيب من عتاق الخيل، عليها من الأسلحة والذهب ما يقصر الوصف عن حكايته. وسار فى موكب تهتز له الأرض، وإلى جانبه ابن أويس على فرس بقماش ذهب، وبجانب ابن أويس الأمير كمشبغا الأتابك. وتبع العساكر من ورائها طلب الأمير كمشبغا، ثم طلب الأمير قَلْمَطَاى الدوادار، ثم أطلاب بقية الأمراء، فكان يوما لم ير مثله، وقد حشر الناس فى كل موضع، ونزل السلطان، وابن أويس بالمخيم من الريدانية.

وفى رابع عشره: أعيد بدر الدين محمد بن أبى البقاء الشافعى إلى قضاء القضاة بديار مصر، وصرف الصدر محمد المناوى، ودخل من الريدانية إلى القاهرة، ومعه من الأمراء تغرى بردى رأس نوبة، وقَلْمَطَاى الدوادار، وأقبغا اللكاش رأس نوبة، فى آخرين وعليه التشريف.

وفيه استقر الأمير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلفت التركمانى فى الوزارة. وعزل الموفق أبو الفرج. واستقر سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الدولة، عوضا عن بدر الدين محمد بن الأقهسى. واستقر صاحب كريم الدين عبد الكريم بن غنام فى نظر البيوت على عادته. واستقر صاحب علم الدين عبد الوهاب سن إبرة فى استيفاء الدولة شريكا للصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر، ودخل الجميع القاهرة بالخلع.

وفى سابع عشره: قبض على الشريف محمود العنابى، وذلك أنه كان من العنابة خارج دمشق، فتوصل إلى السلطان وهو بها، وجاراه فى أمور من المغيات صادف وقوعها. وكان السلطان له تطلع إلى ذلك، فأكرمه، وقدم به معه إلى القاهرة، وأجرى عليه ألف درهم فضة فى كل شهر، وصار إذا حضر مع القضاة يجلسه فوقهم بجانبه.

فلما كان يوم الثلاثاء خامس عشره: بعث الأمير شرف الدين موسى بن الأمير شمس الدين محمد بن عيسى العائدى من خزانة شمائل ورقة إلى الأمير علاء الدين على ابن الطبلاوى والى القاهرة، وكان السلطان قد سخط على بنى عيسى وسجنهم بخزانة شمائل. فإذا فى الورقة أن الشريف العنابى بعث إليه أن يأمر عربانه بالنزول قريبا من القاهرة ليملكها بهم فى غيبة السلطان فلم يقتنع ابن الطبلاوى بهذا من ابن عيسى، وقال لقاصده: «إذا قيل هذا للشريف ينكره، لكن حصل إلى خطة بذلك» فسير إليه فى

يوم الخميس سابع عشره ورقة زعم أنها من الشريف إليه، وفيها: «إنك ترسل إلى عربان البحيرة، وعربان الصعيد بالركوب على الولاة والكشاف وقتلهم، ونهب البلاد ليستغلوا عنا بأنفسهم، وابعث إلى عربك أن يكونوا بقرب القاهرة، فإذا عدَّى الغريم قطياً أركب أنا وأنت، ومعى خمسمائة مملوك، وتحضر عربانك وتأخذ القاهرة، والنصر لنا إن شاء الله تعالى. وتولى الأمير شهاب الدين بن قايماز الأتابكية، وأتولى أنا الخلافة، ونفعل ما ينبغي فعله». فقام ابن الطبلاوى من وقته إلى الريدانية، وأوصل الورقة للسلطان، فحكم ذلك، وبعث يلبغا السالمى ليحضر العنابى، فلم يجده، وقيل هرب، فألزم السلطان ابن الطبلاوى بتحصيله، فعاد إلى القاهرة، وبحث عنه حتى علم أن خيله عند شهاب الدين أحمد بن قايماز، فأمكن عدة من ثقافته حتى قبضوا على عبد العنابى، وضرب بالمقارع، حتى دله على أستاذه، فقبض عليه، وعلى ابن قايماز، وحملهما إلى الريدانية، فأمر بعقوبتهما حتى يعترفَا على من معهما على ما قصدها، فعاد بهما، وسوط^(١) العنابى فاعترف أن الورقة بخطه، ثم عصره ليقر على أحد، فلم يعترف بشيء إلا أن معه طائفة من ممالك بركة، فأخذ خطه بذلك، وأن ابن قايماز معه، فأنكر ابن قايماز، وحاققه العنابى، فتمادى فى الإنكار.

وفيه قبض على الأمير ركن الدين عمر بن قايماز بسبب أخيه أحمد.

وفيه نودى بحضور الأجناد البطالين إلى بيت الأمير قلمطاوى الدوادار؛ ليستخدموا.

وفى عشرينه: قبض ما وقع الاتفاق عليه من مال الأيتام، وذلك أن السلطان احتاج إلى المال بسبب السفر، فسأل قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى أن يقرضه من مال الأيتام، فامتنع كما امتنع من قرض منطاش. فلما سمع ذلك البدر محمد بن أبى البقاء وجد سبيلاً إلى ولايته، ووعد على عوده إلى القضاء بمال يقوم به هو، وأن يقرض السلطان خمسمائة ألف وستين ألف درهم من مال الأيتام، فأجيب، واستقر كما ذكر. ونزل إليه الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب فى يومه هذا، وقبض المبلغ المذكور.

وفيه قرئ تقليد بدر الدين محمد بن أبى البقاء على العادة.

وفى حادى عشرينه: قدم الأمير قَلْمُطَاى الدوادار من الريدانية إلى داره لعرض الأجناد البطالين، بعدما تكرّر النداء عليهم مراراً، وتهديد من تأخر منهم عن العرض. فإذا بهم قد اجتمع منهم نحو الخمسمائة، فكتب أسماءهم ثم قال لهم: «أحضروا

(١) سوط: ساطه سوطاً أسوطه أى ضربته بالسوط. انظر لسان العرب.

تراكيشكم^(١) التى فيها القسى والنشاب، وأحضروا سيوفكم، فتوجهوا لإحضار ذلك؛ طمعا منهم فى أنهم يأخذون النفقة، فما هو إلا أن حضروا بذلك، أحيط بهم. وكان قد أعد لهم والى القاهرة الحديد ليقيدوا به، فقبض على ثلاثمائة وسبعين منهم، وفر من بقى. وقتل ثلاثة أنفس، وجرح جماعة. وتسلم الوالى المقبوض عليهم فى الأغلال، ومضى بهم إلى خزانة شمائل، فسجنوا بها، وكان يوما مهولا من كثرة بكاء نسائهم وأولادهم.

وفيه قدم ولد الأمير نعيم، ومعه محضر، بأن أباه أخذ بغداد وخطب بها للسلطان، فأُنعم عليه بتشريف.

وفيه أفرج عن الأمير الطنبغا المعلم، وكتب بإحضاره من دمياط.

وفيه خلع على الأمير سودن النائب، وجعل مقيما بالقاهرة مدة الغيبة، وخلع على الأمير محمود الأستاذار وولده، وعلى الأمير بجاس، وألزم بالإقامة فى القلعة، وخلع على برهان الدين إبراهيم الحلى التاجر، وشهاب الدين أحمد بن محمد^(٢) بن مسلم، ونور الدين على بن الخروبي؛ لأنه اقترض منهم السلطان مبلغ ألف ألف درهم.

وفيه أفرج عن الأمير قُنْبُاي الأحمدي، وكتب بإحضاره من القدس إلى غزة، ورسم لمباشريه بتجهيز برقه، وتعبئة طلبه.

وفى ثمانى عشرينه: عرض الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى البطالين، الذين سجنوا بالخزانة، بدار الأمير محمود الأستاذار وأفرج عن مائتى رجل منهم، ونفى ثلاثة وسبعين - كانوا غُرَابَا غير معروفين - إلى عدة جهات.

وفيه أفرج عن الأمير ركن الدين عمر بن قايماز، على مال التزم بحمله.

وفى ثالث عشرينه: رحل السلطان من الريدانية، وكانت عدة الجمال التى فرقت فى الممالك أربعة عشر ألف جمل، وعدة الخيل المفرقة فى الممالك السلطانية ألفين وخمسمائة فرس، سوى ما عندهم من الخيل، وهى أضعاف ذلك، وهذه الخيول والجمال فى الممالك خاصة.

(١) تراكيشكم جمع تركاش وهى الكنانة أو الجعبة التى توضع فيها النشاب.

(٢) أحمد بن محمد بن عمر بن مسلم أبو العباس شهاب الدين العمرى المعروف بابن خضر فقيه حنفى دمشقى صالحى ولى إفتاء دار العدل وله حاشية على الفوائد. انظر سر كيس ١٥٣١ وكشف ٢٠٧ ودار الكتب ١/ ٢٣٠ والأعلام ١/ ٢٢٥.

٣٥٦ سنة سبعمائة وخمس وتسعين

وأما السلطان والأمراء فيكون معهم ما يزيد على مائة ألف، ما بين فرس وجمل. ومما حمل برسم خرط الشطرنج خمسة قناطير من العاج والأبنوس؛ ليلعب به السلطان. والرسم أنه إذا لعب بشطرنج أخذه أرباب النوبة، وجدد غيره.

وفي سابع عشرينه: قدم البريد من السلطان بقتل بنى عيسى، فوسطوا على باب خزانة شميل، وعدتهم أحد وعشرون رجلا، منهم موسى بن محمد بن عيسى، وعمه مهنا بن عيسى وسلموا لغلمانهم، فأقيمت المناحة عليهم بالصحراء عدة أيام. وفيه قتل الشريف محمود العنابي أيضا.

وفي ثامن عشره: ثارت عرب بنى عيسى بقلوب يريدون قتل الوالى ففر منهم إلى القاهرة.

وفيه قدم البريد بطلب بدر الدين محمود الكلستانى إلى السلطان، فخرج فى غاية الخوف من القتل؛ لأنه كان من ألام الطنبغا الجوبانى، فجاءه من العز ما لم يخطر له ببال، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيه استقر عمر بن إلياس فى نيابة الوجه البحرى، وعزل أوناظ.

وفى يوم الأحد ثانى عشر جمادى الأولى: توجه الأمير محمود بالخزانة إلى السلطان.

وفى عشرينه قدم البريد برحيل السلطان عن غزة فى ثانى عشره، وأنه أنعم على الطنبغا المعلم بإمرة مائة فى طرابلس، وعلى قردم الحسنى بنىابة القدس^(١) وأن قنقباى الأحمدى استعفى من الإمرة.

وفى ثالث عشرينه: قدم إلى مدينة دمشق رسل طقتمش خان، صاحب كرسى أذربك خان ببلاد القبحاق، بأنه يكون عوناً مع السلطان على تيمور لنك.

وفى ثامن عشرينه: قدم البريد بدخول السلطان إلى دمشق فى عشرينه.

وقدم الخبر بأن تيمور لنك رجع إلى بلاده، فدقت البشائر ثلاثة أيام.

وفيه قدم إلى القاهرة رسل ابن عثمان متملك الروم.

وفى أول شهر رجب: أخذ الفرنج عدة مراكب تحمل الغلال إلى الشام.

وفى سابع عشره: برزت العساكر من دمشق تريد حلب، وفيها الأمير الكبير

(١) القدس: انظر معجم البلدان ٣١١/٤.

كمشبغا الحموى أتابك العساكر، والأمير بكلمش أمير سلاح، وأحمد بن يلبغا، ويسيرس ابن أخو السلطان، ونائب صفد^(١) ونائب غزة^(٢).

وفيه سار اليريد من دمشق بتشريف الأمير نعيم، واستقراره فى إمرة العرب على عادته.

وفيه قدم الأمير سالم الذكرى أمير التركمان، فخلع عليه.

وفى سلخه: قدم جلال الدين عبد الرحمن^(٣) ابن شيخ الإسلام البلقينى قاضى العسكر من دمشق إلى القاهرة. وقد نزل له والده عن تدريس الزاوية الخشائية بجامع عمرو بن العاص بمصر، وعن مشيخة التفسير والميعاد بالمدرسة الظاهرية المستجدة بين القصرين، وأقام والده مع السلطان.

وفيه كبس الأمير شرف الدين موسى بن طى متولى البهنسا على سبط ميدون، فقتله العرب بها، فاستقر عوضه إبراهيم الشهابى.

وفى يوم الإثنين أول شعبان: توجه القان غياث الدين أحمد بن أويس من دمشق إلى بغداد. وقد قام له السلطان بجميع ما يحتاج إليه، وعند وداعه خلع عليه أطلسين بشاش متمر^(٤)، وسيف بسقط ذهب. وأعطى تقليدا بناية السلطنة ببغداد، فأراد أن يقبل الأرض، فلم يمكنه السلطان من ذلك إجلالا له، ويقال إن الذى حمل إليه من النقد خمسمائة ألف درهم، سوى ما حمل إليه من الخيل والجمال والسلاح، وغير ذلك.

وفى ثالث عشره: سار من ظاهر دمشق.

وفيه أنعم على الأمير أقبغا طولو تُمرى - الذى يقال له اللكاش - بإمرة ألف، بعد وفاة بيليك المحمدى.

(١) صفد مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى جبال لبنان. انظر معجم البلدان

٤١٢/٣.

(٢) غزة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، والروض المعطار ٤٢٨، ومعجم ما

استعجم ٩٩٧/٣.

(٣) عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكنانى العسقلانى الأصل ثم البلقينى المصرى، أبو الفضل جلال الدين من علماء الحديث. بمصر انتهت إليه رئاسة الفتوى. بمصر بعد وفاة أبيه وولى القضاء بالديار المصرية مرارا إلى أن مات وهو متولى. له كتب فى «التفسير» و«الفقه» وفى «مجالس الوعظ» وتعليق على البخارى سماه «الإفهام لما فى صحيح البخارى من الإبهام - خ» ورسالة فى «بيان الكبائر والصغائر - خ». انظر شذرات الذهب ١٦٦/٧ وكشف الظنون ٩٣٠ والضوء اللامع ١٠٦/٤ والتاج ١٤٣/٩ - ١٤٤ والأعلام ٢٢٠/٣.

(٤) متمر نوع من الأمتشة ويظن أنه مزخرف على حافيته برسوم للثمر.

وفى عشرينه: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع.

وفى ثانى عشرينه قدم البريد باستقرار سيدى أبى بكر بن سنقر الجمالى، حاجبا ثالثا. وتوقف النيل عن الزيادة تسعة أيام متوالية من سلخ بؤونة - وهو رابع عشرين شعبان - إلى ثامن أبيب، فلم يناد عليه سوى أصبع واحد فى كل يوم. وفيه استقر قطلوبغا الطشتمرى فى كشف الفيوم، والبهنساوية، والأطفيحية، مضافا لما معه من كشف الجيزية.

وفى ليلة الثلاثاء - الثلاثين من شعبان - : تراءى الناس هلال رمضان، فلم ير أحد الهلال مع كثرة عددهم، فأصبح الناس على آخر شعبان، وأكلوا إلى الظهر، فقدم الخبر بأن الهلال رؤى ببليس^(١)، فنودى بالإمساك قبيل العصر. وفى ثالثه: زاد النيل بعد توقفه.

وفى خامسه: نقل أمير فرج بن أيذمر من ولاية الغربية إلى نيابة الوجه البحرى، عوضا عن عمر بن إلياس قريب قرط، واستقر أخوه محمد بن أيذر فى ولاية الغربية. وفيه قدم البريد بالقبض على نصر الله بن شَنْطِيَّة مستوفى المرتجع، وإيداعه خزانة شمايل على مال، وإحضار محمد بن صدقة الأعسر والى المنوفية، فسار إليه البريد وأحضره إلى القاهرة، فهرب، واستقر عوضه أحمد الأرغونى. وفيه أخصب البطيخ العبدلى، حتى أبيع كل مائة رطل بدرهم.

وفى يوم الجمعة تاسع شوال - الموافق تاسع مسرى - : توقف النيل عن الزيادة، وأقام بغير زيادة إلى ثانى عشره، فزاد على العادة، واستمرت الزيادة.

وفى ثانى عشرينه: استقر بدر الدين محمود السرائى الكلستانى فى كتابة السر، عوضا عن بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى بعد وفاته، وخلع عليه بدمشق. وفى ثامن عشرينه - وهو ثامن عشر مسرى - : أو فى النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج على العادة.

وقدم الخبر على السلطان من القان أحمد بن أويس، أنه لما وصل إلى ظاهر بغداد، خرج إليه نائب تيمور بها، وقاتله فانكسر، ودخل بغداد، وأطلق المياه على عسكر ابن أويس ليغرقه، فأعانه الله وتخلص منها بعد يومين، وعبر بغداد، وقد هرب التمرية منها،

(١) ببليس مدينة بينها وبين القسوطا عشرة فراسخ. انظر معجم البلدان ٤٧٩/١.

فاستولى عليها، واستخدم جماعة من التركمان والعربان، فلما بلغ ذلك تيمور جهز أمراءه بالأموال إلى سمرقندى.

وقدمت رسل ابن عثمان على السلطان بأنه جهز لنصرة السلطان مائتى ألف، وأنه ينتظر ما يرد عليه ليعتمده.

وقدم رسول القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس بأنه فى الطاعة، يترقب ورود المراسيم عليه بالمسير لجهة تعين له.

وفى أول ذى القعدة: سار السلطان من دمشق يريد حلب.

واتفق بالقاهرة ومصر وظواهرهما أنه أشيع بأن امرأة طال دوام رمد عينها، وأيس الأطباء من برئها، فرأت فى منامها كأنها تشكو ما بها إلى النبى - ﷺ - وأنه أمرها أن تمضى إلى سفح جبل المقطم، وتأخذ من حصى هناك وتكتحل به بعد سحقه، وأنها عملت ذلك، فزال ما فى عينها من الرمد، فلم يبق من الناس إلا من أخذ من الحصى الذى بالجبل واكتحل به، وعملوا منه فى الأئمد وغيره، حتى أفنوا من ذلك لما لا يقدر قدره، وأقاموا على هذا مدة، وزعموا أنه شفى به خلق كثير.

وفى يوم الأحد سادسه - وهو سادس عشر توت -: انتهت زيادة النيل إلى أحد عشر أصبعا من الذراع الثامن عشر، وانحط، فارتفعت الأسعار. وبلغ الأردب القمح أربعين درهما، والفول والشعير عشرين درهما، والبطة الدقيق وزنتها خمسون رطلا إلى اثنى عشر درهما. وضح الناس على البهاء محمد بن البرجى المحتسب، فرسم الأمير سودن النائب للأمير علاء الدين الطبلاوى بالتحدث فى السعر، فنادى بفتح المخازن والبيع بسعر الله تعالى، وهدد من لا يفتح مخزنه ويبيع بالنهب. وفتح مباشرو الأمراء الشون وباعوا، فانحل السعر قليلا. ثم شحت الأنفس بالبيع، وكثر الخوف من القحط؛ لكثرة ما شرق من الأراضى ولم يزرع.

وفى يوم الخميس رابع ذى الحجة: قدم البريد بعزل قطلوبغا من كشف الفيوم، بطيغا الزينى، واستمر على كشف الجيزية كما كان.

وفى حادى عشره: وصل الأمير شيخ الصفوى من الشام، وهو مريض.

وفى ثالث عشره: زاد ماء النيل، وغرق بعض ما زرع، ثم انحط.

وقدم البريد بأن الأمير تغرى بردى استقر فى نيابة حلب، عوضا عن جلبان. وأنعم على جلبان بإقطاع تغرى بردى. وأن الأمير محمد بن قارا خرج عن الطاعة، والتحق

٣٦٠ سنة سبعمائة وخمس وتسعين

بنعير، وصار بعربائه في جملته، وأن ناصر الدين محمد بن قاضي القضاة كمال الدين بن المعري استقر في قضاء طرابلس^(١)، عوضاً عن مسعود. وأن السلطان خرج من حلب يريد دمشق في خامس عشره. وأنه قلد أرغون شاه الإبراهيمي نائب صفد نيابة طرابلس، عوضاً عن دمرداش المحمدي، وأنعم على أقبغا الجمالي أحد أمراء حلب بنيابة صفد وأعطى إمرته لدمرداش المحمدي. وأن عامر بن ظالم انهزم من عرب زبيد بمن معه من آل مهنا إلى الفرات، فغرق، وغرق معه سبعة عشر من أمراء آل مهنا، وقتل ممن معه خلق كثير جداً.

وفي ثاني عشرينه: استقر على بن غلبك بن المكللة في ولاية منوف، وعزل أحمد الأرغوني.

وفي تاسع عشرينه: قدم مبشرو الحاج بحسن سيرة قديد أمير الحاج، وكثرة الأمن والرخاء. واستقر علاء الدين على بن قاضي القضاة شهاب الدين أبي البقاء في قضاء الشافعية بدمشق، عوضاً عن الشهاب أحمد الباعوني. واستقر نجم الدين أحمد بن قاضي القضاة عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبي العز في قضاء الحنفية بدمشق، عوضاً عن التقى عبد الله الكفري. واستقر علم الدين القفصی في قضاء المالكية، عوضاً عن البرهان إبراهيم الصنهاجي. واستقر ناصر الدين محمد بن أبي الطيب في كتابة السر بحلب، عوضاً عن ناصر الدين محمد بن صلاح الدين صالح بن أحمد بن السفاح.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر سوى من قتل

إبراهيم ابن السلطان، في عشرين جمادى الأولى، ودفن بالمدرسة الظاهرية المستجدة.

ومات الصارم إبراهيم الباشقردی - والی قطیا - بها فجأة، في ثامن صفر.

ومات الأمير سيف الدين أبرك المحمودی، شاد الشراب خاناه، ودفن بدمشق.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الهادی بن أحمد بن أبي العباس الشاطر، الأديب الشاعر، في خامس عشرينه جمادى الأولى.

ومات الوزير صاحب موقف الدين أبو الفرج الأسلمي القبطي، تحت العقوبة، في يوم الإثنين حادى عشرينه ربيع الآخر، وكان أسوأ الوزراء سيرة، وكثرت في أيامه

(١) طرابلس. انظر معجم البلدان ٢/٢٥، ٢٦، والروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، نزهة المشتاق

المصادر، وتسلبت السفهاء بالسعاية إليه على الناس حتى عم الخوف، وفقد الأمن، وبه اقتدى في الظلم من بعده، وعجل الله له في الدنيا من العذاب ما لا يمكن وصفه، إلى أن أهلكه الله وأدخله سعيراً، فإنه لم يؤمن بالله قط، بل أكره حتى قال كلمة الإسلام، ولبس العمامة البيضاء فتسلط على الناس بذنوبهم، ومن العجب أنه لما كان يتظاهر بالنصرانية، ويباشر الحوائج خاناه، كان مشكوراً بكثرة بره ورعايته للناس، فلما تظاهر بالإسلام جاء عذاباً واصباً على عباد الله.

ومات بدر الدين حسن بن العيذابى رئيس المؤذنين، فى سلخ جمادى الأولى، وكان من العجائب فى النهمة وكثرة الأكل.

ومات الشيخ المعتقد رشيد الأسود التكرورى، فى المارستان، فى يوم السبت ثالث عشرين جمادى الآخرة، وكان يقيم بجامع راشدة خارج مصر، وهو آخر من سكنه.

ومات الأمير سلام - بتشديد اللام - بن محمد بن سليمان بن فايد، بالفاء، المعروف بابن التركية، أمير خفاجة بالصعيد، فى سابع ربيع الآخر.

ومات الأمير زين الدين عبد الرحمن بن منكلى بغا الشمسى، وابن أخت الملك الأشرف شعبان بن حسين، فى عاشر شعبان.

ومات الرئيس علاء الدين على بن عبد الواحد بن محمد بن صغير رئيس الأطباء، وهو مجلب، فى يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة، ودفن بها، ثم نقل إلى القاهرة، وكان من محاسن الدنيا.

ومات بدر الدين محمد بن على بن يحيى بن فضل الله العمرى، كاتب السر، فى يوم الثلاثاء العشرين من شوال بدمشق.

ومات القاضى الدين محمد بن محمد بن محمد المليجى، المعروف بصائم الدهر، ناظر الأحباس ومحتسب القاهرة، وخطيب مدرسة حسن، فى تاسع عشر صفر، عن نحو سبعين سنة، وكان خيراً ديناً، كثير النسك، ساكناً، قليل الكلام، بهج الزى، جميل الهيئة، يسرد الصوم دائماً.

ومات ناصر الدين محمد بن مقبل الجندى الظاهرى، فى يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الآخرة. كان يتظاهر بحف شاربه، ورفع يديه فى كل خفض ورفع فى الصلاة، ولا يكتم الاقتداء بمذهب أهل الظاهر، وكتب بخطه كثيراً، واشتغل بالحديث.

ومات ناصر الدين محمد بن شرف الدين موسى بن سيف الدين أرقطاي، فى ليلة

٣٦٢ سنة سبعمائة وخمس وتسعين

الأربعاء سادس عشرين ذى القعدة. كان جده وأبوه من أمراء الألو، وهو من أمراء العشراوات، ويحب الحديث، ويواظب سماعه على المشايخ.

ومات الأمير سيف الدين منكلى الطرخانى الشمسى، أحد الأمراء، ونائب الكرك. وتوفى ليلة العاشر من المحرم.

ومات جمال الدين عبد الله بن محمد بن العمرى، المعروف بكاتب أيتمش، وبكاتب السمسرة، فى يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر.

ومات أمين الدين يحيى بن محمد الحنبلى العسقلانى ليلة الأربعاء ثانى ربيع الأول.

ومات زبيدة بنت قاضى القضاة زين الدين عمر بن عبد الرحمن بن أبى بكر البسطامى الحنفى.

ومات أم قاضى القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى، فى ليلة يوم السبت تاسع المحرم، ودفنت بالقرافة.

ومات الشىخة الصالحة شىخة رباط البغدادية^(١)، فى يوم السبت ثانى عشرين جمادى الآخرة. وكانت على قدم فاضلة من العبادة، وتذكر النساء فى وعظها إياهن، وتعليمهن الخير.

ومات متملك تونس^(٢) أبو العباس أحمد بن محمد^(٣) بن أبى بكر بن يحيى بن

(١) الرابطة البغدادية يقع هذا الرباط بداخل الدرب الأصفر تجاه خاتقاه ببيرس وقد بنته خاتون ابنة الملك الظاهر ببيرس فى سنة ٦٨٤ هـ للشىخة الصالحة زينب ابنة أبى البركات المعروفة ببنت البغدادية فأنزلتها به ومعها جمع من النساء الخيرات. انظر المواعظ ٢ / ٤٢٧، ٤٢٨.

(٢) تونس: مدينة محدثة بإفريقية إسلامية سمعت من يحدث أنها أحدثت عام ثمانين، قال بعضهم: لم يقصد بها أول أمرها وضع مدينة، وإنما اجتمع الناس إليها وبنا وسكنوا وزادوا حتى صارت مدينة وعمرت، وتونس فى سفح جبل وبها مبان عجيبة ودل عضادات أبواب دورها رخام أبيض. وتونس من أشرف مدن إفريقية وأطيبها ثمرة وأنفسها فاكهة، وسميت تونس لأن المسلمين كانوا لما فتحوا إفريقية ينزلون بلزاء صومعة ترشيش - راهب كان هناك - ويأمنون بصوت الراهب فيقولون: هذه الصومعة تونس، فلزمها هذا الاسم. انظر معجم البلدان ٦٠/٢، والروض المعطار ١٤٣، ١٤٤، الاستبصار ١٢٠، والبكرى ٣٧، وصبح الأعشى ١٠٢/٥.

(٣) أحمد بن محمد بن أبى بكر، أبو العباس الحفصى من كبراء ملوك الحفصيين بتونس يلقب أبا السباع. كان أميراً على قسطنطينة، وثار على السلطان خالد بن إبراهيم صاحب تونس فخلفه وتولى السلطنة سنة ٧٧٢ هـ وقمع الفتن وكانت ملء السهل والجبل واستعاد البلاد من المتغلبين فدخلت فى طاعته بلاد الجريد وقابس وحرية وطرابلس والزاب وقويت أساطيله. انظر: رفع الإصر ١ / ١٠٧ =

إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر بن يحيى بن عمر بن ونودّين الحفصى، فى ليلة الخميس رابع شعبان، فكانت مدة ملكه أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر ونصف. وقام من بعده ابنه أبو فارس عبد العزيز.

ومات صاحب فاس^(١) السلطان أبو العباس^(٢) أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن المرينى، ملك المغرب^(٣)، فى محرم. وأقيم بعده ابنه أبو فاس عبد العزيز بن أبى العباس.

* * *

= والضوء ١٩٢/٢ والأعلام ١/٢٢٥.

(١) فاس: مدينة عظيمة، وهى قاعدة المغرب، وهما مدينتان مقترنتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادى فاس، يأتى من عيون تسمى صنهاجة، وفى كل زقاق ساقية يجرونها متى شاءوا، وفى كل دار صغيرة كانت أو كبيرة ساقية ماء، وبين أهل المدينتين فنن ومصاولات، ومنها إلى سحلماسة ثلاث عشر مرحلة. وبالجملة فمدينة فاس قطب بلاد المغرب الأقصى ويسكن حولها قبائل من البربر لكنهم يتكلمون بالعربية، فهى حاضرة المغرب الكبرى وإليها تشد الركائب وتقصد القوافل، ويدور عليها سور عظيم، وبين المدينتين قناطر كثيرة، والنهر الذى يخترق مدينتى فاس ينبعث من عين عظيمة لها منظر عجيب، فيها نحو الستين فوارة فى دائرة يجتمع منها هذا النهر الكبير، بينها وبين المدينة نحو عشرة أميال فى بساط من الأرض لا يكاد يتبين جرى الماء فيه لاستواء أرضه. انظر معجم البلدان ٢٣٠/٤، والروض المعطار ٤٣٤، ٤٣٥، والإدريسى: ٥٠/٧٥. والبكرى ١١٥ وما بعدها. وابن الوردى ١٤، وصبح الأعشى ١٥٤/٥.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن على، أبو العباس بن أبى سالم المرينى السلطان المستنصر بالله من ملوك الدولة المرينية بالمغرب كان مبعداً إلى طنجة ولما بويع ابن عمه السعيد بالله (محمد بن عبد العزيز) بفاس، وكان صبيها قام أحمد من طنجة وساعده صاحب غرناطة الفتى بالله بن الأحمر وبعض بنى مرين، فنزل على فاس وحاصرها إلى أن خلع السعيد بالله (أول سنة ٧٧٦ هـ) فدخلها وبويع بها البيعة العامة وكان بويع بطنجة سنة ٧٧٥ هـ قبل خروجه منها وضعف. أمام ابن الأحمر فأصبح المغرب كأنه من أعمال غرناطة. انظر الاستقصاء ١٣٣/٢ - ١٤١ والأعلام ٨٧/١.

(٣) المغرب ضد المشرق وهى بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة. انظر معجم البلدان ١٦١/٥.

سنة سبع وتسعين وسبعمائة

أهل الحرم يوم الثلاثاء.

ففى ثالثه: قدم ثقل الأمير محمود الأستادار من الشام. وقدم البريد باستقرار دقماق فى نيابة ملطية^(١)، وكان مُقبل فى نيابة طرسوس^(٢)، وطَغَنجى فى نيابة قلعة الروم، ومنكلى بُغا الأَسْبَغَاوى فى نيابة الرها^(٣). وأن السلطان قبض على عدة من أمراء حلب، منهم أَلْطُنْبغا الأشرفى، وتمرىباى الأشرفى، وقُطْلوشاه الماردىنى. وأن عربان آل مهنا خرجوا بأجمعهم عن الطاعة، ودخلوا إلى البرية.

وفى رابعه: خرج أتباع ابن أويس إلى بغداد بحريمه.

وفى سابعه: قدم السلطان من حلب إلى دمشق بعساكره.

وفى سابع عشره توجه السلطان من دمشق يريد مصر، وولى الأمير بدخاى السودانى - حاجب الحجاب - نيابة الكرك^(٤)، عوضا عن الشهاب أحمد بن الشيخ على. ونقل الشهاب إلى دمشق حاجب الحجاب بها، عوضا عن تمرىغا المنجكى. وقدم تمرىغا فى الخدمة إلى مصر، واستقر قنق باى السيفى اللالا بصفد من جملة أمرائها. واستقر الجبىغا الجمالى الحاجب أميرا بدمشق، على طبلخاناه.

(١) ملطية: من الثغور الجزرية بالشام، وهى المدينة العظمى وكانت قديمة، فأخربتها الروم فبناها أبو جعفر المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة وحصل عليها سورا محكمًا، وعلى نحو ثلاثة أيام من ملطية يخرج سيحان وهو نهر أذنة من الثغر الشامى ويجرى فى بلاد الروم وليس للمسلمين عليه إلا مدينة أذنة طرسوس والمصيصة، وكان فتح ملطية عنوة حبيب بن مسلمة الفهرى. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥، والروض المعطار ٥٤٥، واليعقوبى ٣٦٢، وآثار البلاد ٥٦٤، وابن حوقل ١٦٦، وصبح الأعشى ١٣٢/٤.

(٢) طرسوس: مدين بالشام حصينة عليها سوران بينهما فصيل وخندق، ويجرى الماء حوالها، وفى سنة سبعين ومائة بنى سور طرسوس على يد أبى مسلم فرج الخصى التركى، ولها خمسة أبواب: هى باب الجهاد، وباب الصفصاف، وباب الشام، وباب كذا، وباب البحر. انظر معجم البلدان ٢٨/٤، والروض المعطار ٣٨٨، صبح الأعشى ١٣٣/٤.

(٣) الرها: بضم الراء والمد، مدينة من أرض الجزيرة متصلة بجران، وإليها ينسب الورق الجيد من ورق المصاحف، وهى مدينة ذات عيون كثيرة عجيبة تجرى منها الأنهار، وبينها وبين حران ستة فراسخ. انظر معجم البلدان ١٠٦/٣، والروض المعطار ٢٧٣، نزهة المشتاق ٢٠٠، وصبح الأعشى ١٣٩/٤، وابن الفقيه ١٣٤، والكرخى ٥٤، والمقدسى ١٤١، ١٤٧، ومعجم ما استعجم ٦٧٨/٢.

(٤) الكرك: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤، والروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ٤٩٣.

وفي ثالث عشرينه: نودى بزينة القاهرة ومصر، فزينا.

وفيه قدم المحمل والحاج صحبة الأمير قديد، وهم ركب واحد.

وقدم البريد بأن السلطان توجه من الرملة^(١) لزيارة القدس^(٢)، جريدة.

وفي يوم الخميس أول صفر: قدم شيخ الإسلام سراج الدين^(٣) عمر البلقيني من الشام.

وفي خامسه: قدم الحريم السلطاني مع الطواشي بهأثر المقدم، وفيهن عدة من حرائر دمشق وأبكارها، ليختار منهن من يعقد عليها.

وفي سابعه: قدم الأمير محمود الأستاذار، وشق القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة، وقد فرشت له شقاق الحرير من باب زويلة إلى داره، فمشى عليها بفرسه، ومعه من الخلائق عدد لا يقع عليه حصر، وأوقدت له البلد.

وفيه نودى بالخروج إلى لقاء السلطان.

وفي تاسعه: قدم بالبريد بأن السلطان قبض على جلبان الكمشباغوى نائب حلب بقطيا، وبعثه من الطينة في البحر إلى دمياط.

وفي ثاني عشره: قدم السلطان وصعد إلى القلعة، فكان يوما مشهودا وكان الشيطان قد أجرى على السنة العامة كلمة سوء، وهى: «لو جاء السلطان لوقع الرخاء». وصاروا يتناجون بذلك فى كل موضع، فأخلف الله ظنهم، وتزايدت الأسعار من يوم دخوله، تصديقا لقوله عليه الصلاة والسلام: «من تعلق بشيء وكل إليه». وأبيع القمح بسبعين بعد أربعين، والفل والشمير بأربعين كل أردب، والحمل من التبن بعشرة دراهم بعد خمسة، وكل حملة دقيق - وهى ست بطط - بمائة وعشرة دراهم، والخبز كل ثلاثة أرطال بدرهم، والأرز كل قدح بدرهمين، والسكر كل رطل بستة دراهم، بعد ثلاثة، والجبن المقلو بنحو درهمين، بعد ثلثي درهم، والرطل اللحم البقرى بدرهم، بعد نصف درهم، والرطل اللحم من الضأن بدرهم ونصف، بعد نصف وربع درهم كل رطل.

(١) الرملة: بالشام، سمها الرملة لما غلب عليها من الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلا. انظر معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، والمقدسى ١٦٤، ١٦٥، وناصر خسرو ١٩، وصبح الأعشى ٩٩/٤.

(٢) القدس. انظر معجم البلدان ٣١١/٤.

(٣) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص سراج الدين مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة من غربية مصر وتعلم بالقاهرة.

واتفق مع تزايد الأسعار كثرة ظلم الدولة، ووقوع الوباء، ووقوف أحوال الناس من قلة المكاسب.

وفي خامس عشرة: ركب السلطان وعبر إلى القاهرة من باب زويلة، وزار أباه بمدرسته بين القصرين. وخرج من باب النصر إلى القلعة.

وفي سادسه: عدى إلى بر الجيزة.

وأحدث الأمير تمرغا المنجكي شرباً من زبيب يعمل لكل عشرة أرطال من الزبيب أربعون رطلا من الماء، ويدفن في جرار بزيل الخيل أياماً، ثم يشرب فيسكر، وصار يقال له التمرغاوى، وأقبل السلطان على الشرب منه مع الأمراء، ولم يكن يعرف عنه أنه يتعاطى المسكر قبل ذلك.

وفي ثامن عشرة: عاد السلطان من الجيزة إلى القلعة.

وفي تاسع عشرة: أنعم على الأمير فارس من قتلوا خجاً بتقدمة ألف، واستقر حاجب الحجاب، عوضاً عن بذخاص المنتقل لنيابة الكرك.

وفيه استعفى الأمير سوذن من نيابة السلطنة والإمرة؛ لكبره وعجزه، فأعفى ولزم بيته.

وفي رابع عشرينه: أنعم على علاء الدين على بن سعد الدين عبد الله بن محمد بن الطبلاوى بإمرة طبليخاناه، واستقر أخوه ناصر الدين محمد فى ولاية القاهرة، كأنه ينوب عنه، وشرط عليه ألا يستبد بشيء، بل يراجعه فى الأمور. وأنعم على أرغون شاه البیدمرى الأقبغاوى بتقدمة ألف، وعلى نوروز الحافظى بتقدمة ألف. وعلى تمرغا المنجكي بإمرة طبليخاناه، وعلى شيخ المحمودى بطبليخاناه، وعلى صلاح الدين محمد ابن تنكرز بطبليخاناه، وعلى صرغتمش المحدثى بالقزوينى بطبليخاناه، وعلى سوذن الطيار الناصرى بطبليخاناه. وأنعم على كل من مقبل الرومى، وأقبای بن حسين شاه، وآق بلاط الأحمدي، ومنكلى بغا الناصرى بإمرة عشرة.

وفي تاسع عشرينه: استقر الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى حاجباً عوضاً من ألبغا الجمالى، مع النظر فى الولاية على أخيه.

وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول: عدى السلطان إلى بر الجيزة^(١)، وعاد آخر يوم الأربعاء سادسه.

(١) الجيزة بليدة فى غربى فسطاط مصر. انظر معجم البلدان ٢/٢٠٠.

وفي سابعه: خلع على الأمراء والأكابر وناظر الجيش وناظر الخاص، أقبية بفرو سمور.

وفيه عمل السلطان المولد النبوى على عادته.

وفي تاسعه: عقد مجلس حضر فيه شيخ الإسلام والقضاة والفقهاء عند السلطان. وأحضر رجل من العجم يتفقه على مذهب أبى حنيفة، يقال له مصطفى القرمانى^(١)، وأنه كتب شيئا فى الفقه، قال فيه: «لا يبول أحد إلى الشمس والقمر لأنهما عبدا من دون الله»، ونسب إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - إلى ما نزهه الله من عبادتهما. فأراد قاضى المالكية ناصر الدين أحمد بن التنسى الحكم بقتله، فأعتنى به جماعة من الأمراء، وسألوا السلطان أن يفوض أمره إلى قاضى القضاة الحنفية جمال الدين محمود العجمى، فعززه بأن أقامه وبعث به إلى السجن، ثم أفرج عنه بعد ثلاثة أيام، وضربه ثم خلاه لسييله.

وفي رابع عشره: أنعم على ناصر الدين محمد بن جليان العلاى بإمرة عشرين، عوضا عن قرابغا بعد موته.

وفي ثامن عشره: قدم البريد من حلب بأن تيمور توجه من قراباغ، وعدى السلطانية، وتوجه ابنه إلى كيلان^(٢)، فإن طَقْتُمُش أخذ أكثر بلاده. وقد حدث ببغداد وباء عظيم، واشتد بها الغلاء، وانتقل ابن أويس عنها إلى الحلة.

وفي ثالث عشرينه: قدم الأمير مبارك شاه نائب الوجه القبلى، ومعه أمراء العربان، ردم: أبو بكر بن الأحذب أمير عرك، وعمر بن عبد العزيز أمير هواره، وعلى بن غريب أمير هواره أيضا، وأحضروا تقادهم على العادة.

وفيه تنكر السلطان على الأمير جمال الدين محمود الأستاذار، وكاد يبطش به. فلما نزل إلى داره أتاه الأمير علاء الدين على بن الطيلاوى يأمره عن السلطان بحمل خمسمائة ألف دينار، وإن امتنع يوقع الخوطة عليه، ويضربه بالمقارع، فتلطف فى السعى بينه وبين السلطان، حتى تقرر أنه يحمل مائة ألف وخمسين ألف دينار، فلما صعد فى يوم الإثنين خامس عشرينه إلى الخدمة بالقلعة، صاح به المماليك من الأطباق، وسبوه ورجموه.

(١) مصطفى بن زكريا بن أيدغمش القرمانى، مصلح الدين: من فقهاء الحنفية من أهل القاهرة. له تصانيف منها «التوضيح - خ» فى شرح مقدمة الصلاة لأبى الليث السمرقندى ورسالة فى «حكم اللعب بالنرد والشطرنج - خ». انظر الضوء اللامع ١٠ / ١٦٠ والأعلام ٧ / ٢٣٤.

(٢) كيلان اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان والعجم يقولون كيلان. انظر معجم البلدان.

وفي سابع عشرينه: قبض على يلغا الزينى والى الأشمونين، وضرب بالمقارع بين يدى السلطان؛ لكثرة ما شكى منه أهل البلاد، وتسلمه ابن الطبلاوى؛ ليخلص منه حقوق الناس.

وفيه أحضر مبارك شاه تقدمته، وهى مائة وستون فرسا، ومائة وخمسون جملا، وسبع، وعشر نعلمات، وعدة أبقار، وأنواع من الحلاوات، وأحضر أبو بكر بن الأحذب مائة فرس. وأحضر كل من عمر بن عبد العزيز وعلى بن غريب خمسين فرسا. وفيه ادعى نصرانى على شمس الدين محمد بن الشهاب أحمد الدفرى - أحد نواب القضاة المالكية بالقاهرة - بين يدى السلطان، فاقضى الحال أنه ضرب القاضى وهو مبطوح على الأرض، ورسم عليه حتى يخلص منه النصرانى.

وفي ثامن عشرينه: استقر منجك السيفى فى ولاية أطفح^(١).

وفي يوم الإثنين ثالث ربيع الآخر: استقر قرطا التاجى فى ولاية الأشمونين، عوضا عن يلغا الزينى.

وفيه اشتد حنق السلطان على الأمير جمال الدين محمود الأستاذار، وضربه لتأخره كسوة الممالك عن وقتها الذى تفرق فيه.

وفي رابعه: استقر على بن أبى بكر القرمانى فى ولاية الجيزة، وعزل على بن قراجا. وفي خامسه: هرب مبارك شاه نائب الوجه القبلى لكثرة شكوى أهل النواحي من ظلمه، وطلب فلم يقدر عليه.

وفي سادسه: أنعم على أحمد بن الوزير ناصر الدين محمد بن رجب بإمرة عشرين، عوضا عن ثمان تمر الأشرفى الموسوى.

وفيه بلغ الأردب من القمح إلى ستة وستين درهما، والأردب من الفول والشعير إلى ثلاثة وثلاثين درهما.

وفي سابعه: ظهر أن مبارك شاه لبس زى الفقراء، وأخذ بيده إبريقا، ومضى نحو الجبل، فلم يعرف أين قصد.

وفي حادى عشره: استقر الشريف علاء الدين على بن [...] ^(٢) [...] [البغدادى الأصل، الصعيدى الدار، فى ولاية منفلو^(٣)، عوضا عن آقبا الزينى.

(١) أطفح بلدة بالصعيد الأدنى من أراضى مصر على شاطئ النيل فى شرقية. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) منفلو بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان

٣٧٠ سنة سبعمائة وسبع وتسعين

وفي ثالث عشره: استقر أمير فرج بن أيذر نائب الوجه البحرى فى نيابة الوجه القبلى، عوضا عن مبارك شاه. واستقر عوضه فى الوجه البحرى أوناط السيفى.

وفي رابع عشره: عدى السلطان النيل إلى بر الجزيرة، ونزل بناحية صقيل وأقبل على اللهو.

وفي حادى عشرينه: ترامى مبارك شاه على الأمير تانى بك الياحياوى أمير أخور، فشفع فيه حتى عفا السلطان عنه.

وفي رابع عشرينه: رجع السلطان إلى القلعة.

وفيه حضر مبارك شاه بين يدى السلطان، فألبسه قباء مطرزا.

وفي خامس عشرينه: قدم السلطان ولد بن على شاه زاده بن شيخ أويس بن حسن، وكان ولد قد قدم مع عمه القان مغيث الدين أحمد بن أويس، وأقام حتى خرج صحبة حريمه، فالتحق بالقلس لتخوفه من عمه، وعاد إلى القاهرة - بعد أن استأذن - ومعه عياله، فأنزله السلطان فى دار من الأمراء، وأجرى عليه ما يقوم به، ووعده بإمرة.

وفيه قدم مسعود بن الشيخ محمد الكججاني من تيريز، فارا من تيمور.

وفي سادس عشرينه: قدم الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير محمود الأستاذار نائب الإسكندرية بتقدمته، وهى مائة فرس، وثلاثمائة قطعة من ثياب الإسكندرية، وعشرة آلاف دينار.

وفيه أفرج عن قطلوبك السيفى، وكمشبغا اليوسفى، وقدا من دمياط.

وفيه تزوج سلطان ولد بانية عمه تندى بعد انقضاء عدتها من السلطان، وأنعم عليه بإمرة عشرة، وترك زى البغاددة، ولبس القباء والكلفتة كهينة أمراء مصر.

وفي يوم الإثنين أول جمادى الأولى: رسم لجماعة من الأمراء الخاصكية بأن يسيروا فى الموكب تحت القلعة بالرملية مع الأمراء، وهم صرغتمش الحمدي القزوينى، وصلاح الدين محمد بن تنكر، وهما من الطبلخاناة، وقرمان المنجكى، وثمر الشهابى، وهما من أمراء العشرينات، ودمرداش السيفى، وبهاثر السيفى، وجرجى الصرغتمشى، وأسنبغا التاجى، وقوصون الحمدي وألبغا السلطاني، وتغرة بردى القردمى، وقجماس البشيرى، ولبغا الحمدي ويبدمر الحمدي، وبى خجا الحسنى، فركبوا فى الموكب وصعدوا إلى القلعة فوقفوا مع الخاصكية، وصار هذا رسمهم.

وفيه طلب من سائر الأمراء خيول لعمارة مراكز البريد، فألزم كل من الأمراء المقدمين بعشرة أكاديش، وكل من الوزير والأستادار وبقية أرباب الوظائف وأمراء الطبلخانة أكديشان، وكل من العشرينات والعشراوات بأكديش واحد، فجبى ذلك منهم وأرسلوا إلى المراكز.

وفي حادى عشرينه: فقبض على منكلى بُغا الزينى والى قوص، وسلم إلى ابن الطبلاوى لشكوى أهل البلاد منه، واستقر عوضه أقبغا البشتكى.

وفي رابع عشرينه: خلع على الأمير محمود خلعة الرضا.

وفي أول جمادى الآخرة: قدم البريد بمحاربة تركمان الطاعة لنعير، وقتل ألف من عربانه، وأنه انهزم وهلك له نحو ثلاثة آلاف بعير.

وقدم قاصد ممتلك ماردين، فجهز على يده تقليد لمرسله بنبابة السلطنة وتشريف، وهو أطسان وسيف عنبرينه ومنديل زرکش.

وقدم البريد من حلب بأن سولى بن دُلغادر انكسر كسرة قبيحة، وفر بمفرده.

وفي رابع عشره: قدم عمر بن نعير بن حيار بن مهنا، فعفا السلطان عنه، وترافع رجلان من أهل الإسكندرية يقال لأحدهما زكى الدين أبو بكر بن الموازينى، والآخر أحمد المالقى، وكلاهما يدولب دار الضرب، فقبل قول كل منهما فى الآخر، وتسلمهما ابن الطبلاوى، وخلص منهما ألف ألف درهم.

وفي ثامن عشره: استقر يلبغا السالى الخاصكى فى نظير الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء، فأراد أن يجرى أمورها على ما شرطه الواقف، وأخرج منها أرباب الأموال، وزاد الفقراء المجردين كل فقير رغيفا فى اليوم على الثلاثة الأرغفة المقررة له، ورتب بها وظيفتى ذكر بعد صلاتى العشاء والصبح.

وفي يوم الإثنين خامس رجب: استقر الأمير صلاح الدين محمد بن تنكز أستادار الأملاك السلطانية، والوزير صاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر ديوان الأملاك. واستقر كل من صرغتمش الحمدي القزوينى، وقجماش البشيرى أمير جاندار. واستقر الأمير عمر الشهابى حاجبا صغيرا.

وفي ثامنه: استقر الأمير نوروز الحافظى رأس نوبة صغيرا، عوضا عن تغرى بردى من يشبغا.

وفيه عقد مجلس عند السلطان حضره القضاة وشيخ الإسلام سراج الدين عمر

البلقيني، بسبب يلبغا السالمى وشهاب الدين أحمد العبادى - أحد نواب القضاة الحنفية بالقاهرة - وذلك أن عدة الصوفية بخانكاه سعيد السعداء كانت عندما تحدث الأمير سودن النائب فى نظرها من ابتداء دولة السلطان، دون الثلاثمائة، فتزايدت حتى بلغت نحو الخمسمائة. ولم يف ريع الوقف بالمصروف، فقطع ما كان لهم من الحلوى والصابون فى كل شهر، ومن الكسوة فى السنة. فلما شرقت ناحية دهمرو - الموقوفة على الخانقاه - فى هذه السنة، من جملة ما شرق من النواحي؛ لقصور النيل، عزم مباشرو الخانقاه على غلق مطبخها ومخبزها من أول شهر رجب هذا، وقطع ما للصوفية من الطعام واللحم والخبز فى كل يوم، فلم يصيروا على ذلك. وتكرر وقوفهم للسلطان، وشكواهم، حتى وَلَّى يَلْبُغا السالمى نظر الخانكاه، وشرط عليه إجراء الأمور فيها على ما فى كتاب وقفها من الشروط، فوجد شرط الواقف أن يكون من بها من الصوفية أهل السلوك، فإن تعذر وجودهم كانت وقفا على الفقراء والمساكين، وأفتاه شيخ الإسلام بوجوب اتباع شرط الواقف، فجمع القضاة وشيخ الإسلام بالخانقاه، وأحضر سائر صوفيتها، وقرأ عليهم كتاب الوقف، وسألهم فى الحكم بالعمل بشرط الواقف، فانتدب له من جملة الصوفية زين الدين أبو بكر القمنى من فقهاء الشافعية، وشهاب الدين أحمد العبادى من فقهاء الحنفية، وقضاتهم، وأخذوا فى مخاصمته. وطال النزاع فأضرب عن قولهما، وسأل القضاة عما يفعل. فقالوا كلهم مع شيخ الإسلام «افعل شرط الواقف» وانفضوا. فقطع من ليلته نحو الخمسين من الصوفية الذين يركبون البغلات، أو يلون القضاء والحكم بين الناس، أو لهم شهرة بغناء، وسعة مال، وفيهم القمنى والعبادى، فأطلقا ألسنتهما فيه. وزاد العبادى فى التعدى، وصرح بأن السالمى قد كفر، وصار يقول فى المجالس «الكافر يلبغا سالمى استنبطت آية من كتاب الله فيه. وهى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً﴾»^(١)، وكتبت فى ذلك كراريس، وهذا الكافر يلبغا يريد أن يكون مثل الفقراء الصالحين». فلما بلغ ذلك السالمى لم يحتمله، وشكا العبادى للسلطان. ونزل من القلعة إلى داره، فإذا بالعبادى قد مر فى شارع القاهرة، فلشدة حنقه منه نزل عن فرسه، وقبض على كم العبادى، ودعاه إلى الشرع فزاد العبادى فى التحامق، وقال: «تمسك كمى؟ كفرت». فبينما هما فى ذلك إذ مر سعد الدين نصر الله بن البقرى، فنزل عن فرسه، وما زال بهما حتى أخذهما ومشى إلى المدرسة الحجازية برحبة باب العيد، وجلسوا بها، فاتاهم الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى. وأخذ فى الإصلاح بينهما،

فزاد تجانن العبادى، وقال: «قد كفر السالى بمسكه كفى، وأنا مذهبى من قال للفقير يا فقيه بصيغة التصغير فقد كفر؛ لأنه احتقره، وكذلك مسك كفى فيه احتقارى، وهو كفر». فانفض المجلس عن غير صلح، فعاد السالى إلى السلطان. وقد بلغ السلطان ما جرى بينه وبين العبادى، فقال له: «قد كفرك الفقهاء يا يلبغا»، فقال: «يا مولانا قد كفروا أكبر منى». يعرض له بما كان من إفتاء الفقهاء فيه لمنطاش أيام كان بالكرك. ثم سأل فى عقد مجلس له ولغيره، فرسم بذلك، وحضر القضاة وشيخ الإسلام عند السلطان، فى يوم الخميس ثامن شهر رجب هذا، وجىء بالعبادى، وأقيمت عليه البينة عند قاضى القضاة ناصر الدين محمد التنسى المالكى، بعد الدعوى فحكم بتعزيره، فقال السلطان: «التعزير لى». وأراد ضربه بالمقارع، فشفع فيه الأمير قَلَمطاي الدودار، حتى فوض تعزيره لقاضى القضاة جمال الدين محمود الحنفى، فأجابته، وأمر به الجمال عند ذلك، فكشف رأسه، وأنزل به بين يدى بغال القضاة من القلعة، وهو ماش، حتى سجن بحبس الديلم^(١) من القاهرة، ثم أخرج منه ونقل إلى سجن الرحبة. وطلب يوم السبت حادى عشره إلى بيت الجمال العجمى، وحضر ابن الطبلاوى، وضربه على قدميه نحو الأربعين ضربة، وأعيد إلى السجن. ثم خرج فى ثامن عشره إلى بيت السالى، وقد حضر شيخ الإسلام عنده. وما زال به حتى أفرج عنه، وتسامع القضاة فأتوا إلى السالى، وحضروا إصلاح شيخ الإسلام بينهما.

وفيه استقر تاج الدين محمد بن عبد الله بن الميمونى فى مشيخة خانكاة قوصون^(٢) بالقرافة، بعد وفاة نور الدين على الهورى. واستقر محمد بن حسن بن ليلى فى ولاية قطيا، عوضا عن صدقة الشامى.

وفى يوم الإثنين رابع شعبان: جلس السلطان بدار العدل من القلعة، وعملت الخدمة السلطانية، وكان قد عطل حضور دار العدل من نحو سنة ونصف.

وفى تاسعه: أعاد السلطان على الأيتام المال الذى اقترضه من المودع، وهو مبلغ نحو ألف ألف ومائة ألف وخمسين ألف درهم، من ذلك ما يختص بمودع القاهرة والشام خمسمائة وخمسون ألفا، ومن مودع الشام ستمائة ألف درهم.

وفى تاسعه: استقر الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى يتحدث فى أمر دار الضرب بالقاهرة، عوضا عن محمود الأستاذار.

(١) ديلم جبل سمو بأرضهم فى قول بعض أصل الأثر. انظر معجم البلدان ٥٤٤/٢.
(٢) قوصون تقع فى شمال القرافة مما يلى القلعة تجاه جامع قوصون أنشأها الأمير سيف الدين قوصون. انظر المواعظ ج ٢/ ٤٢٥.

٣٧٤ سنة سبعمائة وسبع وتسعين

وفيه أعيد صدر الدين محمود المناوى إلى قضاء القضاة بديار مصر، وعزل البدر محمد ابن أبى البقاء لفراغ الغرض منه. ونزل من القلعة بالتشريف ومعه الأمراء على العادة. فكان يوما مشهودا.

وفى رابع عشره: قبض على عمر بن الأمير نعيم وحجابه الثلاثة، وحملوا إلى سجن الإسكندرية.

وفى سادس عشره: نزل السلطان إلى عيادة الأمير بكلمش، وعاد.

وفى سابع عشره: ركب الصدر المناوى إلى مدينة مصر على العادة، وعاد.

وفى ثامن عشره: ركب السلطان ودخل القاهرة من باب النصر، وطلع إلى مدرسته بين القصرين لزيارة قبر أبيه، وعاد إلى القلعة.

وفى ليلة الثلاثاء سادس عشرينه: خرج من الأمراء المقدمين بكلمش أمير سلاح، ونوروز رأس نوبة، وقلمطاي الدوادار، وأرغون شاه البيدمرى، وفارس حاجب الحجاب، وقديد الحاجب، وأحمد بن يلغا، فى عدة من أمراء الطبلخاناه والعشراوات؛ لكبس العربان ببلاد الصعيد.

وفى ثامن عشرينه: أخذ قاع النيل فكان أربعة أذرع واثنى عشر إصبعا.

وفى آخره: استقر الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكى فى وزارة دمشق، وعزل بدر الدين محمد بن الطوخى.

وفى يوم الإثنين ثانى رمضان: عاد الأمراء من الصعيد، بعدما قبضن الأمراء على خمسمائة رجل، وأخذوا ثمانين فرسا، وأحضروا نحو الستين رجلا، وأفرجوا عن البقية، فسجنوا بخزانة شاميل.

وفى سادس عشره: استقر شرف الدين محمد بن الدمامينى الإسكندراني فى حسبة القاهرة، عوضا عن بهاء الدين محمد بن البرجى.

وفيه أضيف إلى ابن الطبلاوى الكلام فى دار الضرب بالإسكندرية، وفى متجر السلطان عوضا عن الأمير محمود، فلم يمض غير أيام حتى تنافسا وخرج ابن الطبلاوى على محمود من جهة دار الضرب مبلغ ستة آلاف درهم فضة، صالح السلطان عليها بمائة ألف وخمسين ألف دينار ذهبا، غلقها فى تاسع عشرينه، فخلع عليه وعلى ولده محمد، وعلى ابن الطبلاوى، وعلى ناظر الخاص، وعلى سعد الدين إبراهيم بن غراب

كاتب الأمير محمود وكان قد تنكر ما بينه وبين مخدمه الأمير محمود، وظاهر عليه ابن الطبلاوى وصار يكشفه بالعداوة، فجعله ابن الطبلاوى من أكبر أعوانه على إزالة محمود، حتى تم له ذلك، فكان هذا ابتداء ظهور ابن غراب واشتهار ذكره ولم يبلغ العشرين سنة. وهذه أول غدراته، فإن محمود أخذه من الإسكندرية وهو طفل صغير، ورباه عنده، وعلمه الكتابة، ورتبه فى كتابة خاص أمواله. فلما كبر وبلغ مبالغ الرجال سمت نفسه إلى الرئاسة، ورأى أنه يبدأ بمحمود ولى نعمته فيزيله أولاً، وكان ابن الطبلاوى قد كثر اختصاصه بالسلطان، فصار إليه وساعده على محمود، ودله على عوراته، ومت إليه بمعرفة حواصل أمواله، فجمع بينه وبين السلطان، وأخلاه به، فعرفه من حال محمود ما أوجب له أن صارت له بذلك اليد عند السلطان، وكان ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيه استقر محمد بن العادلى فى ولاية المنوفية^(١)، عوضاً عن أيذر المظفرى.

وفى يوم السبت سادس شوال: ابتداء السلطان بالجلوس فى الميدان تحت القلعة للحكم بين الناس. وكانت عادته أن يجلس فى يومى الأحد والأربعاء، فغير بذلك بيومى الثلاثاء والسبت، وجعل الأحد والأربعاء لمعاقرة الشراب مع الأمراء، فاستمر ذلك. واستدعى مباشرى الأمراء، وقال: «قد بلغنى أنكم تحمون البلاد، فمن سمعت أنه حمى بلدًا، ضربته بالمقارع وسمرتة، بل ساووا الأجناد فى المغارم على النواحي». وكتب إلى ولاية الوجهين القبلى والبحرى بأن يكون الأمراء والأجناد سواء فى المغرم. ولا تُحمى بلد أمير عن إخراج المغرم، ولا يُحمر فلاح ألبته.

واتفق فى زيادة النيل أمر غريب، وهو أن الزيادة استمرت منذ أخذ القاع حتى كملت ثمانية أذرع ثم زاد فى ستة أيام ثمانية أذرع وأصبعين، وهى من يوم الخميس رابع شوال إلى يوم الثلاثاء تاسعه، وهو ثالث مسرى.

وفيه كان الوفاء، وركب السلطان حتى عدى النيل إلى المقياس، ثم فتح الخليج على العادة.

وفى ثامن عشره: توجه الأمير ناصر الدين محمد جُمقُ بن الأمير الكبير أيتمش إلى الحج، وهو أمير الركب، فكان يوماً مشهودًا.

وفى يوم الأربعاء أول ذى القعدة: قدم الخير من الحجاز بأن الحرب ثارت بين بنى

(١) المنوفية هى من قرى مصر القديمة. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

٣٧٦ سنة سبعمائة وسبع وتسعين

حسن وقواد مكة، بيطن مر، فقتل فيها الشريف على^(١) بن عجلان، وامتنع القواد بمكة، وصدوا عنها بنى حسن. فأفرج السلطان عن الشريف حسن بن عجلان^(٢)، وولاه إمرة مكة، عوضاً عن أخيه على، وخلع عليه، وسار إلى مكة ومعه يلبغا السالمى ليقبله إمارة مكة فى سابعه.

وفى ثانى عشره - وهو آخر أيام النسيء -: انتهت زيادة ماء النيل ثمانية عشر ذراعاً ونصف، ونقص من يومه.

وفى ثالث عشره: ركب السلطان إلى دار الأمير محمود، يعود من مرضه.

وفى رابع عشره: استقر منكلى بغا الزينى فى ولاية الأشمونين، وعزل قرطاي التاجى.

وفى خامس عشره - وهو ثالث توت -: زاد ماء النيل، ونودى عليه من الغد، واستمرت زيادته.

وفيه استقر عمر بن إلياس - قريب قرط - فى ولاية منفوط، عوضاً عن الشريف على البغدادى.

وفى سابع عشرينه - وهو خامس عشر توت -: انتهت زيادة ماء النيل إلى ثمانية أصابع من عشرين ذراعاً، وثبت إلى رابع بابة، فكان طوفاناً، والأسعار تتزايد حتى بلغ القمح ثمانين درهماً، والأردب من الفول والشعير أربعة وخمسين، والبطّة الدقيق باثنى وعشرين درهماً، والخبز كل رطلين ونصف بدرهم، والحمل من التبن بعشرة دراهم، والقذح الأرز بدرهمين، والأردب من الحمص بخمسين، والرطل من الجبن المقلو بدرهمين، والرطل من لحم الضأن بدرهم وربع، والرطل من لحم البقر بدرهم، والسكر بخمسة دراهم الرطل.

(١) على بن عجلان بن رميثة بن أبى نعى الحسنى أبو الحسن نور الدين: من أمراء مكة وليها بعد عزل عنان بن مغماس سنة ٧٨٩ هـ. وأمضى أكثر أيامه فى حروب، فلم يهنا له عيش إلى أن قتله جماعة من أقاربه، من بنى حسن اغتالوه فى بطن مر من نواحي مكة. انظر ابن الفرات ٩ / ٤٢٠ وشذرات الذهب ٦ / ٣٥٠ وابن إياس ١ / ٣٠٤ والأعلام ٤ / ٣١٢.

(٢) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نعى: شريف حسنى من أمراء مكة ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨ هـ وجاءه التوقيع سنة ٨١١ هـ بتسمية السلطانية فى جميع بلاد الحجاز فاستمر مدة وعزل وأعيد مرتين ثم توجه سنة ٨٢٨ هـ إلى مصر للقاء السلطان برسباى فتوفى فيها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ ومراجع تاريخ اليمن ٢٩٩ والأعلام ٢ / ١٩٨ - ١٩٩.

وفي آخره: استقر سنقر الماردني في ولاية قوص^(١)، وعزل أقبغا البشتكي.

وفي السبت ثاني ذي الحجة: قدم الأمير طولو بن علي شاه المتوجه إلى طَقْتَمَش خان، وأنه بعد ما اتفق معه على محاربة تيمور، توجه تيمور لمحاربته، فسار إليه وقاتله ثلاثة أيام، فانكسر من تيمور، ومر إلى بلاد الروس، فخرج طولو من سراي إلى القرم، ومضى إلى الكفا^(٢)، فعوقه متملكها ليتقرب به إلى تيمور، حتى أخذ منه خمسين ألف درهم، فملك تيمور القرم والكفا وخربها.

وقدم رسول الأمير يوسف بن قرا محمد بن بيرم خجا - صاحب الموصل^(٣) - بأن عسكر تيمور أتاه، فقاتلهم وهزمهم.

وفي آخره: قدم مبشرو الحاج، وأخبروه باستيلاء حسن بن عجلان على مكة، ووجود الأمن والرخاء.

وفيه ولي شمس الدين محمد الأخنای قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن ناصر الدين محمد بن محمد بن خطيب نقيرين. وأعيد برهان أبى سالم إبراهيم بن محمد بن علي الصنهاجي إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن علم الدين محمد بن محمد القفصی. واستقر شمس الدين محمد بن أحمد بن محمود النابلسی في قضاء الحنابلة بدمشق، عوضا عن علاء الدين علي بن محمد بن محمد بن عمر بن المنجا. ثم ولي القفصی قضاء المالكية بحلب، عوضا عن البرهان إبراهيم الرکراکی.

* * *

ومات في هذه السنة من له ذكر

برهان الدين إبراهيم بن محمد القرشندی موقع الحكم في ثلث عشرين شعبان.

ومات الشيخ برهان الدين إبراهيم بن الآمدی، أحد أصحاب ابن تيمية، في رابع عشرين ذي القعدة.

(١) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة في الصعيد. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٢) الكفا بفتح الكاف والفاء فرضة القرم تقع على الساحل الغربي لبحر ينطش (البحر الأسود)

في مقابل طرايرون. انظر تقويم البلدان ٢٣، ٢٠٠، ٢١٤.

(٣) الموصل: في الجانب الغربي من دجلة وسميت بهذا الاسم لأنها وصلت بين الفرات ودجلة،

وشرب أهلها من ماء الدجلة، وبساتينها قليلة، وضياعها ومزدرعاتها ممتدة، وأبنيتها بالحص والحجارة،

ولها رساتيق عظيمة وكور كثيرة. انظر معجم البلدان ٥/٢٢٣، والروض المعطار ٥٦٣، ونزهة

المشتاق ١٩٩.

ومات إسماعيل بن الملك الأشرف شعبان بن حسين، فى ثالث عشر رمضان، عن خمس وعشرين سنة.

ومات الأمير الطنبغا الحلبي الأشرفى، وهو مسجون بقلعة حلب فى [..^(١)..].

ومات الشيخ المعتقد أبو بكر البجائى المغربى المجدوب، فى يوم السبت خامس جمادى الآخرة، ودفن من الغد، خارج باب النصر حيث التربة الظاهرية الآن. وهو أحد الذين أوصى الملك الظاهر أن يدفن عندهم. وأنفق عليه فى مؤنة كفنه ودفنه، وقراءة ختمات عند قبره مائتى دينار، على يد يلبغا السالمى، وكانت جنازته عظيمة جدا.

ومات الأمير أبو بكر بن الأحمدي فى سابع عشر رجب.

ومات صدر الدين بدیع بن نفيس التبريزى، رئيس الأطباء فى سادس عشر ربيع الأول.

ومات الأمير سيف الدين بلاط المنجكى، أحد أمراء العشرينات.

ومات عز الدين حمزة بن على بن يحيى بن فضل الله العمرى، نائب أخيه بدر الدين محمد كاتب السر، وأحد كتاب الدست. مات بدمشق يوم تاسوعاء، وهو آخر من رأس من بنى فضل الله.

ومات الخوaja الكبير رشيد الهبى، أحد تجار الكارم، فى ليلة السبت، العشرين من جمادى الأولى.

ومات الأمير سيف الدين طوغان الإبراهيمى، أحد المماليك الظاهرية، وأمير جاندار، فى سادس صفر.

ومات السيد الشريف على بن عجلان، أمير مكة، مقتولا، فى سادس عشر شوال.

ومات نور الدين على الهورينى، شيخ القوصونية، فى ثالث عشر شهر رجب.

ومات نور الدين على بن الركاب، أحد نواب قضاة الحنفية بالقاهرة، فى سابع عشر رجب.

ومات نور الدين على بن الشراب دار، أحد نبهاء الفقهاء الشافعية، فى تاسع عشر رجب.

ومات جمال الدين عبد الله بن فراج النويرى، أحد الفقهاء المالكية، ونواب قضاتهم بالقاهرة.

ومات الأمير قاسم بن السلطان فى ثانى عشر ذى الحجة، وعمره نحو خمس سنين.
ومات الأمير قرايغا والد الأمير جَرَكَتْمُر الخاصكى الأشرفى، وأحد أمراء العشرينات
فى ثانى ربيع الأول.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان، فى يوم السبت ثالث عشرين ذى
الحجة، ومولده مستهل ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وسبعمئة، وكان قد أعيى الأطباء
داؤه الذى برجليه وبه مات. وكان إقطاعه الديوان المفرد، وهو أكبر أولاد السلطان،
ودفن فى التربة الظاهرية بين القصرين.

ومات ناصر الدين محمد بن عبد الدايم بن محمد المعروف بابن بنت ميلق الشاذلى،
قاضى القضاة بديار مصر، وكان أولاً يعظ الناس، ولهم فيه اعتقاد، ثم امتحن بولاية
القضاء، فلم تُشكر سيرته، وعُزل ونكب بأخذ مال كبير منه ظلماً، وغُورَت عينه.
ومات فى ليلة الإثنين تاسع عشرين جمادى الأولى.

ومات غياث الدين محمد بن جمال الدين^(١) عبد الله بن محمد بن على بن حماد بن
ثابت، الواسطى الأصل، البغدادى، ابن العاقولى فى يوم الأربعاء سادس عشرين ربيع
الآخر ببغداد. وقدم إلى القاهرة فى الجفلة من تيمور. وكان من علماء فقهاء الشافعية.

ومات شمس الدين محمد بن على بن صلاح الحريرى، أحد نواب القضاة الحنفية
بالقاهرة، ومشايخ القراء، وفقهاء الحنفية، فى يوم الجمعة رابع عشرين رجب، ومولده
فى العشرين من شوال سنة عشرين وسبعمئة. قرأ على برهان إبراهيم الحركى
القراءات و الحديث على علاء الدين التركمانى، والفقهاء على القوام الأتقانى.

ومات شمس الدين محمد بن عمر القليجى الحنفى مفتى دار العدل، وأحد نواب
القضاة بالقاهرة، وموقعى الحكم، فى ليلة الثلاثاء العشرين من رجب. وقد بلغ من
الرئاسة مبلغاً كبيراً.

(١) محمد بن محمد بن عبد الله الواسطى الأصل البغدادى، غياث الدين أبو المكارم ابن العاقولى:
عالم بغداد ومدرسها فى عصره ولد بها وكان هو وأبوه وجده كبراءها، انتهت إليهم الرئاسة فى
العلم والتدريس ولما دخل تيمور لنك بغداد هرب ابن العاقولى منه فهبت أمواله. ورجع بعد ذلك
فتوفى فيها. من كتبه «البيان بما يصلح لإقامة الدين من البلدان» و«شرح منهاج البيضاوى» و«شرح
مصابيح البغوى». انظر كتاب (تراجم لخمى باب الدين - ح) وكشف الظنون ١٦٩٩، ١٨٧٩
وشذرات الذهب ٦/ ٣٥١ وهدية العارفين ٢/ ١٧٥ والأعلام ٧/ ٤٢.

٣٨٠ سنة سبعمائة وسبع وتسعين

ومات شمس الدين محمد الأقصرای الحنفی، شیخ المدرسة الأیتمشیة^(١)، فی سابع عشر جمادی الأولى.

ومات الشیخ محمد بن أبی یعقوب القدسی الشافعی المعتقد، فی یوم الأحد أول شهر رمضان. وكان یسكن بجامع المقس علی الخلیج، وله حظ من الناس.

ومات الشیخ المعتقد محمد السمالوطی المالکی فی ثانی عشر رمضان.

ومات شمس الدین محمد بن أحمد بن علی بن عبد العزیز المعروف بابن المطرز المصری، ولد فی سنة عشر وسبعمائة نخمینا، وحدث بصحیح مسلم عن علی بن عمر الوالی، وبسنن أبی داود عن یوسف بن عمر الختني، وبکتاب التوکل لابن الدنیا عن الدبوسی. ومات یوم الأحد سادس جمادی الآخرة.

ومات موسی بن أبی بکر بن سلار، أحد أمراء العشراوات وأمیر طبر. ولی أمیر طبر^(٢) بعد دمرخان بن قرمان، سنة ثمان وسبعمائة. ومات فی ثالث ذی الحجة والله تعالی أعلم.

* * *

(١) الأیتمشیة هذه المدرسة خارج القاهرة داخل باب الوزیر تحت القلعة، برأس النیابة أنشأها الأمير الکبیر سیف الدین آیتمش البجاسی ثم الظاهری سنة ٧٨٥هـ. انظر المواعظ ٢ / ٤٠٠.
(٢) طبر وهي لفظ فارسی والطبر هو الذی یشقق به الأحطاب. انظر معجم البلدان ١٣/٤.

سنة ثمان وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الأحد.

ففى ثانيه: تناقص سعر القمح وأبيع الأردب بستين درهما.

وفيه غير السلطان كتاب وقف مدرسته، وكان شرط النظر عليها من بعده للقضاة، فجعله لمن يكون سلطانا.

وفى خامسه: قرر الأمير قلمطاي الدوادار فى نظرها، ونزل إليها بالتشريف فى موكب جليل.

وفى تاسعه: توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة. وارتفع السعر حتى أبيع الأردب القمح بمائة درهم، والبطة الدقيق بستة وعشرين درهما، والخبز كل رطلين ونصف بدرهم.

وفى عاشره: قدم يلغا السالمى من الحجاز.

وفى ثامن عشره - وهو فى أثناء هاتور - : كان النيل ثابتا على ثمانية عشر أصبعا من تسعة عشر ذراعا، وهذا من غرائب أحوال النيل.

وفى سادس عشره: عاد السلطان من سرياقوس.

وفى يوم الخميس رابع صفر: نقل الأمير يلغا الأحمدي المجنون من كشف الوجه البحرى إلى نيابة الوجه القبلى، وعزل أوناظ. ورسم ليلغا أن يقيم بالقاهرة، ويخرج لعمل مصالح الإقليم. وبطل كشف الوجه البحرى، وصارت نيابة بتقدمة ألف، وهو أول من عمل هذا.

وفيه عزل شرف الدين محمد^(١) بن الدمايى من حسبة القاهرة بنور الدين على

الفور.

(١) محمد بن أبى بكر بن عمران بن أبى بكر بن محمد، المخزومى القرشى بدر الدين المعروف بابن الدمايى: عالم بالشعر وفنون الأدب ولد فى الإسكندرية، واستوطن القاهرة، ولازم ابن خلدون وتصدر لإقراء العربية بالأزهر، ثم تحول إلى دمشق. ومنها حج وعاد إلى مصر فولى فيها قضاء المالكية ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامعة زبير سنة، وانتقل إلى الهند فمات بها فى مدينة كليرجا. من كتبه: «تحفة الغد». انظر الضوء اللامع ١٨٤/٧ وشذرات الذهب ٩/٨١/٧ وآداب اللغة ١٤٣/٣ وحسن المحاضرة ٢٥٨/١ والكتبخانه ٣٣٨/٤ والأعلام ٥٧/٦.

وفى سادسه: بعث السلطان الطواشى فارس الدين شاهين الحسنى الجمدار، فأخذ من دار الأمير محمود وهو مريض مالا كبيرا، يقال إنه مبلغ مائة ألف دينار وجد فى عقد سلم غمز عليه، وعدة أحمال من قماش. وقبض على زوجته، وكاتبه سعد الدين إبراهيم بن غراب، وصار بهم إلى القلعة، وعاد فأخذ ابنه الأمير ناصر الدين محمد.

وفى سابعه: تسلم سعد الدين إبراهيم بن غراب الأمير ألى باى الخازندار ونزل به إلى دار محمود ليدله على دخيرة اعترف بها، فكانت جملتها خمسين ألف دينار.

وفى ثامنه: استقر على بن غلبك بن المكلفة فى ولاية الشرقية، عوضا عن على بك بحكم انتقاله إلى ولاية البحيرة.

وفى تاسعه: استقر قطلوبغا الطشتمرى نائبا بالوجه القبلى، عوضا عن أمير فرج بن أيدمر بعد وفاته. واستمر الأمير بيسق الشينخى فى كشف الجيزة عوضا عن قطلوبغا.

وفى حادى عشره: استقر قطلوبك العلاى أستاذار الأمير أيتمش فى وظيفة الأستاذارية، عوضا عن الأمير محمود، وأنعم عليه بإمرة عشرين. واستقر محمود على إمرته وهو مريض. واستقر سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الديوان المفرد.

وفى خامس عشره: استقر الأمير قديد القلمطاوى فى نيابة الإسكندرية^(١)، عوضا عن الأمير مبارك شاه. واستقر علاء الدين على بن الطبلاوى أستاذار خاص الخاص، وناظر كسوة الكعبة، عوضا عن نجم الدين محمد الطنبدى وكيل بيت المال ومحتسب القاهرة - كان - مضافا لما معه من الحجووية، والتحدث فى ولاية القاهرة، ودار الضرب، والمتجر، وشق القاهرة فى محفل حفل. واستقر الأمير أزدمر فى كشف الجيزة، عوضا عن بيسق، وعاد بيسق أمير أخور كما كان، وأضيف إليه كشف الجسور بالقلبوية.

وفى ثامن عشره: قدمت رسل الأمير قرا يوسف بن قرا محمد - صاحب تبريز - برجل يقال له أطلمش من نواب تيمور لنك، قبض عليه، فسلم لابن الطبلاوى.

وفى خامس عشرينه: استقر الأمير زين الدين مبارك شاه فى الوزارة، بعد موت الوزير ناصر الدين محمد بن رجب. واستقر سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الدولة، واستقر أمير فرج الحلبي شاد الدواوين.

(١) الإسكندرية: مدينة عظيمة. عصر بناها الإسكندر بن فيلبش فنسبت إليه، وهى على ساحل البحر الملح. انظر معجم البلدان ١/ ١٨٣، والروض المعطار ٥٤، ٥٥، ٥٦.

وفى سابع عشرينه: أعيد شرف الدين محمد بن الدماينى إلى حسبة القاهرة، وعزل القور لعجزه عن القيام بما التزم به من المال، وأضيف إلى ابن الدماينى نظير الكسوة، ونزعت من النجم الطنبدى بعد ما تحدث فيها ابن الطبلاوى كما ذكر.

وفى سلخه: أنعم على الوزير مبارك شاه بإمرة ناصر الدين محمد بن رجب.

وفى يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول: استقر أحمد بن محمد بن ماما فى ولاية المنوفية، عوضا عن محمد بن العادلى. ثم عزل فى اليوم الرابع، وأعيد ابن العادلى.

وفى حادى عشره: توجه السلطان إلى ناحية صقيل من الجيزة، وعاد فى سادس عشره.

وفيه تسلم ابن الطبلاوى سعد الدين أبا الفرج بن تاج الدين موسى ناظر الخاص، وابنه أمين الدين ليخلص منهما أربعمائة ألف وسبعين ألف درهم، وجد بها حجة لابن رجب الوزير، ثم أفرج عنهما بعد يومين.

وفى تاسع عشره: سلم ناصر الدين محمد بن محمود الأستاذار لابن الطبلاوى، على مائة ألف دينار يخلصها منه، فأحرق به وبالع فى إهائته ونزع عنه ثيابه ليضربه بحضرة الناس، فقال له: «يا أمير: قد رأيت عزنا وما كنا فيه، وقد زال، فعزك أيضا ما يدوم، وهذا أول يوم زال عنى وعن أبى فيه السعادة وأقبل الإدبار». فلم يضربه.

وفى عشرينه: أفرج عن سعد الدين ناظر الخاص وابنه، وخلع عليهما خلع الرضا.

وفيه نقل ابن محمود إلى الطواشى شاهين الحسنى، فأقام عنده يومين.

وفى ليلة الخميس ثالث عشرينه: نزل الطواشى صندل، والطواشى شاهين الحسنى، وابن الطبلاوى إلى خربة خلف مدرسة الأمير محمود، وأخرجوا من الأرض - بعد حفر كثير - عدة أزيار فيها ألف ألف درهم فضة، حملت إلى السلطان.

وفى بكرة يوم الخميس: وجد بالخربة أيضا بعد حفر كثير، ستة آلاف دينار، وأربعة عشر ألف وخمسمائة درهم فضة.

وفى رابع عشرينه: أعيد ابن محمود إلى ابن الطبلاوى.

وفى خامس عشرينه: احضرت أمه إلى السلطان.

وفى ثامن عشرينه: ظفر أيضا بمبلغ ثمانية وثلاثين ألف ومائتين وثلاثين ديناراً فى مخزن حمار^(١) بثغر الإسكندرية، حملت إلى السلطان.

(١) حمار حيث أن صانع الخمر هو الذى يحتاج إلى مخزن لخزنها فيه.

وفى يوم الخميس ثامن ربيع الآخر: ابتداء السلطان بعمل الخبز الذى يفرق فى الفقراء، وهو عشرون إردبا من القمح تعمل خبزا، وتولى ابن الطبلاوى ذلك، فعمت فقراء القاهرة ومصر وأهل السجون وسكان القرافة، فكفى الله الناس بهذا الخبز هما عظيما، بحيث لم يعرف أن أحدا مات فى هذا الغلاء بالجوع، واغتنى جماعة منه، فإنهم صاروا يأخذون الخبز من عدة مواضع ويبيعونه، ثم يستجدون الناس أيضا.

وفى تاسعه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، ونزل بشاطئ النيل، تجاه القاهرة.

وفى رابع عشره: عاد إلى القلعة.

وفى خامس عشره: استقر تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج الملكى - ناظر قطيا - فى ولايتها مع وظيفة النظر، والتزم كل شهر بحمل مائة ألف وخمسين ألف درهم. وكان فى ابتداء أمره صيرفيا بقطيا، وترقى حتى باشر بها، ثم ولى النظر إلى أن جمع بين النظر والولاية.

وفيه ظفر أيضا بدخيرة محمود عند لاجين أمير سلاحه، فكان مبلغها ثلاثين ألف دينار.

وفى سابع عشره: استعفى أزدمر من كشف الجيزة، فأعفى. واستقر عوضه بلبغا مملوك الوزير مبارك شاه.

وفيه ارتجع عن شهاب الدين أحمد بن الوزير ناصر الدين محمد بن رجب إمرته، وهى عشرة، وعوضه عنها إقطاعا برمح واحد.

وفى تاسع عشره: قدم محمد بن العادلى وإلى المتوفية فى الحديد، فتسلمه ابن الطبلاوى، واستقر عوضه حسام الدين.

وفيه قدم الأمير نوروز الحافظى رأس نوبة، ومعه على بن غريب أمير هوار، وثلاثة وثلاثين رجلا من أهله وأولاده فى الحديد، فسجن ابن غريب بالبرج فى القلعة، وأودع أصحابه بخزانة شمايل.

وفيه تصدق السلطان بذهب كثير، فاجتمع بالإصطبل خمسمائة نفس، حصل لكل منهم مبلغ خمسين درهما.

وفى رابع عشرين: جلس السلطان لتفرقة الصدقة أيضا، فاجتمع عالم لا يقع عليه حصر، بحيث مات منهم فى الازدحام بباب الإصطبل سبعة وأربعون نفسا، تولى تكفينهم ودفنهم الأميران فارس حاجب الحجاب، والوزير مبارك شاه.

وقدم الخبر من الحجاز بأن الشريف حسن بن عجلان هزم بنى حسن إلى ينبع، وهو فى طلبهم، ثم عاد إلى خليص^(١)، ومعه أمير ينبع، فكبس عليهم وظفر بهم، وأن الأترك الذين استخدمهم أمير ينبع ركبوا عليه وقتلوه، وقتلوا جماعة من أصحابه، فظفر بهم، وقتل منهم اثنى عشر، وأخرج باقيهم من بلاده.

وفى يوم الخميس سابع جمادى الأولى: أوقعت الحوطة على دار الأمير محمود الأستادار، وأخذت مماليكه، وترك عنده ثلاثة يخدمونه فى مرضه.

وفيه فر شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن الدزرى الدمشقى، من ترسيم ابن الطبلاوى. وكان قد تحدث للأمير أيتمش فيما يتعلق به فى دمشق وأحضره لعمل حسابه، فوقف عليه مال عجز عنه فهرب، ولم يوقف له على خير.

وفيه توجه السلطان إلى بر الجيزة وعمل فى كل يوم طعاما للفقراء يفرق فيهم اللحم والمرق والخبز، فبلغ عدد الفقراء الذين يأخذون ذلك خمسة آلاف نفس. ومن فاته الأخذ من الطعام أخذ مع الرغيف درهما، فإن فاته الخبز وأخذ من الطعام، أخذ عوض الخبز نصف درهم، ومن فاته الطعام والخبز أخذ درهما ونصف.

وكانت الأسعار قد تزايدت لقلّة وجود الغلال، وفقد الخبز من الحوانيت بالقاهرة ومصر سبعة أيام متوالية، وازدحم الناس على الأفران، وأبيع القمح بمائة وخمسة وسبعين درهما الأردب فى غلته، فإذا غربل تعدى المائتين.

وبلغت البطة الدقيق إلى أربعة وأربعين درهما، والخبز كل رطل وربع، بدرهم. وفى عاشره: وجدت دخيرة لمحمود، فيها مبلغ سبعين ألف دينار.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: حضر شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى بالجامع الأزهر من القاهرة بعد العصر للدعاء برفع الغلاء، ومعه خلائق، فكان وقتا عظيما. فلما كان من الغد قدم إلى ساحل القاهرة ومصر عدة مراكب بها الغلال، فانحط سعر الأردب عشرة دراهم، وأخذ يتناقص حتى أبيع الأردب بمائة وثلاثين درهما، والخبز كل رطلين بدرهم، ثم انحط عن ذلك أيضا.

وفى عشرينه: وجدت دخيرة لمحمود أيضا، فيها ثلاثة وستون ألف دينار ووجدت أيضا أخرى فيها مبلغ أربعين ألف دينار، ووجد له عند شخص مبلغ أربعين ألف دينار، وعند آخر عشرين ألف دينار. ووجد فى بيت مبلغ مائة دينار وسبعة وثلاثين ألف دينار، وفى موضع آخر مائة ألف دينار وثلاث برانى^(٢) فى إحداها أحجار البلخش^(٣) وفى اثنتين اللؤلؤ كبار، ووجد أيضا عند شخص حلى ذهب له قدر كبير.

(١) خليص حصن بمكة والمدينة. انظر معجم البلدان.

(٢) برانى شبه فخارة خضراء وربما كانت من القوارير الثخان الواسعة الأفواه، والبرنية إناء من الخزف.

انظر لسان العرب.

(٣) البلخش نوع من الأحجار الكريمة أقرب ما يكون إلى الزمرد.

وفي ليلة الثلاثاء سادس عشرينه: شدد على محمود حتى التزم بإرضاء السلطان.

وفي سابع عشرينه: وجد له فى موضع مائة ألف دينار، وثمانية وثلاثون ألف دينار.

وكثرت صدقات السلطان فى هذا الشهر، وأكثر من تفرقة دنائير الذهب والدارهم الفضة، والخبز والطعام، حتى عم الفقراء والمساكين وغيرهم، وصار لبعضهم من ذلك غنى.

وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة: خرج البريد إلى دمشق بإحضار الوزير بدر الدين محمد بن الطوحي.

وفيه سلم محمود الأستاذار إلى شاد الدواوين ليعاقبه، فعصره من ليلته.

وفي خامسه: أخرج الأمير شهاب الدين أحمد بن يلبغا الخاصكى العمرى إلى طرابلس.

وفيه أنعم على تمرُّبغا المنجكى بتقدمة ألف، وعلى قُطلوبُك الأستاذار بتقدمة ألف. وعلى كل من طُولو بن على شاه، ويَلْبُغا الناصرى، وسراى تمر الناصرى، وشاذى خُجا العثمانى، وقينار العلای بإمرة طبلخاناه. وعلى كل من طَيِّبغا الحلبي أمير خور، وسودن طاز من على باى، ويعقوب شاه الخازندار، ويشبك الخازندار، وتَمَان تَمُر الأشقتمرى رأس نوبة الجمدارية بإمرة عشرة.

وفي عاشره: قدم البريد من الوجه القبلى بأن العرب الأحامدة قتلوا قُطلوبُغا الطَشْتُمرى نائب الوجه القبلى، فاستقر عوضه عمر بن إلياس والى منفلووط، مضافا لما بيده.

وفيه استقر الشيخ زين الدين أبو بكر القمنى فى مشيخة الصلاحية بالقدس، عوضاً عن شمس الدين محمد بن الجزرى، وبعث بالنيابة عنه، وذلك بسفارة الأمير قَلْمطای الدوادار لاختصاصه به.

وفي رابع عشره: استقر الشيخ شمس الدين محمد ابن [...] (١) [...]. ويقال له شيخ زاده الخويزاتى فى مشيخة الشيخونية، عوضا عن البدر الكُلستانى كاتب السر. واستقر الجمالى محمود العجمى ناظر الجيش وقاضى القضاة الحنفية فى تدريس الصرغتمشية، عوضا عن البدر الكُلستانى. واستقر شهاب الدين أحمد بن النقيب اليعمورى الدمشقى فى التحدث على مستأجرات خاص الخاص، والمتجر نيابة عن ابن الطبلاوى، واستقر حاجباً بدمشق.

وفي سادس عشره: استقر الأمير فارس حاجب الحجاب فى نظر الصرغتمشية والشيخونية، واستقر تمرُّبغا المنجكى حاجباً ثانياً، عوضاً عن قديد.

وفي ثامن عشره: قدم بدر الدين محمد بن الطوخى وزير الشام على اليريد.

وفي تاسع عشره: استقر أطنبغا اليريدى فى ولاية البهنسا، عوضاً عن الصارم إبراهيم الشهابى، وأحضر الصارم، وضرب بالمقارع عند ابن الطبلاوى واستقر أطنبغا المرادى فى ولاية أسوان^(١) عوضاً عن حسين صهر أبى درقة، واستقر أقبغا المزوق فى ولاية قوص، بعد موت سنقر.

وفي العشر الثانى من هذا الشهر: انحلت الأسعار لكثرة ما جلب، وأبيع الأردب القمح بخمسين درهماً، وأبيع الأردب من الشعير والفلول بثلاثين درهماً، وأبيع فى ثانى عشرينه الخبز أربعة أرتال بدرهم، فسخط جلابة الغلال، وانحدروا بها إلى جهة الإسكندرية طلباً للسعر الغالى، فتكالب الناس على شراء الخبز والدقيق فى يوم الإثنين ثالث عشرينه، وتحاطفوه من رعوس الحمالين، فكان يوماً مهولاً، ووقف الناس من الغد إلى السلطان وضجوا من عدم ما يأكلونه، فندب الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى للتحدث فى ذلك وتمادى الأمر فى الشدة يوم الأربعاء.

وفي يوم الخميس: رُسم أن يباع الرغيف بربع درهم، والناس فى غاية الانهماك على طلبه، وخطفه من الأفران، وقتال بعضهم لبعض بسببه، وأبيع القمح كل قدح بدرهم ونصف سدس، والشعير بربع وسدس درهم القدح. واختفى شرف الدين محمد ابن الدمامينى المحتسب فى بيته ثلاثة أيام؛ خوفاً من العامة أن تبطش به، وطلب القمح كل أردب بمائة وعشرين درهماً، والشعير بستين درهماً، فلم يكدر يقدر عليه. وفقد الخبز من الأسواق، فلم يره أحد، فصرف السلطان ابن الدمامينى واستدعى شمس الدين محمد المخانسى الصعيدى، وولاه الحسبة - بسفارة ابن الطبلاوى - بغير مال، فى يوم الخميس سادس عشرينه، فاستمر الأمر على ما ذكر بقية الشهر، فكانت أيام شنة.

وفي آخره: استقر علاء الدين على بن محمد بن محمد بن منجا فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضاً عن شمس الدين محمد التابلسى.

وفي يوم الخميس رابع رجب: استقر سعد الدين نصر الله بن البقرى فى الوزارة، وبدر الدين محمد بن الطوخى، عوضاً عنه فى نظر الدولة، وبقي مبارك شاه على إمرته. واستقر شرف الدين محمد بن الدمامينى فى نظر الكسوة، وخلع على الجميع. واستقر محمد بن حسن بن ليلى فى ولاية الجيزة، عوضاً عن الشهاب أحمد الأرغونى.

(١) أسوان: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، ونزهة

وفي هذا الشهر: سارت الأحامدة من عرب الصعيد فى جمع من هواره على ابن غريب إلى أسوان، واتفقوا مع أولاد الكنز، ففر منهم حسين صهر أبى درقة، ونهبوا داره، وكل ما فى البلد، فخرج البريد بتوجه عمر بن إلياس نائب الوجه القبلى لطلبهم، فسار بهواره عمر بن عبد العزيز، فلم يقدر عليهم، وعاد بغير طائل.

وفيه استقر علاء الدين على بن السنجارى الدمشقى وزيرا بدمشق.

وفى أول شعبان: نقل الأمير محمود إلى ابن الطبلاوى، فعاقبه بالضرب والعصر لرجليه، وعاقب ابنه ناصر الدين محمدا، وألزمه بأربعمائة ألف درهم، فباع سائر موجوده، فلم يبلغ ثلاثمائة ألف.

وفيه استقر الحسام بن أخت الغرس فى شد الدواوين بغير إمرة. واستقر أمير فرج على إمرته بغير وظيفة الشد. واستقر ناصر الدين محمد بن الأمير علاء الدين على بن كلفت الترجمانى فى نقابة الجيش. وعزل علاء الدين على بن سنقر العيتابى.

وفى ثالث عشره: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع سواء.

وفى ليلة الخميس رابع رمضان: خسف جميع جرم القمر بعد صلاة العشاء، حتى أظلم الجو.

وفى يوم السبت تاسع عشرين شوال: أوفى النيل ستة عشر ذراعا، وذلك فى ثانى عشر مسرى، فنزل السلطان إلى المقياس وفتح الخليج على العادة.

وفى يوم الخميس تاسع عشر ذى القعدة: قبض على سعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين موسى ناظر الخاص، وأحبط بداره، واستقر عوضه فى نظر الخاص سعد الدين إبراهيم بن غراب الإسكندرانى كاتب الأمير محمود بن على.

وفى أول ذى الحجة: عزل ابن السنجارى من وزارة دمشق بشهاب الدين أحمد بن الشهيد، وتوجه من القاهرة، وقد أضيف إليه نظر المهمات والأسوار بدمشق. وانتهت زيادة النيل إلى تسعة عشر ذراعا.

وفى رابع عشرينه: استقر علاء الدين على بن الطبلاوى فى نظر المارستان المنصورى، عوضا عن الأمير الكبير كمشبيغا الحموى.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وهو الأمير سودن طاز، وأخبروا بالأمن والرخاء، وأن حسن بن عجلان واقع بنى حسن فى خامس عشرين شوال، وقتل من أعيانهم اثنى عشر شريفا، وقتل من القواد ثلاثين قائدا، وهزم من بقى منهم.

وفى يوم الأربعاء سلخه: قبض الوزير صاحب سعد الدين بن البقرى على مقدم الدولة محمد بن عبد الرحمن، وأقام عوضه ابن صابر وعلى ابن الفقيه.

وفيهما ولى الأمير شرف الدين موسى بن عَسَّاف بن مهنا بن عيسى إمرة آل فضل. عوضا عن الأمير شمس الدين محمد بن قارا بن مهنا بن عيسى فى الحرم. واستقر الأمير علم الدين أبو سليمان بن عنقاء بن مهنا بن عيسى فى إمرة آل فضل، عوضا عن موسى بن عساف، فى شوال، بعد موته.

* * *

ومات فى هذه السنة من له ذكر

برهان الدين إبراهيم بن الشيخ عبد الله المنوفى خطيب جامع ابن شرف الدين بالحسينية، الفقيه المالكى، فى ليلة الثلاثاء تاسع رجب، ودفن بتربة أبيه خارج باب النصر.

ومات المقرئ الجندى شهاب الدين أحمد بن محمد بن بيبس، المعروف بابن الركن البيسرى الحنفى؛ أخذ القراءات عن الشيخ شمس الدين محمد بن نمير بن السراج المقرئ الكاتب.

ومات تقى الدين عبد الرحمن بن أحمد بن على، المعروف بابن الواسطى، وبابن البغدادى، وكان عارفا بالقراءات، وعلم الميقات، ويقرأ بالمصحف فى الجامع الأزهر، ويقوم فى رمضان بعد التراويح إلى طلوع الفجر. ومات بالفيوم^(١) فى صفر عن خمس وسبعين سنة، ومولده بالقاهرة فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة.

ومات ولى الدين أحمد بن تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد ناظر الجيش، وهو يلى كتابة الدست، ونظر خزائن السلاح، فى سادس عشرين جمادى الآخرة. واستتر بموته، فإنه أسرف حتى ذهب ماله.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد الشاوى، فى ثانى جمادى الأولى. كان أولاً يعانى كحل الأعين، ويقيم أوده من ذلك، فتعلق بفخر الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر، وهو يلى نظر دار الضرب، فاستنابه فيها، وخدم ابن الطبلاوى ففخم أمره، وعين لنظر الخاص، فعاجلته المنية، دون بلوغ الأمية.

(١) الفيوم: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار

٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقرئى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

٣٩٠ سنة سبعمائة وثمان وتسعين

ومات شهاب الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن الشامية موقع الحكم، فى سابع عشرين شعبان.

ومات أمير فرج بن عز الدين أيدير السيفى نائب الوجه القبلى. قتل فى سادس صفر.

ومات الأمير سيف الدين بهادر الأعسر فى يوم عيد الفطر، كان مشرفاً بمطبخ الأمير خجا أمير شكار، ثم خدم زرد كاش الأمير الكبير بلبغا العمرى، وانتقل حتى صار أحد الأمراء، وولى مهندارا ثم شاد الدواوين.

ومات الأمير سيف الدين تمر الشهابى الحاجب، أحد أمراء الطبلخاناه. وكان ينظر فى الفقه على مذهب الحنفية، ويتدين، وخرج عليه العرب، فقاتلهم وجرحوه، فمات من جراحه بعد أيام بالقاهرة.

ومات الأمير سيف الدين تغرى بردى القُرْدُمى، أحد العشراوات، قتل فى محبسه. وومات رضى الدين محمود بن الأقفهى، نقيب القضاة الحنفية، فى خامس عشرين جمادى الآخرة. وكان يعرف الفقه على مذهب أبى حنيفة، ويتقن العربية، وله سيرة مشكورة.

ومات صلاح الدين خليل بن محمد الشطنوفى، موقع الحكم، فى خامس عشر رمضان.

ومات الأمير سيف الدين سودن الشيوخونى الفخرى، نائب السلطان، بديار مصر، فى يوم الثلاثاء خامس جمادى الأولى بعد ما شاخ، وعلت^(١) سنه، وكان خيراً ديناً. ومنذ مات تجاهر الملك الظاهر بمنكرات لم تكن تعرف عنه.

ومات الفقيه صَفَر شاه الحنفى، رسول متملك الروم خوند كار أبى يزيد بن مراد بك بن عثمان، بالقاهرة فى جمادى الأولى.

ومات فتح الدين عبد الله بن فرج المكينى أحد الأقباط الكتاب، فى العشرين من شعبان، ويحكى عنه مكارم جمه.

ومات زين الدين عبد الرحمن بن محمد الشريشى^(٢)، الموقت الفاضل، فى تاسع عشر رمضان.

(١) المقصود كبر سنه.

(٢) نسبة إلى شريش، وهى من كور شنونة بالأندلس، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلاً، وهى على مقربة من البحر، وبين المغرب والقبلة من شريش حصن روضة على شاطئ البحر، بينهما ستة أميال، وهو موضع رباط ومقر للصالحين يقصد من الأفطار، وشريش متوسطة حصينة حسنة الجهات قد أطافت بها الكروم الكثيرة وشجر الزيتون والتين، والحنطة بها ممكنة. انظر معجم البلدان ٣/٣٤٠، والروض المعطار ٣٤٠.

ومات نور الدين على بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض الدميرو المالكى، شيخ القراء بخانكاة شيوخو، وأخو القاضى تاج الدين بهرام، فى ثانى عشرين رمضان.

ومات الأمير سيف الدين قرايغا الأحمدي، أحد الطبلخاناه، وأمير جاندار فى [.....]^(١).

ومات الأمير سيف الدين قطلوبغا الطشتمرى، أحد الأمراء الألف، فقتله العرب.
ومات الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب بن محمد بن كلفت، فى يوم الجمعة سادس عشرين صفر، وهو ممن مات بغير نكبة من وزراء مصر.

ومات الأمير ناصر الدين محمد جُمُق بن الأمير الكبير أيتمش البجاسى، أحد أمراء الطبلخاناه، فى يوم الجمعة خامس صفر.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جركس الخليلى، أحد الطبلخاناه، فى يوم الثلاثاء تاسع صفر.

ومات ناصر الدين محمد بن الشيخ زين الدين مقبل الصرغتمشى. كان بارعا فى علوم الحساب، وكان قصير القامة، أحدا^(٢). مات يوم السبت سادس رجب.

ومات القاضى شمس الدين محمد بن محمد بن موسى الشنشى المعروف بالرخ - أحد نواب الخنفية - خارج القاهرة، فى يوم الخميس سادس جمادى الأول.

ومات تقى الدين محمد بن محمد بن أحمد القاياتى موقع القضاة الخنفية، فى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الأولى.

ومات شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد العزيز صاحب ديوان الجيش، فى ليلة السبت ثالث عشر صفر.

ومات الشيخ شمس الدين محمد الزرزارى الحجاجى الصوفى المعتقد، أمين مطبخ المارستان، فى رابع عشر ربيع الآخر.

ومات فتح الدين صدقة - الذى يقال له أبو دقن - ناظر المواريث، كان يتوكل فى أبواب القضاة، ثم دولب وكالة قوصون بالقاهرة، وخدم معامل الحوائج خاناه

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) الحدب نتوء فى الظهر. انظر المعجم الوجيز ١٣٨.

السلطانية. ثم ولى نظر المواريث، فشكرت سيرته. مات فى أوائل جمادى الآخرة.

ومات الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن حمزه الحسنى العراقى، فى ليلة السبت ثالث ربيع الآخر، ودفن على أبيه خارج القاهرة. قدم مع أبيه إلى القاهرة واتصل أبوه بأرباب الدولة، فدرت أرزاقه، وتمكن من الأمير الكبير يلغا العمرى، حتى مات فى رجب سنة أربع وستين وسبعمائة. دفنه الأمير يلغا بترته خارج القاهرة، وأجرى على ابن مرتضى ما كان يجريه عليه. وكثر اتصاله بأرباب الدولة حتى أثرى، وولى نظر وقف الأشراف ونظر القدس والخليل، وكان شكلا بهيا جميلا، صاحب عبارة وفصاحة بالألسن الثلاثة، العربية والفارسية والتركية.

ومات الشيخ زين الدين مقبل الصرغتمشى الحنفى، أحد الأجناد، فى أول رمضان، وكان عارفا بالفقه والنحو، وهو والد الأحذب.

وماتت خوند^(١) عائشة القردمية بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، فى أول جمادى الأولى، بعد ما كبر سنها، وتلف مالها، بتبذيرها وإسرافها، حتى افتقرت.

ومات ملك المغرب أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم ابن أبى الحسن المرينى^(٢)، صاحب فاس. وأقيم بعده أخوه أبو عامر عبد الله^(٣). رحمة الله تعالى عليهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) لقب يطلق على الملكات أو الأميرات.

(٢) عبد العزيز بن أحمد بن إبراهيم، أبو فارس المرينى، الملقب بالسلطان المستنصر بالله: من ملوك الدولة المرينية فى المغرب الأقصى كان مع أبيه (أبى العباس) المستنصر الأول، فى معتقل أبناء الملوك المرينين، بحمراء غرناطة. وانتقل إلى المغرب حين تم له دخول فاس. وولاه أبوه قيادة الجيش لإخضاع تلمسان، فتوجه إليها وتوفى أبوه فى تازا، فاستدعاه رجال الدولة فبايعوه بها سنة ٧٩٦هـ وانقادت له تلمسان وسائر العرب، فاستمر ثلاث سنين وشهرا ومات بفاس. انظر الاستقصا ١٤١/٢ وجذوة الاقتباس ٢٦٨ والأعلام ١٤/٤.

(٣) عبد الله بن أحمد بن إبراهيم، أبو عامر المرينى، الملقب بالسلطان المستنصر بالله: من ملوك دولة بنى مرينى فى المغرب. بويع بعد وفاة أخيه عبد العزيز (فى أوائل سنة ٧٩٩هـ) وكان تصريف الأعمال فى أيدي الوزراء. وعاجلته الوفاة فى صباه. مدة دولته سنة وخمسة أشهر إلا أيام. انظر الاستقصا ١٤٢/٢ والأعلام ٦٨/٤.

سنة تسع وتسعين وسبعمائة

أهل الحرم يوم الخميس.

ففيه ركب. السلطان، وتصيد ببركة الحاج، وعاد من يومه.

وفي ثانيه: استقر تغرى برمش السيفى فى ولاية الشرقية، عوضا عن على بن غلبك ابن المكلفة، بحكم انتقاله إلى ولاية منفلوط^(١)، عوضا عن بهاء الدين الكردى.

وفي خامسه: ركب الأمير سون طاز اليريد لإحضار الأمير تنم الحسنى نائب الشام.

وفي عاشره: توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس^(٢)، ونزل بالقصور على العادة فى كل سنة، وخرج الأمراء وأهل الدولة، فأقام إلى سادس عشرينه وعاد إلى القلعة. واستقر محمد بن قرابغا الأنباقى فى ولاية أشموم الرمان، وعزل أسنبغا السيفى. وحضر الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب الملك الظاهر مجد الدين عيسى صاحب ماردين^(٣)، فأنعم عليه وعلى من معه، ورتب لهم اللحوم والجرايات. وكان سبب قدومه أن الظاهر عيسى لما قبض عليه تيمور لنك وأقام فى أسره، قام ألطنبغا بأمر ماردين ومنع تيمور لنك منها. وكان الظاهر قد أقام فى مملكة ماردين الملك الصالح شهاب الدين أحمد بن إسكندر بن الملك الصالح صالح، وهو ابن أخيه وزوج ابنته، فقاتل أصحاب تيمور قتالا شديدا، وقتل منهم جماعة، فشق هذا على تيمور، ثم أفرج عن الظاهر بعد أن أقام فى أسره سنتين وسبعة أشهر، وحلفه على الطاعة له وإقامة الخطبة باسمه، وضرب السكة له، والقبض على ألطنبغا وحمله. فعندما حضر إلى ماردين، فر منه ألطنبغا إلى مصر، فرتب له السلطان ما يليق به.

وقدمت رسل تيمور إلى دمشق، فعوقوا بها، وحملت كتبهم إلى السلطان فإذا فيها

(١) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٥/٢١٤، ٢١٥.

(٢) بلدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

(٣) ماردين: مدينة من ديار ربيعة بعمل الموصل، بينها وبين مدينة دار نصف مرحلة، وهى فى سفح جبل فى قنته لها كبيرة، وهى من قلاع الدنيا الشهيرة. انظر معجم البلدان ٥/٣٩، الروض المعطار ٥١٨، الكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

طلب أطمش، فأمر أن يكتب إلى أطمش بما هو فيه ورفيقه من إحسان السلطان، وكتب جوابه بأنه متى أرسل من عنده من أصحاب السلطان، خبر إليه أطمش.

وفي يوم السبت أول صفر: حمل محمود الأستادار إلى عند السلطان، وانتصب له سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الخاص، وفجر عليه، وبالغ في محاقته^(١)، والفحش في الكلام، حتى امتلأ السلطان على محمود غضبا، وأمر بعقوبته حتى يموت، فأنزل إلى بيت الحسام شاد الدواوين.

وفي ثلثه: قدم الأمير تنم نائب الشام، فخرج السلطان إلى لقائه بالريدانية وجلس له على مطعم الطيور، وبعث الأمراء والقضاة إليه، فأتوه به، وسار معه إلى القلعة، وأنزل بالميدان الكبير على موردة الجبس، وبعث إليه السماسط والنفقات، وخمس بقج قماش متصل، وأجرى له الرواتب التي تقوم به، وعمن معه، فحمل تنم تقدمته، وهى عشر كواهي^(٢)، وعشرة ممالك صغار فى غاية الحسن، وعشرة آلاف دينار، وثلثمائة ألف درهم، ومصحف قرآن، وسيف بسقط ذهب مرصع، وعصابة نساوية من ذهب مرصع بجواهر نفيسة، وطرز من ذهب مرصع أيضا، وأربعة كنايش زركش، وأربعة سروج ذهب، وبدلة فرس فيها أربعمائة دينار ذهبا، وأجرة صياغتها ثلاثة آلاف درهم فضة، ومائة وخمسون بقجة فيها أنواع الفرو، ومائة وخمسون فرسا، وخمسون جملا، وخمسة عشر حملا من النصافى ونحوه، وثلاثون حملا من فاكهة وحلوى، وغير ذلك مما يؤكل، واثنى عشرة علبة من سكر النبات.

وفي سادسه: استقر أوناط السيفى فى ولاية قوص^(٣)، وعزل آقبا الزينى.

وفي سابعه: عدى السلطان إلى بر الجزيرة ومعه الأمير تنم، ونزل على شاطئ النيل تجاه القاهرة، وتصيد، ثم عاد فى ثالث عشره.

وفيه استقر تاج الدين عبد الغنى بن صورة فى توقيع الدست، عوضا عن ولى الدين أحمد بن تقى الدين ناظر الجيش.

وفي سابع عشره: جلس السلطان بدار العدل، وركب الأمير تنم فى الموكب تحت القلعة بمنزلة النيابة، وطلع إلى دار العدل، وخلع عليه خلعة الاستمرار. وجرت له من الإصطبل ثمانية جنائب بكنائش وسروج ذهب.

(١) أهلكه وأباده . انظر المعجم الوجيز ٥٧٤.

(٢) الكواهي ومفردها كهى، هى الصقور برسم الصيد.

(٣) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين القسوطا اثنا عشر يوما. انظر

وفيه استقر شرف الدين محمد بن الدماميني فى حسبة القاهرة، وصرف شمس الدين محمد المخانسي.

وفى تاسع عشره: استقر شمس الدين محمد بن أحمد بن محمود النابلسى فى قضاء الحنابلة بدمشق، وكان قد حضر مع الأمير تنم. واستقر تاج الدين عبد الرزاق الملكى ناظر ديوان الأمير تنم - وقد حضر معه أيضا إلى القاهرة - فى نظر الجيش بدمشق، عوضا عن شمس الدين بن مشكور، وخلع عليهما.

وفيه خرج البريد بطلب الأمير جُلْبَان من دمياط.

وفى عشرينه: لبس الأمير تنم قباء السفر، وتوجه فى حادى عشرينه إلى نيابته بدمشق.

وفى خامس عشرينه: عدى السلطان إلى بر الجزيرة، وعاد فى سابع عشرينه.

وفيه قدم الأمير جلبان الكمشبقاوى من دمياط^(١) ومثل بحضرة السلطان، وقبل الأرض، فصفح عنه وألبسه خلعة الرضا، وأنعم عليه بإقطاع الأمير فخر الدين إياس الجرجاوى، وجعله أتابك العساكر بدمشق، وبعث إليه بشمانية أفراس، منها فرس بقماش ذهب.

وفيه سلم إياس الجرجاوى أتابك دمشق إلى ابن الطبلاوى ليخلص منه المال، فالتزم بخمسمائة ألف درهم، وبعث مملوكه لإحضار ماله من دمشق فحلى عنه وهو مريض، فمات بعد يومين.

وفى يوم الخميس رابع ربيع الأول: قبض على الوزير صاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى، وولده تاج الدين، وسائر حواشيه، واستقر عوضه فى الوزارة بدر الدين محمد بن محمد بن محمد بن الطوخى، واستقر عوضه فى نظر الدولة سعد الدين الهيصم.

وفى ثامنه: استقر شرف الدين محمد بن الدماميني فى نظر الجيش، بعد موت جمال الدين محمود العجمى القيصرى، على أربعمائة ألف درهم فضة، قام بها بعد ما حمل فى ولاية الحسبة بالقاهرة مائتى ألف وخمسين ألف درهم فضة، سرق ذلك كله وأضعافه من مال الأمير محمود الأستادار، فإنه كان رفيقا لسعد الدين إبراهيم بن غراب فى مباشرته.

(١) مدينة قديمة بين تيبس ومصر على زاوية بين بحر الروم والملح والنيل. انظر معجم البلدان

وفى تاسعه: استقر شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى، فى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن الجمال محمود العجمى، وهذه ولاته الثانية. وولى كليهما من غير بذل مال، ولا سعى، بل يطلب لذلك. واستقر البهاء محمد بن البرجى فى حسبة القاهرة، عوضا عن ابن الدمامينى بمال قدام به. ولم يل قط إلا بمال، فتشاءم الناس بولايته من أجل أن القمح كان الأرذب منه بنحو ثمانية وعشرين درهما، والبطة الدقيق بأحد عشر درهما، والخبز ستة أرطال بدرهم، فأبيع القمح بستة وثلاثين الأرذب، والبطة الدقيق بأربعة عشر درهما، والخبز دون الخمسة أرطال بدرهم.

وفى سادس عشره: استقر أنواط اليوسفى فى نيابة الوجه القبلى، وعزل عمر بن إلياس، وخرج البريد بطلبه. واستقر محمد بن العادلى فى ولاية قوص عوضا عن أنواط.

وفى تاسع عشره: قدم الأمير طولو بن على شاه من بلاد الروم، وقد توجه فى الرسالة إلى خوندكار بن عثمان، وأخبر بأنه واقع الأكروس، وظفر منهم بغنائم كثيرة، وقتل خلائق لا تحصى، وأن شمس الدين محمد بن الحزرى لحق بابن عثمان، فبالغ فى إكرامه، وجعل له فى اليوم مائة وخمسين درهما نقرة.

وكان خبره أنه لما فر من القاهرة ركب البحر من الإسكندرية إلى أنطاكية^(١) فى ثلاثة أيام يريد اللحاق بابن عثمان، فإنه أقرأ بدمشق القراءات رجلا من الروم يقال له حاجى مؤمن، صار من عظماء أصحاب ابن عثمان، فأكرمه متولى أنطاكية، وبعث به إلى برصا - دار ملك ابن عثمان - من بلاد الروم، فتلقاه أهل برصا، ودخل على ابن عثمان، فأكرمه وأجزى عليه المرتب المذكور، وقاد إليه تسعة أروس من الخيل وعدة مماليك وجواري، وصار يعد من العظماء.

وورد الخبر أيضا بأن الوزير تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر فر من دمشق، وصار من بيروت إلى عند ابن عثمان، فأكرمه، وأجرى عليه فى اليوم خمسين درهما.

وفى حادى عشرينه: قدمت هدية الملك الأشرف ممهد الدين إسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد على بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول^(٢)، متملك اليمن، صحبة برهان الدين إبراهيم المحلى للتاجى، والطواشى افتخار الدين فاخر، وهى عشرة خدام

(١) انظر معجم البلدان ٢٦٦/١، ٢٧٠.

(٢) إسماعيل (الأشرف) بن العباس الأفضل بن المجاهد على بن المؤيد داود، من أبناء على بن رسول، من ذرية جيلة بن الأبهيم. من ملوك الدولة الرسولية. ولى بعد وفاة أبيه الملك الأفضل سنة ٧٧٨هـ. توفى بتعز. انظر العقود اللؤلؤية ١٦٣/٢ والضوء اللامع ٢٩٩/٢ والأعلام ٣١٦/١ و٣١٧.

طواشية، وأربعة عبید، وست جوارى، وسيف بحلية ذهب، مرصع بعقيق، وحياسة^(١) بعوامید عقیق مكلل بلؤلؤ كبار، ووجه فرس مرآة هندية، محلاة بفضة قد رصعت بعقيق، وبراشیم^(٢) وحشية برسم الخيول عشرة، ورماح عدة مائتين، وشطرنج عقيق أبيض وأحمر، وأربع مراوح مطرقة^(٣) بذهب، ومسك ألف مثقال، وعنبر خام ألف مثقال، وزباد^(٤) سبعون أوقية، ومائة مضرب غالية، ومائتي وستة عشر رطلاً من العود، وثلاثمائة واثنين وأربعين رطلاً من اللبان الجاوى، وثلاثمائة وأربعة وستون رطلاً من الصندل، وأربع برانى من الشند^(٥) وسبعمائة رطل من الحرير الخام، ومن البهار والأنطاع^(٦) والصينى، وغير ذلك من تحف اليمن والهند.

وفى ثانی عشرينه: عدی السلطان إلى بر الجزيرة، وعاد فى يوم الأربعاء ثانى ربيع الآخر، فصاح العوام، وشكوا من ابن البرجى المحتسب، وسألوا عزله.

وفى ثالثه: وقف أوباش العامة تحت القلعة، ورصدوا ابن البرجى حتى نزل، ورجموه بالحجارة حتى كاد يهلك، لولا امتنع بيت بعض الأمراء. وكان ذلك بإغراء المخانسی وتفرقته مبلغ مائتي درهم فى عدة من أوباش العامة؛ ليرجموا ابن البرجى، ويسألوا عزله وعود المخانسی، فتم له ذلك واشتد صراخ العامة بعد رجم البرجى، وهو يسألون عزله وولاية المخانسی فاستدعى وخلع عليه من يومه.

وفى خامسه: استقر محمد بن عمر بن عبد العزيز أميرا على هواره، بعد موت أبيه.

وفى ثامنه: ركب شرف الدين محمد بن الدمامينى بفوقانية من صوف أخضر وعذبتة مسبلة عليها من وراء ظهره. ولم يعهد قبله أحد من القضاة الذين يلبسون الجبة، ويلبسون العذبة، يلبس جبة ملونة، بل دائما لا يلبسون شتاء ولا صيفا إلا الجبة البيضاء، وفى الصيف من القطن، وفى الشتاء من الصوف، وكذلك كان الوزراء وأكابر الفقهاء، وأعيان الكتاب، لا يلبسون فى الخدمة السلطانية وأوقات الركوب وعند لقاء بعضهم بعضا إلا البياض دائما، فقير الناس ذلك، وصاروا يلبسون الملونات من الصوف بأمر السلطان لهم على لسان كاتب السر.

(١) الحياصة وجمعها حواصص، هى الحزام أو المنطقة.

(٢) البراشيم: جمع برشوم، وهو برقع يستخدم للخيول.

(٣) المقصود بها مصفحة بالذهب.

(٤) الزباد: الطيب.

(٥) نوع من الرياحين يجلب من الحجاز ويوضع فى محار.

(٦) أنطاع، مفرد نطع، وهى بساط من الجلد. انظر المعجم الوجيز ٦٢١.

٣٩٨ سنة سبعمائة وتسع وتسعين

وفي ثالث عشره: أحضر طيغا الزيني والى الفيوم^(١)، فسُلم لابن الطبلأوى ليعاقبه، واستقر الطنبغا عوضه والى البهنسا^(٢)، واستقر عوضه فى البهنسا خليل بن الطوخى. وفيه ولدت امرأة أربعة أولاد فى بطن، عاش منهم أحدهم.

وفيه تنكر السلطان على قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى، لحدة خلقه.

وفى يوم الخميس ثانى جمادى الأولى توجه الحسام حسين شاد الدواوين إلى مساحة البلاد السلطانية بالوجه القبلى. ونُقل الأمير محمود إلى خزانة شمائل فى ليلة الجمعة ثالثه وهو مريض، فسجن بها.

وفيه أنعم على أمير خضر بن عمر بن أحمد بن بكتُمُر الساقى بإمرة عشرة.

وفى سادسه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وفرق الخيول على الأمراء، كما هى العادة فى كل سنة، وعاد فى عشرينه.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: استدعى تقي الدين عبد الرحمن الزبيرى، أحد الخلفاء الحكم، وفوض إليه قضاء القضاة، عوضا عن الصدر محمد المناوى، ونزل معه الأمير قَلْمُطَاى الدوادار، والأمير نوروز الحافظى رأس نوبة، والأمير فارس حاجب الحجاب فى عدة من الأمراء، وكاتب السر، والقضاة، والأعيان، وعليه التشريف. ولم تخطر ولايته ببال أحد، بل طلبه السلطان على بغته^(٣)، فشق ذلك على المناوى، وعظم عليه أن عزل بنائبه.

وفى سادس عشر جمادى الآخرة: أنعم على ييسق الشينخى بإمرة طبلخاناه. وقدم سرى الدين محمد بن المسلاتى من دمشق بعد عزله.

وفى هذا الشهر: اشتد الغلاء بدمشق، فخرج الناس يستسقون، وثاروا برجل يعرف بابن النشو، كان يحتكر الغلال، وقتلوه شر قتلة، وأحرقوه بالنار.

وفيه استقر الطنبغا حاجب غزة^(٤) فى نيابة الكرك، وعزل ناصر الدين بن مبارك بن المهندار.

(١) الفيوم: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقرئى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

(٢) مدينة مصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٥١٦، ٥١٧.

(٣) بغته - بُغْتَا، وبغته: فجأة وبهته. انظر المعجم الوجيز ٥٧.

(٤) غزة: سبق ترجمتها انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، والروض المعطار ٤٢٨، ومعجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

وفي سابع عشرين رجب: استقر عماد الدين أحمد بن عيسى المقيري الكركي في خطابة القدس، بعد وفاة سري الدين محمد بن المسلاتي. واستقر عوضه في تدريس الجامع الطولوني شيخ الحديث زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي^(١) وسراج الدين عمر بن الملقن عوضه في تدريس وقف الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بقبة الملك المنصور من المارستان. واستقر عوضه في نظر وقف الملك الصالح هذا شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريري المالكي، واستقر علاء الدين علي بن أبي البقاء في قضاء الشافعية بدمشق مرة ثانية، عوضا عن سري الدين أبو الخطاب محمد بن محمد.

وفي ليلة الأحد ثامن شعبان - وحادي عشر بشنس - أبرقت وأرعدت وجاء مطر بعد المغرب، قلما عهد مثله، وهذا من عجيب ما يقع بأرض مصر، ثم أمطرت، غير مرة من الليل.

وفي سادس عشرة: استقر صرغتمش القزويني^(٢) الخاصكي في نيابة الإسكندرية، وعزل قديد ونفى إلى القدس، ونفى أيضا صلاح الدين محمد بن تنكز إلى الإسكندرية، وخرج البريد بارتجاع إقطاع أحمد بن يلغا، وأجبغا الجمالي وخضر الكرمي، فأقاموا ببالين بالبلاد الشامية، وأنعم على شيخ الحمودي بإقطاع صرغتمش القزويني، وعلى طغئجي نائب البيرة^(٣) بإقطاع شيخ، وعلى يشبك العثماني بإقطاع صلاح الدين محمد ابن تنكز، وعلى شيخ السليمانى بعشرة يشبك العثماني. واستقر علاء الدين علي بن الطبلاوي، عوضا عن ابن تنكز في أستاذية الأملاك والأوقاف السلطانية، مضافا لما بيده. واستقر سعد الدين الهيصم في صحابة الديوان المفرد. واستقر عوضه في الاستيفاء بالديوان المفرد الأسعد البهلاق النصراني.

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقي: بجائته، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده في رازنان (من أعمال إربل) تحول صغيرا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفي في القاهرة. من كتبه «المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار» في تخريج أحاديث الأحياء و«نكت منهاج البيضاوي» في الأصول و«ذيل على الميزان». انظر الضوء اللامع ١٧١/٤ وذيل طبقات الحفاظ وغاية النهاية ٤٨٢/١ وحسن المحاضرة ٢٠٤/١ والأعلام ٣٤٤/٣، ٣٤٥.

(٢) نسبة إلى قزوين، ببلاد الديلم، بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخا، وهي نهر الديلم. انظر معجم البلدان ٤/٣٤٢، ٣٤٤، والروض المعطار ٤٦٥.

(٣) البيرة: من كور الأندلس جليلة القدر نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالى الإمام عبد الرحمن بن معاوية، وهو الذى أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك، ومدينة البيرة بين القبلة والشرق من قرطبة. وبين البيرة وغرناطة ستة أميال. انظر معجم البلدان ٥٢٦/١، والروض المعطار ٢٨، والعذرى ٨٨.

٤٠٠ سنة سبعمائة وتسع وتسعين

وفي تاسع عشره: خلع على الأمير حسام الدين حسن الكجكنى عند فراغه من عمل الجسور بالبهنساوية^(١)، وأتقنها إتقاناً جيداً، ولم يقبل لأحد شيئاً من المأكول، فضلاً عن المال.

وفي ثاني عشرينه: استقر زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثاري^(٢) في حسبة مصر، عوضاً عن نور الدين على بن عبد الوارث البكرى بمال التزم به.

وفي ثالث عشرينه: قدمت رسل ابن عثمان متملك الروم إلى ساحل بولاق فخرج إليهم الحاجب بالخيول السلطانية حتى ركبوها إلى حين أنزلوا بدار أعدت لهم.

وفي يوم الجمعة رابع رمضان: أقيمت الخطبة بالجامع الأحمر من القاهرة، وخطب فيه شهاب الدين أحمد بن موسى بن إبراهيم الحلبي الحنفى - أحد نواب القضاة الحنفية - ولم يعهد فيه قط خطبة؛ لكن لما جدد الأمير يلغا السالمى عمارته بنى على بابه مناراً يؤذن عليه، ولم يكن به منارة قبل ذلك، وجدد بوسطه بركة ماء، وبصدره - بحد المحراب - منبراً، فاستمر ذلك.

وفي سابعه: قدّم رسل ابن عثمان هدية مرسلهم. وأحضر صلاح الدين محمد بن تنكز من الإسكندرية، ورسم بإقامته بدمشق، متحدثاً على أوقاف جده تنكز بغير إمرة. فسار إليها.

وفي حادى عشره: استقر عوض التركمانى فى ولاية بلبس^(٣)، وعزل تغرى برمش، واستقر عمر بن إلياس فى ولاية منفلوط^(٤)، وعزل على بن غلبك بن المكللة، واستقر شاد دواليب الخاص بمنفلوط.

(١) مدينة مصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٥١٦/١، ٥١٧.

(٢) شعبان بن محمد بن داود الموصلى، المعروف بالآثاري: أديب، له شعر كثير، فيه هجو ومجون، ولد بالموصل، وتنقل فى البلدان، وتلقب بالآثاري لإقامته فى أماكن الآثار النبوية، مدة. واستقر فى القاهرة، وبها وفاته. له أكثر من ثلاثين كتاباً فى الأدب والنحو، منها «لسان العرب فى علوم الأدب» أرجوزة فى دار الكتب. انظر ديوان الإسلام والضوء اللامع ٣/٣٠١ وشذرات الذهب ١٨٤/٧ ودار الكتب ٢٥٧/٣ و١٨٨/٦ والأعلام ١٦٤/٣.

(٣) مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر معجم البلدان ٤٧٩/٢.

(٤) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٥١٦/١، ٥١٧.

وفيه ترفع شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينه، وسعد الدين الهيصم، ناظر الدولة، فألزم الهيصم بحمل مائة ألف درهم.

وفيه أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع، وخمسة وعشرين أصبعا.

وفي سادس عشرينه: استقر الأمير يلبغا الأحمدي المجنون أستاذار السلطان عوضاً عن الأمير قطلوبك العلای، واستقر قطلوبك على إمرته بعشرين فارساً فتحدث، المجنون في الأستاذارية والكشف. وقبض على ناصر الدين محمد بن محمود الأستاذار، وألزم بثلاثة آلاف دينار بعد موت أبيه، فعوقب عند ابن الطبلاوى عقوبة عظيمة.

وفيه استقر علاء الدين على البغدادى الشريف فى ولاية دمياط^(١)، بعد موت أحمد الأرغونى.

وقدم الوزير تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاکر من بلاد الروم، بعد ما أسره الفرنج، فلزم داره.

وقدم البريد بوصول عساكر تيمور لنك إلى أرزنكان^(٢) من بلاد الروم. وقتل كثير من التركمان، فتوجه الأمير تبرغا المنجكى على البريد لتجهيز عساكر الشام إلى أرزنكان، وندب شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينه، لتجهيز الشعير برسم الإقامات فى منازل طويق الشام. وكان فى أثناء هذه السنة قد قبض الأمير بكلميش العلای أمير سلاح على زين الدين مهنا - دوا داره - بمرافعة موقعه وشاهد ديوانه، صفى الدين أحمد ابن محمد بن عثمان الدميرى، وأخذ منه أربعمائة ألف وخمسين ألف درهم، ثم أفرج عنه، وقبض على الصفى الدميرى وبالع فى عقوبته، وأخذ منه مائة ألف درهم.

وفيه استقر شمس الدين أينا التركمانى الحنفى فى مشيخة القوصونية، وعزل تاج الدين محمد بن الميمونى.

وفى أول ذى القعدة: استقر الطنبغا السيفى والى الفيوم فى نيابة الوجه القبلى وعزل أوناط. واستقر قرايغا مُفرق والى أطفیح^(٣) فى ولاية الفيوم وكشفها، واستقر أسندمر الظاهرى فى ولاية أطفیح.

(١) مدينة قديمة بين تنيس ومصر زاوية بين بحر الروم والملح والنيل. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢،

٤٧٣.

(٢) بلدة طيبة مشهورة، من بلاد إرمينية بين بلاد الروم وخلاط قرية من أرزن الروم. انظر معجم

البلدان ١٥٠/١.

(٣) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان

٢١٨/١.

٤٠٢ سنة سبعمائة وتسع وتسعين

وفى يوم الجمعة ثامنه - وهو عاشر مسرى - : أوفى النيل ستة عشر ذراعًا فركب السلطان إلى المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وفى عاشره: استقر قطلوبغا التركمانى الخليلى أمير آخور فى ولاية البهنسا، عوضًا عن خليل بن الطوخى، واستقر طيغنا الزينى فى ولاية الجيزة، وعزل محمد بن حسن بن ليلى وضرب وصور.

وفى عشرينه: قتل الأمير أبو بكر بن الأحذب، أمير عرك من سيوط^(١)، فأقيم بدله فى الإمرة أخوه عثمان بن الأحذب، واستقر محمد بن مسافر فى ولاية قوص^(٢)، وعزل إبراهيم بن محمد بن مقبل.

وفى أول ذى الحجة: توعك بدن السلطان إلى تاسعه، فنودى بالزينة، فزينت القاهرة ومصر، ودقت البشائر لعافية السلطان.

وفى يوم الثلاثاء عاشره: نزل السلطان إلى الميدان تحت القلعة، وصلى صلاة عيد النحر على العادة.

وفى سادس عشره: جلس بدار العدل.

وفى ثالث عشرينه: ركب إلى خارج القاهرة، وعبر من باب النصر، وعاد إلى القلعة من باب زويلة، فقلعت الزينة.

وفى سادس عشرينه: انتهت زيادة النيل إلى خمسة عشر إصبعا من عشرين ذراعًا، وثبت إلى ثانى بابه، وانحط. ومع ذلك فالسعر فى سائر الأشياء غال، والبطية الدقيق بأكثر من اثنى عشر درهما.

وفيه توجه السلطان إلى السرحة بناحية سرياقوس^(٣)، ونزل بالقصور على العادة فى كل سنة.

وفى ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج بالأمن والرخاء.

وفيهما ولى شرف الدين موسى بن محمد بن محمد بن جمعة الأنصارى، قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن شمس الدين محمد الأحنأى.

* * *

(١) مدينة فى غربى النيل من نواحي صعيد مصر. انظر معجم البلدان ١٩٣/١، ١٩٤.

(٢) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين القسطاظ اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤١٣/٤.

(٣) بليدة فى نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

شهاب الدين أحمد الأرغونى متولى دمياط، فى شوال.

ومات إسماعيل بن الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، بقلعة الجبل، فى خامس عشرين شوال. وكان قد تأمر فى أيام الأشرف شعبان^(١).

ومات أسنبغا التاجى، أحد أمراء العشراوات.

ومات أياس الجرجاوى نائب طرابلس، وأحد أمراء الألوفا بالقاهرة.

ومات أبو بكر بن محمد بن واصل، المعروف بابن الأحذب، أمير عرك، فى عشرين ذى القعدة قتيلا.

ومات بيبرس التمان تمرى أمير آخور، فى رابع عشر جمادى الآخرة.

ومات عمر بن عبد العزيز أمير هواره.

ومات الشيخ المعتقد حسن القشتمرى، فى تاسع عشر جمادى الأولى.

ومات شعبان بن الملك الظاهر برقوق^(٢)، وهو طفل، فى ثامن عشرين ربيع الأول.

ومات الشيخ المسند المعمر زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن مبارك بن حماد الغزى^(٣)، المعروف بابن الشيخة الشافعى. ولد فى سنة خمس عشرة وسبعماية^(٤) تخميننا. وأخذ الفقه على مذهب الشافعى عن التقى السبكى. وحدث بصحيحى

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاوونية. بمصر والشام. ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه (محمد بن حاجى) سنة ٧٦٤ هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤ والأعلام ١٦٣/٤، ١٦٤.

(٢) برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوباً إليه. ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة تولى السلطنة سنة ٧٨٤ وتلقب بالملك الظاهر. توفى بالقاهرة. انظر ديوان الإسلام وابن إياس ٢٥٨/١ و٢٩٠ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

(٣) عبد الرحمن بن المبارك بن حماد الغزى ثم القاهرى، أبو الفرج البزاز الفتوحى ويعرف بابن الشيخة: من المشتغلين بالحديث. كان يكتب فى حانوت «بز» بباب الفتوح فى القاهرة وتركه لما كبر. له «أحاديث عوال وفوائد متقاة» فى دار الكتب. انظر الدرر الكامنة ٣٢٤/٢ وشذرات ٣٥٩/٦ ومخطوطات الدار ١٨/١ والأعلام ٢٩٥/٣.

(٤) المقصود مائة.

٤٠٤ سنة سبعمائة وتسع وتسعين

البخارى ومسلم، وسنن أبى داود، وموطأ مالك، وغير ذلك مما يطول شرحه، وتصدى للأسماع عدة سنين، حتى مات فى تاسع عشرين ربيع الآخر خارج القاهرة، وكان شيخا مباركا.

ومات الشيخ نور الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي - بفتح العين - المكي، إمام المالكية بالمسجد الحرام، وأخو القاضى أبى الفضل المعروف بالفقيه على النوبرى، فى ثانى جمادى الأولى بمكة، وسمع وحدث.

ومات على النوسانى، شيخ ناحية صندفا^(١) من الغربية، فى ثالث عشر شوال، وكان له ثراء واسع.

ومات زين الدين قاسم بن محمد بن إبراهيم المغربى المالكي، فى حادى عشر المحرم، درس الفقه زمانا بالجامع الأزهر، وكتب على الفتوى، وكان متدينا خيرا.

ومات محب الدين محمد بن شمس الدين محمد الطرئى أحد نواب القضاة الشافعية، خارج القاهرة، فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم.

ومات الشيخ محب الدين محمد بن الشيخ جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام النحوى، فى ليلة الإثنين رابع عشرين رجب، وقد تصدر لإقراء النحو سنين. وكان خيرا دينيا.

ومات شمس الدين محمد بن على بن حسب الله بن حسون الشافعى، فى عاشر شعبان.

ومات ناصر الدين محمد بن فخر الدين أياز الدوادارى، أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات سرى الدين أبو الخطاب محمد بن محمد بن عبد الرحيم بن على بن عبد الملك، المعروف بابن المسلاتى، قاضى القضاة الشافعية بدمشق. مات بالقاهرة فى يوم الخميس سابع عشرين رجب.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى، قاضى القضاة الحنفية بالقاهرة ومصر، فى يوم السبت ثامن عشرين ذى الحجة، وكان من خيار من ولى القضاء عفة، وصرامة وشهامة.

ومات جمال الدين محمود بن محمد القيصرى العجمى قاضى القضاة الحنفية وناظر الجيوش، وشيخ الشيخونية، فى ليلة الأحد سابع ربيع الأول.

(١) صندفا أو سندفا من القرى المتاخمة لمدينة المحلة الكبرى بالغربية.

ومات الأمير جمال الدين محمود بن على بن أصفر. عينه الأستاذار، فى يوم الأحد تاسع رجب، بخزانة شمايل، بعد ما نكب نكبة شنة^(١)، ودفن بمدرسته خارج باب زويلة. وجملة ما أخذ منه فى مصادرتة للسلطان ألف ألف دينار، وأربعمائة ألف دينار ذهباً، وألف ألف درهم فضة، وبضائع وغلل، وغير ذلك بألف ألف درهم فضة، وتلف له وأخفى هو شيئاً كثيراً.

ومات الوزير صاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى القطبى الأسلمى، فى ليلة الإثنين رابع جمادى الآخرة، مخنوقاً بعد عقوبة شديدة.

ومات الشريف إبراهيم بن عبد الله الأخلاطى، فى يوم الأربعاء تاسع عشرين جمادى الأولى.

ومات قاضى القضاة نجم الدين أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أبى العز بن صالح بن أبى العز وهيب بن عطا بن جبير بن جابر بن وهيب المعروف بابن أبى العز، قتيلاً بدمشق، فى مستهل ذى الحجة. وقد باشر قضاء مصر، كما تقدم فى سنة سبع وسبعين، واستعفى، ومضى إلى دمشق، وولى بها قضاء القضاة الحنفية غير مرة، وصرف، فلزم بيته حتى مات، رحمه الله.

* * *

سنة ثمانمائة

أهل المحرم يوم الإثنين: ويوافقه من شهور القبط اليوم السابع والعشرون من توت، والنيل قد انتهت زيادته وبدأ ينحط.

وفيه ركب السلطان، وعاد الأمير بكلمش، وسار إلى شاطئ النيل وعاد إلى القلعة. وفي ثانيه: قدم ناصر متملك بلاد النوبة فاراً من ابن عمه، فأكرمه السلطان وخلع عليه، وأعاد الصارم إبراهيم الشهابي إلى ولاية أسوان^(١)، وتقدم إليه بمعاونة ناصر. وفي ثامنه: توجه السلطان إلى السرحة بناحية سرياقوس، ونزل بالقصور على العادة في كل سنة.

وفيه كُتب بعود العسكر المجرد بسبب تيمور لنك، وقد قربوا من بلد سيواس. وفي ثاني عشرينه: خرج على البريد بكتُمّر جلق لإحضار الأمير تغرى بردى^(٢) من يَشْبُغا نائب حلب، وكتب بانتقال أرغون شاه الإبراهيمي من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب. وسار على البريد الأمير يشبك العثماني بتقليده. ورسم بانتقال آقبا الجمالي من نيابة صفد^(٣) إلى نيابة طرابلس، وتوجه لتقليده الأمير أزدُمُر أخو أيناك، ومعه أيضا الأمير تنم الحسنی باستمراره في نيابة دمشق، ورسم بانتقال شهاب الدين أحمد بن الشيخ على من نيابة غزة إلى نيابة صفد، وتوجه لتقليد الأمير يلبغا الناصري رأس نوبة.

وفي ثامن عشره: قدم سوابق الحاج وأخبروا أنه هلك بالسبع وعرات^(٤) من شدة الحر نحو ستمائة إنسان، وأنه هلك من حاج الشام زيادة على ألفى إنسان، وأن ودائع الحاج التي بعقبة أيلة نهبت.

وفي خامس عشرينه: عاد السلطان من سرياقوس. ولم يخرج إليها بعد ذلك، ولا أحد من السلاطين، وجهلت عوائدها، وخربت القصور، وكانت من أجمل عوائد ملوك مصر.

(١) أسوان: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٤٠/٣، الإدريسي ٢١.

(٢) الأمير تغرى بردى هو والد المورخ المعروف أبو المحاسن يوسف.

(٣) مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان. انظر معجم البلدان

٤١٢/٣.

(٤) السبع وعرات موضع قرب ينبع يعرف أيضا بالمخاطب لأن أهل ينبع يجمعون منه حطبهم.

وفي تاسع عشرينه: - فى وقت الخدمة السلطانية بالقصر - قبض على الأمير الكبير كمشبقا الحموى أتابك العساكر، وعلى الأمير بكلمش العلای أمير سلاح، وقيدا. ونزل الأمير قلمطای الدوادار، والأمير نوروز الحافظی رأس نوبة، والأمير فارس حاجب الحجاب إلى الأمير شيخ الصفوى، ومعهم خلعة بنياية غزة، فلبسها وخرج من وقته ليسافر، ونزل بخانكة سرياقوس.

وفي ليلة الثلاثاء سلخه: توجه الأمير سودن الطيار بكُمُشبقا وبكلمش فى الحديد إلى الإسكندرية، فسجنا بها.

وفي الغد استعفى الأمير شيخ من نياية غزة وسأل الإقامة بالقدس، فرتب له النصف من قريتي بيت لحم، وبيت جاله من القدس يرتفق بهما، وسار إلى القدس.

وفيه عرض السلطان مماليك الأمير كمشبقا وأولاده ومماليك بكلمش، فاختار منهم طائفة، وفرق البقية على الأمراء. وقبض على شاهين رأس نوبة كُمُشبقا.

وفي يوم الخميس ثانى صفر: استقر الأمير أيتمش البجاسى أتابك العساكر، وأنعم عليه وعلى الأمير قلمطای الدوادار، والأمير تانى بك أمير أخور بيلاد من إقطاع كمشبقا، وأنعم ببقيته على الأمير سودن المعروف بابن أخت السلطان، وصار من أمراء الألوف. وأنعم بإقطاع سودن المذكور على الأمير عبد العزيز ولد السلطان. وأنعم بإقطاع بكلمش على نوروز الحافظی رأس نوبة، وبإقطاع نوروز على الأمير أرغون شاه الأقبناوى، وبإقطاع أرغون شاه على الأمير يلغا الأحمدي الجنون الأستاذار. وأنعم بإقطاع شيخ الصفوى على الأمير تغرى بردى قبل قدومه من حلب.

وفي رابعة: استقر الأمير باى خجاطيفور الشرفى أمير أخور بنياية غزة.

وفي سادسه: ركب السلطان للصيد، وشق القاهرة من باب القنطرة، وعاد إلى القلعة من باب زويلة.

وفي تاسعه: استقر الأمير بييرس ابن أخت السلطان أمير مجلس، عوضا عن شيخ الصفوى.

وفي حادى عشره: توجه السلطان للصيد، وعاد فى ثالث عشره.

وفي رابع عشره: سُمِر شاهين رأس نوبة كُمُشبقا، وطيف به ثم وسُط.

وفي سادس عشره: لبس طيفور نائب غزة قباء السفر، وتوجه إلى غزة.

وفي ثامن عشره: سار السلطان إلى بر الجيزة، وأقام بها.

وفى عشرينه: قدم تمرُّبغا المنجكى على البريد، بعد ما جهز عساكر الشام مع الأمير تيم نائب دمشق إلى أرزن كان^(١).

وفى ثالث عشره: عاد السلطان من بر الجيزة إلى القلعة.

وفى سابع عشرينه: أنعم على يلبغا السالى الخاصكى بإمرة عشرة، عوضا عن بهادر فطيس، وانتقل بهادر إلى إمرة طبلخاناه.

وفيه استقر شمس الدين محمد الشاذلى فى حسبة مصر، وعزل شعبان بن محمد الآتارى.

وفى يوم الخميس أول ربيع الأول: استقر حسن بن قراجا العلالى فى ولاية الجيزة، وعزل يلبغا الزينى.

وفى ليلة الجمعة ثانيه: عمل السلطان المولد النبوى على عادته فى كل سنة، وحضر شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى^(٢)، والشيخ إبراهيم بن زقاعة، وقضاة القضاة، وعدة من شيوخ العلم فى الحوش من القلعة تحت خيمة ضربت هناك. وجلس السلطان وعن يمينه البلقينى وابن زقاعة، وعن يساره الشيخ أبو عبد الله المغربى، وتحت القضاة. وحضر الأمراء فجلسوا على بعد منه. فلما فرغ القراء من قراءة القرآن، قام الوعاظ واحدا بعد واحد فدفع لكل منهم صرة فيها أربعمائة درهم فضة، ومن كل أمير شقة حرير، وعدتهم عشرون واعظا. ثم مدت الأسمطة الجليلة. فلما أكلت، مدت أسمطة الحلوى، فانتهبت كلها. فلما فرغ الوعاظ مضى القضاة، وأقيم السماع من بعد ثلث الليل إلى قريب الفجر.

وفى خامس عشره: قدم الأمير تغرى بردى من حلب، فخرج السلطان وتلقاه من الريدانية خارج القاهرة، وسار به معه إلى القلعة، وأنزله فى دار تليق به، وبعث إليه خمسة أفراس، بقج فيها ثياب.

(١) بلدة طيبة مشهورة من بلاد أرمينية بين بلاد الروم وخلات قرية من أرزن الروم. انظر معجم

البلدان ١٥٠/١.

(٢) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ الحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩ هـ، وتوفى بالقاهرة من كتبه «التدريب» فى فقه الشافعية، و«تصحيح المنهاج» فى الفقه. انظر: لحظ الألفاظ، وذيل طبقات الحفاظ، والضوء اللامع ٨٥/٦ وشذرات الذهب ٥١/٧ وحسن الحاضرة ٨٣/١ والخزانة التيمورية ٣٨/٣ والأعلام ٤٦/٥.

وفي سادس عشره: استقر أقبغا المزوق واليا بالأشمونين^(١)، عوضا عن الشهاب أحمد المنقار.

وفي سابع عشره: حمل الأمير تغرى بردى تقدمته، فكانت عشرين مملوكا، وثلاثين ألف دينار عينا، ومائة وخمسا وعشرين فرسا، وعدة جمال، وأحمالا من الفرو والثياب. وفيه توجه السلطان إلى بر الجيزة، وعاد.

وفي تاسع عشره: استقر قُطْلُوْبُغا الخليلي التركمانى فى ولاية الشرقية، وعزل عوض التركمانى.

وفيه خلع على الأمير يلغا الأستاذار، واستقر فى كشف الوجه البحرى.

وفي هذا الشهر: وقع بالوجه البحرى وباء، وفشت الأمراض بالقاهرة ومصر. وكان قد خرج جماعة من الأمراء إلى الصعيد فمرض أكثرهم، وعاد الأمير قَلْمطَاى الدوادار فى يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر، وهو مريض، لا يثبت على الفرس. ومات الأمير تمان شاه الشيخونى، فأنعم على ابنه عبد الله بإمرته.

ومات طوغان العمرى الشاطر أحد العشراوات، فأنعم على سودن من زاده بإمرته، واستقر علاء الدين على الحلبي فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن أمير على السيفى.

وفي حادى عشره: ركب السلطان، وعاد الأمير قَلْمطَاى، ففرش تحت حوافر فرسه شقاق الحرير، مشى عليها من باب داره حتى نزل بباب القصر فمشى على شقاق النخ المذهب حتى جلس. وقدم إليه طبقا فيه عشرة آلاف دينار، وخمسة وعشرين بقجة قماش، وتسعة وعشرين فرسا، وغلاما تركيا بديع الحسن.

وفيه قدم الخير بمسير تيمور لنك من سمرقند^(٢) إلى بلاد الهند، وأنه ملك مدينة دله^(٣).

وفي خامس عشره: شكى الشهاب أحمد بن أبى بكر بن محمد العبادى الحنفى غريمه السالى إلى السلطان فأفحش فى المخاطبة، فرسم بسجنه بخزانة شمایل بعد ما رسم بضربه بالمقارع، ولولا أنه شفع فيه لضرب.

(١) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

(٢) سمرقند: مدينة من خراسان، ويقال: إن شمر بن أفرقش غزا أرض الصعيد حتى وصل إلى سمرقند فهدمها ثم ابتناها، ويقال إنها بنيت أيام الإسكندر وتولى شمر فقيلى شمر قند، وعربت فقيلى سمر قند. انظر معجم البلدان ٢٤٨/٣، والروض المعطار ٣٢٢، ٣٢٣.

(٣) مدينة كبيرة فى الهند.

وفي ثامن عشره: قدم على البريد جمال الدين يوسف بن صلاح الدين موسى بن شمس الدين محمد الملطى^(١) الفقيه الحنفى من حلب باستدعاء؛ ليلى قضاء الحنفية، فنزل عند بدر الدين محمود الكستانى كاتب السر، واستقر فى قضاء الحنفية بالقاهرة ومصر، عوضا عن شمس الدين محمد الطرابلسى، فى يوم الخميس عشرينه. ونزل بالخلعة ومعه عدة أمراء، بعدما شغل قضاء الحنفية مائة يوم وأحد عشر يوما. وأنعم على جاني بك اليحياوى بإمرة عشرة، عوضا عن آق بلاط الأحمدي.

وفي يوم الإثنين ثامن جمادى الأولى: أنعم على الأمير ألى باى بتقديمه تانى بك أمير آخور، بعد موته.

وفي تاسعه: استقر مقبل - أحد المماليك الظاهرية - فى ولاية قليوب، عوضا عن محمد العلاى.

وفي ثامن عشره: أنعم على الأمير يشبك العثمانى بتقديمه قلمطاي بعد وفاته وعلى الأمير أسنبا العلاى الدوادر الثانى بطبلخاناة بكمتر الركنى، وعلى بكمتر بطبلخاناة ألى باى، وعلى محمد بن الأمير قلمطاي بإمرة عشرة، وعلى أقباى الطرنطاي بطبلخاناة، وعلى تنكزبا الحططى بإمرة عشرين.

وفي عشرينه: استقر صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود القيصرى فى توقيع الدست، عوضا عن ناصر الدين محمد بن بدر الدين حسن الفاقوسى بعد عزله.

وفيه عدى السلطان إلى بر الجيزة، وعاد فى خامس عشرينه.

وظهر فى هذا الشهر خرطوم من جزيرة أروى^(٢)، امتد إلى تجاه جامع الخطيرى من بولاق، فيما بين الجامع وناحية منبابة من البر الغربى.

وفي تاسع عشرينه: استقر تغرى بردى من يشبغا أمير سلاح، وأقبا الطولوتبرى - المعروف باللكاش - أمير مجلس، والأمير نوروز الحافظى أمير آخور، والأمير بيسرس ابن أخت السلطان دوادرا، والأمير ألى باى العلاى خازندارا، وخلع السلطان على الجميع

(١) يوسف بن موسى بن محمد، أبو الخاسن جمال الدين الملطى: قاضى حنفى أصله من «خرتبرت» بديار بكر. ومولده بملطية (فى شمالى سورية) استقر فى حلب، وولى قضاء الحنفية بمصر فى أواخر أيامه. توفى بالقاهرة. له كتب، منها «المعتصر من المختصر» فى فقه الحنفية. انظر الضوء اللامع ٣٣٥/١٠ وإعلام النبلاء ١٣٣/٥ وشذرات الذهب ٤٠/٧ والأعلام ٨ / ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) من الواضح أن المقصود هنا لسان أو بروز من الأرض امتد من جزيرة أروى فى ماء النيل حتى بولاق.

الأطلسيين. واستقر على بن غلبك في ولاية منفلوط^(١) بعد قتل عمر بن إلياس: واستقر شمس الدين محمد الأخنأى الدمشقى فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن علاء الدين على بن بهاء الدين أبى البقاء.

وفى يوم الثلاثاء ثامن جمادى الآخرة: حضر الوزير علم الدين عبد الوهاب سن إبرة بطلب، من الإسكندرية وهو يلى نظرها، فضرب بين يدى السلطان بالمقارع.

وفى ثانى عشره: عدى السلطان إلى الجيزة، وعاد فى رابع عشرينه. وكتب بعزل تاج الدين أبى بكر بن معين الدين محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن محمد، المعروف بابن الدمامينى من قضاء الإسكندرية، وكان قد وليها بسفارة أخيه شرف الدين، فلم تُشكر سيرته لعدم أهليته. واستقر عوضه ابن الربعى، بسفارة سعد الدين إبراهيم بن غراب.

وفى هذا الشهر: منع الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى من الحديث فى إسكندرية، وتحدث فيها سعد الدين إبراهيم بن غراب، فولى أخاه فخر الدين ماجد نظر الإسكندرية. وخرج أمير فرج بالكشف على ابن الطبلاوى.

وفى يوم الجمعة ثانى رجب: أفرج عن الشهاب العبادى من سجنه بخزانة شمائل.

وفى ثامنه: خلع على شمس الدين محمد المخانسى خلعة الاستمرار، واستقر تماراز قمارى فى شد الأحواش، وأمير شكار بعد موت شرف الدين موسى بن قمارى.

وفى ليلة الجمعة ثامن شعبان: قبض على الأمير علاء الدين على بن سعد الدين عبد الله بن محمد بن الطبلاوى وجماعة من أزمه. وذلك أن سعد الدين إبراهيم بن غراب لما تسور على مخدومه الأمير جمال الدين محمود الأستادار - بمعاونة ابن الطبلاوى - وتمالقا عليه حتى نكب وهلك كما ذكر؛ صار ابن غراب بعده من أعيان الدولة، فالتفت إلى ابن الطبلاوى وقد صار عظيم أهل الدولة، وظاهر عليه الأمير يلغا المجنون الأستادار، وقد نafs ابن الطبلاوى، وما زال به يحمله عليه حتى أغرى به السلطان حسدا منه وبغيا^(٢)، إلى أن قرر معه القبض عليه، فأشاع أنه وُلد له ولد ودعا إلى عمل وليمة، فحضر ابن الطبلاوى ومعه ابن عمه ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن الطبلاوى - المعروف بابن سُتَيْت - وحضر الناس، وفيهم الأمير يعقوب شاه

(١) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٥/٢١٤،

الخازندار، وقد رسم له بمعاونة ابن غراب فى القبض على ابن الطبلاوى، فعندما استقر بالناس الجلوس بعث ابن غراب بالأمير بهاء الدين أرسلان نقيب الجيش، فقبض على ناصر الدين محمد بن سعد الدين عبد الله بن محمد بن الطبلاوى والى القاهرة، وأكثر حواشيه، وحواشى أخيه علاء الدين. فلما علم ابن غراب بالقبض عليهم مد السباط ليأكل الناس، فتقدم الأمير يعقوب شاه، وقبض على علاء الدين وابن عمه ناصر الدين، وتوجه بهما. ووقعت الحوطة فى الليل على دور الجميع، وتبعت من الغد أسبابهم وأتباعهم، فتجمعت العامة ورفعوا الأعلام، وحملوا المصاحف، ووقفوا تحت القلعة يسألون إعادة ابن الطبلاوى، فأمر بضربهم، ففروا. وأمر الأمير يلبغا المجنون الأستاذار بمعاينة ابن الطبلاوى، واستخلاص الأموال منه ومن حواشيه وأهله.

وفى ثانى عشره: حمل ابن الطبلاوى على فرس، وفى عنقه طوق من حديد مع الأمير يلبغا المجنون، وشق به القاهرة نهارا، حتى دخل به إلى منزله برحبة باب العيد، فأخرج منه اثنين وعشرين حمالا، ما بين سمور وغيره من أنواع الفرو، وثياب صوف ومالا، ذكر أنه مبلغ مائة وستين ألف دينار.

وفى ثالث عشره: أخذ من داره أيضا ألف ومائتا قفة فلو سا، صرّفها ستمائة ألف درهم، ومن الدارهم الفضة خمسة وثمانون ألف درهم، وجملة من الذهب.

وفى رابع عشره: استقر الأمير الكبير أَيْتَمِشُ الأتابك فى نظر المارستان المنصورى، عوضا عن ابن الطبلاوى.

وفى سادس عشره: طلب ابن الطبلاوى الحضور إلى مجلس السلطان، فلما حضر طلب من السلطان أن يُدنيه منه، فاستدناه حتى بقى على قدر ثلاثة أذرع منه، قال له: «تكلم». قال: «أريد أسار^(١) السلطان فى أذنه»، فلم يمكنه من ذلك، فألح ابن الطبلاوى فى طلب مسارة السلطان فى أذنه، حتى استراب منه، وأمر بإبعاده واستخلاص المال منه. فمضى به الأمير يَلْبُغا المجنون، حتى خرج من مجلس السلطان إلى باب النحاس، حيث يجلس خواص الخدام الطواشيه، فجلس ابن الطبلاوى هناك ليستريح، وضرب نفسه بسكين كانت معه ليقتل نفسه، فلم يكن سوى أنه جرح نفسه فى موضعين وثار به من معه ومنعوه من قتل نفسه، وأخذوا السكين. ووقعت الصرخة حتى بلغ السلطان الخبر، فلم يشك فى أنه أراد اغتياله وقتله بهذه السكين، فأمر بتشديد عقوبته، فمضى به الأمير يَلْبُغا، وعاقبه فأظهر فى سابع عشره خبية فيها مبلغ ثلاثين ألف دينار، ثم دلّ على

(١) ساره فى أذنه مُسارة وسرار.

أخرى فيها مبلغ تسعين ألف دينار، ثم عشرين ألف دينار، وتُبِعَت أحواله وأبيع موجوده وعقاره، وألزم ابن عمه ناصر الدين محمد بحمل مائتى ألف درهم، وعوقب عقوبة شديدة حتى أوردتها، وألزم أخوه ناصر الدين محمد بمائة ألف درهم، وألزم أربعة من خواصه بمائتى ألف درهم.

وفيه استقر بهاء الدين أرسلان فى ولاية القاهرة، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الطبلأوى.

وفيه شكى على تاج الدين أبى بكر بن الدمامينى قاضى الإسكندرية، فضرب بين يدى السلطان، ورسم عليه ليرضى شكاته.

وفى ثامن عشرينه: أعيد بهاء الدين محمد بن البرجى إلى حسبة القاهرة، وعزل المخانسى.

وقدم رسول الملك الظاهر مجد الدين عيسى متملك ماردین^(١) بكتابه، يتزامى على التزام الطاعة، ويعتذر من طاعته لتيemor لنك بأنه أقام عنده فى قيد زننه خمسة وعشرون رطلا من الحديد مدة سنتين، حتى حلف له بالطلاق، وغير ذلك من الأيمان، أنه يقيم على طاعته، فأفرج عنه، وأنه وفى بما حلف له عليه، وعاد إلى طاعة السلطان، فأجيب بالشكر والثناء، وجهاز إليه تشريف ومبلغ ثلاثين ألف دينار، وكتب تقليده بنبابة ماردین.

وفيه استقر تغرى برمش السيفى متولى القاهرة - قبل ذلك أحد حجاب دمشق - متحدثا على مستأجرت الديوان المفرد ببلاد الشام، عوضا عن الشهاب أحمد بن النقيب الیغمورى.

وفى يوم الإثنين ثالث شهر رمضان: وصل الأمير قُطْلُوبغا الخليلی أمير أخور للتوجه إلى بلاد المغرب بسبب شراء الخيول، ومعه مائة وعشرون فرسا ورسل ملوك المغرب، فقدم رسول صاحب فاس^(٢) ثلاثين فرسا، وبغلتين منها ثمانية بقماش ذهب، وباقيهم دون ذلك، وثلاثين سيفا محلاة بذهب، وثلاثين مهمازا من ذهب، وقماش، وغير ذلك.

(١) ماردین: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٩/٥، والروض المعطار ٥١٨، والكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

(٢) فاس: مدينة عظيمة، وهى قاعدة المغرب، وهما مدينتان مقترتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادى فاس، يأتى من عيون تسمى عيون صنهاجة. انظر معجم البلدان ٢٣٠/٤، والروض المعطار ٤٣٤، والإدريسى ٥٠/٧٥، والبكرى ١١٥ وما بعدها، وابن الوردى ١٤، وصبح الأعشى ١٥٤/٥.

وقدّم رسول تلمسان^(١) أربعة وعشرين فرسا مسرجة ملجمة، وبغلتين وأربعة وعشرين سيفاً بحلية من ذهب، وأربعة عشر مهمازا من ذهب، وكثيرا من القماش وغيره.

وقدّم رسول صاحب تونس ستة عشر فرسا مسرجة ملجمة بذهب، وقماشاً كثيراً. وفيه نزل تيمور لنك على بغداد بجموعه، وقد حصنها السلطان أحمد بن أويس، فسار عنها من الغد نحو همذان^(٢).

وفي ثالث عشره: أنعم على أمير فرج الحلبي بإمرة علاء الدين على بن الطبلاوى، واستقر في دار الضرب، وأنعم على ناصر الدين محمد بن سنقر البكجى بإمرة أمير فرج. واستقر شهاب الدين أحمد بن حسن بن علي بن بلبان - المعروف بابن خاص ترك، أحد البريدية - شاد الدواوين، عوضاً عن الحسام ابن أخت الغرس، بإمرة عشرة.

وفي يوم الأربعاء ثالث شوال: أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع، واثني عشر إصبعا.

وفي خامسه: ضرب علاء الدين على بن الطبلاوى ضرباً مبرحاً، فلم يعترف بشيء من المال.

وفي خامس عشره: ختن السلطان ولديه، الأمير فرج والأمير عبد العزيز وختن عدة من أولاد الأمراء المقتولين، منهم ابن الأمير منطاش، وكساهم وأنعم عليهم، وعمل مهماً عظيماً بالقلعة للنساء.

وفي ثامن عشره: نقل علاء الدين على بن الطبلاوى من دار الأمير الأستاذار إلى خزانة شمایل، فسجن بها، بعد أن نوعت عقوباته، واشتد عذابه.

(١) تلمسان: مدينة بالمغرب، وهي قاعدة المغرب الأوسط، وحد المغرب الأوسط من واد يسمى بجمع وهو في نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب، وبلاد المغرب في الطول والعرض من البحر الذي على ساحله مدينة وهران ومليانة وغيرهما إلى مدينة سول وهي مدينة في أول الصحراء وهي على الطريق إلى سجلماسة، وواركلان وغيرهما من بلاد الصحراء ومدينة تلمسان أول بلاد المغرب، وهي على طريق الداخل والخارج منه ولا بدّ من الاحتياز عليها في كل حال. انظر معجم البلدان ٤٤/٢، والروض المعطار ١٣٥، ١٣٦، والاستبصار ١٧٦، والبكري ٧٦.

(٢) همذان: بالذال المعجمة، مدينة من عراق العجم من كور الجبل، كبيرة جداً فرسخ في مثله، محدثة إسلامية، ولها أربعة أبواب، وهي كثيرة المياه والبساتين والزروع. انظر معجم البلدان ٤١٠/٥، ٤١٧، والروض المعطار ٥٩٦، وابن حوقل ٣٠٨، والكرخي ١١٧، واليعقوبي ٢٧٢، ونزهة المشتاق ٢٠٣.

وفيه استقر يحيى الدين محمود بن نجم الدين أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن محمد ابن أبي العز صالح بن أبي العز، المعروف بابن الكشك الدمشقي، فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن تقي الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكُفري.

وفى خامس عشرينه: استعفى سعد الدين إبراهيم بن غراب من نظر الديوان المفرد ونظر الكارم، فأعفى منهما.

وفيه قدم البريد بأن الحريق وقع بدمشق فى ليلة السبت عشرينه، وأقام إلى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه، فتلف فيه معظم أسواق المدينة، وتشعث جدار الجامع القبلى.

وفى يوم الإثنين سابع ذى القعدة: استقر سعد الدين بن غراب فى نظر الجيش، وعزل شرف الدين الدمامينى، وبقي بيد ابن الدمامينى نظر الكسوة.

وفى ثامنه: عزل شعبان بن محمد الآتارى من حسبة مصر، بعد ما نودى عليه بها، فحضر عدة من شكاته إلى الدوادار، وادعوا عليه بقوادح، فأهين إهانة بالغة، ومن العجب أنه لما عزل ابن الدمامينى من نظر الجيش، أظهر شماعة بعزله، ونادى بعزله فى مصر، فاتفق له هذا من الغد.

وفى تاسعه: أفرج عن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى.

وفى عاشره: أعيد شمس الدين محمد الشاذلى إلى حسبة مصر، بعد عزل شعبان الآتارى، وكان قد ولى قبل ذلك بحال، ففر من مطالبة أرباب الديون بمالهم.

وفى نيلة السبت ثانى عشره: وقع حريق بدار التفاح^(١) خارج باب زويلة، فركب الأمير يَشْبُك الخازندار، والأمير فارس حاجب الحجاب، وطفياه بمن معهما.

وفى يوم السبت هذا: عمل السلطان مهماً عظيماً بالميدان تحت القلعة، سببه أنه لعب بالكرة على العادة، فغلب الأمير أَيْتَمُش، والتزم أَيْتَمُش بعمل مهم بمائتى ألف درهم كونه غُلب، فقام السلطان عنه بذلك، وألزم به الوزير بدر الدين محمد بن الطوخى، والأمير يلغا الأستاذار. ونصبت الخيم بالميدان، وعمل المهم، فكان فيه من اللحم عشرون ألف رطل، ومائتا زوج أوز، وألف طائر من الدجاج، وعشرون فرسا ذبحت، وثلاثون قنطارا من السكر عملت حلوى ومشروبا، وثلاثون قنطارا من الزبيب، لعمل المشروب المباح والمسكر، وستون إردبا دقيقا لعمل الشراب المسكر،

(١) دار التفاح: فندق تجاه باب زويلة، يرد إليه الفواكه على اختلاف أصنافها.

وعملت المسكرات فى دنان الفخار. ونزل السلطان سحر يوم السبت، وفى عزيمه أن يقيم نهاره مع الأمراء والمماليك يعاقرهم^(١) الشراب، فأشير عليه بترك هذا، وخوف العاقبة، فمد السماط وعاد إلى قصره قبل طلوع الشمس، وأنعم على كل من الأمراء المقدمين بفرس عليه قماش ذهب، وأنعم على الوزير، وناظر الخاص معهم أيضا. وأذن للعامة فى انتهاب الماكل والمشارب، فكان يوما فى غاية القبح والشناعة، أبيحت فيه المسكرات، وتجاهر الناس من الفحش والمعاصى بما لم يعهد مثله، وفطن أهل المعرفة بزوال الأمر، فكان كذلك. ومن يومئذ انتهكت الحرمات بديار مصر، وقل الاحتشام^(٢).

وفى خامس عشره: أعيد الشريف شرف الدين على بن فخر الدين محمد بن شرف الدين على الأرموى إلى نقابة الأشراف، بعد موت الشريف جمال الدين عبد الله الطباطبى.

وفى يوم السبت تاسع عشره - وعاشر مسرى - : وفى النيل ستة عشر ذراعا.

وقدم اليريد بقتل سولى بن دلغادر أمير التركمان.

وفيه ركب السلطان بعد صلاة الظهر يريد المقياس، وفتح الخليج على العادة، ومعه الأمراء - إلا الأمير ألى باى الخازندار - فإنه كان قد انقطع فى داره أياما لمرض نزل به - فيما أظهره - وفى باطن أمره أنه قصد الفتك بالسلطان، فإنه علم أنه إذا نزل الخليج يدخل إليه ويعوده على ما جرت به عادته مع الأمراء، فدبر على اغتيال السلطان، وأخلى إصطبله وداره من حريمه وأمواله، وأعد قوما اختارهم لذلك. وكان سبب هذا فيما يظهر أن بعض مماليكه المختصين به - وكان شاد شراب خاناته - تعرض لجارية من جوارى الأمير أقبای الطرنطای، يريد منها ما يريده الرجل من المرأة، وصار بينهما مشاكلة، فبلغ ذلك أقبای، فقبض عليه وضربه ضربا مبرحا. فحنق ألى باى وشكاه للسلطان فلم يلتفت إلى قوله، وأعرض عن ذلك. وكان ألى باى فى زعمه أن السلطان يزيل نعمة أقبای لأجله، فغضب من ذلك وحرك ما عنده من البغى الكامن. فلما فتح السلطان الخليج وركب إلى جهة القلعة اعترضه مملوك من خشداشيته اليلغاوية، يعرف بسودن الأعور، وأسر إليه أن داره التى يسكنها تشرف على إسطنبول الأمير ألى باى، وأنه شاهد ممالك ألى باى وقد لبسوا آلة الحرب، ووقفوا عند بوائك الخيل، وستروا

(١) عاقر الخمر لازمها وداوم عليها . انظر المعجم الوجيز ٤٢٧.

(٢) الاستحيا . انظر المعجم الوجيز ١٥٣.

البوائك بالأنخاب ليخفى أمرهم. فحكم السلطان الخير، وأمر الأمير أرسطاي رأس نوبة أن يتوجه إلى دار الأمير ألى باى، ويعلمهم أن السلطان يدخل لعيادته. فلما أعلم بذلك اطمأنوا، ووقف أرسطاي على باب ألى باى ينتظر قدوم السلطان، وعندما بعث السلطان أرسطاي أمر الجاوشية بالسكوت، وأخذ العصاية السلطانية التى ترفع على رأس السلطان فيعلم بها مكانه، يريد بذلك تعمية خبره، وسار إلى تحت الكباش، وهو تجاه دار ألى باى، والناس من فوقه قد اجتمعوا لرؤية السلطان، فصاحت به امرأة: «لا تدخل فإنهم قد لبسوا آلة القتال». فحرك فرسه وأسرع فى المشى ومعه الأمراء، ومن ورائه المماليك يريد القلعة. وأما ألى باى فإن بابه كان مردود الفردتين، وضبته مطرفة ليمنع من يدخل حتى يأتى السلطان، فلما أراد الله، مر السلطان حتى تعدى بابه، وكان فى طريقه، فلم يعلموا بمروره حتى تجاوزهم بما دبره من تأخير العصائب وسكوت الجاوشية. وخرج أحد أصحاب ألى باى يريد فتح الضبة فأغلقها، وإلى أن يحضر مفتاح الضبة ويفتح فاتهم السلطان، وصار بينهم وبينه سد عظيم من الجمدارية، قد ملأوا الشارع بعرضه. فخرج ألى باى عن معه لابسين السلاح، وعددهم نحو الأربعين فارسا يريد السلطان، وقد ساق ومعه الأمراء حتى دخل باب السلسلة، وامتنع بالإصطبل. فوقف ألى باى تجاه الإصطبل بالرميلة^(١) تحت القلعة، ونزل إليه طائفة من المماليك السلطانية لقتاله، فثبت لهم وجرح جماعة، وقتل من السلطانية بيسق المصارع ثم انهزم ألى باى، وتفرق عنه من معه. هذا وقد ارتجت مصر والقاهرة، وجفل الناس من مدينة مصر، وكانوا بها للفرجة على العادة فى يوم الوفاء، وطلبوا مساكنهم خوفا من النهاية. وركب يلغا المجنون^(٢) ومعه مماليكه لابسين آلة القتال يريد القلعة. واختلف الناس فى السلطان، وأرجفوا بقتله وبفراره، وتباينت الأقوال^(٣) فيه، واشتد الخوف وعظم الأمر. هذا، وقد ألبس السلطان الأمراء والمماليك، وأتاه من كان غائبا منهم. فعندما طلع الأمير يلغا المجنون إليه ثار به المماليك السلطانية، واتهموا بموافقة ألى باى؛ لكونه جاء هو ومماليكه بآلة القتال، وخذّه اللكم من كل جهة، ونزعوا ما عليه، وألقوه إلى الأرض ليذبحوه، فلولا ما كان من منع السلطان لهم لقتلوه، فلما كفوا عن ذبحه سجن بالزردخانا وقيد. وقبض أيضا على شاد شراب خاناه ألى باى؛ لأنه الذى أثار هذه الفتنة، وقطع قطعا بالسيوف. وبات السلطان بالإصطبل وقد نهبت العامة

(١) منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد ضرب نحو مكة ومنها إلى الأبرقين. انظر معجم البلدان

(٢) سمي بالمجنون لطيشه وحدة مزاجه.

(٣) اختلفت الأقوال.

بيت إلى باى وخربوه، ونهبوا دار الأمير يلبيغا المجنون وخربوها. وأما إلى باى فإنه لما تفرق عنه أصحابه اختفى فى مستوقد حمام، فقبض عليه، وحمل إلى السلطان فقيده وسجنه بقاعة الفضة من القلعة. فلما أصبح نهار الأحد نزع العسكر آلة الحرب وتفرقوا، وعصر إلى باى، فلم يقر على أحد. وأحضر يلبيغا المجنون فحلف أنه لم يوافق، ولا علم بشيء من خبره، وأنه كان مع الوزير بمصر. فلما أشيع خبر ركوب إلى باى لحق يلبيغا المجنون بداره، ولبس ليقا تل مع السلطان وبراه إلى باى أيضا، فأفرج عنه، وأخلع عليه. ونزل إلى داره، فلم يجد بها شيئا، وقد نهب جميع أمواله، وسلبت جواريه، وفرت امرأته ابنة الملك الأشرف شعبان^(١)، وأخذ رخام داره وأبوابها، وأكثر أخشابها، وتشعثت تشعثا قبيحا.

وفيه قدم الريد بأن أولاد ابن بزديان من التركمان اقتتلوا مع القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس، فقتل فى الحرب، وقام من بعده ابنه بمدينة سيواس، ومنعها من التركمان. وكان من خبره أن الأمير عثمان بن قرايلك التركمانى خالف عليه، ومنع ما كان يحمله إليه من التقادى، فلم يكثر به القاضى برهان الدين؛ لأنه من أقل أمرائه. وصار قرايلوك يتردد إلى أماسية^(٢) وأرزبجان^(٣)، فاتفق أنه قصد مصيفا بالقرب من مدينة سيواس، ومر عليها وبها القاضى برهان الدين، فشق ذلك عليه، وركب عجلا وساق فى طلبه، وتقدم عسكره حتى أقبل الليل، فمال عليه قرايلوك بجماعته، فأخذه قبضا باليد، ثم قتله وحاصر سيواس، فمنعه أهلها وقاتلوه أشد القتال، وكتبوا إلى أبى يزيد بن عثمان أن يدركههم، فسار إليهم ومضى قرايلوك إلى تيمور لنك وهو على أذربيجان^(٤)، فأقام فى جملة.

وفى حادى عشرينه: جلس السلطان بدار العدل على العادة، وعصر إلى باى فلم يعترف على أحد، وإذا بهجة عظيمة قامت فى الناس، فلبس العسكر ووقفوا تحت القلعة

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ول السلطنة بعد خلع ابن عمه (محمد بن حاجى) سنة ٧٦٤ هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤ والأعلام ١٦٣/٤، ١٦٤.

(٢) بلدة من بلد الروم بينها وبين سينوب ستة أيام.

(٣) بلدة طيبة مشهورة، من بلاد إرمينية بين بلاد الروم وخلاط قرية من أرزن الروم. انظر

معجم البلدان ٢٨٢/١ / ٣٩٠.

(٤) أذربيجان: هى كورة تلى الجبل من بلاد العراق وهى مفتوحة الألف وتلى كور أرمينية من

جهة المغرب، ينسب إليها أذربى. انظر معجم البلدان ١٢٨/١ : ١٣٠، والروض المعطار ٢٠، ٢١.

وقد غلقت أبوابها. وكثرت الإشاعة بأن يلبغا المجنون، وأقبغا اللكاش قد خامرا على السلطان، ولم يكن الأمر كذلك، فركب اللكاش إلى القلعة. وكان المجنون فى بيت أمير فرج الحلبي بالقاهرة، فلما بلغه هذا ركب معه أمير فرج ليعلم السلطان بأنه كان فى داره بالقاهرة حتى يبرأ مما رمى به، فصارا مع الأمراء بالقلعة عند السلطان، وأمر السلطان بقلع السلاح، ونزل كل أحد إلى داره، فانفضوا وسكن الأمر، ونودى بالأمان، ففتح الناس الأسواق واطمأنوا.

وفى ليلة الثلاثاء ثانى عشرينه: عذب ألى باى بين يدى السلطان عذابا شديدا، كسرت فيه رجلاه وركبته، وخسف صدره، فلم يقر على أحد، فأخذ إلى الخارج وخنق، فتنكرت الأمراء، وكثر خوفهم من السلطان، خشية من أن يكون ألى باى ذكر أحدا منهم. ومن حينئذ فسد أمر السلطان مع مماليكه، فلم ينصلح إلى أن مات، وخوفه منهم لم ينزل بعد ذلك من القلعة.

وفى يوم الثلاثاء: نودى بالأمان، وأمر يلبغا المجنون أن ينفق فى الممالك السلطانية، فأعطى الأعيان منهم خمسمائة درهم لكل واحد، فلم يرضهم ذلك، وكثرت الإشاعات الردية، وقوى الإرجاف، فنقل الأمراء ما فى دورهم إلى القاهرة فى يوم الأربعاء رابع عشرينه، وباتوا ليلة الخميس على تخوف، ولم تفتح الأسواق يوم الخميس، فنودى بالأمان والبيع والشراء ولا يتحدث أحد فيما لا يعنيه.

وفيه استقر مقبل الظاهري والى قليوب فى ولاية الفيوم^(١) عوض عن قراجا مفرق، واستقر فى ولاية قليوب محمد بن قرايغا، وأنعم على الأمير أرسطاي من خواجا على بتقديمه ألى باى، واستقر رأس نوبة. وأنعم على تمان تمر الناصري بطبلخاناه أرسطاي.

وفى سادس عشرينه: نزل الأمير فارس حاجب الحجاب والأمير تمر يغا المنجكى الحاجب، وقبضا على الأمير يلبغا المجنون الأستاذار من داره، وبعثاه فى النيل إلى دمياط. وطلب الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر البكجى وخلع عليه للأستاذارية، عوضا عن يلبغا المجنون بإمرة خمسين فارسا.

وفيه قدم محمد بن مبارك المنقار بن المهمندار بهدية.

وفيه أنعم على الأمير بكتمر رأس نوبة بتقدمة يلبغا المجنون.

وفى يوم السبت ثالث ذى الحجة: خلع على اثنين رعوس نوب صغار، وهما الأمير طولو، والأمير سودن الظريف.

(١) الفيوم: شبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقرئى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

وفي يوم الأحد رابع ذى الحجة: سمر أربعة من ممالك ألى باى، ووسطوا.

وفيه أبيع الخبز كل ثمانية أرطال بدرهم عنها اثنى عشر رغيفا، زنة الرغيف ثمانى أواق بفلسين، فسر الناس سرورا زائدا، فإن لهم نحو الست سنين لم يروا الرغيف بفلسين، لكن لم يستمر هذا.

وقدم الخبر بأن الأمير شيخ الصفوى كثر فساد به بالقدس، وتعرضه لأولاد الناس، يريد هم على الفاحشة، فرسم بنقله من القدس واعتقاله بقلعة المرقب^(١) من طرابلس، فاعتقل بها.

وفي يوم النحر: صلى السلطان صلاة العيد بجامع القلعة، ولم ينزل إلى الميدان فاستمر ذلك. وتركت صلاة العيد بالميدان حتى نسيت.

وفيه توجه البريد لإحضار الأمير بكلمش من الإسكندرية، ومسيره إلى القدس، على ما كان لشيوخ من المرتب بها.

وفيه استقر على بن مسافر فى ولاية منوف^(٢)، وعزل الشهاب أحمد بن أسد الكردى.

وفيه سار الأمير أرغون شاه، والأمير تمتاز، والأمير طولو فى عدة من الأمراء إلى الشرقية، وأخذوا من عرب بنى وائل مائتى فارس، وعادوا فسمرو منهم نحو الثلاثين، وسجن البقية بالخزانة.

واستمر السلطان من حركة ألى باى يتزايد به المرض إلى ليلة الإثنين سادس عشرينه، ألقعه عنه الألم، ونودى من الغد بالزينة، فزينت القاهرة ومصر لعافيته وتصدق فى هذه المدة على يد الطواشى صندل وغيره بمال كبير، يقال مبلغه مائتا ألف وخمسون ألف دينار ذهباً.

وفي سابع عشرينه: سمر من بنى وائل مائة وثلاثة رجال.

وفيه قدم مبشرو الحاج بالسلامة والأمن.

وفيهما ولى الأمير شمس الدين محمد بن عنقاء بن مهنا إمرة آل فضل، عوضاً عن أخيه أبى سليمان بعد وفاته، وولى ناصر الدين محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن أبى

(١) بلد ومدينة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بليناس. انظر معجم البلدان

(٢) هى من قرى مصر القديمة، ويقال لكورتها الآن المنوفية. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

الطبيب كتابة السر بدمشق، عوضا عن أمين الدين محمد بن محمد بن علي الحمصى بعد موته، ونقل علم الدين محمد القفصى من قضاء المالكية بحلب إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن برهان الدين إبراهيم التادلى، وولى شهاب الدين أحمد بن عبد الدايم الموصلى قضاء المالكية بحلب.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن البعلبكى الدمشقى الضرير، المعروف بالبرهان الشامى، فى ثامن جمادى الأولى، عن تسعين سنة، وقد حدث منذ سنين.

ومات تاج الدين أحمد بن فتح الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن الشهيد.

ومات شهاب الدين أحمد بن قايماز فى ثانى عشر ربيع الأول، وكان من الأعيان، ويخدم فى أستاذارية الأمراء، وامتنح فى نوبة الشريف العنابى.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد البكتمرى أحد علماء الميقات، فى سابع عشرين جمادى الأولى.

ومات آق بلاط الأحمدي، أحد أمراء العشراوات.

ومات تانى بك اليحياوى أمير آخور، أحد أمراء الألفوف، فى ليلة الخميس رابع عشر ربيع الآخر، ومشى السلطان فى جنازته وبكى عليه، وركب حتى دفن، وأقام القراء على قبره أسبوعا، وتمد لهم الأسمطة السلطانية.

ومات الأمير تَلَكْتَمُر دودار الأمير قلمطاي، فى رابع عشر ربيع الآخر.

ومات الأمير طوغان العمرى أحد أمراء العشراوات، ونقيب الفقراء السطوحية فى أول ربيع الأول.

ومات مجد الدين عبد الرحمن مكى، أحد نواب القضاة المالكية خارج القاهرة، فى أول جمادى الأولى.

ومات الشريف جمال الدين عبد الله بن عبد الكافى بن على بن عبد الله الطباطبى، نقيب الأشراف فى ليلة الرابع عشر من ذى القعدة.

ومات تاج الدين عبد الله بن على بن عمر، المعروف بقاضى صور - بفتح الصاد المهملة - بليدة بين حصن كيفا وماردين - السنجارى الحنفى، عن نحو الثمانين سنة

بدمشق، وقدم القاهرة، وأقام بها زماناً، وكان فاضلاً أفتى، ودرس، وصنف كتاب البحر الحاوى فى الفتاوى، ونظم المختار فى الفقه، وناب فى الحكم بالقاهرة وبدمشق. ولى وكالة بيت المال بدمشق وكان لطيفاً ظريفاً.

ومات الأمير عمر بن إلياس قريب الأمير قرط التركمانى، والى منفلوط قتله العرب بها.

ومات الشيخ المعتقد عمر الفرنوى.

ومات الأمير قلمطاي^(١) الدوادار فى ليلة السبت ثالث عشر جمادى الأولى فصلى السلطان عليه، وشهد دفنه، وبكى عليه، وعمل للقراء الأسمطة عند قبره أسبوعاً.

ومات الأمير قجماس البشيرى أحد أمراء العشراوات، ونقيب الفقراء الدسوقية.

ومات الأمير قرابغا المحمدى أحد أمراء العشراوات.

ومات أمين الدين محمد بن محمد بن على الحمصى كاتب السر بدمشق، وقدم القاهرة مع الأمير تنم. وكان أدبياً شاعراً ناثراً.

ومات نجم الدين محمد بن عمر بن محمد الطنبدى وكيل بيت المال، ومحتسب القاهرة فى رابع عشرين ربيع الأول.

ومات الشيخ المعتقد أبو عبد الله محمد بن سلامة التوزرى^(٢) المغربى، المعروف بالكركى لإقامته بالكرك^(٣)، فى خامس عشرين ربيع الأول. وكان عند السلطان بمنزلة مكينة جداً، يجلسه إلى جانبه، وتحت قاضى القضاة الشافعى. ولم يغير لبس العباءة، ولا أخذ شيئاً من المال. والناس فيه بين مفرط فى مدحه، ومفرط فى الغض منه. وتولى الأمير يلبغا السالمى تجهيزه إلى قبره، وبعث السلطان مائتى دينار لذلك، ولقراءة القرآن على قبره مدة أسبوع، فعمل ذلك على العادة.

ومات صفى الدين أحمد بن محمد بن عثمان الدميرى، موقع الدست، وأحد نواب

(١) هو الأمير قلمطاي بن عبد الله العثمانى الدوادار.

(٢) نسبة إلى توزر: وهى قاعدة كور قسطنطينية من البلاد الجريدية، ولها سور عظيم حصين وبها نخل كثير جداً وهى مدينة كبيرة قديمة عليها سور مبنى بالحجارة والطوب وحولها أرباض واسعة ولها أربعة أبواب وعليها غابة كبيرة وهى أكثر بلاد الجريد ثمرًا. انظر معجم البلدان ٥٨، ٥٧/٢، والروض المعطار ١٤٤، ١٤٥، والإدريسى ٧٥/١٠٤.

(٣) الكرك: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤، والروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ٤٩٣.

القضاة المالكية، فى رابع المحرم، بعدما ابتلى من الأمير بَكْلَمِش بيللء عظيم. وله نظم.
ومات الأمير شرف الدين موسى بن قمارى أمير شكار، وشاد الأحواش السلطانية
الموضوعة للطيور، فى ثانى عشر رجب.

ومات ملك المغرب صاحب فاس^(١) أبو عامر عبد الله بن السلطان أبى العباس أحمد
ابن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن المرينى^(٢). وأقيم بعده أخوه أبو سعيد عثمان بن
أبى العباس. هذا، واشيخ أبو العباس أحمد بن على القبائلى هو القائم بتدبير الدولة بعد
موت السلطان أبى العباس أحمد. وكل من أبى فارس عبد العزيز وأبى عامر عبد الله،
وأبى سعيد عثمان تحت حجره، حتى قتل كما سيأتى ذكره، إن شاء الله تعالى.

وقتل الأمير سولى بن الأمير زين الدين قراجا بن دُلْغَادَر التركمانى، فى ذى القعدة،
قتله رجل من أقاربه يقال له على بك. وذلك أنه غاضبه وأخرجه، فنزل حلب، ثم اتفق
مع غلامه - على القصير - على قتل سولى، واحتالا عليه بأن ضرب على بك غلامه
ضربا مبرحا، فمضى الغلام إلى سولى يشكو حاله، فأواه عنده، ووعد به بأخذ ثأره. فما
زال عنده حتى سكر سولى ليلة. فلما انفرد به ضربه يسكين قتله، ثم صاح. فلما جاءه
التركان أوهمهم أن بعض أعدائه اغتاله، ثم استغفلهم وهرب إلى مخدومه بحلب. فلما
صح السلطان الخير، استدعى على بك وغلامه، وأنعم عليهما بإمرتين لعلى بك إمرة
طبلخاناه، ولعلى القصير إمرة عشرة.

وقتل أمير آل فضل الأمير علم الدين أبو سليمان بن عنقاء بن مهنا، بعد القبض عليه
فى كائنة جرت بينه وبين عمه الأمير نعيم^(٣)، بالقرب من الرحبة^(٤).

(١) فاس: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٣٠/٤، والروض المعطار ٤٣٤، ٤٣٥، والإدريسى: ٥٠/٧٥. والبكرى ١١٥ وما بعدها. وابن الوردى ١٤، وصبح الأعشى ١٥٤/٥.

(٢) عبد الله أحمد بن إبراهيم، أبو عامر المرينى، الملقب بالسلطان المستنصر بالله: من ملوك دولة
بنى مرين فى المغرب، بويع بعد وفاة أخيه عبد العزيز (فى أوائل سنة ٧٩٩ هـ) وكان تصريف
الأعمال فى أيدي الوزراء. وعاجلته الوفاة فى صباه. مدة دولته سنة وخمسة أشهر إلا أياما. انظر
الاستقصا ٤٢/٢ والأعلام ٦٨/٤.

(٣) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شمس الدين، المعروف بنعيم:
أمير آل فضل بالشام. ولى الإمرة بعد أبيه (سنة ٧٧٧ هـ) وكان شجاعا جوادا مهيبا إلا أنه كان كثير
الغدر والفساد. وقتل فى حلب وكان قد نيف على السبعين. انظر الضوء اللامع ٢٠٣/١٠ وإعلام
النبلاء ١٤٧/٥ وصبح الأعشى ٢٠٨/٤ والأعلام ١١١/٦.

(٤) الرحبة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٣/٣، والروض المعطار ٢٦٨.

ومات الأديب المادح أبو الفتح محمد بن الشيخ العارف على البديوى، فى ثامن
عشر جمادى الآخرة، بالتحريية. وأكثر شعره مدائح نبوية، وله صلاح مشهور.

* * *

سنة إحدى وثمانمائة

أهل هذا القرن التاسع وخليفة الوقت أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن المعتضد^(١)، وليس له أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة، وإنما هو بمنزلة واحد من الأعيان. وسلطان الديار المصرية، والبلاد الشامية، والحرمين - مكة والمدينة - الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص^(٢) أول ملوك الجركس، ونائبه بدمشق الأمير تنم الحسنى، ونائبه بحلب الأمير أرغون شاه الخازندار، ونائبه بطرابلس الأمير أقبغا الجمالى، ونائبه بحماة الأمير يونس بَلَطًا، ونائبه بصفد الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ على، ونائبه بغزة الأمير طيفور، ونائبه بالإسكندرية الأمير صرغتمش، ونائبه بمكة المشرفة الشريف حسن بن عجلان الحسنى^(٣)، ونائبه بالمدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - الشريف ثابت بن نعيم. والأمير الكبير آتابك العساكر بديار مصر الأمير أيتمش البجاسى. وقاضى القضاة الشافعى بها تقى الدين عبد الرحمن الزبيرى، ورفقاؤه قاضى القضاة جمال الدين يوسف الملقبى الحنفى^(٤)

(١) محمد (المتوكل على الله) بن أبى بكر (المعتضد بالله) بن سليمان (المكفى) بن محمد أحمد العباس، أبو عبد الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويع بعد وفاة أبيه سنة ٧٦٣ هـ بعهد منه بالقاهرة. وطالت مدته، وخلع فى صفر ٧٧٩ هـ وأعيد فى ربيع الأول من السنة نفسها. استمر إلى أن توفى بالقاهرة. ومدة خلافته نحو من ٤٥ عاما. انظر بدائع الزهور ٣٥٠/١ وتاريخ الخميس ٣٨٢/٢، ٣٨٣ والضوء اللامع ١٦٨/٧ والأعلام ٥٦/٦.

(٢) برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر أول من ملك مصر من الشراكسة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوبا إليه. ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة. تولى السلطنة سنة ٧٨٤ هـ وتلقب بالملك الظاهر. توفى بالقاهرة. انظر ديوان الإسلام وابن إياس ٢٥٨/١ و ٢٩٠ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

(٣) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نعيم: شريف حسنى، من أمراء مكة ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨ هـ. وجاءه التوقيع سنة ٨١١ هـ بنبابة السلطنة فى جميع بلاد الحجاز، فاستمر مدة. وعزل وأعيد مرتين. ثم توجه سنة ٨٢٨ هـ إلى مصر فتوفى بها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ١٩٨/٢، ١٩٩.

(٤) يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين الملقب: قاضى حنفى. أصله من خرتوت بديار بكر. ومولده بمطية (فى شمالى سورية) استقر فى حلب، وولى قضاء الحنفية بمصر فى أواخر أعوامه. انظر الضوء اللامع ٣٣٥/١٠ وإعلام النبلاء ١٣٣/٥ وشذرات الذهب ٤٠/٧ والأعلام ٢٥٤/٨، ٢٥٥.

وقاضى القضاة ناصر الدين أحمد التنسى المالكي، وقاضى القضاة برهان الدين إبراهيم ابن نصر الله الحنبلي. وحاجب الحجاب الأمير فارس القطلوقجاوى، وناظر الخاص والجيش معا سعد الدين إبراهيم بن غراب، وكاتب السر بدر الدين محمود الكلستانى العجمى، والوزير بدر الدين محمد بن محمد الطوخى.

شهر الله المحرم أوله الجمعة.

فيه صرف الثقال الذهب المختوم الهرجة^(١) بأحد وثلاثين درهما، ويصرف فى نغرة الإسكندرية باثنين وثلاثين درهما.

وفيه نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة اثنا عشرة إصبعا من تسع عشرة ذراعا.

وفى ثانيه: خلع على الأمير زين الدين مقبل أحد المماليك السلطانية، واستقر فى ولاية نغرة أسوان^(٢) عوضا عن الصارم إبراهيم الشهابى، وقد قتله أولاد الكنز.

وفى تاسعه: أعيد شمس الدين محمد المخانسى إلى حسبة القاهرة، وعزل بهاء الدين محمد البرجى.

وفيه نودى بقلع الزينة فقلعت.

وفى عاشره: أحضر بعض مسألة النصارى، من الكتاب الأقباط، إلى باب القلعة من قلعة الجبل، وقد ارتد عن الإسلام، وعرف فى إسلامه برهان الدين إبراهيم بن بُرَيْئَة مستوفى المارستان المنصورى، فعرض عليه الإسلام مرارا، ورغب فى العود إليه، فلم يقبل، وأصر على رده إلى النصرانية، فستل عن سبب رده، فلم يد شيئا، فلما أيس منه ضربت رقبته بحضرة الأمير الطواشى شاهين الحسنى، أحد خاصكية السلطان.

وفى سابع عشره: سمر سبعة من المماليك، يقال لأحدهم أقبغا الفيل من جملة ممالك السلطان، وأحد إخوة الأمير ألى باى، وباقيهم ممالك ألى باى.

وفيه رسم بالإفراج عن الأمير بكلمس من سجنه بالإسكندرية. فلما خرج من سجنه، وتوجه يريد القاهرة أدركه مرسوم السلطان بأن يسير إلى القدس، ويقيم به بطالا، فمضى حيث رسم به.

(١) الهرجة، ومفردها هرج، دنائير تستعمل خاصة فى الحللى كالأساور.

(٢) أسوان: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٤٠/٣، الإدريسي ٢١..

وفيه رسم بإعادة ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن نجم الدين محمد بن زين الدين عمر بن أبي القاسم بن عبد المنعم بن أبي الطيب الدمشقي الشافعي إلى كتابة السر بدمشق، عوضا عن أمين الدين محمد بن الحمصي بعد وفاته.

وفيه رسم بانتقال الأمير سيف الدين جنتمر التركمانى من إمرة الطبلخاناه بدمشق إلى نيابة حمص، عوضا عن تَمَان بغا الظاهرى، بعد وفاته.

وفيه تنكر السلطان على سودن الحمزاوى الخاصكى، وضربه بين يديه، وسجنه بخزانة شمائل مدة أيام، ثم أخرجه منفيا إلى بلاد الشام.

وفى ثمانى عشرينه: خلع على علاء الدين على بن الحريرى شاد المارستان، واستقر فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن علاء الدين على الحلبي إلى ولاية الغربية، كل ذلك بمال وعد به.

وفيه قدم ركب الحاج الأول.

وفى رابع عشرينه: قدم الحمل ببقية الحجاج، وقد تأخر قدومهم يومين عن العادة.

شهر صفر أوله الأحد.

وفى ليلة الأربعاء رابعه: وقع حريق بخط باب سر المدرسة الصالحية، تلف فيه عدة دور، فنزل إليه الأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير تَمْرِبغا المنجكى الحاجب، والأمير أرغون شاه أمير مجلس، والأمير طولو، حتى طفوه.

وفيه قبض على أيتال خازن دار الأمير تانى بك اليحياوى أمير أخور، وقد اتهم بأنه ممن كان من أعوان ألى باى.

وفيه ابتداء وعك بدن السلطان، وحدث له إسهال مفرط، لزم منه الفراش، واستمر وعكه مدة تزيد على عشرين يوما.

وفى تاسعه: قدم البريد بموت الأمير بكلمش العلای أمير أخور، فى نفيه بالقدس.

وفى عاشره: رسم السلطان للفقراء بمال كبير يفرق فيهم، فاجتمع تحت القلعة منهم عالم كبير وازدحموا لأخذ الذهب، فمات فى الزحام منهم سبعة وخمسون شخصا، ما بين رجل وامرأة، وصغير وكبير.

وفى ثمانى عشره: رسم يجمع أهل الإصطبل السلطانى من الأمير أخورية،

والسلاخورية^(١)، ونحوهم، فاجتمعوا، ونزل السلطان من القصر إلى مقعده بالإصطبل - وهو موعوك^(٢) - لعرضهم، حتى انقضى ذلك وصرفهم. ثم قبض على جرباش من جماعتهم، وعرض الخيول وفرق خيل السباق على الأمراء كما هي العادة، ثم عرض الجمال البخاتي. كل ذلك تشاغلا، والغرض غير ذلك. ثم أظهر أنه قد تعب، واتكأ على الأمير نوروز الحافظي أمير أخور، ومشى في الإصطبل متكئا عليه حتى وصل إلى الباب الذي يصعد منه إلى القصر، أدار ييده على عنق نوروز، فتبادر الماليك إليه يلكموه حتى سقط، فعبر السلطان الباب وقد ربط نوروز وسحب حتى سجن عنده. وكان القصد في حركة السلطان مع توقعه إنما هو أخذ نوروز، فإنه كان يتهمه بمالأة ألى باى، ومعه الأمير أقبغا اللكاش. ثم بلغه أن نوروز، قصد أن يركب فمنعه أصحابه، وأشاروا عليه أن يصبر حتى ينظر، فإن مات السلطان حصل القصد بغير تعب، وإن حصل له الشفاء، جمع لحربه وركب، وكان ممن حضر هذا المشور مملوكان من الخاصكية، قرر نوروز معهما أنهما إذا كانت ليلة نوبتهما في المبيت عند السلطان يقتلاه، ويرميا الثريا التي توقد بالمقعد المطل على الإصطبل حتى يأخذ هو حيثنذ الإصطبل ويركب للحرب، فم هذان المملوكان عليه، وأعلما صاحبا لهما من الماليك يقال له قانى باى، وواعده أن يكون معهما، فأجابهما. وحضر إلى السلطان وأعلمه الخير، فكان ما ذكر، وعندما قبض على نوروز ارتجت المدينة، وغلقت الأسواق، وحسب الناس أنها فتنة، فلم يظهر شيء، وسكن الحال، ونودى بالأمان، ففتح باب زويلة، وكان قد أغلق بغير إذن الوالى، فضرب البواب بالمقارع، وشهّر من أجل أنه أغلقه. فلما أصبح الناس يوم السبت رابع عشره خلع على الأمير أقبغا اللكاش بنبابة الكرك، وأخرج من ساعته ومعه الأمير أرسطاي رأس نوبة، والأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير تمرغا المنجكى أمير حاجب، موكلين به إلى خارج القاهرة، وأذن له في الإقامة بخانكة سرياقوس عشرة أيام، حتى يجهز أحواله. ووكل به الأمير تانى بك الكركى الخاصكى، وأن يكون متسفره.

وفي ليلة الأحد خامس عشره: أنزل الأمير نوروز من القلعة إلى الحراقة، وأخذ النيل إلى الإسكندرية ومعه الأمير أرنبغا الحافظي أحد أمراء العشرات موكلا به حتى يسجنه بالبرج.

وفي ثامن عشره: قبض على قوزى الخاصكى، وسلم إلى والى القاهرة.

(١) السلاخورية، مفرد سلاخور، وهو كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب.

(٢) أى: مريض.

وفي تاسع عشره: أنعم على الأمير سيف الدين تمتاز الناصري بإقطاع نوروز الحافظي، وعلى الأمير سودن المارديني بإقطاع اللكاش، وعلى الأمير سيف الدين أرغون البيدمري الأقبغاوي، واستقر أمير مجلس. واستقر الأمير سودن قريب السلطان أمير أخور، عوضا عن نوروز.

وفي ثالث عشرينه: أملى بعض الممالك السلطانية سكان الطباق بالقلعة على بعض فقهاء الطباق أسماء جماعة الممالك والأمراء أنهم قد اتفقوا على إقامة فتنة، فكتبها ودخل بها المملوك على السلطان، فلما قرئت عليه استدعى المذكورين، وأخبرهم بما قيل عنهم، فحلوا أوساطهم، ورموا سيوفهم وقالوا: «يوسطنا السلطان، وإلا يخبرنا بمن قال هذا عنا؟». فاحضر المملوك وسلمه إليهم فضربوه نحو الألف، فقال: «أنا اختلقت هذا حنقا من فلان» وسمى شخصا قد خاصمه، فأحضر الفقيه الذي كتب الورقة، وضرب بالمقارع، وسم، ثم عفى عنه من القتل، وسجن بخزانة شمائل.

وفي آخره: وصل اللكاش إلى غزة^(١)، فقبض عليه بها، وأحيط بسائر ما معه، وحمل إلى قلعة الصبية، فسجن بها.

وفي هذا الشهر: ورد البريد بأن السكة ضربت في ماردین^(٢) باسم السلطان، وخطب له بها على المنبر، وحملت الدنانير والدراهم باسم السلطان إليه، ففرقها في الأمراء.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين.

ففي ثانيه: استقر القاضي أمين الدين عبد الوهاب بن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الطرابلسي الحنفي في قضاء العسكر، عوضا عن موفق الدين العجمي، بحكم أنه نقل إلى قضاء الحنفية بالقدس، عوضا عن خير الدين بن عيسى الحنفي بعد موته.

وفي رابعه: قدم البريد بوفاة الأمير سيف الدين أرغون شاه الإبراهيمي نائب حلب، وأحضر سيفه على العادة.

وفيه عمل السلطان المولد النبوي على عادته.

(١) غزة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/٤، ٢٠٢، انظر الروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

(٢) ماردین: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٩/٥، والروض المعطار ٥١٨، والكرخي ٥٣، ونزهة المشتاق، ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

وفي سادسه: توجه الأمير أرغون شاه أمير مجلس إلى السراحة ببلاد الصعيد على عادة من تقدمه.

وفي حادى عشره: رسم أن ينقل الأمير علاء الدين أقبغا الجمالى من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب، وتوجه بتقليده الأمير أينال باى بن قُجماس، وكان قد سأل فى ذلك على أن يحمل ألف ألف درهم فضة واستقر أيضا الأمير شرف الدين يونس بَلُطا نائب حماة فى نيابة طرابلس، وتوجه بتقليده الأمير يلبغا الناصرى. واستقر الأمير دمرداش المحمدى أتابك العساكر بحلب فى نيابة حماة، وتوجه بتقليده الأمير سيف الدين شيخ من محمود شاه رأس نوبة. واستقر الأمير سيف الدين سودن الظريف نائب الكرك، وسار من القاهرة ومعه الأمير تانى بك الكركى متسفرا.

وفي خامس عشره: توجه الأمير تغرى بردى أمير سلاح إلى السرحة بالبحيرة^(١)، وتوجه إليها أيضا الأمير فارس حاجب الحجاب.

وفي سلخه: ^(٢) قبض على الأمير عز الدين أزدُمُر أخى أينال، وعلى ناصر الدين محمد ابن أينال اليوسفى، ونفيا إلى الشام.

شهر ربيع الآخر.

أوله الأربعاء، فرسم فيه للأمير صُراى تَمُر شَلَق الناصرى رأس نوبة، أحد الطبلخاناه بديار مصر، بإمرة دمرداش بحلب، وأُخرج إليها.

واستقر جمال الدين يوسف بن أحمد بن غانم قاضى نابلس فى خطابة القدس، عوضا عن العماد الكركى.

وفي تاسعه: استقر شهاب الدين أحمد بن عمر بن الزين الحلبي فى ولاية القاهرة، وعزل عنها الأمير بهاء الدين أرسلان الصفدى، وألزم بعشرين ألف أردب شعير كان قد قبضها من الأمير يلبغا المنجون الكاشف لما كان يلى ولاية العرب؛ ليفرقها فى العريان.

وفي ثالث عشره: نودى بالقاهرة ومصر أن يتجهز الحاج الرجبية إلى مكة، فسر الناس ذلك. وكانت الرجبية قد بطلت من سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة.

وفي رابع عشره: نودى أيضا: «من له ظلامة، من له شكوى، فعليه بالباب

(١) كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر معجم البلدان ٢٠٨/٣.

(٢) المقصود آخره.

الشريف». وجلس السلطان على العادة فى يومى الثلاثاء والسبت للنظر فى المظالم. واستقر الأمير ناصر الدين محمد بن طلى والى قليوب، عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد بن قرأبغا الألتاقى.

وفى عشرينه: أنعم على إينال بن إينال بخبز أخيه محمد، وعلى كل من سودن من زاده، وتغرى بردى الجلبانى، ومنكلى بغا الناصرى، وبكمر جلق الظاهرى، وأحمد بن عمر الحسنى بإمرة طبلخاناه. وأنعم على كل من بشباى، وتمربغا من باشاه، وشاهين من إسلام وجوبان العثمانى، وجكم من عوض بإمرة عشرة.

وفى خامس عشرينه: طلع رجل عجمى إلى السلطان - وهو جالس للحكم بين الناس - وجلس بجانبه ومد يده إلى لحيته، فقبض عليها وسبه سبا قبيحا، فبادر إليه رعوس النوب، وأقاموه ومروا به وهو مستمر فى السب، فسلم إلى الوالى، فنزل به وضربه أياما حتى مات.

وفيه استعفى الأمير سودن باشاه من الحجوية لعجزه، فأعفى، واستعيد خبزه.

وفى يوم الخميس سلخه: خلع الأمير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج بن نقولا الأرمنى الأسلمى، والى قطيا، واستقر فى الوزارة عوضا عن الوزير صاحب بدر الدين محمد بن الطوخى، وكان بدء أمره. وسبب ولايته أن أباه كان نصراينا من النصارى الأرمن الذين قدموا إلى القاهرة، فأظهر الإسلام وخدم صيرفيا بناحية منية عقبة من الجيزة مدة، ثم انتقل إلى قطيا، وخدم بها صيرفيا. ومات هناك، فاستقر ابنه عبد الرزاق هذا عوضه، وباشر الصرْف بقطيا مدة، ثم سمى نفسه إلى أن استقر عاملا بها، فباشر زمانا. وانتقل من عمالة قطيا إلى وظيفة الاستيفاء فوعد بمال، واستقر فى نظر قطيا، ثم جمع إليها الولاية، ولم يسبق إلى ذلك، فباشرها مدة. وترك زى الكتاب ولبس القباء والكلفتاه، وشد السيف فى وسطه، وصار يدعى بالأمير بعدما كان يقال له العلم. ثم صار يقال له القاضى، وتشدد على الناس فى أخذ المكوس، وكثر ماله، فوشى به إلى صاحب بدر الدين محمد بن الطوخى، فندب إليه الأمير شهاب الدين أحمد بن الزين الحلبي، فسار إليه، وصادره، وضرب ابنه عبد الغنى - وكان صغيرا - بحضرته، وأخذ منه مالا جزيلا يقارب الألف ألف درهم، فحقن من الوزير، وكتب إلى السلطان يسأل فى الحضور، فأذن له وقدم، فأوصله المهتار زين الدين عبد الرحمن إلى السلطان فى خفية، فرافع الوزير بما وغر عليه صدر السلطان، ونزل وقد رسم له أن ينزل عند الوزير، فأقام بداره وتحدث فى الوزارة مع خواص السلطان، فنقل مقامه على الوزير، واستأذن السلطان فى سفره إلى قطيا فلم يأذن له، وبعث إلى ابنه عبد الغنى بخلعة، وجعله فى

الولاية بقطيا، وقرره في الوزارة، فنزل بزي الأمراء وسلم إليه ابن الطوحى، فأنزله من القلعة ومعه شاد الدواوين. وقبض على برهان الدين إبراهيم بن عبد الكريم الدمياطى ناظر المواريث بالقاهرة ومصر، وناظر الأهراء، وعلى المتقدم زين الدين صابر وشريكه على البديوى، فالتزم الدمياطى للوزير بأربعمائة ألف درهم، والتزم مقدما الدولة بثلاثمائة ألف درهم، وتسلمهم الأمير شهاب الدين أحمد بن الحاج عمر قُطَيْنة أستاذ دار البيوت؛ ليخلص ذلك منهم.

شهر جمادى الأولى أوله الجمعة.

في رابعه: رسم بإحضار الأمير سيف الدين يلبغا الأحمدي المجنون من نغر دمياط، فتوجه لإحضاره سيف الدين بيغان الخاصكى.

وفي يوم الإثنين حادى عشره: استدعى الرئيس فتح الدين فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودى - رئيس الأطباء - وخلع عليه، واستقر فى كتابة السر عوضا عن بدر الدين محمود الكلستانى بحكم وفاته. وفتح الله هذا كان جده نفيس يهوديا من أولاد نبي الله داود عليه السلام، فقدم من توريث فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون^(١) إلى القاهرة، واختص بالأمير شيخو العُمري وطلبه، وصار يركب بغلة بخف ومهماز، وهو على اليهودية. ثم أنه أسلم على يد السلطان حسن. وولد فتح الله بتوريث وقدم على جده، فكفله عمه بديع بن نفيس، وقد مات أبوه وهو طفل. ونشأ وعانى الطب إلى أن ولى رئاسة الأطباء بعد موت شيخنا علاء الدين على بن صغير، واختص بالملك الظاهر، فولاه كتابة السر بعدما سئل فيها بقنطار من ذهب، فأعرض عنه، واختار فتح الله، مع علمه ببعده عن معرفة صناعة الإنشاء، وقال «أنا أعلمه» فباشر ذلك، وشكره الناس.

وفي رابع عشره: خلع على جمال الدين يوسف الملطى الحلبى^(٢) قاضى القضاة الحنفية، واستقر فى تدريس المدرسة الصرغتمشية المجاورة للجامع الطولونى عوضا عن الكلستانى.

(١) حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون، أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويج بمصر، صغيرا بعد مقتل أخيه (حاجى، المظفر) سنة ٧٤٨ هـ. وكان اسمه قمارى فلما ولى السلطنة تسمى حنا ثم خلع وأعيد إلى الحكم فكانت مدة سلطنته الثانية ست سنين وتسعة أشهر وأياما. انظر ابن إياس ١٩٠/١ والبداية والنهاية ٢٢٤/١٤ والأعلام ٢١٦/٢.

(٢) يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين الملطى: قاضى حنفى أصله من خرتبرت بديار بكر ومولده بمطية (فى شمالى سورية) استقر فى حلب، وولى قضاء الحنفية بمصر فى أواخر أعوامه. انظر الضوء اللامع ٣٣٥/١٠ وإعلام النبلاء ١٣٣/٥ وشذرات الذهب ٤٠ والأعلام ٢٥٥، ٢٥٤/٨.

وفيه وجد في تركة الكلستانى من الذهب المختوم ما زنته مائة رطل وعشرة أرطال مصرية، سوى الأثاث والثياب والكتب والخيول وغير ذلك.

وفي خامس عشرة: استقر الأمير صارم الدين إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن مقبل في ولاية مصر، عوضا عن الأمير علم الدين سليمان الشهرزورى وأضيف إليه ولايتى الصناعة والأهراء والقراطين.

وورد البريد بوقوع الفتنة بين محمد بن عمر بن عبد العزيز الهوارى وبين أصحاب على بن غريب الهوارى النازلين بالأشمونين^(١). وذلك أن ابن عمر أراد إخراجهم من البلاد، فتحالف أصحاب ابن غريب الهوارى الذين بالبحيرة وغيرها، مع فزارة وعرك وبنى محمد. ووافقهم عثمان بن الأحذب، وكبسوا بأجمعهم كاشف الوجه القبلى، وقتلوا عدة مماليكه. ونجا بنفسه، فرسم بتجريد ستة من الأمراء المقدمين، وهم الأمير تغرى بردى أمير سلاح، والأمير أرغون شاه أمير مجلس، وتمرغا المنجكى أمير حاجب، والأمير أرسطاي رأس نوبة، والأمير بكتمر الركنى، وسودن الماردىنى، ورسم بتجريد عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات. ورسم لكل من المقدمين ثلاثين ألف درهم، وبكل من الطبلخاناه - وهم عشرة - بعشرة آلاف درهم، ولكل من العشرات بخمسة آلاف درهم. فشرعوا فى التجهيز إلى السفر، فحضر إلى القلعة فخر الدين عثمان بن الأحذب طائعا، وشكى من ابن عمر، وأن العربان توجهوا بعد كسرة الكاشف إلى ناحية جرجا^(٢)، وقتلوا محمد بن عمر فكسرهم، وردوا مهزومين، فبطل سفر الأمراء.

وفيه قدم البريد بموت الأمير سيف الدين صرغتمش المحدى القزوينى نائب الإسكندرية.

شهر جمادى الآخرة أوله السبت.

فى عاشره: توجه على البريد شهاب الدين أحمد بن خاص ترك إلى دمشق، واستقر جمال الدين الهذبانى فى نيابة قلعة دمشق، عوضا عن يلو.

وفى يوم الجمعة رابع عشره: أركب الوزير ابن الطوخى حمارا وسار به الرسل إلى القلعة، فتمثل بين يدى السلطان، وطالبه مشافهة بالمال، فأنكر أن يكون له مال، وحلف بالله على ذلك، فلم يقبل قوله. وسلمه إلى الوزير تاج الدين بن أبى الفرج، فأنزله إلى داره، وعصره فتجلد ولم يعترف بشيء، فأخذ عبدا من عبيده وخوفه وهم بضربه، فدل

(١) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل . انظر معجم البلدان ٢٠٨/٣.

(٢) قرية من أعمال الصعيد قرب إهميم. انظر معجم البلدان ١١٩/٢.

على شعير وجد فيه أربعة آلاف دينار ونيف، ثم وجد فى مكان آخر تمة^(١) سبعة آلاف دينار، وضرب بعد ذلك فلم يعترف بشيء، فقام فى أمره القاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيوش وناظر الخاص، وتسلمه على أن يحمل سبعمائة ألف درهم، ونقله إلى داره، فشرع فى بيع أثاثه وإيراد المال.

وفى رابع عشرينه: استقر الأمير زين الدين فرج الحلبي أستاذار الأملاك والذخيرة فى نيابة الإسكندرية، وخرج إليها.

وفيه استقر الأمير قلطوبغا إلى الشرقية كاشف الوجه البحرى، وصرف على بن الحريرى. وخلع على الأمير علاء الدين على نائب الوجه البحرى خلعة استمرار، وتذكر الطرانة بثمانمائة ألف درهم فى السنة.

وفى خامس عشرينه: استقر الطبيب كمال الدين عبد الرحمن بن ناصر بن صغير، والطبيب شمس الدين عبد الحق بن فيروز فى رئاسة الأطباء، عوضا عن فتح الله كاتب السر.

شهر رجب أوله الإثنين.

وفى ثانيه: استقر جقمق الصفوى فى نيابة ملطية^(٢) عوضا عن دقماق الحمدي، وجهاز تقليده وتشريفه على يد مقبل أمير خازندار، على اليريد.

وفى رابعه: كتب لنائب قلعة حلب بأن يحمل مائة قرقل^(٣) وخمسين بركستوان^(٤) من خزانة السلاح بها إلى نائب يأذنه^(٥)، أحمد بن رمضان، وحمل له أيضا مبلغ ألفى دينار.

وفى سادسه: رسم ليدر الدين المقدسى بقضاء الحنفية بدمشق عوضا عن محيى الدين محمود بن أحمد بن الكشك، وتقى الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح^(٦) بقضاء الخنابلة

(١) تكملة.

(٢) ملطية: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥.

(٣) القرقل: سلاح يشبه الدرع يتخذ من صفائح الحديد ويغشى بالديباج الأحمر والأصفر.

(٤) ما يوضع حول بدن الفرس كالدرع.

(٥) تقع بجذاء شرق جبل كاتوزع. انظر معجم البلدان ١٤٤/٥، ١٤٥.

(٦) إبراهيم بن محمد بن مفلح الأرامينى الأصل، الدمشقى، أبو إسحاق، شيخ الخنابلة فى عصره. من كتبه «طبقات أصحاب الإمام أحمد» و«كتاب الملائكة» و«شرح المقنع» وتلف أكثر كتبه فى فتنة تيمور بدمشق. انظر المنهج الأحمد والدارس ٤٧/٢ والقلائد الجوهريّة ١٦١ والمقصد الأرشد والأعلام ٦٤/١.

بدمشق، عوضا عن شمس الدين محمد النابلسى. واستقر الأمير يلبغا المجنون على إقطاع الأمير حسام الدين حسن بن على الكجكى، بحكم وفاته.

وفي يوم الإثنين ثامن: دار المحمل، وبرز الأمير بيسق الشيخى بالريدانية ليكون أمير الحاج الرجبية، ورسم له بعمارة ما تهدم من المسجد الحرام، وخرج معه المعلم شهاب الدين أحمد بن طولونى المهندس، وبرز الناس شيئا بعد شئء للحج.

وفي حادى عشره: استقر كاتبه أحمد بن على المقرئى^(١) فى حسبة القاهرة والوجه البحرى، عوضا عن شمس الدين محمد المخانسى.

وفي خامس عشره: استقر قاضى القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى^(٢) الشافعى فى قضاء القضاة بديار مصر، وصرف تقى الدين عبد الرحمن بن محمد الزبيرى، ونزل معه دوا دار السلطان الأمير بيبرس، والأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير أرسطاي رأس نوبة، وفتح الدين كاتب السر إلى المدرسة الصالحية بين القصرين، فكان يوما مشهودا لم نر بعده لقاض مثله.

وفي سادس عشره: ركب البريد الأمير مشتركى بتقليد نيابة غزة للأمير الطنبغا قراقاش.

وفي تاسع عشره: رحل ركب الحاج من بركة الجب إلى مكة.

وفي ثانى عشرينه استقر الأمير يلبغا المجنون فى وظيفة الأستاذية، وصرف الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر البجكاوى، ونزل فى خدمته نحو العشرين أميرا. واستقر ابن سنقر أستاذار الأملاك والأوقاف، والذخيرة السلطانية، عوضا عن أمير فرج نائب الإسكندرية.

(١) أحمد بن على بن عبد القادر، أبو العباس الحسينى العبيدى، تقى الدين المقرئى: مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة، ولد ونشأ ومات فى القاهرة، وولى فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات. من تأليفه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ويعرف «بخطط الملوك» و«اتعاظ الحنفا فى أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» والكتاب الذى بأيدينا . انظر التبر المسبوك ٢١ وخطط مبارك ٦٩/٩ ودرر الفوائد وآداب اللغة ١٧٥/٣ والفهرس التمهيدى ٣٨٣، ٤٣٦ والبدر الطالع ٧٩/١ والأعلام ١٧٧/١، ١٧٨.

(٢) محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم القاهرى، الشافعى، صدر الدين، أبو العالى: قاضى، عالم بالحدىث. من أهل القاهرة. ناب فى الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالا سنة ٧٩١هـ ثم صرف بعد شهرين، وأعيد. وصنف «كشف المناهج والتنقيح فى تخريج أحاديث المصاييح». مات غريقا فى الفرات . انظر الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٢٤٩/٦ والكتبخانه ٣٨٨/١ والأعلام ٢٩٩/٥، ٣٠٠.

وفي خامس عشرينه: كتب إلى الأمير تنم نائب الشام بالقبض على الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على نائب صفد^(١)، والأمير سيف الدين جُلْبَان الكمشبغاوى أتاك دمشق، فورد المرسوم على النائب وهو بالغور^(٢)، فاستدعى نائب صفد وقبض عليهما، وبعث بسيفهما إلى قلعة الجبل على العادة، وسجنا بقلعة دمشق. ورسم أن يستقر الأمير علاء الدين الطنبغا العثماني حاجب الحجاب بدمشق في نيابة صفد، فسار إليها في خامس شعبان، ونقل الأمير سيف الدين يُقِّجَاه الشرفى طيفور نائب غزة إلى دمشق، واستقر حاجب الحجاب بها، ونقل علاء الدين الطنبغا نائب الكرك لنيابة غزة.

شهر شعبان أوله الأربعاء.

في خامسه: قرئ تقليد قاضى القضاة صدر الدين المناوى بالظاهرية الجديدة على العادة، وحضر القضاة والفقهاء والوزير تاج الدين، والأمير تمرغا المنجكى أمير حاجب، والأمير أبنال باى بن قمجاس، وقرأه القاضى ناصر الدين محمد بن الصالحى أحد نواب الحكم، فخلع عليه القاضى سعد الدين بن غراب بعد فراغه من القراءة، وكان قد جلس بالقبعة، ومعه الأمير أبو بكر أمير حاجب.

وفي تاسعه: استقر كمال الدين عمر بن العديم فى قضاء الحنفية بحلب، وتوجه إليها من القاهرة، وكان قد قدم إليها بطلب. وخلع على سائر الأمراء المقدمين أقبية مقترح نخ، وهى أقبية الشتاء. وكان قد بطل ذلك منذ انقطع الركوب فى الميادين نحو خمس عشرة سنة. وخلع على الأمير يلبغا السالمى أحد العشرات، واستقر فى نظير خانقاه شيخو، عوضا عن الأمير حاجب الحجاب فارس، لشكوى الصوفية من تأخر معاليهم مدة أشهر. واستقر الأمير على بن مسافر نائب السلطنة بالوجه البحرى، وخلع عليه عوضا عن أمير على السيفى.

وفي ليلة الإثنين ثالث عشره: - بالرؤية - خسف القمر جميعه.

وفي رابع عشره: خلع على الأمير علاء الدين على بن الحريرى لولاية قوص^(٣) عوضا عن قطليجا بن أوزان، وعلى كزل المحمودى لولاية منوف^(٤)، عوضا عن علاء

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان . انظر معجم البلدان ٢٢/٤.

(٢) غور الأردن بالشام. بين بيت المقدس ودمشق، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض البيت المقدس. انظر معجم البلدان ٢١٧/٤، والروض المعطار ٤٣١.

(٣) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين القسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤١٣/٤.

(٤) منوف: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

الدين على بن مسافر. وحمل جهاز خديجة بنت الأمير جهار كس الخليلي على ثلاثمائة وستين جملا، وعشرين قطارا بغالا، إلى دار زوجها الأمير بيسر الدوادار ابن أخت السلطان، وبني عليها الجمعة سابع عشره. وكتب لنائب حلب بأن يحمل إلى عثمان بن طور على من المال الحاصل خمسين ألف درهم فضة مع الأمان المجهز له، وكتب لنائب صفد أن يحمل موجود الأمير أحمد بن الشيخ على نائب صفد^(١)، كان.

وفي ثالث عشرينه: خلع على القاضي أصيل الدين محمد بن عثمان الأشليمي واستقر في قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن شمس الدين محمد بن الأخنأى، على مال، فكتب إلى دمشق بأن يخلفه في الخطابة والقضاء شهاب الدين أحمد بن حجي، فتاب فيهما عنه.

وفي رابع عشرينه: ترفع الأمير محمد بن عمر بن عبد العزيز الهواري أمير هوار، هو والأمير عثمان بن الأحذب، والأمير ألطنبغا وإلى العرب نائب السلطنة بالوجه القبلي بين يدي السلطان بالإصطبل، فظهر الحق مع محمد بن عمر، فسلم ألطنبغا إلى الوزير ليصادره، وسلم ابن الأحذب وأولاده إلى الوالي، فسجنهم بخزانة شمائل، واستقر أمير على السيفي نائب السلطنة بالوجه القبلي.

وفي أخريات شعبان: رسم للقضاة بعرض الشهود الجالسين بالحوانيت للتكسب بالشهادة، فكتب نقيب القضاة أسماءهم، وشرع القضاة في عرضهم ليختبر حال كل منهم، ويبقى من عرف بحسن السيرة، ويمنع من تحمل الشهادة من جهل حاله أو عرف بسوء، فمنع جماعة، ثم أعيدوا بالرسائل وشفاعات الأكابر، فلم يتم الغرض.

شهر رمضان أوله الخميس.

في ثالثه: خلع على الأمير سيف الدين أوناظ اليوسفي، واستقر كاشف الوجه البحري، وعزل قطلوبغا الخليلي.

وفي عاشره: خرج البريد لإحضار الشيخ ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون^(٢) من قريته بالفيوم؛ ليستقر في قضاء القضاة المالكية، وكان قد سعى في ذلك شرف الدين محمد بن الدماميني^(٣) الإسكندراني، بسبعين ألف درهم، فردها السلطان.

(١) صفد: سبق ترجمتها. انظر: معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي الفيلسوف المورخ، العالم الاجتماعى البحاث. أصله من إشبيلية ومولده ومنشأه بتونس. ورحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس وتولى أعمالا، واعترضته دسائس وشايات، وعاد إلى تونس ثم توجه إلى مصر فأكرمه الظاهر برفق. وولى فيها قضاء المالكية ولم يتزى بزى القضاة محتفظا بزى بلاده. وعزل، وأعيد. وتوفى فجأة في القاهرة. اشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر». انظر: الضوء اللامع ١٤٥/٤ ونيل الابتهاج ١٧ ونفح الطيب ٤١٤/٤ والعبر ٣٧٩/٧ والأعلام ٣٣٠/٣.

(٣) محمد بن أبى بكر بن عمر بن أبى بكر بن محمد، المخزومى القرشى، بدر الدين المعروف =

وفي خامس عشره: حضر ابن خلدون وخلع عليه، واستقر فى قضاء القضاة المالكية، عوضا عن ناصر الدين محمد بن التنسى بعد موته، فشرع فى عرض الشهود، وأغلق عدة حوانيت استجدت بعده. وهذه ولايته الثانية بعد ما أقام معزولا نحو خمس عشرة سنة.

وفي سادس عشره: سافر قاضى القضاة أصيل الدين إلى دمشق على خيل البريد، بعد ما وزن نحو المائة ألف درهم تداين كثيرا منها.

وفي حادى عشرينه: استقر الأمير ركن الدين عمر بن على الكورانى، فى ولاية مصر، عوضا عن الصارم إبراهيم بن مقبل بعد عزله.

وفي رابع عشرينه: كتب بالإفراج عن الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على من اعتقاله بقلعة دمشق، وأن يستقر فى الأتابكية بدمشق، عوضا عن الأمير جلبان.

وفي سابع عشرينه: أخرج الأمير علاء الدين على بن الطيللاوى من خزانة شمائل، وسلم إلى الأمير يلبغا الجنون الأستاذار، فاجتمع لخروجه من الناس عدد لا يحصيه إلا الله، وظنوا أنه قد أفرج عنه، فاشترؤا من الزعفران، وأوقدوا من الشموع ما يبلغ ثمنه ألوف الدراهم. فلما يتسوا منه انقبلوا خائبين، وكان هذا من جملة ذنوبه التى نقت عليه.

وفي ثامن عشرينه: قدم أصيل الدين محمد بن عثمان إلى دمشق على البريد. وفي هذا الشهر: ورد الخبر بأخذ تيمور لك بلاد الهند، وأن سباياها أبيع بخراسان بأبخس الأثمان، وأنه توجه من سمرقند^(١) إلى الهند فى ذى الحجة من السنة الماضية. شهر شوال أوله الجمعة: صلى السلطان صلاة عيد الفطر بالميدان على العادة، وصلى به قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى^(٢)، وخطب، وخلع على الأمراء وسائر أرباب الدولة على العادة، فكان يوما مشهودا.

=بابن الدمامنى: عالم بالشريعة وفنون الأدب. ولد فى الإسكندرية، واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون. وتصدر لإقراء العربية بالأزهر ثم تحول إلى دمشق. ومنها حج، وعاد إلى مصر فولى فيها قضاء المالكية ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زبيد سنة، وانتقل إلى الهند فمات بها فى مدينة كلرجا. من كتبه «تحفة الغريب». انظر الضوء اللامع ١٨٤/٧ وشذرات الذهب ١٨١/٧ وآداب اللغة ١٤٣/٣ وحسن المحاضرة ٢٥٨/١ والكتبخانة ٣٣٨/٤ والأعلام ٥٧/٦.

(١) سمرقند: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٤٨/٣، والروض المعطار ٣٢٢، ٣٢٣.

(٢) محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم القاهرى، الشافعى، صدر الدين، أبو المعالى: قاض، عالم بالحديث. من أهل القاهرة. ناب فى الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالا سنة ٧٩١ ثم صرف بعد شهرين، وأعيد وصنف «كشف المناهج والتناقيح فى تخريج أحاديث المصاييح» مات غريقا فى الفرات. انظر: الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٢٤٩/٦ والكتبخانة ٣٨٨/١ والأعلام ٢٩٩/٥، ٣٠٠.

وفيه ورد اليريد بموت رجب ابن الأمير كمشيبغا الحموى فى سابع عشرين رمضان، وموت أبيه الأمير الكبير كمشيبغا من الغد فى ثامن عشرينه، بسجن الإسكندرية. فابتهج السلطان لموته، ورأى أنه قد تم له أمره، فإنه آخر من كان قد بقى من الأمراء اليلبغاوية. وأقبل الناس فى يوم العيد وما بعده على أنواع من اللهو فى القرافة والترب خارج القاهرة، وبخرطوم الجزيرة الذى انحسر عنها ماء النيل ببولاقي، فمر لهم فيه مسرات، وتفتنوا فى أنواع اللذات، وكأنا كانوا يودعون الأمن والراحات.

وفى خامسه: قدم الأمير دقماق نائب ملطية إلى دمشق معزولا، وتوجه منها إلى القاهرة فى حادى عشره على اليريد.

وفى سادسه: أخرج ابن الطبلاوى من القاهرة منفيا إلى الكرك، ومعه نقيب واحد قد وكل به، فسار ذليلا حقيرا وحيدا فريدا، فسبحان مزيل النعم. وما زال سائرا إلى أن وصل بلد الخليل - عليه السلام - فبلغه موت السلطان، فتوجه من بلد الخليل إلى القدس، فمر به الأمير شاهين كتك - يعنى الأفرم - وقد توجه إلى الكرك بخير موت السلطان، وسلطنة ابنه بعده، فسأله أن يشفع له فى الإقامة بالقدس. فلما ورد إلى قلعة الجبل سأل الأمير الكبير أيتمش فى ذلك فأجابه، وكتب مرسوما إلى ابن الطبلاوى أن يقيم بالقدس، فأقام، وكان من خبره ما يأتى ذكره إن شاء الله.

وفى يوم الثلاثاء خامسه: ابتدأ مرض السلطان. وذلك أنه ركب للعب الكرة بالميدان فى القلعة على العادة. فلما فرغ منه قدم إليه غسل نخل ورد من كختا^(١)، فأكل منه ومن لحم بلشون^(٢)، ودخل إلى قصوره، فعكف على شرب الخمر، فاستحال ذلك خلطا رديا لزم منه الفراش من ليلة الأربعاء، وتنوع مرضه حتى أيس منه لشدة الحمى، وضعف القوى، فأرجفت بموته فى يوم السبت تاسعه. واستمر أمره يشد إلى يوم الأربعاء ثالث عشره، فشنع الأرجاف، وغلقت الأسواق، فركب الوالى ونادى بالأمان. فلما أصبح يوم الخميس استدعى الخليفة المتوكل على الله أبا عبد الله محمد^(٣)، وقضاة القضاة وسائر الأمراء - الأكابر والأصاغر - وجميع أرباب الدولة إلى حضرة السلطان،

(١) كختا قلعة عالية البناء تقع شرقى ملطية، بينها وبين ملطية مسيرة يومين.

(٢) بلشون كلمة قبطية تعنى طائر.

(٣) محمد (المتوكل على الله) بن أبى بكر (المتنضد بالله) بن سليمان (المستكفى) بن أحمد العباسى، أبو عبد الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. ببيع بعد وفاة أبيه ٧٦٣هـ بعهد منه بالقاهرة، وطالت مدته، وخلع فى صفر ٧٧٩هـ وأعيد فى ربيع الأول من السنة نفسها. استمر إلى أن توفى بالقاهرة ومدة خلافته نحو من ٤٥ عاما. انظر: بدائع الزهور ٣٥٠/١ وتاريخ الخميس ٣٨٢/٢، ٣٨٣ والضوء اللامع ١٦٨/٧ والأعلام ٥٦/٦.

فحدثهم فى العهد لأولاده. فابتدأ الخليفة بالحلف للأمير فرج^(١) ابن السلطان أنه هو السلطان بعد وفاة أبيه، ثم حلف بعده القضاة والأمراء.

وتولى تحليفهم كاتب السرفتح الدين فتح الله، وكان منذ نزل بالسلطان مرضه أقام عنده ليلا ونهارا لثقتة به. فلما تم الحلف لفرج حلفوا أن يكون القائم بعد فرج أخوه عبد العزيز^(٢)، وبعد عبد العزيز أخوهما إبراهيم، ثم كتبت وصية السلطان، فأوصى لزوجاته وسراريه وخدامه بمائتى ألف دينار وعشرين ألف دينار، وأن تعمر له تربة تحت الجبل بجوار تربة الأمير يونس الدوادار خارج باب النصر بثمانين ألف دينار، ويشترى بما يفضل عن العمارة عقار ليقف عليها، وأن يدفن بها فى لحد تحت أرجل الفقراء الذين يحوش الخليلي، وهم علاء الدين على السيرامى، وأمين الدين الخلوتى وعبد الله الجيرتى، وعبد الكريم الجيرتى، وطلحة وأبو بكر البجائى، وأحمد الزهورى. وقرر أن يكون الأمير الكبير أيتمش هو القائم بعده بتدبير دولة ابنه فرج. وجعله وصيا على تركته، ومعه الأمير تغرى بردى أمير سلاح، والأمير بييرس الدوادار^(٣)، والأمير يشبك الخازندار، وفتح الدين فتح الله كاتب السر، والأمير ناصر الدين محمد بن سنقر البجكاوى، وسعد الدين إبراهيم بن غراب، والأمير قطلوبغا الكركى، والأمير يلبغا السالمى. وجعل الخليفة ناظرا على الجميع. فلما تقرر ذلك انفض الجميع ونزل الأمراء بأسرهم فى خدمة الأمير أيتمش إلى منزله. فوعدهم بخير، وأنه يبطل المظالم وأخذ البراطيل على المناصب والولايات. وأكثر السلطان من الصدقات، فبلغ ما تصدق به فى هذه المروضة أربعة عشر ألف دينار وتسعمائة دينار وستة وتسعين دينارا.

(١) فرج (الملك الناصر) بن برقوق (الظاهر) بن أنص (أو أنس) العثمانى، أبو السعادات زين الدين، من ملوك الجراكسة بمصر والشام. بويغ بالقاهرة سنة ٨٠١ هـ، بعد وفاة أبيه. انظر: ابن إياس ٣١٧/١ و ٣٥٠ و ٣٥٤-٣٥٧ ووليم موير ١٢٣ والضوء اللامع ١٦٨/٦ والأعلام ١٤٠/٥.

(٢) عبد العزيز (الملك المنصور) بن برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى الجركس. أبو العز: من ملوك الجراكسة بمصر والشام بويغ بالسلطنة وهو طفل صغير سنة ٨٠٨ هـ بعد اختفاء أخيه الناصر فرج وقام بأمره وأمر الدولة بييرس الأتابكى. ودامت سلطنته نحو شهرين. وظهر أخوه فاستعاد السلطنة. وأرسل عبد العزيز إلى الإسكندرية فسجن بها ٤٠ يوما ومات مسموما أو مخنوقا. انظر: بدائع الزهور ٣٤٩/١ و ٣٥١ والضوء اللامع ٢١٧/٤ والأعلام ١٥/٤.

(٣) بييرس المنصورى الخطائى الدوادار، ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ٨٠ عاما. كان من مماليك المنصور قلاوون واستنابه بالكرك، ثم صار دوادار السلطان وناظر الأحباس، فتابا للسلطنة فى الديار المصرية. له تصانيف منها «زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة» و«التحفة الملوكية فى الدولة التركية». انظر: النجوم الزاهرة ٢٦٣/٩ والدرر الكامنة ٣٦٩/٤ ودائرة المعارف الإسلامية ٣٦٩/٤ والأعلام ٨٠/٢.

ومات بعد نصف ليلة الجمعة خامس عشر شوال، وقد تجاوز الستين سنة، منها مدة حكمه بديار مصر منذ صار أتابك العساكر، عوضا عن الأمير طشتمر العلاء الدوادار، إلى أن جلس على تخت السلطنة أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام. ومنذ تسلطن إلى أن مات ست عشرة سنة وأربعة أشهر وسبعة وعشرون يوما، منها سلطنته إلى أن خلع ست سنين وثمانية أشهر وعشرون يوما، وسلطنته منذ أعيد إلى أن مات تسع سنين وثمانية أشهر. والفترة بينهما ثمانية أشهر وتسعة أيام، ومدة حكمه أتابكا وسلطانا إحدى وعشرون سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوما.

وترك ثلاثة أولاد ذكور: الأمير فرج وتسلطن من بعده، وعبد العزيز وتسلطن أيضا، وإبراهيم ومات - هو وعبد العزيز - في حياة أخيها فرج وسلطنته الثانية، بثغر الإسكندرية، واتهم فرج بأنه سمهما. وخلف برقوق^(١) ثلاث بنات تزوجن من بعده.

وترك من الذهب العين ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار، ومن الغلال والقنود والأعسال والسكر والثياب وأنواع الفرو ما قيمته ألف ألف وأربعمائة ألف دينار. ومن الجمال نحو خمسة آلاف جمل. ومن الخيل نحو سبعة آلاف فرس.

وبلغت جوامك ممالكه في كل شهر نحو تسعمائة ألف درهم فضة، وعليق خيولهم في الشهر ثلاثة عشر ألف أردب شعير، وعليق الخيل الخاص وجمال النفر، وأبقار السواقي في كل شهر أحد عشر ألف أردب من الشعير والفول، وبلغت عدة ممالكه خمسة آلاف مملوك.

وكان نائبه بديار مصر الأمير سودن الفخرى الشيخونى إلى أن مات فلم يستتب بعده أحدا.

ونوابه بدمشق الأمير بيدمر الخوارزمى وعشقتمار الماردنى، وألطنبغا الجوبانى، وطرنطاي السيفى، ويلبغا الناصرى، وبطا الطولومرى، وسودن الطرنطاي، وكُمشُبغا الأشرفى، وتانى بك المعروف بتنم الحسنى، ومات السلطان وهو على نيابة دمشق.

ونوابه بحلب يلبغا الناصرى، وسودن المظفرى، وكُمشُبغا الحموى، وقراد دمر داش الأحمدى، وجلبان الكُمشُبغاوى، وتغرى بردى من يشبغا، وأرغون شاه الإبراهيمى، وأقْبغا الجمالى، ومات السلطان وهو على نيابة حلب.

(١) برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوباً إليه. ثم أعتق ونهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة وتولى السلطنة سنة ٧٨٤ وتلقب بالملك الظاهر. توفى بالقاهرة. انظر: ديوان الإسلام وابن عباس ٢٥٨/١ و ٢٩٠ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

ونوابه بطرابلس مأمور القلمطاوى، وكُمُشْبُغا الحموى، وأسندمر السيفى، وقرا دمرداش الأحمدي، وأينال بن خجا على، وإياس الجرجاوى، ودمرداش المحمدي، وأرغون شاه الإبراهيم، وأقبغا الجمالى، ويونس بُلطا. ومات السلطان وهو على نيابة طرابلس. ونوابه بصفد، أُرُكْماس السيفى، وبُتْخاَص السودانى، وأرغون شاه الإبراهيمى، وأقبغا الجمالى، وأحمد بن الشيخ على، وألطنبغا العثمانى، ومات السلطان وهو على نيابة صفد. ونوابه بحماة^(١) صَنَحَق الحسنى، وسودن المظفرى، وسودن العلاى، وسودن العثمانى، وناصر الدين محمد بن مبارك بن المهمندار، ومأمور القلمطاوى، ودمرداش المحمدي، وأقبغا السلطانى الصُغَيْر، ويونس بلطا، ثم دمرداش المحمدي، ومات السلطان وهو على نيابة حماة. ونوابه بالكرك طغاي ثمر القبلاوى، ومأمور القلمطاوى، وقديد القلمطاوى، ويونس القَشْتَمُرَى، وأحمد بن الشيخ على، وبُتْخاَص السودانى ومحمد بن مبارك المهمندار، وألطنبغا الحاجب، وسودن الظريف الشمسى، ومات السلطان وهو على نيابة الكرك. ونوابه بغزة قُطْلُوْبغا الصفوى، وأقبغا الصُغَيْر، ويلبغا القَشْتَمُرَى، وألطنبغا العثمانى، وبيقجاه الشرفى طيفور، وألطنبغا الحاجب، ومات السلطان وهو على نيابة غزة.

وأستاداريتيه بديار مصر بهادر، ومحمود بن على، وقرقماس الطَشْتَمُرَى وعمر بن محمد بن قايماز، وقطلو بك العلاى، ويَلْبغا الأحمدي المجنون، ومحمد بن سنقر البجكاوى، ثم يَلْبغا المجنون ثانيا، ومات السلطان وهو أستاذار.

وقضاته الشافعية بديار مصر برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وبدر الدين محمد بن أبى البقاء، وناصر الدين محمد بن المليك، وعماد الدين أحمد الكركى وصدر الدين محمد المناوى، وتقى الدين عبد الرحمن الزبيرى، ثم المناوى ثالث مرة، ومات السلطان وهو قاض. وقضاته صدر الدين محمد بن منصور الدمشقى، وشمس الدين محمد الطرابلسى، ومجد الدين إسماعيل بن إبراهيم، وجمال الدين محمود القيصرى، وجمال الدين يوسف الملطى، ومات السلطان وهو قاض. وقضاته المالكية جمال الدين عبد الرحمن بن خير السكندرى، ثم ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون، وشمس الدين محمد الركراكى المغربى، وشهاب الدين أحمد النحريرى، وناصر الدين محمد بن التنسى، ثم ابن خلدون ثانيا، ومات السلطان وهو قاض. وقضاته الحنابلة ناصر الدين العسقلانى، ثم ابنه برهان الدين إبراهيم، ومات السلطان وهو قاض. وقضاته الشافعية بدمشق ولى الدين عبد الله

(١) حماة: من كور حص بالشام، سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١، الروض

ابن أبى البقاء، وبرهان الدين إبراهيم بن جماعة، وشرف الدين مسعود، وشمس الدين محمد بن الجزرى وشهاب الدين الزهرى، وعلاء الدين على بن أبى البقاء، وشهاب الدين أحمد الباعونى، وشمس الدين محمد الأخناى، وأصيل الدين محمد، ومات السلطان وهو قاض.

ووزراؤه بديار مصر علم الدين عبد الوهاب سن إبره، وشمس الدين إبراهيم كاتب أرلان، وعلم الدين عبد الوهاب ابن كاتب سيدى، وكريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وموفق الدين أبو الفرج، وسعد الدين نصر الله بن البقرى، وناصر الدين محمد بن الحسام، وركن الدين عمر بن قايماز، وتاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر، وناصر الدين محمد بن رجب، ومبارك شاه، وبدر الدين محمد بن الطوخى، وتاج الدين عبد الرزاق، ومات السلطان وهو وزير.

وكتاب سره بدر الدين محمد بن فضل الله، وأوحد الدين عبد الواحد بن ياسين، وعلاء الدين على الكركى، وبدر الدين محمود الكلستانى، وفتح الدين فتح الله، ومات السلطان وهو كاتب السر.

ونظار الجيش، تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين، وموفق الدين أبو الفرج، وجمال الدين محمود القيصرى، وكريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز، وشرف الدين محمد بن الدمامينى، وسعد الدين إبراهيم بن غراب، ومات السلطان وهو ناظر الجيش، وناظر الخاص أيضا.

ونظار الخاص سعد الدين نصر الله بن البقرى، وموفق الدين أبو الفرج الوزير، وسعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين موسى كاتب السعدى، وسعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيش، ومات السلطان وهو ناظر الخاص والجيش.

وكان برقوق جركسى الجنس، قدم إلى مصر مع خواجا عثمان، فاشتره الأمير يلبغا، وسماه برقوق، بعد أن كان اسمه من بلاد القرم سودن، وأعتقه. فلما قتل يلبغا وسجن بالكرك مدة، ثم أفرج عنه، فسار إلى دمشق، وخدم عند نائبها الأمير منجك، ثم استدعى إلى مصر واستخدم عند الأمير على بن الأشرف إلى أن قتل الأشرف.

وكانت أيام الأمير أئنبك، استقر من جملة أمراء الطبلخاناه، ثم ركب فى إخوانه، وملك باب السلسة، وصار أمير أخور، وأقام بالإصطبل السلطانى. ثم صار أميرا كبيرا، وترقى حتى ملك تحت مصر، وتلقب بالملك الظاهر، ثم خلع ونفى إلى الكرك، فسجن بها، ثم أخرجه عوام الكرك، وسار إلى دمشق، وجمع الناس وعاد إلى مصر، فملك التخت ثانيا. وقد تقدم جميع ذلك فى تواريخه.

وكان ملكا حازما، شهما، صارما، شجاعا، مقدما، فطنا، له خيرة بالأموار ومهابة عظيمة، ورأى جيد، ومكر شديد، وطمع زائد. وكان يحب الاستكثار من المال، ويقدم الجراكسة على الأتراك والروم، ويشره في جمع المال، بحيث لم يشبع منه، ويرغب في اقتناء الخيول والجمال. وكان كثير التؤدة، لا يكاد يجعل في شيء من أموره، بل يتروى في الشيء المدد الطويلة، ويتصدى للأحكام بنفسه، ويباشر أحوال المملكة كلها، ويجل أهل الخير ومن ينسب إلى الصلاح. وكان يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخل أحد منهم عليه، ولم يكن يعهد ذلك من ملوك مصر قبله. وتنكر للفقهاء في سلطنته الثانية من أجل أنهم أفتوا بقتله، فلم يترك إكرامهم قط مع شدة حنقه عليهم.

وكان كثير الصدقات وقف ناحية بهيت^(١) من الجيزة على سحابة تسير مع الركب إلى مكة في كل عام، ومعها جمال تحمل المشاة من الحاج، ويصرف لهم ما يحتاجون إليه من الماء والزاد ذهابا وإيابا. ووقف أرضا على قبور إخوة يوسف - عليه السلام - بالقرافة. وكان يذبح دائما طول أيام إمارته وسلطنته في كل يوم من أيام شهر رمضان خمسة وعشرين بقرة، يتصدق بها بعد ما تطبخ، ومعها آلاف من أرغفة الخبز النقي، على أهل الجوامع والمشاهد والخوانك والربط وأهل السجون، لكل إنسان رطل لحم مطبوخ وثلاثة أرغفة من نقي البر، سوى ما كان يفرق في الزوايا من لحم الضأن، فيعطى في كل يوم لكل زاوية خمسون رطلا وعدة أرغفة خبز، وفيهم من يعطى أكثر من ذلك بحسب حالهم، ويفرق كل سنة على نحو عشرين زاوية لكل زاوية ألف درهم فضة، ويفرق كل سنة في أهل العلم والصلاح مائتين ألف درهم الواحد، إلى مائة دينار ذهابا. ومنهم من له أقل من ذلك بحسب حاله، ويفرق في فقراء القرافتين لكل فقير من دينارين إلى أكثر وأقل، ويفرق في الخوانك وغيرها كل سنة مالا كثيرا. وكان يفرق في كل سنة ثمانية آلاف أردب قمحا على أهل الخير وأرباب الستر. ويعت في كل سنة إلى الحجاز ثلاثة آلاف أردب قمحا تفرق بالحرمين. وفرق في مدة الغلاء كل يوم أربعين أردبا، عنها ثمانية آلاف رغيف، فلم يمت فيه أحد بالجوع، فما علمنا. وكان يبعث كل قليل بمجمل من الذهب تفرق في الفقراء والفقهاء، حتى أنه تصدق مرة بخمسين ألف دينار ذهابا على يد الطواشي صندل المنجكي.

وأبطل عدة مكوس، منها ما كان يؤخذ من أهل شوري^(٢)، وبلطيم من البرلس شبه الجالية، وهو في كل سنة مبلغ ستين ألف درهم، وأبطل ما كان يؤخذ على القمح

(١) قرية قديمة من أعمال الجيزة.

(٢) شوري وبلطيم من نواحي البرلس من أعمال نسطراوه.

بثغر دمياط غما يبتاعه الفقراء وغيرهم من أردبين إلى ما دون ذلك. وأبطل مكس معمل الفراريج بالتحريرية وما معها من الغربية، وأبطل مكس الملح بعين تاب من عمل حلب، ومكس الدقيق بالبيرة. وأبطل من طرابلس ما كان مقررا على قضاة البر وولاية الأعمال، عند قدوم النائب، وهو مبلغ خمسمائة درهم على كل منهم، أو بغلة بدل ذلك. وأبطل ما كان يقدم لمن يسرح إلى العباسية خارج القاهرة في كل سنة من الخيل والجمال، والغنم. وأبطل ما كان يؤخذ على الدريس والحلفاء بباب النصر خارج القاهرة. وأبطل ضمان المغاني بمدينة الكرك والشوبك^(١) ومنية بني خصيب^(٢) وأعمال الأشمونين وزفتا^(٣) ومنية غمر^(٤) من أعمال مصر. وأبطل رمى الأقبهار - بعد الفراغ من عمل الجسور بأراضي مصر - على البطالين بالوجه البحرى.

وأنشأ بالقاهر مدرسة لم يعمر مثلها بالقاهرة، ورتب بها صوفية بعد العصر كل يوم، وجعل بها سبعة دروس لأهل العلم، أربعة يلقي بها الفقه على المذاهب الأربعة، ودرس تفسير القرآن، ودرس الحديث النبوى، ودرس للقراءات، وأجرى على الجميع فى كل يوم الخبز النقى ولحم الضأن المطبوخ. وفى كل شهر الحلوى والزيت والصابون والدراهم، ووقف على ذلك الأوقاف الجليلة من الأراضى والدور ونحوهما. وعمر جسرا على نهر الأردن بالغور^(٥) فى طريق دمشق، طوله مائة وعشرون ذراعاً، فى عرض عشرين ذراعاً. وجدد خزائن السلاح بثغر الإسكندرية، وسور دمنهور بالبحيرة. وعمر الجبال الشرقية بالفيوم، وزربية البرزخ بدمياط، وقناة العروب^(٦) بالقلس، وأنشأ به أيضا بركة كبيرة. وعمر بركة أخرى برأس وادى بنى سالم، فى طريق المدينة النبوية، يرددها الحاج. ورم القناة التى تحمل ماء النيل إلى قلعة الجبل، حتى صلحت بعد ما أعيت من تقدمه من الملوك. وجدد عمارة الميدان تحت قلعة الجبل بعد ما خرب، وسقاه

(١) قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقارم قرب الكرك. انظر معجم البلدان ٣٧٠/٣.

(٢) مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٢١٨/٥.

(٣) بلد بقرب القسطنطينية من مصر، قرب شطونف. انظر معجم البلدان ٨٠/٥.

(٤) شمالى مصر على فوهة النهر المؤدى إلى دمياط، ومقابلها منية زفتا. انظر معجم البلدان ٢١٨/٥.

(٥) الغور: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢١٧/٤، والروض المعطار ٤٣١.

(٦) اسم قريتين بناحية القدس فيهما عينان عظيمتان وبركتان وبساتين نزهة. انظر معجم البلدان ١١٢/٤.

وزرع به القُرط، وغرس فيه النخل، وعمر صهريجا، ومكتبا يقرأ فيه الأيتام القرآن الكريم بقلعة الجبل، وجعل عليه وقفا دارًا، وعمر بها أيضا طاحونا. وعمر أيضا سبيلا تجاه باب الضيافة تحت قلعة الجبل.

وخطب على منابر توزيز عندما أخذها قرا محمد، وضرب الدنانير والدراهم فيها باسمه، وبعثها إلى حضرته بقلعة الجبل. وخطب له على منابر الموصل، وعلى منابر ماردين^(١)، ومنابر سنجار^(٢). وأخذت عساكره دوركى وأرزنكان من أرض الروم. ورثاه عدة من الشعراء^(٣)، رحمه الله تعالى.

* * *

السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن الملك الظاهر

سيف الدين أبى سعيد برقوق بن الأمير الكبير سيف الدين أنص

الجر كسى ثانى ملوك الجراكسة بمصر^(٤)

جلس على تخت الملك بقلعة الجبل صبيحة موت أبيه، يوم الجمعة النصف من شوال، سنة إحدى وثمانمائة.

وذلك أنه اجتمع بالقلعة الأمير الكبير أيتمش وسائر الأمراء وأرباب الدولة، واستدعى الخليفة وقضاة القضاة، وشيخ الإسلام البلقينى^(٥)، ومن عادته الحضور. فلما تكاملوا بالإصطبل السلطاني أحضر فرج بن الملك الظاهر برقوق، وخطب الخليفة

(١) ماردين: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٩/٥، والروض المعطار ٥١٨، والكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق ٢٠٠/١٩٩، وآثار البلاد ٢٥٩.

(٢) مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. انظر معجم البلدان ٢٦٢/٣.

(٣) انظر ديوان الإسلام وابن إياس ٢٥٨/١ و ٢٩٠ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

(٤) فرج (الملك الناصر) بن برقوق (الظاهر) بن أنص (أو أنس) العثماني، أبو السعادات، زين الدين: من ملوك الجراكسة بمصر والشام. بويغ بالقاهرة سنة ٨٠١هـ، بعد وفاة أبيه. وكان صغير السن، فقام بتدبير ملكه الأتابكي «أيتمش» البجاسى. قتله المماليك سنة ٨١٤هـ. فى القلعة. انظر ابن إياس ٣١٧/١ و ٣٥٠ والضوء اللامع ١٦٨/٦ والأعلام ١٤٠/٥.

(٥) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب» فى فقه الشافعية، و«تصحيح المتهاج» فقه. انظر الضوء اللامع ٨٥/٦ وشذرات الذهب ٥١/٧ وحسن المحاضرة ١٨٣/١ ورفع الإصر ١٦/١ والأعلام ٤٧/٥.

وبايعة بالسلطنة، وقلده أمور المسلمين، فقبل تقليده. وأحضرت خلعة سوداء، أفيضت على فرج، ونعت بالملك الناصر. ومضى حتى جلس على التخت بالقصر، وقبل الأمراء كلهم له الأرض على العادة، وألبس الخليفة التشریف.

وأخذ بعد ذلك في جهاز الملك الظاهر، فغسل وكفن، وصلى عليه بالقلعة قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى^(١)، وحمل نعشه على الأعناق من قلعة الجبل إلى التربة قبل صلاة الجمعة، وسائر الأمراء والعساكر والأعيان والرعايا مشاة، يضجون ويصرخون، حتى ورى تحت التراب تحت أقدام الفقراء حيث أوصى. ولم يعهد قبله أحد من الملوك، دفن نهاراً بديار مصر.

فلما انقضى أمر دفنه عاد الأمراء، ونودى بالقاهرة ومصر بالترحم على الملك الظاهر، والدعاء للملك الناصر، وتطمين الناس وأمنهم. وخطب يومئذ على منابر القاهرة ومصر للناصر، وكثر الأسف على فقد الظاهر، وضربت خيمة على قبره، وقرأ القراء القرآن على قبره، وكان الناس يظنون قيام فتنة عظيمة لموته. فلم يتحرك ساكن فى هذا اليوم.

وأنشد الأديب المقرئ شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي^(٢) فى ذلك:

مضى الظاهر السلطان أكرم مالك إلى ربه يرقى إلى الخلد فى الدرج
وقالوا ستأتى شدة بعد موته فأكذبهم ربي وما جاء سوى فرج

وفى هذا اليوم: بشر بزيادة ماء النيل، وأن القاع أربعة أذرع ونصف.

وفيه أراد الأمير الكبير أيتمش أن يتحول من داره إلى الحراقة بالإصطبل السلطاني. فمنع من ذلك الأمير سودون أمير أخور، ورد ما حضر من قماش الأمير أيتمش، فاستدعى إلى حضرة السلطان، فامتنع.

(١) عمه ابن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم القاهرى، الشافعى، صدر الدين، أبو المعالى: قاض، عالم بالحديث. من أهل القاهرة. ناب فى الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلاً (سنة ٧٩١هـ) وحمدت سيرته. وصرف بعد شهرين، وأعيد. وصنف «كشف المنهاج والتناقيح فى تخريج أحاديث المصاييح». مات غريقاً فى الفرات وهو مقيد. انظر الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٢٤٩/٦ والكتبخانة ٣٨٨/١ والأعلام ٢٩٩/٥، ٣٠٠.

(٢) أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان الأوحدي، شهاب الدين: مؤرخ، من أهل مصر، له كتاب كبير فى «خطط مصر والقاهرة». انظر النجوم الزاهرة ٧٤/٨ وشذرات الذهب ٤٢٥/٥ وطبقات الشافعية ٨/٥ والأعلام ١٥٩/١.

وفي رابع عشره: كتب إلى مكة كتاب بالعزاء والهناء، وأن تقليد الشريف حسن بن عجلان^(١) يصل صحبة أمير الحاج، وكتب إلى الأمير بيسق بذلك، وإلى أمير المدينة النبوية أيضاً.

وفي يوم السبت سادس عشره: اجتمع أئتمش والأمراء بالقلعة لتقرير أحوال الدولة، فكتب بالعزاء والهناء إلى مملكة الشام وغيرها.

وكتب إلى الأمير نعيم بن حيار^(٢) بإمرة آل فضل على عادته.

وعزل الأمير شمس الدين محمد بن عنقاء بن مهنا، وعرف بموت الظاهر وقيام الملك الناصر، وحُمل إليه التشريف على يد الأمير أسنبغا الدوادار.

وجهاز سودون الطيار أمير أخور بالكتب إلى دمشق ومعه تشريف وتقليد، ونسخة يمين، وستة أروس خيل. وجهاز الأمير يلبغا الناصري إلى حلب بمثل ذلك، والأمير تغرى بردى^(٣) قرا إلى طرابلس بمثل ذلك، والأمير أرتيغا الحافظي إلى حماة، ومعه خمسة أروس من الخيل، والأمير بشباى^(٤) إلى صفد^(٥)، والأمير شاهين كتك الأفرم إلى الكرك^(٦)؛ وعلى يد كل منهم كتاب يتضمن العزاء بالظاهر والهناء بالناصر. وأن يحلف نائب السلطنة والأمراء على العادة، فساروا على خيل البريد.

وقرر الأمير أئتمش مع الأمراء إبقاء الأمور على ما هي عليه، وأكد على الوزير تاج

(١) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نعي: شريف حسنى، من أمراء مكة. ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨هـ. وجاءه التوقيع سنة ٨١١هـ بنبابة السلطنة في جميع بلاد الحجاز. فاستمر مدة. وعزل وأعيد مرتين ثم توجه سنة ٨٢٨هـ إلى مصر. فتوفى فيها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ ومراجع تاريخ اليمن ٢٩٩ والأعلام ١٩٩/٢.

(٢) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شمس الدين المعروف بنعيم: أمير آل فضل بالشام. ولى الإمرة بعد أبيه سنة ٧٧٧هـ قتل في حلب. انظر الضوء اللامع ٢٠٣/١٠ والأعلام ١١١/٦.

(٣) هو والد المؤرخ إياس بن تغرى بردى صاحب كتاب «النجوم الزاهرة في أحوال مصر والقاهرة».

(٤) هو الأمير بشباى بن عبد الله بن باكى الظاهري، أصله من مماليك الظاهر برقوق وخواصه توفي سنة ٨١١هـ.

(٥) مدينة في جبال عاملة المطللة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤٢١/٣.

(٦) اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحي البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤.

الدين عبد الرزاق، والأمير يلبغا الأستاذار فى الكف عن ظلم الرعية، وتجهيز القسط والجامكية والعليق برسم الممالك السلطانية.

وفى ثامن عشره: خرج المحمل إلى الحج، صحبة الأمير شيخ المحمودى، وجعل أمير المحمل. وقدم أمير الركب الأول الأمير الطواشى سيف الدين بهادر مقدم الممالك.

وفيه اجتمع الأمراء بالقلعة على عادتهم للخدمة، وتأخر الأمير سودون أمير أخور عن الحضور، فبعث الأمراء إليه ليحضر، فامتنع، فكررُوا الإرسال إليه ثلاث مرات، إلى أن حضر، فكلّموه فى النزول من الإصطبل، فلم يجبههم إلى ذلك، فتخيلوا منه، واتهموه أنه يريد إثارة فتنة، فقبضوا عليه وعلى الأمير على بن أينال، وأخرجوا ما كان له بالإصطبل من خيول وقماش ونحو ذلك.

وسكن الأمير أيتمش مكانه، وأنزل بسودون وابن أينال مقيدين إلى الحراقة، وجهزا إلى الإسكندرية، فسجنا بها.

وفى العشرين منه: نودى بالقاهرة ومصر بخروج طائفة العجم من مصر، وهدد من تأخر بعد ثلاثة أيام بالقتل، فلم يخرج منهم أحد، وسكت عن ذلك بما بلغ الأمراء عن الخاصكية أنهم قد اتفقوا على القبض عليهم عند طلوعهم إلى الخدمة بالقلعة، فكثر خوفهم.

وخلع على الأمير يشبك الشعبانى الخازندار واستقر لالا السلطان، ومعه الأمير قطلوبغا الكركى، لالا أيضاً.

فلما كان يوم الخميس حادى عشرينه: جلس السلطان بدار العدل على عادة الملوك، وخلع على الأمير أيتمش، وعلى الأمير تغرى بردى أمير سلاح، والأمير بيبرس الدوادار، والأمير أرغون شاه أمير مجلس، والأمير أرسطای رأس نوبة، والأمير يلبغا إستاندار، والوزير تاج الدين، والأمير ناصر الدين محمد بن سنقر، والأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير تمر بغا المنجكى أمير حاجب، ومد السماط على العادة.

ودخل السلطان من دار العدل إلى القصر. وجلس القضاة بجامع القلعة حتى يخلع عليهم وعلى بقية أرباب الدولة. فعندما تكامل الأمراء بالقصر أغلق الخاصكية باب القصر، وكان رأسهم يومئذ سودون طاز، وسودون بن زاده، وأقبای رأس نوبة، وجهاركس المصارع. ثم سلوا سيوفهم وهجموا على الأمراء، وقبضوا على أرسطای وتمر از الناصرى، وتمر بغا المنجكى وطغنجى وبلاط السعدى، وطولو رأس نوبة، وفارس

الحاجب. وفر مبارك شاه وطبح، فأدركا وقبض عليهما.

وبلغ ذلك يلغا أستاذار - وكان خارج القصر - فخلع خلعتة، وسل سيفه، ونزل من القلعة إلى داره.

وأحضر الخاصكية الأمراء المقبوض عليهم إلى عند الأمير أيتمش - وقد بهت وأسكت - فقيدوا أرسطای رأس نوبة، وتمراز، وتمربغا المنجكي، وطغنجي أحد أمراء الطبلخاناه، وطولو، وبلاط من الطبلخاناه أيضاً. وأطلقوا من عداهم. واستدعى يلغا أستاذار، فلما حضر قبض عليه، وقيد. وأنزل بالأمراء المقبوض عليهم إلى الحراقة فأحضرهم إلى الإسكندرية في ليلة السبت ثالث عشرينه، أرسطای، وتمراز، وطولو.

وأحضرهم إلى دمياط^(١) تمربغا المنجكي، وبلاط السعدى، وطغنجي الأشرفي. وعصروا الأمير يلغا ليحضر المال، وأسلموه إلى القاضي سعد الدين إبراهيم بن غراب ليحاسبه، فنزل به إلى داره. وسألوا يلغا السالمى^(٢) بوظيفة الأستاذارية، فامتنع، فعرضوها على ابن سنقر وابن قطينة فلم يوافقا، فخلع على الأمير زين الدين مبارك شاه، واستقر أستاذاراً، عوضاً عن يلغا المجنون^(٣)، في ثالث عشرينه.

وفيه أمر بالنفقة على الممالك، فتولى الإنفاق عليهم يلغا السالمى، وأعطى بحضرة السلطان كل مملوك من أرباب الخدم الجوانية ستين ديناراً، صرف كل دينار ثلاثين درهماً وكل واحد من أرباب الأشغال البرانية خمسمائة درهم.

ونودى أن يكون سعر الدينار ثلاثين درهماً، فإن الناس كانوا قد توقفوا فى الذهب بعد موت السلطان، وانخط من ثلاثين إلى ثلاثة وعشرين درهماً الدينار. فشق ذلك على الناس، وخافوا الخسارة، لما كانوا يظنونونه من انخطاط سعر الذهب، فجاء الأمر بخلاف

(١) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والملح والنيل. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢، ٤٧٣.

(٢) يلغا أبو المعالى السالمى الظاهري الحنفى: من أشهر أمراء الجند فى دولة الملك الظاهر برقوق، ثم ابنه الناصر. كان يذكر أنه سمرقندى سماه أبواه يوسف وسبى فجلب إلى مصر مع تاجر اسمه سالم فنسب إليه. واشتره برقوق. ولما خلع برقوق سنة ٧٩١هـ أخذ يلغا مدينة صفد باسمه فعرف له ذلك بعد عودته إلى الملك. ثم كان أحد أوصيائه، فقام بتحليف الممالك لولده الناصر. اتهم واعتقل سنة ٨٠٣هـ ونفى إلى دمياط. ثم أحضر سنة ٨٠٥هـ وقرر فى الوزارة والإشارة. وقبض عليه أيضاً. وأفرج عنه سنة ٨٠٧هـ وعمل مشيراً ولم يلبث أن نفى إلى الإسكندرية وقتل فى محبسه خنقاً. انظر الضوء اللامع ٢٨٩/١٠، والأعلام ٢٠٨/٨.

(٣) سمى بالمجنون لطيشه.

ما فى ظنونهم. ولم يزل يرفع حتى بلغ ما لم يكن فى بال أحد قط.

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه: تأخر سائر الأمراء الألو ف عن حضور الخدمة بالقلعة، خوفاً من الخاصكية، فإن الأمور صارت معذوقة بهم، فبعث الخاصكية إلى الأمراء بالحضور، فأبوا من ذلك. فنزل حينئذ الخاصكية إلى الإصطبل فى خدمة الأمير أيتمش، واستدعوا الأمراء من منازلهم، فحضرُوا وكثر الكلام بينهم إلى أن اتفقوا جميعاً وتحالفوا على الائتلاف، وطاعة الأمير الكبير أيتمش، والملك الناصر. وحلف لهم أيتمش أيضاً، ثم حلفوا سائر الممالك والخدام، وتولى ذلك يلغا السالمى، وقام أيضاً فى أمر المرتجع من إقطاعات الأمراء حتى تقرر أن يكون المرتجع من الأمير المقدم خمسين ألف درهم، ومن الطبلخاناه عشرين ألف درهم.

ومن أمير عشرين عشرة آلاف. ومن أمير عشرة خمسة آلاف، ومن أمير خمسة ألفين وخمسمائة، وكتب بذلك مرسوم سلطانى خلد فى الدواوين.

وفيه خلع على الأمير قطلوبغا الحسنى الكركى شاد الشرايخاناه، عوضاً عن سودون الماردىنى، مضافاً لما بيده. وأنعم على الأمير قرا كسك بتقدمة ألف.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه: خلع على الوزير تاج الدين عبد الرزاق، واستقر أستاذاراً، عوضاً عن مبارك شاه بحكم استغفائه، فباشر الوظيفتين.

وفيه كتب مرسوم باستمرار الأمير قرا يوسف فى نيابة الرها على عادته. وباستمرار الأمير دمشق خججاً^(١) فى نيابة جعير^(٢) على عادته.

وفى ليلة الأربعاء سابع عشرينه: هرب الأمير شهاب الدين أحمد بن الزين والى القاهرة، فخلع على شرف الدين عيسى فلان الشامى عوضه، فى يوم الأربعاء. وقبض على ابن الزين وسلم إليه. وكادت العامة أن تقتله لبغضهم فيه، فضرب بالمقارع ضرباً مبرحاً عند فلان، وألزم بحمل أربعمئة ألف درهم.

وفيه ورد الخبر بأن بايزيد بن عثمان ملك الروم تحرك للمشى على بلاد الشام، وأن تمرلنك القائم ببلاد العجم أخذ ممالك الهند.

وفى ثامن عشرينه: ورد الخبر بأن الأمير تنم نائب الشام أخذ قلعة دمشق، وذلك إنه

(١) هو الأمير دمشق خجج بن سالم التركمانى، المتوفى سنة ٨٨٠هـ.

(٢) على الفرات بين بالس والدقة قرب صفين، وكانت قديماً تسمى دوسر إلى أن ملكها رجل

يقال له جعير بن مالك فسميت بقلعة جعير. انظر معجم البلدان ١٤٢/٢.

كان بالمرج من غوطة دمشق، فلم يشعر الناس به فى ليلة الأربعاء - العشرين منه - حتى حضر إلى دار السعادة ثلث الليل.

فلما أصبح استدعى الأمير جمال الدين يوسف الهذبانى نائب القلعة، بحجة أن الملك الظاهر طلبه، فعندما نزل إليه قبض عليه وبعث من تسلم القلعة فكثرت كلام الناس إلى أن أذن الظاهر، وصل فارس دوا دار تنم من مصر، وأخبر بموت الملك الظاهر، وإقامة ابنه الناصر، وتحكم الأمير أيتمش، وأن سودون الطيار قادم بالخلعة والتقليد. فخرج الأمير تنم إلى لقائه، ولبس الخلعة خارج المدينة. واجتمع القضاة والأعيان بدار السعادة. وقرأ عليهم كتاب السلطان الملك الناصر، فأجابوا بالسمع والطاعة ونودى فى البلد بالأمان والزينة، فزينت الأسواق، ودقت الكوسات، وسر الناس بذلك.

وأخذ الأمير تنم يصرح بأن السلطان صغير، وكل ما يصدر ليس هو عنه، وإنما هو عن الأمراء وأنا وصى السلطان، لا يعمل شئ إلا بمراجعتى، ونحو هذا. فترقب الناس بدمشق وقوع الفتنة، وبلغ هذا نائب حمص^(١)، فأخذ القلعة، وأخذ أيضاً نائب حماة^(٢) قلعتها.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

فى ثانيه: ركب طغتمر - مقدم البريدية - البريد، ومعه ملطفات للأمراء الورسقى والأمراء الأوجقية^(٣)، ومطلق لنواب الممالك والقلاع، ومثال لأحمد بن رمضان نائب أذنة^(٤)، ولأمراء التركمان، ولنائب حلب ونائب سيس^(٥)، وصحبته أقبية مطرزة بفرو وخمس عشرة قطعة، وفوقانيات حرير بأطرزة زركش أربع وعشرون قطعة، وتشاريف عدة كثيرة.

وفى ثالثه: فرغ تحليف الممالك.

(١) بلد مشهور كبير مسور، وفى طرفه القبلى قلعة حصينة على تل عال كبير، وهى بين دمشق وحلب فى نصف الطريق. انظر معجم البلدان ٣٠٢/٢، ٣٠٣.

(٢) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٣٠٠/٢، ٣٠١.

(٣) المورسقى والأوجقية من قبائل الغز التى تسكن شرق إقليم قليقية.

(٤) بلد من الثغور قرب المصيصة. انظر معجم البلدان ١٣٢/١، ١٣٣.

(٥) بلد من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٢٩٧/٣.

وفيه أنعم على الأمير سيف الدين أينال باى بتقدمة ألف، وخبز أرسطای. وعلى سودون من على بك - المعروف بطاز - بتقدمة تمرّاز، وعلى يلغا الناصرى بتقدمة سودون أمير أخور، وعلى أقبای بن حسين شاه بتقدمة تمرّغا المنجكى.

وأنعم على الأمير شرف الدين يعقوب شاه بطبلخاناه زيادة على طبلخاناته فصارت تقدمة ألف بثمانين فارساً، وأنعم على كل من قرايغا الأسنبغاوى ويتمر المحمدى، وأقبای الأينالى بإمرة طبلخاناه، وعلى الأمير جرباش الشىخى بإقطاع يلغا المنحون بخمسين فارساً، وعلى أقبغا المحمدى بطبلخاناه، وعلى كل من تمر الساقى، وجركس المصارع، وأينال حطب، وكمشبيغا الجمالى، وألطنبغا الخليلى، وكزل البشمقدار، وقانى باى العلالى، وجكا من عوض، وصوماى الحسنى بإمرة عشرة.

وفى خامسه: جلس السلطان بدار العدل، وحضر الأمراء، والقضاة وسائر أرباب الدولة على العادة.

وفى سابعه: خلع على سودون الماردینى، واستقر رأس نوبة كبيراً، عوضاً عن أرسطای، وعلى يعقوب شاه واستقر حاجبا ثانياً عوضاً عن تمرّغا المنجكى، وعلى كل من سودون بن زاده، وتنكز بغا الحططى، وخاير بك من حسين شاه، وبشباى وجكس، وأقبغا المحمدى الأشقر، واستقروا رعوس نوب.

وفى ثامنه: نودى على الذهب بأن يكون صرف الدينار الإفرنتى بثمانية وعشرين درهماً، والهرجة بثلثين درهماً، وكان قد انحط سعره، فشق ذلك على الناس وتغيب الصيارفة وتوقفت أحوال الناس.

وفى تاسعه: خلع على قرايغا الأسنبغاوى، وسمز المحمدى، ومقبل، وعملوا حجاً، فصارت الحجاب ستة. وخلع على تمان تمر الأشقتمرى بناية قلعة دمشق ثم بطل أمره. وحضر الأمير سيف الدين دقماق نائب ملطية^(١) بتقادم كثيرة.

وخلع على برهان الدين إبراهيم بن على التادلى، وأعيد إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضاً عن البرهان القفصى.

وفى ثانى عشره: خلع على جرباش الشىخى، وتمان تمر واستقرا من رعوس النوب. وخلع على كزل المحمدى البشمقدار - المعروف بالعجمى الأجرود - واستقر أستاذار الصعبة، عوضاً عن قرايغا الأسنبغاوى، وعلى سعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين

(١) بلد من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر معجم البلدان ٥/١٩٢، ١٩٣.

موسى بن كاتب السعدى، واستقر ناظر الإصطبلات السلطانية. وعلى كل من الطواشين شاهين السعدى الأشرفى وعبد اللطيف الشرفى، وصارا لالا السلطان.

وعلى الأمير ناصر الدين محمد بن على بن كلفت، واستقر نقيب الجيش. وعلى علاء الدين على بن قرط بولاية أطفيح.

وفى رابع عشره: خلع على الشيخ جلال الدين أحمد - ويقال له إسلام - بن نظام الدين إسحاق الأصفهانى. وأعيد إلى مشيخة الشيوخ بخانقاه سرياقوس^(١)، عوضاً عن الشريف فخر الدين بعد وفاته.

ونودى أن يكون صرف الدينار المختوم بثلاثين درهماً، والإفرنتى بثمانية وعشرين درهماً. وكان بعد موت السلطان قد انحط المثقال من اثنين وثلاثين إلى خمسة وعشرين، والدينار الإفرنتى من ثلاثين ونصف إلى عشرين درهماً.

وفى خامس عشره: أخرج الأمير يلغا المجنون إلى الإسكندرية فسجن بها.

وفى سادس عشره: خلع على الخليفة وقضاة القضاة وكاتب السر.

وفى سابع عشره: خلع على، وكتب إلى حسبة القاهرة. وعلى زين الدين عبد الرحمن بن الكويز بنظر الدولة، عوضاً عن شمس الدين عبد الله الهيصم.

واستدعى شيخ الإسلام والقضاة وأعيان الفقهاء إلى حضرة الأمير الكبير أيتمش بالخرقة من الإصطبل. وقد حضر الأمراء والخاصكية، بسبب الأموال التى خلفها الملك الظاهر: هل تقسم بين ورثته أو تكون لبيت مال المسلمين؟ فوقع كلام كثير آخره أن يفرق فى ورثته منه السدس، وما بقى فليبت المال.

وفيه استقر الأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس فى نظر الشيخونية عوضاً عن يلغا السالمى، وخلع عليه فى تاسع عشره، وخلع على جانى بك اليحياوى بناية قلعة دمشق، وتوجه إليها.

وفيه قدم فخر الدين ماجد بن غراب ناظر الإسكندرية.

وفى حادى عشرينه: خلع على الأمير سودون الطيار، واستقر أمير أخور عوضاً عن الأمير سودون قريب السلطان.

(١) بليدة فى نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

وفي يوم الإثنين ثالث عشرينه: خلع على الأمير شهاب الدين أحمد بن الحاج عمر، المعروف بابن قطينة الحسنى، واستقر وزيراً، عوضاً عن تاج الدين عبد الرزاق وإلى قطيا، وسلم إليه ليعاقبه على إحضار المال، فاستدعى بالوزير بدر الدين محمد بن الطوخي ليحاققه.

وخلع فيه أيضاً على الأمير يلبغا السالمى، واستقر أستاذاراً، عوضاً عن الوزير تاج الدين.

وعلى شهاب الدين أحمد بن أسد الكردي الطيردار بولاية المنوفية^(١)، وعزل كزل الحمدي. وعلى علم الدين سليمان بن يوسف الشهرزورى الكردي، واستقر فى ولاية مصر على عادته عوضاً عن ركن الدين عمر بن ممدود بن الكوراني.

وفي سادس عشرينه: وصل يلبغا الناصرى من حلب، وأسبغا من عند نعيم، وأخيراً باجتماع الكلمة على الملك الناصر.

وتوجه أسندمر الخاصكى على خيل البريد لإحضار علاء الدين على بن الطبلاوى من القدس، فورد فى غده البريد بأن نائب الشام استدعاه إلى دمشق، وأنه سار إليه.

وفي ثامن عشرينه: استقر تاج الدين عبد الله بن سعد الدين نصر الله بن البقرى فى نظر الإسكندرية، عوضاً عن فخر الدين ماجد بن غراب.

وفي تاسع عشرينه: أعيد نور الدين على بن عبد الوارث البكرى إلى حسبة مصر. وعزل شمس الدين محمد الشاذلى الإسكندراني.

شهر ذى الحجة، أوله الإثنين:

ففى أوله: استقر بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيتابى^(٢) الحنفى فى حسبة القاهرة، عوضى.

(١) هى من قرى مصر القديمة. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

(٢) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيتابى الحنفى: مؤرخ، علامة، ابن كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده فى عيتاب وإليها نسبته. أقام مدة فى حلب ومصر ودمشق والقدس. وولى فى القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، عكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة. من كتبه «عمدة القارى فى شرح البخارى» و«معانى الأخبار فى رجال معانى الآثار» و«عقد الجمان فى تاريخ أصل الزمان». انظر التبر المسبوك ٣٧٥ والضوء اللامع ١٣١/١٠-١٣٥ وخطط مبارك ١٠/٦ وشذرات الذهب ٢٨٦/٧ والجواهر المضيئة ١٦٥/٢ وإعلام النبلاء ٢٥٥/٥ والأعلام ١٦٣/٧.

وفي رابعه: صرف ابن قطينة من الوزارة باستعفائه، فخلع عليه، ورد إليه التحدث في أمر الكارم، كما كان قبل الوزارة. وخلع على فخر الدين بن غراب خلعة الوزارة، فصار إليه وإلى أخيه سعد الدين إبراهيم أمر الدولة.

وفيه فرق السلطان الأضاحي بالحوش من القلعة، على العادة في كل سنة.

وخلع على القاضي سعد الدين إبراهيم بن غراب.

وحضر على البريد جاني بك الياوي نائب قلعة دمشق، ومعه نسخة يمين الأمير تنم نائب الشام بإقامته على الطاعة، وأنه يريد من الأمراء الحلف ألا يغيروا عليه ولا يؤذوه، فحلف الأمير أيتمش بمحضرة القضاة، وحلف له أيضاً جميع الأمراء، وعاد جاني بك بنسخ الأيمان على البريد.

وفي سابعه: وهو سادس عشر مسرى سنة ألف وست عشرة، من تاريخ القبط أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، فنزل الأمير فارس حاجب الحجاب وخلّق المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وفي ثالث عشره: ورد الخبر بأن ابن عثمان ملك الروم أخذ الأبلستين^(١)، وعزم أن يمشى على البلاد الشامية، فطلب الأمراء والقضاة وأرباب الدولة إلى القصر السلطاني في يوم الإثنين خامس عشره، وقرئ عليهم كتب تتضمن أن ابن عثمان ملك الروم بعث أخاه علياً بالعساكر، وأنه أخذ ملطية والأبلستين، وفر منه صدقة بن سولي، فتسلمها في ثامن عشرين ذى القعدة، وأنه محاصر درنده^(٢)، فوقع الاتفاق على المسير إلى قتاله، وتفرقوا، فأنكر المماليك السلطانية صحة ذلك، وقالوا «هذا حيلة علينا حتى نخرج من القاهرة فقط» وعينوا سودون الطيار أمير أخور لكشف هذا الخبر.

وفيه أعيد شمس الدين محمد الأختاي إلى قضاء دمشق وعزل أصيل الدين محمد بن عثمان الأشليمي^(٣)، فكانت ولايته نحو مائة يوم.

وفي ثامن عشره: قدم أسندمر وأخبر أن ابن الطيلاوي ترك لبس الأمراء وتزيا بزي الفقراء، وجاور بجامع بني أمية، واستجار بالمصحف العثماني، وامتنع من الحضور إلى

(١) هي مدينة مشهورة ببلاد الروم. انظر معجم البلدان ٧٥/١.

(٢) درنده أو طرنده بلد على بعد ثلاث مراحل من ملطية، داخله في بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٣٢/٤.

(٣) نسبة إلى إيليم، وهي كورة أو قرية بحوض مصر الغربى. انظر معجم البلدان

مصر، وأن نائب الشام قال: «هذا رجل فقير، وقد قنع بالفقر اتركوه فى حاله» فتركه.

وفيه سار سودون الطيار على خيل البريد لكشف الأخبار، فدخل دمشق فى العشرين منه. وأخرج مرسوم السلطان بتجهيز عساكر الشام إلى بلاد ابن عثمان، فنودى فى البلد بذلك، وتوجه إلى حلب.

وفى هذا الشهر: أبطل السالمى تعريف منية بنى خصيب^(١)، وضمن العرصة وأخصاص الغسالىن، وكتب بذلك مرسوما سلطانيا بعثه إلى الأشمونين^(٢) نودى بإبطال ذلك فى سواحل البلاد، وفى منية بنى خصيب، ونقش على باب جامعها فبطلت هذه المظالم.

وأبطل أيضا وفر الشئون السلطانية، وكان فى كل سنة ألفا من الأرباب وأبطل المقرر على اليرددار وهو فى كل شهر سبعة آلاف درهم، والمقرر على مقدم المستخرج^(٣)، وهو ثلاثة آلاف درهما فى كل شهر.

وأبطل ما كانت السماسرة فى الغلال تأخذه من المتباعين، وهو عن كل أردب درهمين. وكتب عليهم ألا يأخذوا عن كل أردب سوى نصف درهم.

وفى سابع عشرينه: استقر قطلوبغا التركمانى الخليلى فى ولاية الشرقية^(٤) على عادته. وعزل أرغون، واستقر صارم الدين إبراهيم بن محمود والى أشموم طناح^(٥). وعزل قطلوبغا الجنتمرى.

وأما نائب الشام فإنه لما استولى على قلعة دمشق، وصل إليه فى سادس عشر ذى القعدة شخص ادعى أنه فداوى، بعثه الأمير أيتمش ليقبله وأحضر سكيناً بدار السعادة، فوصله بمال وصرفه؛ فتحدث الناس أن هذه مكيدة ومقدمة لإظهار الخلاف، وأخذ النائب يسب أيتمش فى مجلسه. ويظهر الخلاف عليه. فلما قدم الأمير جاني بك اليحياوى دمشق على نيابة القلعة لما يمكنه منها، ورده معه سونج بغا - أحد مماليكه - ليحلف الأمراء فحلفا الأمراء، وعادا إليه فى نصف ذى الحجة، ومعهما تشريف، فلبسه

(١) مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٢١٨/٥.

(٢) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

(٣) المستخرج هو عبارة عن الأموال المتأخرة على الناس، والى تستخرج منهم عن طريق الضرب والتعذيب، ويختص بهذا ديوان المستخرج.

(٤) كورة فى جنوبى مصر. انظر معجم البلدان ٣٣٧/٣.

(٥) بلد. مصر، قرب دمياط وهى مدينة الدقهلية. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

إلى دار السعادة، ونزعه عنه، وألبسه الذى قدم به عليه. ودافع جاني بك عن القلعة وأعاد مملوكه سونج بغا إلى مصر. وبعث إلى قلعة الصبيبة، فأفرج عن أقبغا اللكاش وألجى بغا الحاجب، وخضر الكرعى، واستدعاهم إلى دمشق، فقدموا عليه فى ثمانى عشرين ذى الحجة، وأنزلهم بدار السعادة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة عماد الدين أحمد بن عيسى بن موسى بن عيسى بن سليم بن جميل الأزرقى العامرى الكركى الشافعى، بالقدس فى سادس عشرين ربيع الأول.

ومات أمير حاج بن مغلطى أحد الأمراء ونائب الإسكندرية بدمياط فى ربيع الأول.

ومات أرغون شاه الإبراهيمى نائب حلب بها، فى صفر، ليلة الخامس والعشرين منه، فكانت جنازته عظيمة جدًا؛ لأنه كان أظهر من العدل بحلب أمرًا كبيرًا.

اتفق أنهم اكتروا لديوانه جمالا لنقل الملح، فأخذت سرية من العرب الجمال؛ فأحضر أربابها، وجعل يعطى من حلف، قيمة جملة التى يحلف عليه. وهذا غريب فى زماننا وقيل إنه مات مسموما. كان أولا خازن دارًا، ثم ولى نيابة صفد ثم طرابلس ثم حلب.

ومات بكلمش العللى أمير سلاح، وأمير مجلس بالقدس، فى صفر.

ومات تمان بغا الحسنى، نائب حمص.

ومات الأمير حسام الدين حسن بن على الكجكنى، أحد أمراء الطبلخاناه فى رابع رجب.

ومات الشيخ المقرئ المعتقد خليل بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الجليل^(١)، ويعرف بابن المشيب، فى سادس عشرين ربيع الأول.

ومات شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن محمد العبادى الحنفى، فى ليلة الأحد تاسع عشرين ربيع الآخر. وكان من فضلاء الحنفية، درس فى عدة فنون وناب فى الحكم بالقاهرة.

(١) خليل بن عثمان بن عبد الرحمن، أبو الصفاء القرافى المصرى، المعروف بالمشيب: من كبار القراء من سكان القرافة. يظن أنه حنبلى. كف بصره وأقعد فى أواخر حياة وانقطع بسفح الجبل. له «تحفة الإخوان فيما تصح فيه تلاوة القرآن». انظر الضوء اللامع ٣/٢٠٠ ومخطوطات الرياض ١٠/٧ والأعلام ٣٢٠/٢.

ومات الأديب علاء الدين على بن أيك الدمشقى بها، فى ثانى عشرين ربيع الأول.
ومات العارف شمس الدين محمد بن أحمد بن على، عرف بابن نجم الصوفى بمكة فى
صفر، وقد جاور عدة سنين بمكة.
ومات الخليفة المستعصم بالله زكريا بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الحاكم^(١)، وهو
مخلوع، فى رابع عشرين جمادى الأولى.
ومات الأمير شيخ الصفوى بقلعة المرقب، مسجوناً.
ومات الطواشى صندل المنجكى فى ثالث رمضان.
ومات الأمير صرغتمش المحمدى نائب الإسكندرية، فى ثالث عشر جمادى الأولى.
ومات الأمير كمشبغا الحموى بسجن الإسكندرية، فى ثامن عشرين رمضان.
ومات الملك المنصور محمد بن المظفر حاجى بن الناصر محمد بن المنصور
قلاوون^(٢). وهو مسجون بقلعة الجبل، فى تاسع المحرم.
ومات قاضى القضاة ناصر الدين أحمد بن محمد بن محمد بن التنسى^(٣) المالكى، وهو
قاضى أول شهر رمضان.
ومات بدر الدين محمود بن عبد الله الكُلسْتانى السراى كاتب السر وهو متول، فى
عاشر جمادى الأولى.

(١) زكريا بن إبراهيم بن الحاكم بأمر الله أحمد بن محمد العباسى، أبو يحيى المستعصم بالله من
خلفاء العباسيين بمصر. نصب خليفة فى القاهرة بعد خلع المتوكل على الله سنة ٧٧٩هـ فأقام عشرين
يوماً وعزل، ثم أعيد وبويع بالخلافة بعد موت أخيه الواثق بالله سنة ٧٨٨هـ فاستمر إلى أن خلع سنة
٧٩١هـ، ولزم داره إلى أن مات. انظر تاريخ الخميس ٣٨٣/٢ والأعلام ٤٥/٣.

(٢) محمد (المنصور) ابن حاجى (المظفر) بن الملك الناصر محمد بن قلاوون: من ملوك الدولة
القالونية بمصر والشام. بويع بالسلطنة بالقاهرة، بعد مقتل عمه الناصر الثالث حسن بن محمد سنة
٧٦٢هـ. وقام بتدبير ملكه أتابك عساكره الأمير يلبغا. دامت سلطته سنتين وأربعة أشهر. انظر ابن
ياس ٢١١/١ و٢١٢ والبداية والنهاية ٢٧٨/١٤-٣٠٢ والأعلام ٧٥/٦.

(٣) أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الزبيرى الإسكندراني المالكى، ناصر الدين بن التنسى:
قاضى من أهل الإسكندرية نسبته إلى تنس من أعمال تلمسان. كان تاجراً، وولى القضاء
بالإسكندرية سنة ٧٨١هـ، صيانة لماله وعنى بالعربية، وشرح التسهيل. واستقر فى قضاء المالكية
بالقاهرة سنة ٧٩٤هـ وحدث سيرته. ومات بها. انظر رفع الإصر ١٠٧/١، والضوء ١٩٢/٢
وشذرات ٥/٧ والأعلام ٢٢٥/١.

ومات الأمير قديد أحد الأمراء ونائب الإسكندرية، وهو منفي في ربيع الأول،
بالقدس.

ومات أحمد بن عبد الله الزهوري في أول صفر، وكان شيخاً عجمياً ذاهب العقل،
للسلطان فيه اعتقاد كبير.

ومات الأمير أزدمر دوادار السلطان، وهو أمير.

* * *

المحتويات

سنة ثمان وسبعين وسبعمائة.....	٣
السلطان الملك المنصور على بن السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون الصالحى الألفى.....	١٤
سنة تسع وسبعين وسبعمائة.....	٢٧
سنة ثمانين وسبعمائة.....	٤٥
سنة إحدى وثمانين وسبعمائة.....	٦٣
سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة.....	٧٩
سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة.....	١٠١
ذكر كيفية ظفر القيرسى بالإسكندرية.....	١٠٤
السلطان الملك الصالح صلاح زين الدين أبو الجود حاحى بن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون الألفى.....	١١٧
سنة أربع وثمانين وسبعمائة.....	١٣٥
السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص الجركسى العثمانى اليلغاوى القائم بدولة الجراكسة.....	١٤١
سنة خمس وثمانين وسبعمائة.....	١٤٧
سنة ست وثمانين وسبعمائة.....	١٦٣
سنة سبع وثمانين وسبعمائة.....	١٧٥
سنة ثمان وثمانين وسبعمائة.....	١٨٣
سنة تسع وثمانين وسبعمائة.....	١٩٧
سنة تسعين وسبعمائة.....	٢٠٥
سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.....	٢١٥
السلطان الملك الصالح المنصور حاحى.....	٢٣٢
سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة.....	٢٧٥
الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص الجركسى رحمه الله تعالى سلطنته الثانية.....	٢٨٣

٤٦٤ المحتويات

٣٠١	سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة
٣١٩	سنة أربع وتسعين وسبعمائة
٣٣٣	سنة خمس وتسعين وسبعمائة
٣٤٥	سنة ست وتسعين وسبعمائة
٣٦٥	سنة سبع وتسعين وسبعمائة
٣٨١	سنة ثمان وتسعين وسبعمائة
٣٩٣	سنة تسع وتسعين وسبعمائة
٤٠٧	سنة ثمانمائة
٤٢٧	سنة إحدى وثمانمائة
٤٤٨	السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن الملك الظاهر